وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة بغداد

علم نفس الشخصية

دكتور عزيز حنا داود
استاذ علم النفس التربوي
كلية التربية الاولى

دكتور ناظم هاشم العبيدي
استاذ علم النفس التربوي المساعد
كلية التربية الاولى

جامعة بغداد

١٩٩٠

تصدير

ربما لم يحظ مفهوم بهذا الكم من الشيوع سواء في الأدب النفسي القديم او المعاصر مثل مفهوم الشخصية .

فالمتابع للادب النفسي يجد ان هذا المفهوم دار وتشعب في فروع علم النفس كافة،سواء مايسمى احيانا فروعاً نظرية اوفروعاً تطبيقية.شاع هذا المفهوم ايضاً في علم النفس المرضي (الكلينيكي) على وجه التحديد ، ويرى بعضهم ان دراسة الشخصية يمكن ان تغني عن دراسة فروع اخرى من فروع علم النفس اذ تعد بمثابة البداية والنهاية في كل فرع .

والمكتبة العربية تموج بكثير من الكتب عن الشخصية بعضها مترجم والبعض الآخر معد (في صورة تجميع وقائع) ، والقليل جداً هو الذي يعد بحق كتابا مؤلفاً في الشخصية .

وقد حاول « المؤلفان » في هذا الكتاب «علم نفس الشخصية» . ان يزاوجا بين الترجمة والأعداد والتأليف فجاء الكتاب — وفق رؤانا — شاملا للكثير مما هو شائع والكثير مما هو جديد ، اذ ان الهدف الذي يحكم الكتاب مجموعة من المفردات تخدم بتغطيتها الطلبة الدارسين لموضوع الشخصية في اقسام العلوم التربوية والنفسية . ويمكن ان يفيد من هذا الكتاب القاريء المتخصص في موضوع الشخصية ، وكذا طلبة الدراسات العليا ، فضلا عن القاريء المثقف المستنير .

ان اخراج هذا الكتاب بهذه الصورة لم يكن له ان يتم لولا ارتباط المؤلفين — بهذا الهدف ... فقد كتبا الكثير من اجزائه في رحلات لهما خارج بغداد ، وخصوصاً في اجازات نهاية الأسبوع وفي مناطق سياحية كثيرة في العراق

، قد أدت هذه الرحلات الى نشاط مكثف، والى صفاء الذهن انعكس على فصول الكتاب الثمانية .

يتناول الفصل الأول من هذا الكتاب المعنون الشخصية عبر التراث السيكولوجي طبيعة الشخصية، ومكونات الشخصية ومحددات الشخصية وديناميات الشخصية.

اما الفصل الثاني المعنون بـ «ابعاد بناء ونمو الشخصية فانه يتضمن قسمين الأول خاص ببناء الشخصية ويحتوي على ثلاثة ابعاد هي : البعد التكويني، البعد الثقافي ، البعد الأجتماعي ، ويعالج القسم الثاني ابعاد نمو الشخصية ويحتوي على النمو المعرفي لبياجيه «والنمو النفسي» «لفرويد» والنمو الأجتماعي «لباندورا » .

ويتناول الفصلان الثالث والرابع مجموعة من نظريات الشخصية مصنفة على وفق ثلاث اسس : —

١ — نظريات تستند الى الحتمية التكوينية وتمثلها : نظرية فرويد ،وهيبوقراط وكرتشمر ، وشلدون ، وجولد شتاين ، واولبورت

٢ — نظريات تستند الى الحتمية البيئية وتمثلها : النظرية السلوكية . نظرية (دولارد وميللر) .

٣ — نظريات تستند الى الحتمية التفاعلية وتمثلها : نظريات أدلر ،وهورني وفروم ، وسوليفان ، ونظريات المجال والحاجات والنظرية الحيوية الأجتماعية

ويعالج الفصل الخامس المعنون « الشخصية والصحة النفسية » منطلقات نظرية تتعلق بالصراع والقلق والحضارة المعاصرة واساليب التنشئة الأجتماعية والتربية والدعاية . يعالج هذا الفصل تكامل الشخصية من خلال المنظومة الجسمية

والفسيولوجية ، والمنظومة العقلية والمنظومة الأنفعالية ، والمنظومة الأجتماعية الثقافية . كما تضمن هذا الفصل معالجة الصحة النفسية من حيث المفهوم والتوافق وسوء التوافق .

ويأتي الفصل السادس من هذا الكتاب « الشخصية بين السواء والمرض » ليشمل مقدمة في مفهوم السواء ومفهوم المرض في الأمراض النفسية (العصاب) واهم انواع الأعصبة كالنيروستانيا والهستريا والسيكاستينيا كما وشمل هذا الفصل على قسماً خاصاً بالامراض العقلية — الذهان — واعراض هذه الأمراض المتمثلة بالأضطرابات الأدراكية واضطرابات الذاكرة واضطرابات التفكير واحتوى على الأضطرابات الذهانية مثل الشيزوفرينيا والهوس — ، والأكتئاب والأنكفاء على الذات .

ويحتوي الفصل السابع الذي عنوانه «تقويم الشخصية» على مواضيع كثيرة مثل الأسس النظرية لتقييم الشخصية ومناهج تقويم الشخصية التي تتمثل بالقياس السيكومتري (القياس النفسي) والقياس الأديومتري (القياس التربوي) كما احتوى هذا الفصل على ادوات قياس الشخصية شملت اربعة محاور الأول يتعلق بتطور أدوات القياس،والثاني يتعلق بالادوات السيكومترية، والثالث بالادوات التربومترية ، (أدبومترية) والرابع أدوات كلينيكية .

واخيراً ، احتوى الفصل الثامن المعنون « علاج الشخصية » على مقدمة وعلى انواع معينة من العلاج كالعلاج النفسي الفرويدي التقليدي ، والعلاج النفسي عند الفرويديين الجدد ، والعلاج الفينومونولوجي ، والعلاج السلوكي التقليدي ، والعلاج السلوكي الحديث (تعديل السلوك) .

المؤلفان

بغداد — كانون الثاني ١٩٩٠

الفصل الأول

مفهوم الشخصية عبر التراث السيكولوجي

المحتويات :

مقدمة :

طبيعة الشخصية

مكونات الشخصية :

محددات الشخصية

دينامية الشخصية :

الفصل الأول

مفهوم الشخصية عبر التراث السيكولوجي (النفسي)

مقدمة :

يمكن عد موضوع الشخصية من الموضوعات الرئيسة في كل فروع علم النفس بل يمكن عدها البداية والنهاية بالنسبة لعلم النفس بصفة عامة .

فالشخصية في نموها وتغيرها في اثناء مراحل نمو الفرد يتناولها علم النفس التربوي ، لأن احد اهداف علم النفس التربوي متابعة نمو شخصية الطفل حتى يصبح يافعاً، ومتابعة خصائص نموها في كل مرحلة التي تعبر عن شخصيته فيما بين السواء والمرض ..... والشخصية كما تتفاعل مع الاخر ومع المجتمع يتناولها بالبحث والدراسة علم النفس الأجتماعي، الذي يعني بدراسة دينامية الفرد والجماعة ..... والشخصية في توافقها وانسجامها مع نفسها ومع الاخر يتناولها علم النفس الكلينيكي ، الذي يهدف الى تفهم وعلاج حالات عدم السواء ..... والشخصية كما تنتج وتصنع وتتفاعل مع الالة يتناولها علم النفس الصناعي ، وهكذا نجد الشخصية في علم النفس الحربي، والجنائي، والإداري، والتجاري..... الخ فهي ركيزة علوم النفس المختلفة بل هي ركنها الركين (عزيز حنا، ١٩٦٠ الشخصية والصحة النفسية) .

طبيعة الشخصية

كلمة شخصية Personality مشتقة من الأصل اللاتيني Persona بمعنى ذلك القناع الذي كان يلبسه الممثل في العصور القديمة ليؤدي دوره

على خشبة المسرح فيظهر امام الجمهور بمظهر خاص يتمشى ويساير طبيعة دوره المسرحي فهو هنا ملك أوصعلوك .

وقد تبنى هذا المفهوم بعض علماء النفس فعدوا الشخصية هي المظهر الخارجي للفرد كما يتمثل في سلوكه الظاهري Overt Behaviour وكان من نتيجة الدراسات والأبحاث الكثيرة المتلاحقة ان عدل بعض علماء النفس هذا المفهوم وتكلموا عن جوهر الشخصية كما تكلموا عن الأعماق والأغوار في النفس البشرية.على اية حال تعددت البحوث في مجال دراسة الشخصية وانتشرت ، ثم تعددت المفاهيم والتعاريف الخاصة بها ، الا انه يمكننا ان نميز بين اتجاهين رئيسين يؤثران في دراسات الشخصية.

اولهما ذلك الأتجاه الذي يضم بعض علماء النفس المهتمين بالأفعال السلوكية اي بطريقة الملاحظة الخارجية .وثانيهما بعض العلماء المهتمين بالمدركات او المفاهيم الديناميكية او القوة المركزية الداخلية التي توجه الفرد.

من الأتجاه الأول يظهر تعريف واطسون Watson عام ١٩٣٠ الذي يعد الشخصية «هي كمية النشاط التي يمكن أكتشافها بالملاحظة الدقيقة مدة طويلة حتى يتمكن الملاحظ من اعطاء معلومات دقيقة وثابتة» .

ومن الأتجاه الثاني نجد تعريف مورتن برنس Morton Prince عام ١٩٣٤ الذي يعد الشخصية:« هي الكمية الكلية من الأستعدادات والميول والغرائز والدوافع والقوى البايولوجية الفطرية والموروثة، وكذلك الصفات والأستعدادات والميول المكتسبة من الخبرة» .

ويعد كل من التعريفين السابقين قاصراً، لأنه يصور جانباً واحداً من الشخصية ولايندمج أحدهما في الآخر. فالأول خارجي يهتم بالسلوك الناتج عن الفرد كما يراه غيره والأخر يهتم بالمكونات الداخلية للفرد التي توجهه

وتحدد سلوكه. ولايمكن ايضاً الحكم بتعارض التعريفين بسبب عدم وجود معلومات واضحة مباشرة عن الغرائز والأستعدادات والدوافع، فهي مفاهيم مبتكرة لتوحيد وتوضيح الأفعال السلوكية الملاحظة والناتجة عن الفرد، وبدون تلك الأفعال السلوكية لايكون للمدركات او المفاهيم اي معنى محدد. فالملاحظة الدقيقة لسلوك الفرد لاتكفي بمفردها للحكم عليه، بل يجب ان يصاحبها مدركات ومفاهيم لإعطاء معان أو ترجمات لتلك الأفعال السلوكية في المواقف المختلفة. والتعريف الدقيق للشخصية يجب ان يهتم بالمنبع الذاتي للوقائع وبالطبيعة النظرية لتوحيد المدركات أو المفاهيم وفيما يأتي بعض هذه التعاريف :

يعرف مكنون Maknon عام ١٩٤٤ الشخصية بأنها «التنظيم الثابت لحد مالخلق الفرد وصفاته المزاجية وذكائه وصفاته الجسمية، حيث تحدد بأندماجها معاً توافقه مع البيئة» والمقصود بخلق الفرد مدى ثبات سلوك الفرد الأرادي (العزيمة) والمقصود بالصفات المزاجية هو مدى ثبات السلوك الإنفعالي التأثري «العاطفة» والمقصود بالذكاء مدى ثبات سلوك الفرد المعرفي (العقل). والمقصود بالصفات الجسمية مدى ثبات تكوين الفرد الجسمي وافرازات غدده الصماء وحالة جهازه العصبي المركزي والأوتونومي. ويظهر من هذا التعريف اهمية التكوين او التنظيم وهذه الأهمية تضاد تماماً نظرية تخصص السلوك. (عزيزحنا ، ١٩٦٠)

ويعرف البورت Allport عام ١٩٣٧ : « الشخصية بأنها التنظيم الديناميكي في نفس الفرد لتلك الأستعدادات النفسية الجسمية التي تحدد طريقته الخاصة في التوافق مع البيئة » .

والمقصود بالتنظيم الديناميكي ان تكوين الشخصية لايكون ثابتاً بل انه يتغير ويتبدل بمرور الوقت،وتحت مؤثرات بيئية واجتماعية وثقافية مختلفة

ويقصد بالأستعدادات النفسية الجسمية العادات والأتجاهات العامة والخاصة وكذلك العواطف بمعنى ان الشخصية نتاج العقل والجسم في وحدة متكاملة.

ويعرفها بيرت Burt سنة ١٩٣٧ بأنها: « النظام الكامل من الميـــول والأستعدادات الجسمية والعقلية الثابتة نسبياً.التي تعد مميزة للفرد وتحدد طريقته الخاصة في التوافق مع البيئة المادية والأجتماعية » .

ويشترك كل من التعريفين السابقين في تأكيد فكرة تكامل الشخصية اي انها ليست مجرد مجموعة صفات، وانما هي وحدة مندمجة تعمل كـلها فهي تشبه المركب في الكيمياء .

يهتم كل من التعريفين السابقين بأهميته البيئية واثر صفات الفرد فـــي توافقه معها. ويشير البورت في تعريفه الى فكرة الديناميكية في الشخصيـة اي التفاعل المستمر بين عناصرها بينما يشير بيرت في تعريفه الى فكـــرة الثبات النسبي اي اهمية عناصر الشخصية التي لاتتغير كثيراً بمرور الزمـن ، وهي الصفات التي يصح الأستناد اليها في الحكم على الشخصية.

ومن اجمال هذه التعاريف المتشابهة والمتباينة يمكن ان نحدد تعريفاً علمياً Working definition يوصف مدخلا لدراسة الشخصية على النحو الاتي: « الشخصية هـــي ذلك التنظيم المتكامل الديناميكي الذي يتميز به الفرد ، وتتكون من التفاعل المستمر المتبادل بين المنظومـات Systems النفســـية والجسمية ومؤثرات البيئة المادية ، والأجتماعية » . عزيز حنا ١٩٦٥ ، الصفات الشخصية اللازمة للنجاح في مهنة التدريس .

نخلص من هـذا الى ان الشخصية تنقسم على ١ــ منظومات جسمية وفسيولوجية ٢ــ منظومات معرفية، ٣ــ منظومات مزاجية، ٤ــ منظومات بيئية واجتماعية وثقافية .

فالمنظومات الجسمية والفسيولوجية هي التي تتعلق بالشكل العام للفـــرد وصحته من الناحية الجسمية– اي نموه الجسمي من حيث الطول والـــوزن واتساق الأعضاء وحالة الغدد وافرازاتها وبخاصة الغدد الصماء« عديمـــة القنوات» كالغدة النخامية، والغدة الدرقية والغدة فوق الكلية ..... الخ وكذلك المظاهر الحركية التي تشير الى توافق الأعضاء في حركتها واخيراً العاهات والأمراض الجسمية . من هذا يتضح ان كل تلك العوامل الجسمية والفسيولوجية تؤثر في تكوين الشخصية، ولابد من معرفتها لدراسة الشخصية خصوصاً الشخصيات المريضة أوالشاذة، اذ انه كثيراً ماتلقي هذه المنظومات الجسمية والفسيولوجية الضوء على النواحي النفسية بقسميها المعرفية والمزاجية كذلك النواحي الأجتماعية .

والمنظومات المعرفية هي التي تتعلق بالوظائف العقلية العليا كالذكاء العام والقدرات الخاصة كالقدرة اللغوية، القدرة العددية، القدرة الميكانيكيـــة ، القدرات الفنية .... الخ كذلك العمليات العقلية العليا «المعرفية» كالأنتبـاه والأدراك والتذكر والتخيل والتفكير والذكاء. وتظهر هذه المنظومات نبوغ الفرد في مهنة معينة اودراسة معينة، كما يمكن ان تظهر الأتجاه الثقافـــي العام للفرد الذي دعا بعض علماء النفس الى تقسيم الشخصية وفق النمـــط الثقافي الخاص ، وعلى سبيل المثال قسم سبرانجر Spranger الشخصية وفق الميول الثقافية على فرد تغلب عليه الثقافة النظرية واخر تغلب عليـــه الثقافة الأقتصادية.وثالث تغلب عليه الثقافة الدينية أو الثقافة الفنية أو الأجتماعية أو السياسية .

والمنظومات المزاجية تتضمن اساليب النشاط الأنفعالي النزوعي التي تفسر بالدوافع المختلفة. ويظهر هذا التنظيم ميول الشخص ورغباته وسماته المزاجية

كالتي نرمز لها بالثبوت الأنفعالي او الأنطواء او الميل الأجتماعي او الميل للسيطرة او الخنوع او الميل للنشاط او الكسل .

وهناك تقسيمات كثيرة لنماذج الشخصية من الناحية الأنفعالية أكثرها انتشاراً التقسيم الرباعي لابوقـــراط Hippocrates في القـــرن الخامس قبل الميلاد وهي المتفائل sanguine «الدموي» الشجاع المنفعل « الصفراوي» Cxholeric المتأمـــل الميلانخوليـا « السوداوي » Melancholy البليد الكسول «اللمفاوي اوالبلغمي» Phlegmatic

وترتبط تلك السمات المزاجية بالخصائص الجسمية كالطول او القصر البدانة او النحافة، واشكال العضلات والتكوين العظمي وتعبيرات الوجه ....الخ كما ان هناك تقسيماً شائعاً ايضاً قدمه يونج Jung عام ١٩٣٣ وهو المنطوي والمنبسط ، الأول يتمركز حول عالمه الذاتي ، والثاني يتجه نحـو العالم والأخرين .

كما قدم وليم شلدون Sheldon W., عام ١٩٤٢ تقسيماً ثلاثياً يربط مابين نمط الجسم والمزاج .

اذ يوجد النمط الخارجي (أكتومورفي) Ectomorphy وهو نمط نحيل يحكمه الجهاز العصبي، ويتسم الشخص بالذكاء والجدية والقلق .

والنمط المتوسط (ميزومورفي) Mesemorphy وهو نمط متوسط قوي البنية يحكمه العظام والعضلات ، ويتسم الشخص بالأتزان الأنفعالي .

والنمط الداخلي (اندومورفي) Endomorphy وهو نمط سمين حشوي تحكمه القناة الهضمية ويتسم الشخص بالمرح والبشاشة. (انظر الفصلين الثاني والثالـث)

والمنظومات الأجتماعية تتمثل في اتجاهات الفرد وقيمه في الدرجة الأولى حيث يتضح ذلك فيما يفضله الفرد ومايقبله او يرفضه ، فهذا شخص متحرر وذاك محافظ ، حيث يفضل الأول ويوافق على قضايا جدلية مثل تحديد النسل، ومساواة المرأة بالرجل في التعليم والعمل وفي اختيار شريك الحياة كما يوافق على النظم التي تتيح حرية الطلاق ويميل للتجديد في النظم السياسية بينما نجد الاخر يرفض الموافقة على مثل تلك الموضوعات .

وليس من شك ان تكوين مثل تلك الأتجاهات والقيم انما يستمد اصلا واساساً من الظروف البيئية والأجتماعية التي يعيش فيها الفرد ،في ضوء انعكاسات اراء ومفاهيم وقيم الكبار من حول الفرد،في المنزل والمدرسة والمجتمع .وتلعب عوامل التربية ووسائل الأعلام والدعاية دوراً كبيراً في تكوين اتجاهات معينة وتعديل وتغيير اتجاهات اخرى .

وقبل ان ننهي حديثنا عن الشخصية من ناحية طبيعتها وتعريفها لابد وان نشير الى نوع من التعاريف الذي يستخدم كثيراً هذه الأيام أذ يشير هذا النوع من التعاريف بالنسبة لأي ظاهرة الى المظاهر الأجرائية التي تسمح بملاحظة الظاهرة واعادة تكوينها والتنبؤ بها والتحكم فيها، كل ذلك حتى نتمكن من دراسة الظاهرة دراسة تجريبية مبنية على الملاحظة والقياس. هذا النوع من التعاريف يسمى بالتعريف الأجرائي، حيث يحدد هذا النوع من التعاريف الظاهرة عن طريق تحديد العمليات والأجراءات التي تؤدي بنا الى ملاحظة وقياس تلك الظاهرة. اما التعاريف الأخرى التي تستخدم الفاظاً أو مفاهيم لاتسمح بالملاحظة او بالقياس انما هي تعريفات لاتفيد من وجهة النظر العلمية. فأفتراض ان هناك قوة في داخل النفس توجه السلوك وتصوغه او ان مانراه في الشخصية هو مظهر خارجي لشيء كامن في الداخل ،فإن

التعاريف من هذا النوع تحيلنا الى قوى او مكونات غيبية، لاتخضع بالطبع للملاحظة او للقياس وعليه تعد مفاهيم غير مفيدة من وجهة النظر العلمية وفيما يأتي نقدم تعريفاً اجرائياً للشخصية:

«الشخصية مفهوم أواصطلاح او لافته او تسمية تصف الفرد من حيث كونه كلا موحداً متكاملا من اساليب معقدة التنظيم ، هذه الأساليب السلوكية تميز الفرد عن غيره من الناس خصوصاً في المواقف الأجتماعية وهذه الأساليب يمكن ملاحظتها وقياسها» (عزيز حنا، ١٩٦٥) .

نلحظ هنا ان هذا التعريف ينظر الى الشخصية بأعتبارها تسمية ومفهوماً فهي ليست بشيء او محتوى معين كما تشير بعض التعاريف غير العلمية السابقة ،ونلحظ أيضاً ان هذه التسمية تصف اساليب سلوكية قابلة للملاحظة وقابلة للقياس وان هذه الأساليب السلوكية معقدة التنظيم ، اي انها مترابطة متصلة ومكونة كلا موحداً متكاملا . ونلحظ ايضاً ان الأهتمام ينصب على الأساليب السلوكية التي تتضح او تلاحظ في المواقف الأجتماعية بصفة خاصة. ومن هنا يبتعد هذا التعريف عن المنظومات الجسمية أوالمعرفية «الجسم والعقل» وهذا لاينفي ان هذه المنظومات في الفرد تدخل ضمن المؤثرات في تكوين السلوك، بمعنى اننا لاننكر بطبيعة الحال المنظومات السابقة الجسمية أو المعرفية من ناحية عملها وتأثيرها في انتاج السلوك . ولكنها ليست الظاهرة نفسها اي ليست «الشخصية» . فالشخصية كما ذكرنا حالياً صفة تخلع على اساليب سلوك معينة في مواقف اجتماعية غالباً ، فهي ليست بشيء يتكون من عناصر وتركيبات والا نكون قد ابتعدنا عن التعريف الإجرائي حين نفترض هذه الأفتراضات الغيبية غير العلمية التي تعد المنظومات المؤثرة في الفرد والتي تشكل سلوكه وكأنها اجزاء تكوّن الشخصية .

مكونات الشخصية :

مع تعدد الرؤى بالنسبة لمفهوم الشخصية وطبيعتها ، وكثرة النظريات وفق هذه الرؤى ،يكون من الطبيعي تعدد صور مكونات الشخصية وفقاً لهـذه الأطر النظرية المتباينة .

فالمكونات عند فرويد Freud تتمثل في كونها اي الشخصية جهازاً أو منظومة تتضمن ثلاث منظومات فرعية هي الهو Id ، الانا ، Ego والانا العليا Super ego «الهو» منظومة فرعية تحتوي على كل ماهو غريزي ويتطلب الأشباع وفقاً لمبدأ اللذة. «والأنا »– وتنبثق من الهو–كي تواجه مطالب الواقع والمجتمع فهي مسايرة لمطالب هذا الواقع ، ثم تخضع لمبدأ الواقع. ثم تنمو المنظومة الفرعية الثالثة « الانا العليا » التي تختص بالقيم والمثل والقوانين والدين والأخلاق .. الخ . من "مفاهيم ممتصة بدءاً من الوالدين ، وانتهاء بالمؤسسات القانونية والدينية ،ومروراً بالتطبيع الأجتماعي والتربية المنزلية والمدرسية.والمنظومات الثلاث تعمل على المستوى اللاشعوري .

والمكونات عند يونج Jung تتمثل في «الأنا» Ego أو «الذات » وتعد منظومة شعورية تعمل على التناغم بين الغرائز الفطرية الحيوانية التي ولد بها الأنسان ، وبين مطالب المجتمع وقيمه ومثله اي انها تعمل بوعي .وقد استخدم المكوّن نفسه «الذات » Self أساساً في الشخصية كثير من علماء النفس البارزين منهم كارل روجرز Carl Rogers سنة ١٩٥١ و وجولد شتاين Goldstein ١٩٤٠ ، وماسلو Maslow ١٩٥٤. اما اوتورانك Otto Rank ١٩٥٢ فقد تصور الشخصية في ضوء مكونين اساسيين هما: الإرادة Will ومضاد الإرادة counter will وهما في حالة صراع دائم

بين الأستقلال والتبعية ، الأستقلالية لتحقيق الإرادة ، «المغايرة» والتبعية لتحقيق الأنتماء «المسايرة» .

ويتصور البورت Allport ١٩٣٧ ان المكون الأساسي للشخصية هو مجموعة من السمات قسمها على سمة كبرى قلبيه cardinal ومجموعة صغيرة من السمات الأساسية اوالمركزية central ومجموعة ثالثة من السمات الثانوية Secondary ويتصور البورت ان لهذه السمات وجود حقيقي ، واسهم كاتل Catell ١٩٦٥ في هذا الإطار بأن افرز مجموعة من السمات العميقة Source traits ومجموعة اخرى من السمات السطحية Surface traits وقد حاول كاتل ان يجمع هذه المجموعة من السمات بالتحليل العاملي وتوصل الي مجموعة من العوامل Factors ، والعامل مفهوم احصائي يعبر عن مدى تشبع العامل بمجموعة السمات المرتبطة به ارتباطاً موجباً عالياً .

وقدم هنري موراي Murray ١٩٣٨ تصوراً مغايراً لهذه المفاهيم التي تكون الشخصية فقدم قائمة تتراوح بين ٢٠ــ٣٨ حاجة بعضها حاجات ظاهرة Overt needs والبعض الأخر حاجات منه كامنة latent needs وهي بمثابة الأساس المكون للشخصية .

وقدم ليفين lewin ١٩٣٥ نظرية« المجال» Field وطرح من خلالها مفاهيم جديدة عدت بمثابة مكونات للشخصية إذ ادخل مفاهيم عن الوسط والموقف من حول الفرد ، فقدم مايسمى بحيز الحياة life-space الذي يعبر عن حاجات الفرد والأمكانات الفعلية للموقف كما يدركها الفرد،وقدم مايعرف بالتكافؤات valences التي تحدد الجوانب المرغوبة او غير المرغوبة بالنسبة لحيز الحياة ، كذلك قدم مفهوم المتجهات

Vectors اذ تشير الى اتجاهات الجذب والحواجز العائقة امام الهدف ، عدّ ليفين سلوك الشخص دالة لحيز الحياة اي التفاعل بين الشخص والبيئة السيكولوجية .

وقدم ساربين Sarbin ١٩٥٤ مفهوم« الدور» role بأعتباره مكوناً اساسياً في الشخصية اذ يحدد هذا الدور سلوك الفرد بعده نتاجاً للتفاعل بين «الذات» «والدور».

وفي ضوء هذا تتضح لدارس الشخصية هذه الكثرة من التصورات وعليه ان يختار منها موقفاً يعد بمثابة الإطار النظري الذي تتحدد في ضوئه المفاهيم والتعاريف والمعطيات ، وكذلك وسائل القياس وادواته . وسوف نعرض في الجزء الخاص بنظريات الشخصية (الفصلين الثالث والرابع) تفاصيل كل من هذه النظريات او هذه الرؤى المتباينة وموقف كل منظّر منها.

محددات الشخصية

المقصود بالمحددات هنا مجموعة المتغيرات أو المنظومات الأكثر حسما في تحديد مفهوم الشخصية ونموها . الا انه يمكن عد المنظومة البنائية Structural system والمنظومة الأجتماعية Social System . اساسان هامان في معظم التراث السيكولوجي الخاص بالشخصية ،وهما متفاعلان عضوياً .

اولا : المنظومة البنائية : Structural system

المقصود بالمنظومة البنائية بنية الفرد من ناحية الأجهزة المختلفة كالجهاز العصبي والجهاز الغددي والجهاز الدوري ..... الخ. وكذلك الأنسجة المختلفة والخلايا في تلك الأنسجة ، وفي الدم والعظام ويشترك افراد الجنس البشري تشريحياً وتحتوي خلايا الجسم على ٢٣ زوجاً من الكروموزومات

احدها خاص بتحديد الجنس الذكر (x y) والأنثى (x x) . وهذا البناء يتمثل في الجانب البيولوجي وقد طرح داروين Darwin ١٨٥٩ نظريه المشهورة، عن الأنتقاء الطبيعي التي ابرز فيها التطور البايولوجي في المملكة الحيوانية ،اذ اثبت ان النمو في الكائن الحي Organism يسير وفق معدلات كمية وكلما ارتقى الكائن الحي في سلم المملكة الحيوانية ، تعددت كمياً اعداد الخلايا والأنسجة، ممايشير الى التعقيد في البناء وهذا التعقيد يؤدي بدوره الى المزيد من الوظائف Functions وعلى سبيل المثال ان تعداد الخلايا العصبية في النصفين الكرويين في مخ الأنسان يتراوح بين ١٤—١٧ مليار خلية وهو أكبر رقم من الخلايا للجهاز العصبي المركزي في كل المملكة الحيوانية .ثم ان قلب الأنسان« والثدييات عموماً يتكون من اربع غرف» ويقل عن ذلك في الحيوانات الدنيا ،فالطيور مثلا يتكون قلبها من.ثلاث غرف،وهكذا نزولا في سلم المملكة الحيوانية نجد القلب ذا الغرفة الواحدة ثم نجد في الحيوانات الدنيا ان خصائص ووظائف القلب تقوم بها خلية واحدة كما هو الحال في الحيوانات الوحيدة الخلية Protozoa اي ان داروين عد البعد الكمي هو المحدد للخلافات أو التباينات في وظائف الكائن الحي، اي في فسيولوجيا الكائن «وظائف الأعضاء» وقد تأثر كثير من علماء النفس بهذا الطرح من جانب داروين ، وظنوا ان ماهو موجود في الحيوانات الدنيا يوجد بدرجة أكبر في الحيوانات العليا في سلم التطور. وقد نحى الكثير من علماء النفس هذا المنحى وخاصة علماء نفس المدرسة السلوكية فأجروا دراساتهم وتجاربهم على الحيوانات وبخاصة الثدييات كالفئران والقطط والكلاب ، وكذلك على الطيور وحاولوا ان يعمموا — مع اختلاف في الدرجة— ماتوصلوا اليه في دراستهم على هذه الحيوانات على الأنسان بأفتراض ان الخلاف يكون في الدرجة وليس في

النوع. وقد توصل كثير من علماء نفس المدرسة السلوكية الى مجموعة من القوانين التي تحكم السلوك في الحيوان خصوصاً في مجال التعلم (واطسون) ثورنديك ، سكنر ..... وغيرهم ، وقد حاولوا تعميم ذلك على تعلم الأنسان. الا انه ثبت وجود بعض التباينات الكيفية (النوعية) ، بين الأنسان وكافة الكائنات الحية في المملكة الحيوانية ويمكن تلخيص هذه التباينات في ثلاثة أطر :ـ

١ ـ الأنسان هو الكائن الوحيد في المملكة الحيوانية الذي يتعامل بالرمز «اللغة» المكتوبة او المرسومة او المنقوشة او المسموعة، بينما تعجز جميع الكائنات الحية الأخرى عن هذا التواصل. وعليه فقد أصبح للانسان تراث ثقافي ينقل عبر الأجيال ولايوجد هذا التراث في اي من الكائنات الحية الأخرى .

٢ ـ الأنسان هو الكائن الوحيد في المملكة الحيوانية الذي يستطيع ان يتعامل مع المحسوس او العياني concrete وكذلك يتعامل مع المجرد abstract في حين جميع الكائنات الحية الأخرى لاتتعامل الا مع المحسوس «العياني فقط» . وهذا الخلاف الكيفي ادى بالأنسان الى ان يتصور المستقبل ويفهم المجرد والمعنوي فكلمة فضيلة مثلا أو شجاعة او صدق يفهمها الأنسان بينما تعجز كافة الحيوانات في المملكة الحيوانية عن تصور هذه المفاهيم ، وتعيش فقط في محاولة اعادة التوازن الفسيولوجي لها بالأشباعات الحشوية (طعام ـ ماء ـ جنس... الخ)اي ان المحدد الأساس للحيوان ـ بغض النظر عن درجته في سلم التطور ـ هو اعادة الهوميوستاز(س) الساكن static homeostasis الى حالة التوازن egullibrium بينما وفي حالة الإنسان فضلا عن

اعادة حالة التوازن الفسيولوجي ، هناك محاولة دائمة لتحقيق حالة التوازن النفسي الديناميي اي اعادة الهوميوستازس الديناميي Dynamic homestasis الى حالة التوازن (تحقيق الأمن) المحبة الأنجاز،الحرية ، الضبط ..... الخ» .

وعلى سبيل المثال اذا لم تشبع الحاجات الفسيولوجية كالماء (في حالة الصيام في شهر رمضان) يقل معدل وجود الماء في الجسم ويؤدي هذا إلى عدم التوازن diseqilibrium في الهوميوستازس الساكن ، ويعود الهوميوستازس إلى حالة التوازن equilibrium عند شرب الماء اي ان عدم التوازن الفسيولوجي يحدث نتيجة لعدم اشباع الحاجات الفسيولوجية ، كالجوع والعطش والجنس ... الخ .

ويحدث حالة من عدم الاتزان في الهوميوستازس الديناميي (النفسي) اذا لم تشبع حاجات الانسان النفسية او الاجتماعية . فعدم اشباع الحاجة للأمن Need for security على سبيل المثال يؤدي بالفرد الى حالة من عدم التوازن النفسي ، وكذا الحال بالنسبة لحاجات نفسية مثل : —

need for affection	الحاجة للتواد
need for recognition	والحاجة للتقدير
need for achievement	والحاجة للانجاز
need for belongingness	والحاجة للانتماء
need for freedom	والحاجة للحرية
need for control	والحاجة للضبط

٣ ـ الانسان هو الكائن الوحيد في المملكة الحيوانية ، الذي يستطيع ان يسيطر ويتحكم في بيئته او يغيرها لصالحه عن طريق العمل الانساني . بينما تعجز كل الكائنات الحية الاخرى عن احداث مثل هذا التغيير وعليها ان تتكيف مع البيئة . فاذا حدث حريق في غابة على سبيل المثال او سقوط شديد للامطار فإن جميع الكائنات الحية في الغابة تسارع بالفرار او الاختفاء ، اما الانسان فيستطيع بالعمل الانساني ان يتحكم في هذه البيئة ، فيطفيء النار اذا اراد لانه يستطيع اكتشاف القانون الذي يحكم الظواهر المختلفة سواء أكانت ظواهر طبيعية ام كانت اقتصادية ام اجتماعية ام انسانية ... الخ واكتشاف القانـــون يتيح الفرصة للفهم والتنبؤ والضبط .

وهي الخصائص الثلاث التي تعبر عن اتباع المنهج العلمي . والانسان باتباعه لهذا المنهج في تناول الظواهر والقضايا المختلفة ، يتمكن من فهم هذه الظواهر كما يتمكن من التنبؤ بها قبل حدوثها وكذلك يتمكن من ضبطها او التحكم فيها ، لأنه اكتشف القانون او القوانين التي تفسر هذه الظواهر .

وعليه فإنه من الخطأ تعميم ما يحدث في الحيوانات على الانسان لاختلاف البناء البيولوجي ومن ثم لاختلاف الوظائف والانشطة .

هـــــذا بالاضافة الى وجود علاقة بين البناء والوظيفة فتركيب المخ مثلا في الانسان يمكنه من اداء مجموعة من الوظائف او الانشطة مثل التعلم ، التفكير ، التذكر ، الادراك ... الخ وهذه العمليات المعرفية او هذه الوظائف حين تمارس وتتدرب تعدّل من بناء المخ . ومن ثم يستطيع المخ ان يؤدي وظائف جديدة وهكذا ويتطور الانسان ويبدع في الوقت الـــذي لا يوجد مثل هذا التطور الخلاق في الحيوانات الادنى من الانسان .

وحيث اننا نستدل على الشخصية من مجموعات الاساليب السلوكية الناجمة عنها ، سواء بطريقة مباشرة قابلة للملاحظة والقياس كما في الاداءات الناجمة عن الفرد (overt behaviour) أم عن طريق الاساليب السلوكية المضمرة التي يمكن ايضاً ملاحظتها وقياسها بطرق غير مباشرة التي تسمى (covert behaviour) كما في التفكير مثلا او احلام اليقظة . فيكون من الطبيعي ان نجد تبايناً واضحاً بين شخصية واخرى صحيح ان الاساس البنائي واحد (من حيث نوع الخلايا وعدد الكروموزمات بها) ، ونوع الانسجة والعضلات والعظام وكذلك الاجهزة المختلفة . الا ان الوظائف او الانشطة قد تختلف وقد يزداد التباين في ضوء الممارسة او التدريب او تنشيط او خمول البيئة الاجتماعية والثقافية ـ كما سنعرض في السطور الآتية ـ فتتعدد الشخصيات ويزداد التباين بينها . وينبغي ملاحظة اننا نتكلم عن الفرد الذي يولد سليماً من الناحيتين البيولوجية والفسيولوجية .

ثانياً : المنظومة الاجتماعية Social system

تعد هذه المنظومة المحدد الاخر من محددات الشخصية والمقصود بهذه المنظومة الثقافة التي يعيشها الفرد او ينخرط فيها ، وكذلك التراث التاريخي والحضاري له . ويشكل هذا التراث التاريخي الحضاري والثقافة المعاصرة للفرد ، نوع الشخصية التي تراها متباينة من مجتمع لآخر ومن ثقافة لاخرى ومن التاريخ الحضاري لشخص عن آخر . وعليه لايمكن دراسة الشخصية بطريقة مجردة في المجتمعات المختلفة ، لانها بالضرورة تعكس هذا التراث الحضاري . وهذه الثقافة المعاصرة . وتعكس الظروف البيئية والاجتماعية التي تحيط بالفرد . فلا يمكن مثلاً توحد شخصية الامريكي .

وشخصية الهندوكي ، او توحد شخصية رجل العصر الحجري بشخصية

موسيقي ايطالي معاصر . اذ ان البعد الثقافي التاريخي مختلف في كل حالة مما يطبع الشخصية في كل حالة بطابع خاص مميز .

ويمكن ان نضيف لهذا البعد نوع التنشئة الاجتماعية ((التطبيع الاجتماعي) Socialization التي تنخرط فيها الشخصية . وهناك مجموعة من وكالات التطبيع الاجتماعي تبدأ بالاسرة وتنتهي بالمؤسسة القانونية والدينية في الدولة ، مروراً بالمدرسة كمؤسسة اجتماعية ، وما يصاحبها من جماعات الرفاق ((الاقران))وكذلك مؤسسة الاعلام والمؤسسات الحزبية والترفيهية ....الخ اذ تطبع كل هذه الوكالات ((الشخصية)) بطابع خاص ومميز ، يختلف من مجتمع لآخر ومن بيئة لاخرى . ولايعني هذا ان ابناء المجتمع الواحد تكون شخصياتهم صوراً كربونية ، وذلك للتباين الواضح في الثقافات الفرعية Sub-cultures . فالمعروف ان اية ثقافة Culture تتحدد بمستويات ثلاث : العموميات Unlvxersalities والمقصود بهذا المحدد ماهو شائع في ثقافة ما بحيث يتمثلها كل افراد المجتمع .

ولعل من اهم العموميات في اية ثقافة ((اللغة)) التي تعد بمثابة الوعاء الثقافي العام ، حيث يشترك كل افراد المجتمع في هذه اللغة ، ويدخل ضمن عموميات الثقافة كل ماهو شائع بين افراد هذه الثقافة كنوع الملابس المميزة ، وطراز المباني ، وانواع الاطعمة الشائعة ، التي يتناولها الجميع . والخصوصيات Specialities تعد بمثابة ثقافة فرعية ،لايتمثلها كل افراد المجتمع فهناك ثقافات فرعية مختلفة في داخل الثقافة العامة ، تحددها الطبقات الاجتماعية ان وجدت ، كما يحددها الوضع الاقتصادي وتبايناته ، كذلك تحددها مستويات التعليم ونوعية المهن ، وكذلك الريف ، والحضر ... الخ من المحددات .

ونلحظ في داخل هذه الثقافات الفرعية تباينات واضحة في داخل المجتمع الواحد . فالاطباء على سبيل المثال — لهم ثقافة فرعية تتمثل في مجموعة العادات والممارسات والمفاهيم والافكار الخاصة بهم ، التي تختلف عن الثقافة الفرعية لسائقي التكسي او لعمال البناء . كذلك هناك ثقافة فرعية خاصة بربات البيوت غير المتعلمات وغير العاملات ، تختلف عن الثقافة الفرعية للمتعلمات والعاملات من حيث نوع المفاهيم السائدة والعادات والممارسات المختلفة . كذلك نلحظ تبايناً واضحاً في العادات والممارسات والمفاهيم والافكار بين الفلاح والفني او العامل الماهر في مصنع يدار بالتسيير الذاتي (الاتومشين) . وثالث هذه المحددات التفرد الثقافـــــي — Unlqueness والمقصود بهذا المحدد ان في داخل الثقافات الفرعية يوجد تفرد بين افراد هذه الثقافات الفرعية ، في ضوء الخبرات الخاصة ، والمعاناة والمطامح الفردية ، التي تقتصر على فرد معين وتتباين بالضرورة من فرد لآخر في داخل الثقافة نفسها . ولذلك نجد في اي مجتمع وداخل اي ثقافة ، شخصيات متباينة تشترك في مواصفات عامة وتختلف او تتباين وفق نوعية الثقافة الفرعية التي ينخرط فيها الفرد ، وكذلك وفق الخبرات الخاصة التي ينفرد بها عن غيره من الافراد .

وحصيلة هذا كله وجود شخصيات بعدد الافراد ، اي ان لكل فرد ((شخصيته)) الخاصة به ، والتي تتضح من خلال اداءآته وممارساته عن طريق ملاحظته ، كما يمكن ايضاً قياس هذه الاداءآت او السلوك من خلال مجموعة مقاييس للشخصية بعضها تسمى مقاييس الورقة والقلم ، وبعضها مقاييس الاداء ، ومجموعة ثالثة تسمى بالمقاييس الاسقاطية ، وكل مقياس مبني على اطار نظري خاص به ، وسوف نعرضه حين نتكلم عن

نظريات الشخصية وطرق قياسها في الفصل الثالث والرابع والخامس من الكتاب .

ولا بد من الاشارة الى ان المنظومتين البنائية والاجتماعية متفاعلتان بالضرورة وتختلف الرؤى في وزن كل منهما وفق الاطار النظري الذي يختلف فيه المنظرون عند طرحهم لنظرياتهم في الشخصية . بيد انه يمكن توزيع معظم نظريات الشخصية وفق اتجاهات ثلاثة :

الاتجاه الاول : يضم هذا الاتجاه مجموعة من النظريات التي تصف الشخصية في ضـــوء المؤثرات البيئية والاجتماعية مثل النظريات السلوكية (مثير– استجابة) ويتزعم هذه النظريات واطسون ، ميللر ودولارد سكنر.... وكلها تركز الحتمية البيئية الميكانيكية .

الاتجاه الثاني : ويضم مجموعة النظريات التي تصف الشخصية في ضوء محددات بيولوجية خاصة (بنائية) كالنظريـة البيولوجية (جولد شتاين) ، ونظريات الطرز (الانماط) هيبوقراط ، شلدون ، كرتشمر ، والنظرية النفسية الجنسية (فرويد) ، والنظريات الخاصة بالسمات (اولبورت) والعوامل (كاتل) وكلها تركز على الحتمية البيولوجية البنائية .

والاتجاه الثالث : ويضم مجموعة من النظريات تجمع ما بين الاتجاهين السابقين فتصف التفاعل بين المحددات البيولوجية والمحددات البيئيـــة والاجتماعية والثقافية ، وتضم نظرية المجال (ليفين) ، نظرية الحاجات (موراي)

والفرودية الجديدة (أدلر، كارين هور ني، أرك فروم، سوليفان) . كذلك نظرية الدور الاجتماعي (ساربين) وكلها تركز على التفاعل الدينامي بين كل من المحددات البيولوجية البنائية والمحـــددات البيئيـــة والاجتماعية والثقافية .

وسوف نعرض في الفصل الثاني من الكتاب ((ابعاد بناء الشخصية)) لتفاصيل بناء الشخصية ونموها في ضوء الابعاد الثلاثة : البعد التكويني البعد الثقافي ، والبعد الاجتماعي .

ديناميات الشخصية

برز مفهوم الدينامية نقيضاً لمفهوم الاستاتيكية وقد سيطر هذا المفهوم الاخير على فكر الكثير مَن علماء النفس وكذا علماء الفيزياء في ضوء النظرية الميكانيكية «لنيوتن» التي اثرت في الفكر الانساني عامة زهاء ثلاثة قرون (القرن ١٧ ، ١٨ ، ١٩) وبرز مفهوم الدينامية رفضاً لفكرة الثبات وسعياً وراء التغير والصيرورة في عالم تسيره (اللاثوابت) .

وبالنسبة لمجال علم النفس كان فرويد من اوائل من قدم تفسيراً للنفس البشرية مستخدماً هذا المصطلح .

والدينامية تعني ببساطة تفاعل شبكة من المتغيرات سواء أكانت هـذه المتغيرات في النفس البشرية ، أم كانت في الظواهر الطبيعية ، ام البايولوجية اذ كان التفسير لأية ظاهرة انسانية او اجتماعية او فيزيقية لايتأتى الا بالمفهوم الدينامي وهو مفهوم شبكي يتجاوز المفهوم الخطي (سبب ونتيجة) الذي كان يميز الفهم الاستاتيكي للظواهر والاحداث .

وتشترك الكثير من نظريات الشخصية في توظيف مفهوم الدينامية حتى يتمكن المنظّر من تفسير السلوك (انظر الفصلين الثالث والرابع من هذا الكتاب) .

ويتزعم توظيف هذا المفهوم «فرويد» بعده ، احد رواد التيار التكويني ألبايولوجي ، ويشترك ايضاً في توظيف المفهوم «دولارد وميللر » بعدهما من اهم رواد التيار السلوكي (الحتمية البيئية) كذلك نجد ان مفهوم الدينامية يشيع بين رواد علم النفس الانساني فنجده، لدى الفرويديين الجدد ولدى «كارل روجرز» و «ماسلو» وغيرهما .

والدينامية ينظر اليها من خلال ثلاثة مبادىء او قوانين تساعد في تفسير السلوك الانساني ومن ثم فهم الشخصية هي : —

١ — خفض (اختزال) التوتر واعادة الاتزان :

Tension reduction & re-equilibrium

يشير «فرويد» Freud في ضوء تصوره عن الجهاز النفسي (الهو ، الانا الانا العليا) الى ظاهرتي الاشباع — الاحباط — التي يعاني منها الطفل في باكورة حياته وفقاً لمبدأي اللذة والواقع . وحين يتم الاشباع يختزل التوتر وتعاد حالة الاتزان الفسيولوجي للكائن . وقد اشار الى هذا المفهوم الخاص بالاتزان عالم الفسيولوجيا المشهور « كلود برنارد » Claude Bernard (انظر كتاب الطب التجريبي) الذي اطلق مصطلح «الهوميوستازس» Homeostasis والمصطلح المطروح يوظّف فسيولوجياً وسيكولوجياً : ففي الحالة الاولى يحدث توازن حيوي فسيولوجي نتيجة لخفض التوتر الناجم عن اشباع الدوافع الفسيولوجية(مثل الجوع ،العطش، الجنس..... الخ) وتسمى حالة التوازن باتزان الهوميوستازس الفسيولوجي ، وينسحب

نفس الكلام في حالة التوازن السيكولوجي اذا ماتم اشباع الدوافع الثانوية المكتسبة (مثل الامن ، المحبة ، الانجاز ، الانتماء..الخ) وتسمى حالة التوازن هذه باتزان الهوميوستازس الدينامي او النفسي .

وينظر «دولارد وميللر» الى هذا المبدأ نفسه من وجهة نظر اخرى ، اذ يعد خفض التوتر او اختزاله محكوماً بالارتباط ، اي يتم تدعيم الاستجابة التي تنجح في اشباع الدوافع ومن ثم تؤدي الى خفض التوتر . وقد اشار هذان العالمان الى مفهوم التعلم بالترابط ١٩٥٠ Learning by association وطرحا بضعة مفاهيم في نظريتهما عن الشخصية (الحافز ، الاستجابة ، الدليل ، التدعيم) . واشارا ايضاً الى دينامية العلاقة بين الدوافع الفسيولوجية والدوافع السيكولوجية : ويستدل على ذلك بالارتباط «المصاحب Concomitant بين اشباع الدوافع الفطرية الاولية ، واشباع الدوافع المكتسبة الثانوية فالطفل حين تحاول امه ان تخفض توتره الناجم عن عدم اشباع دوافع الجوع ، تحتضنه (تدغدغه) وتقبله وتكسبه الكثير من الحنان بحيث تصبح هذه العمليات والاجراءآت المصاحبة لعملية الرضاعة ،تصبح مطلباً مكتسباً ومن ثم دافعاً او (حاجة) تتطلب الاشباع .

٢ – الفعالية (التأثير) في البيئة : The effect on the environment

يعد هذا المبدأ من المبادىء المهمة التي تعكس بوضوح ايجابية الطفل اثناء نموه . اذ لايقتصر الامر على مجرد اشباع حاجاته الفسيولوجية والنفسية فحسب ، بل يتعدى هذا الى تحقيق الدوافع نحو التأثير الفاعل في بيئته . ويعد اللعب احدى الادوات التي تكشف عن مدى الحاجة لهذا التأثير من جانب الطفل .

واذا مالاحظنا طفلاً يبدأ في تعلم استخدام الملعقة مثلاً ، وجدنا بكل وضوح محاولات استكشاف واستطلاع من جانب الطفل لهذه الاداة

وللاصوات التي تخرجها اثناء وجودها في الطبق او في الفنجان... اي ان الامر لايقتصر على الاشباع الفسيولوجي في اثناء التغذية بل يصاحب ذلك ايضاً نمو مقدرة الطفل وتأثيره في البيئة من حوله . وقد اشار الى ذلك «روبرت هوايت» ١٩٦٠ Robert White ويختلف «هوايت» عن «فرويد» في ابرازه لهذا الدافع الذي عن طريقه ، يلعب الطفل دوراً في معالجة الاشياء باستخدام يديه مما يساعده في السيطرة على بيئته ، ويعد هذا الدافع فطرياً من وجهة نظره .

ويساير هذا الطرح من جانب«هوايت» آراء الكثير من علماء النفس الذين انشقوا عن الفرويدية الكلاسيكية كما يتضح ذلك من فصول الكتاب الآتية:

٣ – النمو بالفعل والنمو بالقوة :

Growth by action & growth by force

ينمو الرضيع بالتغذية وبالرعاية الصحية فيزداد وزناً وحجماً مع الايام ويعد هذا النمو نمواً بالفعل اذ ان الزيادة في عدد الخلايا ومن ثم الانسجة تكبر الاعضاء وزناً وحجماً وكل ذلك يدخل في باب مصطلح "growth" ويصاحب هذا النمو تعقد في الوظائف functions بمعنى انه يمكن لعضو في الجسم أن يؤدي وظيفة محددة في سن معين ، ويؤدي وظيفة أخرى مضافة في سن تال . فمعدة الرضيع مثلاً تستطيع هضم لبن الام ولا يمكنها هضم قطعة من اللحم ، ولكن بعد سن معين تستطيع المعدة نفسها ان تهضم اللحم والبقول ، اذ تعددت وظائفها ويسمى هذا النوع من النمو بالنمو الكيفي « development ويعد النوع الاول من النمو « بالنمو الكمي» growth .

يضاف الى هذين النوعين من النمو بالفعل نمو آخر يسمى «النمو بالقوة» والمقصود بهذا المصطلح ان ثمة حافزاً أو (دافعاً) في داخل الانسان يحاول

ان يجعل الشخص مستقلاً ، ويدفع به الى درجات أعلى من النمو . وبمعنى آخر أن هناك امكانية داخلية للفرد اذا ماأتيحت لها الفرصة ووجدت ظروفاً مناسبة من التوافق ، وهذا يؤدي الى مايسميه «ماسلو» Maslow بتحقيق الذات Self actualization ويسمى هذه الامكانية «ادلر» Adler بدافع الكفاح من اجل التفوق، كذلك يشير الى هذه الامكانية «كارل روجرز» Car l Rogers ويعتمد عليها في علاجه للشخصية كما سيتضح ذلك في فصل علاج الشخصية (الفصل الثامن) .

ويسير على النهج نفسه «الفرويديون الجدد» وعلى الاخص «ارك فروم» Erec Fromm . و «كارين هورني» Kareen Horney .

وهذا المبدأ يميز الانسان عن كافة افراد المملكة الحيوانية ، لانه ينقله من التعامل مع المحسوس الي التعامل مع المجرد . والتعامل مع المجرد والمعنوي يتطلب نمواً بالقوة. وبمعنى آخر امكانية اضفاء وظائف جديدة للجهازين العصبي المركزي (المخ اساساً) ويتمثل في التعطش نحو المعرفة والتذوق الجمالي والتفلسف ، وكلها وظائف تعبر عن امكانية لانهائية لمخ الانسان ، وتتجاوز حدود ماهو معروف آنياً عن الامكانات الفعلية للانسان المعاصر .

الفصل الثاني

أبعاد بناء ونمو الشخصية

ابعاد بناء الشخصية

مقدمة

البعد التكويني

البعد الثقافي

البعد الاجتماعي

أبعاد نمو الشخصية

مقدمة

النمو المعرفي (بياجيه)

النمو النفسي (فرويد)

النمو الاجتماعي (باندورا)

الفصل الثاني

ابعاد بناء الشخصية

مقدمة : يولد الانسان وحدة بيولوجية تتفاعل مع وحدة أكبر هي وحدة البيئة والاجتماعية . يظل هذا التفاعل في اثناء رحلة الحياة .... وفي كل لحظة يمكن وصف هذا الانسان بكثير من الاوصاف ، فهذا طفل عدواني ، وذاك طفل منطوي ، هذا الشاب منفتح الذهن ، وذاك منغلق . هذا الرجل يمكن الاعتماد عليه ، وذاك لايمكن الوثوق به ... هذه الفتاة جادة وتلك عابثة ، وهذه المرأة مملوءة بالحنان ، وتلك عنيفة قاسية ..الخ.

من اين اتت هذه «الصفات» او هذه اللافتات التي نخلعها على السلوك؟ ليس من شك في ان الانسان لايولد وبه مثل تلك الخصائص او الصفات ولكن عبر رحلة الحياة تتشكل الشخصية وتنمو وتتحدد معالمها وبصماتها.

ولنبدأ رحلة هذا البناء النفسي الضخم ((الشخصية)) لنرى كيف تتكون او بمعنى آخر كيف تبنى ؟

نلاحظ ان هناك ثلاثة ابعاد تنبنى بهم الشخصية وتنمو من خلالهم :

البعد الاول هو البعد التكويني الذي يتمثل في بناء الكيان العضوي للفرد كما يتمثل في اجهزته وانسجته وخلاياه وغدده وافرازات كل ذلك اي وظائف كل تلك المكونات .

والبعد الثاني هو البعد الثقافي الذي يحدد نمط الثقافة السائدة وتاريخها وانتقالها عبر الاجيال وما تطبعه على الفرد في اثناء نموه .

والبعد الثالث هو البعد الاجتماعي الذي يحدد بالدقة التفاعلات بين الاشخاص وعمليات التطبيع الاجتماعي التي يتعرض لها الفرد في داخل ثقافته وبتكوينه المحدد بيولوجياً والى المزيد من شرح وتحليل لهذه الابعاد الثلاثة :

البعد التكويني Structural dimension

اولا : المنظومة البيولوجية السلوكية Behavioural-biological system

يتكون الانسان باندماج حيوان منوي ببويضة فيتكون مايسمى بالزايكوت Zygote ينمو الزايكوت بالانقسام المتضاعف بمعنى أن هذه الخلية المخصبة تنقسم الى خليتين ، وتنقسم الخليتان الى اربعة ثم الى (٨) ، (١٦) (٣٢) (٦٤) ..... وهكذا تتكون ملايين الخلايا . وتصطف هذه الخلايا في ثلاث طبقات Layers . الطبقة الخارجية تسمى بالاكتودرم ectoderm ومنها يتكون الشعر والجلد . والجهاز العصبي .... والميزودرم mesoderm وتتكون منها معظم الاجهزة كالجهاز الدوري والتنفسي والبولي والعضلات والعظام ... الخ ،والاندودرم endoderm وهو الطبقة الداخلية وتتكون منها بعض الغدد الداخلية والجهاز الهضمي . يبقى الجنين في رحم الام حوالي (٢٨٠) يوماً ويتحدد جنس الجنين بمجرد اندماج الحيوان المنوي بالبويضة اذ ان ٥٠٪ من الحيوانات المنوية sperms تحتوي كروموزوم Y ، و٥٠٪ الاخرى تحتوي كروموزوم X . بينما تحتوي البويضة بصفة مستمرة على كروموزوم X ..فاذا اندمج حيوان منوي في داخله كروموزوم X بالبويضة فان الوليد يكون انثى (XX) ، واذ اندمج حيوان منوي بداخله كروموزوم X بالبويضة فان الوليد يكون ذكراً (xY) . اي ان المسؤول عن تحديد جنس الجنين هو الحيوان المنوي وليس البويضة .

بجانب هذا الزوج من الكروموزومات (xY) و (xx) يوجد (٢٢) زوجاً آخر من الكروموزومات خاصة بجميع خصائص الجنس البشري . ولذلك تكون خلية الانسان محتوية على (٢٣) زوجاً من الكروموزومات واحد منها فقط خاص بالجنس ،والباقي خاص بخصائص الإنسان . ولا يوجد

اي كائن حي آخر تحتوي خلاياه على نفس العدد من الكروموزومات ، اذ لكل كائن حي عدد خاص من الكروموزومات فالبعوضة على سبيل المثال تحتوي خلاياها على ٦ كروموزومات .

تحمل الكروموزومات مايسمى بالجينات Genes وهي التي تنقل الخصائص الوراثية عبر الاجيال . وهذه الجينات تنقل خصائص مادية مثل لون الجلد ، لون العين ، شكل الانف ، الطول او القصر وكذا الاستعداد لبعض الامراض .

وتكون بعض هذه الجينات مسيطرة وبعضها الآخر متنحية ، وقد تحدث طفرة في هذه الجينات فتنقل خصائص لاتوجد من اجيال سابقة كما قد ينقل الفرد خصائص كانت موجودة في الاجداد وغير موجودة في الابوين ،وقد قام مندل Mendel عام ١٨٦٥ بوضع قوانين للانتقال الوراثي عن طريق الجينات ، الا ان العصر الحالي قد تجاوزها . واصبح الآن من الممكن خلق خصائص جديدة عن طريق علم حديث معاصر يسمى بالهندسة الوراثية .وقد كانت ابحاث مندل على نبات البازلاء وعلى حشرة الدروسوفلا (ذبابة الفاكهة) .

وقد شاع لدى بعض علماء النفس التقليديين وخصوصاً في علم النفس البورجوازي اتجاهاً يركز على امكانية نقل مفاهيم كالذكاء والقدرات والاستعدادات عن طريق الوراثة .اي عن طريق مجموعة من الجينات وقد استندوا في هذا على بعض الدراسات التي يمكن تصنيفها الى اتجاهين احدهما دراسات عن السلالات او مايسمى احياناً (بشجرة العائلة) كدراسة عائلة كاليكاك المشهورة The Kallikak family التي قام بها جودارد Goddard عام ١٩١٢ والتي اثبتت ان الاجرام والتخلف

العقلي ينتشر في الكثير من افرادها ، بحكم ان رب العائلة كان مجرماً وان الزوجة كانت ضعيفة العقل . وحين تزوج رب الاسرة بفتاة اخرى عادية لوحظ ان الاجيال التالية لم تكن على القدر نفسه من التخلف والاجرام .

والواقع ان من الخطأ ارجاع ماحدث في هذه الاسرة الى الوراثة لانـــه يمكن ان تكون الظروف البيئية والاجتماعية هي التي اكسبت الاجيال المتتالية في هذه الاسرة هذه السمات او الخصائص . اي ان العيب هنا يكمن في المنهج المتبع .

وقبل ذلك بحوالي نصف قرن قام فرانسيس جالتون Francis Galton عام (١٨٦٩) بدراسات تشير الى وراثة الذكاء ، اذ يقول «يوجد بين اقارب الشخصيات التي تتمتع بقدر عال من الذكاء عدد من الاشخاص الاذكياء اكبر من ان يعزى إلى الصدفة» .

وثانيهما : دراسات قامت على اساس مقارنة التوائم المتماثلة (الناتجة عن بويضة واحدة) Identical Twins ويعني هذا انها تحمل الجينات نفسها اي العوامل الوراثية المتماثلة ، وقد اثبتت هذه الدراسات وجود ارتباط عال بين هذه التوائم في المفاهيم المختلفة كالذكاء والقدرات وخلافه . بينما يقل هذا الارتباط في التوائم (غير المتشابهة) Non -Identical twins ثم يقل الارتباط بين الاخوة ، حتى لا نجد علاقة مابين الاباعد . ويفسرون ذلك بالجينات وما تحمله من عوامل وراثية . الا انه ثبت في حالات كثيرة ان هناك توائم متشابهة عزلت عن بعضها بمجرد الميلاد وتربت كل منها في بيئة مغايرة للاخرى ، وقد ثبت بعد سنين عدة ان الارتباط بينهما في المفاهيم السابقة كان واطئاً . اي حدث تباين واضح في الذكاء والقدرات وفي خصائص اخرى كثيرة ، مما يرجع فعالية البيئة في اكساب مثل تلك المفاهيم والخصائص.

ففي الدراسة المشهورة على التوأمين المتشابهتين ماري وميبل واللتين فصلتا بعد الميلاد مباشرة اذ عاشت احداهما في المدينة والاخرى في قرية صغيرة فنمت الاولى بمجموعة خصائص متميزة وبذكاء نسبته .I.Q ١١٦ بينما نمت الأخرى بخصائص متدنية وبذكاء نسبته .I.Q ٩٢ . وعليه يعد المنهج المطبق في دراسة التوائم المتشابهة خاطىء ايضاً ، لان العادة جرت على ان يتربى التوائم او الاخوة في مجال بيئي متشابه إلى حد كبير مما يكسب هذه التوائم خصائص متشابهة الى حد واضح .

وقد ذكر اوتو كلينبرج Otte Klineberg عام (١٩٣٥) ان الاطفال الزنوج الذين يعيشون في جنوب الولايات المتحدة الامريكية ، تحسنت نسب ذكائهم حين انتقلوا إلى نيويورك ، وكلما طالت مدة بقائهم في نيويورك زاد التحسن ويذكر الدوس هكسلي Aldos Huxley في كتابة الطاقات البشرية Human potentialities عام (١٩٦٥) ان الطاقات التكوينية للطفل الذكي في المجتمع المعاصر هي في الاساس نفس الطاقات التكوينية التي ولد بها الطفل في العصر الحجري . وبينما ينمو الطفل الذكي في المجتمع المعاصر ليصبح مهندساً او فناناً او استاذاً في العلوم ، فان طفل العصر الحجري ينمو ليصبح قناصاً يصيد الحيوانات، او يجمع الثمار في الغابة حيث الاشجار والبرك والمستنقعات ، ويخلص من هذا إلى ان طفل المجتمع المعاصر وطفل العصر الحجري لا يمكن التفريق بينهما ، لان لكل منهما الامكانات الخاصة بالسلالة البشرية ، ولكن اثناء رحلة الحياة يحدث التمايز فينمو الاول ويحقق طاقاته التكوينية ، بينما ينمو الآخر (طفل العصر الحجري) دون ان تتحقق هذه الطاقات التكوينية فيه بالقدر الكافي .

وقد قام سكيلز Skeels بدراسة تتبعية استغرقت ما يزيد على العشرين عاماً (من ١٩٤٢ – ١٩٦٦) على ٢٥ طفلا متخلفين عقلياً يعيشون في ملجأ. وقد قسمهم إلى مجموعتين الاولى وعددها ١٣ طفلا وهي المجموعة التجريبية Experimental Group والاخرى وعددها ١٢ طفلاً وهي المجموعة الضابطة Control group وضعت المجموعة الاولى (التجريبية) في مؤسسة مثل S.O.S حيث توجد الامهات البديلات ويسمح جو المؤسسة بظروف صحية وثقافية واجتماعية ونفسية ممتازة ، وترك افراد عينة المجموعة الضابطة كما هم في الملجأ ..... وتابع ما يحدث ..... المهم بعد ٢١ عاماً وجد الآتي :

كان متوسط تعليم المجموعة الاولى نهاية الصف «الثاني عشر» ، ومتوسط تعليم المجموعة الضابطة «الصف الثالث» ، واصل اربعة من المجموعة الاولى التعليم الجامعي (سنة او اكثر)،واحد من نفس المجموعة انهى الدراسة الجامعية ، وواحد آخر حصل على دبلوم في الدراسات العليا ،جميع الافراد في هذه المجموعة يعولون انفسهم .

وبالنسبة للمجموعة الضابطة مات احدهم في سن الخامسة عشرة في احدى المؤسسات الحكومية الخاصة بالضعف العقلي ، و ٤ أفراد ما زالوا تحت الرعاية في بعض المؤسسات ، فرد دخل مصحة الامراض العقلية ، وثلاثة افراد ما يزالون في مؤسسات للضعف العقلي . ولا تتوافر معلومات عن باقي الافراد .

في نفس الصدد يقول جوتسمان Gottesman عام (١٩٦٨) في كتابه «الوراثة» في البيولوجيا والسلوك Genetics: IN Biology and Behaviour «ان الفروق التي تلاحظ بين نسب ذكاء الامريكيين السود وغيرهم من

البيض يمكن ان تعزى الى الظروف البيئية التي تبدأ قبل الولادة prenatal period وتستمر خلال حياة الفرد » .

والمقصود بما قبل الولادة بالنسبة لجوتسمان : ان الام الامريكية الزنجية، تكون في حالة من عدم الاستقرار الامني ، لانها ستنجب طفلا اسود في مجتمع له تحيزاته ضد اللون الاسود عامة ، ناهيك عن قلة الرعاية الصحية المتاحة ونقص الغذاء الصحي المتاح للام الامريكية السوداء بالمقارنة بالام الامريكية البيضاء .

ومما هو جدير بالذكر هنا ان الدراسات التي تفتعل توريث الذكاء ، تكون عادة مبطنة ومغلفة بسياج سياسي والمقصود بهذا في الكثير من الدول الرأسمالية على وجه التحديد وكثير من الدول التي تمارس التفرقة العنصرية ، تكثر فيها مثل هذه الدراسات ، بل قد تزوّر لايجاد مبررات للقهر والاضطهاد وللسيطرة. ولعل قضية سيريل بيرت Cyrl Burt عالم النفس البريطاني المشهور الذي توفي عام ١٩٧٨ تشير ضمن ما تشير إلى المنهج العنصري لهذا العالم الذي كرس الكثير من دراساته عن مفهوم الذكاء كي يثبت ان الذكاء مرتبط بالسلالات وان هناك الاوربي الذكي والغباء يتركز في شعوب العالم الثالث عامة، ويتزعم هذا المفهوم العنصري الان آرثر جينسن Arthur Jensen (١٩٦٩) عالم النفس الامريكي المعاصر ، وتلميذ سيريل بيرت الذي تدور ابحاثه العنصرية حول الذكاء والوراثة والذي يحاول جاهداً اثبات ان الامريكي الابيض اعلى ذكاء من الامريكي الاسود . ويدور هذا المفهوم الرجعي في دراسات اخرى كثيرة في جنوب افريقيا ، وفي فلسطين المحتلة لمحاولة اثبات ان الطفل اليهودي ولا سيما من اليهود الغربيين (الاشكانيزم) اعلى ذكاءً من اطفال اليهود الشرقيين (السغارديم) وهؤلاء الاخرون اعلى ذكاء

من الاطفال العرب الفلسطينيين. والطريف في هذا الموضوع هو انه اذا ما طبقت مجموعة الاختبارات التي تسمى باختبارات الذكاء فان النتائج تشير الى هذا التمايز فعلاً ، ولكن يبقى السؤال المهم وهو لماذا حدث هذا ؟ والجواب ببساطة هو ان الفرص المتاحة للحياة سواء لزنوج امريكا ام السود في جنوب افريقيا والعرب الفلسطينين في الارض المحتلة ليست على القدر نفسه من الخصوبة والثراء الفكري والثقافي والمادي التي يعيشها الامريكي الابيض،والرجل الابيض في جنوب افريقيا والصهاينة في فلسطين المحتلة . ولما كانت اختبارات الذكاء في كل صورها واشكالها لا تخلو من التأثير الثقافي والبيئي ، فتكون بالضرورة منحازة الى جانب اصحاب هذه الثقافة، وعليه فان نسبة الذكاء (I.Q.) تكون مضللة ومنحازة لانها تعبر بالدقة عن الحصيلة التي اكتسبها الفرد اثناء رحلة حياته في جميع الجوانب الصحية والتعليمية والنفسية والثقافية . وعليه نلاحظ هذه الفروق التي تتمثل كثيراً في البيئات الاجتماعية المختلفة في داخل المجتمع الواحد ، كما تتضح ايضاً وتتمايز في المستويات الاقتصادية المختلفة بين المدينة والقرية ، ونوعية التعليم السائدة (نوعية المدارس) .

تخلص من ذلك ان ما يسمى بنسبة الذكاء (I.Q.) يمكن ان ترتفع او تنخفض في ظل ظروف بيئية واجتماعية وثقافية ممتازة او رديئة .

ويذكر عبدالفتاح تركي في مجلة التربية المعاصرة (يناير ١٩٨٤) اثناء عرضه لكتاب « "Le Quotient Intellectuel" » نسبة الذكاء للكاتب الفرنسي ميشيل تورت Michel Tort (١٩٧٤) . يقول «تورت» هناك ارتباط قوي بين نسبة الذكاء التي يحصل عليها فرد بعينه ، والبيئة الاجتماعية التي ينتمي اليها هذا الفرد ، ثم يقول ان بينية Binet وهو أب

اختبارات الذكاء ، قد ادرك هذه الحقيقة منذ بداية اهتمامه بقياس القدرة العقلية التي اطلق عليها «الذكاء» فقد لاحظ عند اول قياس قام به ، ان تلاميذ مدرسة في حي Butignolles ومعظمهم من ابناء التجار ، قد حققوا نسب ذكاء اعلى مما حققه اقرانهم تلاميذ مدرسة شارع Garage-Aux-Belles وغالبيتهم من العمال . ولكن Binet كما يقول المؤلف لم يهتم بالنتائج الخطيرة التي تترتب على هذه الحقيقة .

ومن بين الدراسات الحديثة التي اثبتت الارتباط الوثيق بين معدل الذكاء والاصل الاجتماعي ، الدراسة التي قام بها «المعهد القومي للدراسات السكانية» بباريس والتي نشرت نتائجها عام ١٩٦٥ — يقول المؤلف أن هذه الدراسة توفرت لها ضمانات لا يتيسر توفيرها عادة في الجهات التي تقوم مثل هذه الابحاث فلقد ضمت العينة التي اجرى عليها البحث ١٠٠,٠٠٠ طفل في التعليم الابتدائي واستخدم تحليل البيانات امكانات مادية وبشرية لا تتوافر الا لمثل هذا المعهد القومي .

والجدول التالي يوضح متوسط نسبة الذكاء لكل فئة من الفئات الاربع عشرة التي تنتمي اليها العينة المذكورة .

عمال عاديون	٩٢,٦	موظفون كتابيون	١٠١,٤
عمال زراعيون	٩٣,٥	رؤساء عمال	١٠٢,٥
عمال مناجم	٩٤,١	حرفيون تجار	١٠٣,
عمال متخصصون	٩٦,١	جيش وبوليس	١٠٣,٩
عمال مزارعون	٩٦,٤	مهن حرة وصناعية	١٠٥,٤
عمال مهرة	٩٨,٣	ملاكات (كوادر) متوسطة	١٠,٧
عمال تجاريون	١٠٠,٢	ملاكات (كوادر) عليا	١١١,٥

البيانات اعلاه اوضح من اي تعليق .

وهذه النظرة العنصرية السائدة في علم النفس البرجوازي نظرة متشائمة للانسان ، لانها تطبعه بطابع خاص وبتركيب محدد سابقاً عن طريق الوراثة . ووجهة التشاؤم هنا هو ضآلة فعالية عملية التعليم لانها اذا استطاعت ان تنمي او تحسن او تطور فهناك اطار محدد سابقاً لا يمكن تجاوزه ، في الوقت الذي تثبت فيه الدراسات المتعددة في الدول المتقدمة على وجه التحديد وفي بعض القطاعات المتقدمة في العالم الثالث ، تثبت ان طاقات الانسان لا حدود لها ، وانه يمكن اكتساب المزيد من العلم والثقافة . ولا يفوتنا ان نذكر هنا اننا نتكلم عن الانسان الذي يولد وهو سليم من الناحيتين البايولوجية والفسيولوجية ، اذ يولد الانسان في هذه الحالة محايداً Neutral اي انه ليس ذكياً او غبياً متسامحاً او عدوانياً ، متديناً او ملحداً ، اذ ان كل هذه الخصائص المعرفية العقلية والانفعالية المزاجية ، والاجتماعية نتاج لما اكتسبه وخبره في أثناء رحلة حياته .

ونحن نركز هنا السلامة عند ولادة الطفل لانه قد يولد وبه نقص في امكاناته البايولوجية ، او نقص في وظائفه الفسيولوجية ، او خلل في نظامه الغددي ، او استعداد لامراض معينة ، اذ اننا نستبعد هذه الحالات من مفهوم الحيادية بالولادة .

وتكوين الانسان باعتباره في قمة سلم المملكة الحيوانية كما سبق ان ذكرنا . ومع وجود الخلافات الكيفية التي طرحت عند الحديث عن المحددات البنائية للشخصية ، والتي تميزه كيفياً عن كل اعضاء المملكة الحيوانية . يعد التكوين لجسم الانسان بالشكل الموجود به بمثابة بناء حيوي . وهذا البناء الحيوي تكون له امكانية اداء وظائف وانشطة مختلفة ، اي ان الانسان بالميلاد يكون مشروعاً للتعلم ، وللفكر ، ولاداء جميع مظاهر الحياة البشرية . لكي يتوافق

هو ونفسه وبيئته وثقافته وتراثه ، كذلك كي يتوافق والآخرون وتستمر الحياة . فحياة الكائن البشري تبدأ بميلاده ثم حياته(بما فيها من حركة ونشاط وعمل .... الخ) ثم مماته ، لتبدأ حياة جديدة أكثر تقدماً . وحين ينمو الفرد (أو حين تنمو الشخصية) نلحظ انها تؤدي في كل مرحلة من مراحل نموها ادواراً متعددة او انشطة متباينة يمكن تقسيمها بهدف التحليل إلى انشطة معرفية او عمليات معرفية ، تتمثل في انتباه الفرد وادراكه وتذكره وتفكيره وتعلمه وذكائه . وهناك مجال آخر من الانشطة يطلق عليه انشطة مزاجية تتمثل في اهتمامات الفرد وميوله واتجاهاته وقيمه ، هذا بالاضافة إلى المهارات التي يكتسبها الفرد او الشخصية في ضوء الممارسات ونوع التعليم ونوع العمل الذي ينخرط فيه الفرد او تنخرط فيه شخصيته . الا ان المزيد من الانشطة او الوظائف يؤدي عن طريق الجدل إلى تعديل في التكوين او البناء ، وهذا التعديل في التكوين او البناء يقود إلى ممارسات جديدة وتعلم جديد وشخصية جديدة وهكذا يستمر التطور ايضاً (التربية النضالية عزيز حنا ١٩٨٧) وربما يسأل فرد ما عن الانسان الاول ويقارنه بالانسان المعاصر (بمعنى انسان العصر الحجري اذا ما قورن بانسان القرن العشرين) والواقع يشير إلى انه يوجد تباين واضح ليس في الطاقات التكوينية الاساسية للانسان، ولكن في استثمار هذه الطاقات وتوظيفها او برمجتها . فقد تطور الانسان عن طريق العمل ، وتطور العمل بالانسان . وتشير بعض الدراسات إلى ان ما

يوظف من مخ الانسان الان يتراوح حول $\frac{١}{٨}$ من عدد خلاياه التي

بق ان ذكرنا انها تتراوح بين ١٤ — ١٧ مليار خلية عصبية (عبدالوهاب

كامل ، علم النفس الفسيولوجي ١٩٨٢) ومعنى هذا انه لا يزال للانسان رصيد ضخم في صورة مشروع للعمل وللتعلم والتفكير والابداع ، ولا يتأتى هذا الا ببرمجة مخ الانسان وتصبح الانشطة التعليمية والممارسات ونوعها وكمها المحدد الاساس لتوظيف وبرمجة المخ . والمعروف مثلا ان النصف الكروي الايسر يتمكن اذا ما برمج من اداء وتعلم المهارات اللفظية وعمليات التجريد والتصورات الرمزية .....الخ بينما يختص النصف الايمن من النصفين الكرويين بالانشطة والممارسات العملية والفنية وتكون هذه الانشطة — اذا ما اتيحت الفرصة للفرد ممارستها في قمة توظيفها ثم ادائها كما يتمثل في السلوك . وعليه فان السلوك الناجم عن الشخصية محكوماً بالضرورة بفرص هذه الشخصية في اكتساب وبرمجة الجهاز العصبي المركزي لها C.N.S. وخصوصاً النصفين الكرويين .

واثبتت دراسات كثيرة ان نسبة الذكاء في تغير مستمر بالنسبة لنفس الفرد على مر الاعوام وقد تمت دراسة في جامعة ايوا Iowa نشرت نتائجها عام ١٩٤٩ تحت عنوان «دراسة تتبعية لـ ١٠٠ طفل متبنى» قام بها كل من سكودال وسكيل Skodal Skeels وفيها تمت متابعة ، ١٠٠ طفل ينتمون في الاصل لفئات اجتماعية متواضعة ، وقد تم تبنيهم بوساطة فئات اجتماعية متوسطة وعالية امتدت الدراسة لمدة ١٥ عاماً (١٩٣٤ — ١٩٤٩) خضع الاطفال خلال المدة لتطبيق اختبار ستانفور بينيه عام ١٩١٢ Stanford-Binet خمس مرات وفيما يأتي نتائج تطبيق هذه الاختبارات (خمس مرات) خلال الـ ١٥ عاماً .

١ — ٧٨ طفلا من العينة حصلوا على درجات مختلفة في الاختبارات الخمسة.

٢ — ولا احد من افراد العينة حصل على الدرجة نفسها في الاختبارات الخمسة .

٣ ــ ولا احد من افراد العينة حصل على الدرجة نفسها في اربعة اختبارات.
٤ ــ طفل واحد حصل على الدرجة نفسها في ثلاث اختبارات .
٥ ــ ٢٢ طفلاً حصلوا على الدرجة نفسها في اختبارين .

يقول ميشيل تورت Michel Tort (١٩٧٤) ان هذه الدراسة أثبتت عدم مشروعية التنبؤ بما سيكون عليه ذكاء الطفل في المستقبل وهو اخطر حق تدعيه لنفسها اختبارات القياس العقلي .

ثانياً : منظومة الغدد الصماء Endocrine glands system

يحتوي جسم الانسان على نوعين من الغدد المجموعة الاولى من الغدد تسمى غدد قنوية Duct glands كالغدد اللعابية مثلا ، والكبد ، والصفراء. وهي الغدد التي تفرز انزيماتها في قنوات تساعد في عمليات هضم الغذاء وتمثيله وهناك منظومة اخرى من الغدد تسمى بالغدد الصماء Emdocrine glands او الغدد عديمة القنوات Ductless glands وهذه المنظومة من الغدد تفرز مجموعة من الهورمونات hormonesفي الدم مباشرة عن طريق الضغط الاسموزي ، اذ ينتقل الهورمون في داخل الغدة إلى الدم عن طريق جدار الغدة لان تركيز الهورمون في داخل الغدة اقل من تركيز الدم ، اذ ان مفهوم الضغط الاسموزي يتمثل في انتقال السوائل الاقل تركيزاً إلى السوائل الاكثر تركيزاً من خلال جدران الخلايا .

والهورمونات المفرزة هي مواد بايوكيميائية Blochemical ذات فعالية كبيرة في فسيولوجيا جسم الانسان . وهذه المنظومة من الغدد تعمل بعلاقات التأثير والتأثر اي انها لا تعمل منفردة وتخضع لنظام التغذية المرتدة feed-back واهم غدة في هذه المنظومة هي الغدة النخامية Pituitary التي تعمل كالمايسترو بالنسبة لباقي الغدد . وتفرز الغدة النخامية مجموعة متنوعة

من الهورمونات تنظم عمل الغدد الاخرى ، وتوجد في قاع المخ ، وتوجد الغدد الدرقية Thyroid ومن حولها اربع غدد صغيرة تسمى جارات الدرقية para-Thyroid . كذلك توجد جزر لانجرهانز langerhans islands التي توجد في داخل البنكرياس وهي المسؤولة عن افراز الانسولين الذي ينظم السكر في الدم ، يخزن الفائض منه على صورة جليكوجين Glycogin في الكبد كذلك توجد الغدتان فوق الكلية (الكظرية) Adrenals وكذلك الغدد التناسلية Gonads حيث توجدان في الخصيتين في (الذكر) وفي المبيضين في (الانثى) .

وزيادة او نقص افراز هورمون ما من غده ما ، يكون له تأثير حاسم في اعراض مرضية واضطرابات واضحة في السلوك . فزيادة افراز الغدد الدرقية مثلا عن المعدل المطلوب يصاحبه سرعة الاستشارة والارق ، وقلة افراز الغدة الدرقية عن معدلها يصاحبه الارهاق والكسل والرغبة في النوم .

وزيادة افراز الانسولين في الدم عن المعدل المطلوب يقلل من نسبة السكر في الدم ، وهذا يؤدي إلى ضعف عام في الجسم ، وفي العضلات خاصة وكذلك يؤدي إلى اخفاق في عمل المخ وفي اداء الفرد بصفة عامة ، ويؤدي إلى اضطراب في الرؤية وبعض التشنجات وقد يصاب الانسان بهذيانات العظمة والاضطهاد (حالات بسيطة من البارنويا) وقلة افراز الانسولين تؤدي إلى زيادة نسبة السكر في الدم وعدم قدرة الكبد على الاحتفاظ به ويؤثر ذلك في سلوك الفرد فتزداد شدة انفعالاته كما يحدث اضطراب في التفكير وخلط في الصور التذكرية .

وبالنسبة للغدتين الكظريتين هناك مجموعة من الهورمونات التي تفرزها الطبقة الخارجية من الغدتين المعروفة باسم القشرة cortex وهذه المجموعة

من الهورمونات تنظم انشطة الايض metabolism (عمليات الهدم والبناء) اذ تقوم هذه المجموعة بتحليل وامتصاص المواد البروتينية والدهنية والكربوهيدراتية . والجزء الداخلي من الغدتين الكظريتين يسمى بالنخاع Medula ويفرز النخاع هورمونين الاول هو الادرنالين Adrenaline الذي يلعب دوراً في استجابة الخوف fear عند رؤية شيء مفزع او عند مواجهة عدوان . كما يفرز النخاع ايضاً هورمون النورادرنالين Nor-Adrenaline الذي يؤدي الى استجابة الغضب حين يستثار الفرد .

والغدد الجنسية تفرز اساساً هورمونين احدهما التستسرون Testesteron وهو موجود بكم اكبر في الذكور وبكم اقل في الاناث . وهورمون الاندروجين Androgene ويوجد بكمية اكبر في الاناث وبكمية اقل في الذكور . والخلل في افرازها سواء بالزيادة او النقصان ، يؤدي الى تغيرات في الجسم وفي السلوك . فزيادة التستسرون في الانثى مثلا يؤدي إلى نمو الشعر في الوجه ، والى غلظ الصوت وضمور المبيضين (المرأة المسترجلة) بينما تؤدي زيادة الاندروجين في الذكر ، الى سقوط الشعر من الجسم وبخاصة الوجه ويؤدي الى نعومة الجلد ورقة الصوت وبروز الثديين .

وتعمل هذه المنظومة في ضوء مفهوم التغذية المرتدة حيث يتكامل عملها معاً وهناك علم خاص لدراسة الغدد الصماء Endocrinology .

ويعد البعد التكويني بمثابة الدعامة الاولي في بناء الشخصية ، او هو المادة الخام لبناء الشخصية ، وبالقدر الذي تكون فيه هذه المادة الخام نقية وسليمه يكون استعدادها للانسجام والتكامل مع البعدين الثقافي والاجتماعي .

ويتلخص نقاء وسلامة المادة الخام (البعد التكويني) في سلامة التركيب العضوي للفرد بأجهزته وانسجته وخلاياه وفي سلامة الوظائف الفسيولوجية لهذا التركيب العضوي .

البعد الثقافي Cultural Dimension

ربما كانت دراسات الانثروبولوجيا الاجتماعية Social Anthropology هي المعبر الحقيقي لفهم مفهوم الثقافة في المجتمع — اي المجتمع — اذ ان ثقافة المجتمع تطبع شخصيات هذا المجتمع بمجموعة خصائص وعادات ومفاهيم وافكار وانماط من السلوك تغاير تماماً خصائص وعادات ومفاهيم وافكار وانماط من السلوك لشخصيات تكونت في ثقافة اخرى. وربما تكون كتابات ودراسات روث بندكت Ruth Benedict ١٩٣٤ ، ومارجريت ميد Mrgaret Mead ١٩٣٥ ، ومالينووسكي Malinowiski ١٩٤٤ قد انارت الطريق امام العلماء والباحثين لتفهم الاسس المعقدة للبناء الاجتماعي ، ولتكوين وبناء شخصيات هذه المجتمعات ، قامت بندكت بدراسة العادات القبلية في كتابها انماط من الثقافة Patterns of Culture اذ قامت بتحليل ثقافي رائع لثلاث مجتمعات بدائية تتباين وتتضاد في كل الخصائص التي تميز شخصياتها وهذه القبائل هي : قبيلة الزونو في مكسيكو الجديدة Zuni Indians of new Mexic

والمستوطنين الدوبو في مالانزيا The natives of Dubo in Malanesia

والكواكيوتل في جزيرة فانكوفر Kwakiutl oF Vancouver Island

حاولت بندكت ان تظهر كيف يمكن للعادات والتقاليد ان تؤثر بفعالية في شخصيات الافراد الذين ينخرطون فيها ومن ثم تنعكس في سلوكهم .

فالهنود الزونو Zuni Indians يعتقدون بالاعتدال والبعد عن التطرف ، ويمارسون طقوساً مقدسة رسمية ويتحمل الفرد في هذا المجتمع المسؤولية ويضحي من اجل صالح المجتمع ويبتعد عن الانانية ويتسامح في الوقت الذي يكون فيه الهنود الكواكويتل Kwakiutl Indians

يمارسون الخصومة متفاخرون ، كافراد يتسمون بالفردية الزائدة وبالانانية وكثيراً ما يخرجون عن القانون في دوافعهم واهدافهم . كما ان تصرفاتهم لا تتسم بالثبات وتوصف حضارتهم بالثنائية والتناقض من الوجهة الأخلاقية وفي النظرة الكلية للوجود وفي اقتصاديات الحياة وعند المستوطنين الدوبو The natives of Dubo نجد ان السمات الغالبة هي الحرص والتشكك والشجار على أتفه الاشياء والقضايا . وتقول بندكت في وصفها لهذه الشخصيات المتباينة ان الفرد هو الذي يخلق ثقافته ومن ثم يكون مسؤولا عن الممارسات المتناقضة التي تعد بمثابة دستور اجتماعي لهم . كما اكدت بندكت على ضرورة فهم «الفرد» ككائن يعيش في ثقافته « وفهم الثقافة» كما «يعيشها الافراد» وتاريخ حياة الفرد هي اولا وقبل كل شيء نوع من الموائمة Accomodation للنماذج والمعايير والمواصفات الراسخة في ثقافته . ومنذ لحظة ميلاده يطبع بالعادات الموجودة في محيطه اذ تشكل خبراته وسلوكه وتطبع شخصيته (بندكت انماط من الثقافة) .

ونخلص من ذلك إلى ان المسلمة الاساسية للانثروبولوجين ومن بعدهم علماء علم الاجتماع هي :

ان شخصيتنا تتشكل في الاساس بالثقافة التي نولد فيها . والبناء البيولوجي للفرد يحدد إلى حد صغير التباينات الممكنة للثقافات . وهناك مسلمة ثانية تستخرج ايضاً من كتابات بندكت مؤداها : لا توجد مفردة واحدة في التنظيم القبلي الاجتماعي للرجل (لغته ، ديانته المحلية ، عاداته ...) نقلت اليه من خلال المورثات (الجينات genes) في العائلة . وتؤكد بندكت ان كل شيء – بعيداً عن الملامح البيولوجية العامة – ينقل من جيل لاخر من خلال عملية التطبيع الاجتماعي (التنشئة الاجتماعية) ، اذ ان الجزء الاكبر

من افراد الثقافة يأخذ الشكل (الصيغة) المقدمة له ، ويكون الامر هكذا بسبب عدم وجود تناقض اساسي بين دور المجتمع ودور الافراد . وهناك دوماً اخذ وعطاء give and take وتدعيم متبادل بين الثقافة والفرد .

وتعرض مارجريت ميد في كتابها المعروف الجنس والمزاج في ثلاث مجتمعات بدائية Sex and Temperament in three primitive societies هي قبيلة الارابش Arapesh ، وقبيلة موندجومر Mundugumor وقبيلة تشامبولي في غينيا الجديدة Tchambuli in New Guinea في هذا الكتاب عرضت مارجريت ميد ومعها فورتشن Fortune في العامين ١٩٣١ ، ١٩٣٢ للخصائص المميزة للثقافة في كل من القبائل الثلاث :

فبالنسبة لمجتمع الارابش يتسم هذا المجتمع بالجانب الامومي في مظهره الابوي والجانب الانثوي في مظهره الجنسي . فالرجال متعاونون غير عدوانيين . ويتربى الطفل ليصبح متسامحاً غير عدواني ، غير منافس ، غير مبادىء ، بل يتسم بكونه مستقبلا دافئاً ، وديعاً ، عطوفاً ، يوثق به ، والواقع انه في اي مجتمع متجانس يلحظ المراقب عادة ان الاطفال يكتسبون الصفات التي يرونها عادة في الاباء ، ولكن الامر هنا ليس بهذه البساطة ، اذ يوجد خط دقيق ومحدد بين الطريقة التي يطعم بها الطفل او ينام او ينظم او ينضبط ويدلل او يعاقب او يشجع اذ ان طريقة تناول هذه الاجراءات اي طريقة تعويد الطفل هي بمثابة المكون الاساس لبناء شخصيته حين يكبر . فالامومة والرعاية والحنان في كل من الرجال والنساء على السواء تغدق على الطفل (الولد والبنت) ، احساساً عميقاً بالدفء والرعاية الفائقة اذ لا يغيب الطفل عن نظر الام لحظة واحدة ، والملاحظ ان طفل الارابش لا يمص ابهامه او

اصبعه بسبب الاشباع المستمر بالرضاعة الطبيعية كلما بكى الطفل . ويتعود الطفل ان يرى حوله الحيوانات وهي تلقى الرعاية الفائقة (الكلاب والخنازير) ويهدف الكبار من هذا ، تنمية روح التعاطف والحنان من جانب الاطفال ازاء الحيوانات . وينمو طفل الارابش ايضاً وهو محاط بالرعاية من كل الاقارب والمعارف ، فكل الرجال بالنسبة له اباء وكل النساء بالنسبة له امهات وعليه تنمو الثقة فيه وفي الاخرين ويحب الطفل كل من حوله ويثق بهم ويعتمد على كل شخص من الكبار المحيطين به . ولا توجد حدود او تقاليد خاصة بالخجل في الملابس او النوم والطفل يظل عارياً حوالي سن الخامسة وقد تعلم ان يتقبل التباينات البايولوجية دون اي قلق او خجل ثم ان عملية الاخراج لا تتطلب الخصوصية . كل ذلك يؤدي لنمو الاحساس بالامن العاطفي emotional security ودائماً ما يجد الأرابش اليد المساعدة العطوفة والصوت المملوء بالحنان من حوله .

وطرح ميد الخصائص المضادة لهذا النسق في القبيلة الاخرى قبيلة الماندوجومر حيث تتكون مجموعة مغايرة تماماً من العادات والقيم وانماط السلوك التي تصبغ الشخصية في هذه القبيلة بطابع خاص . فالسمات المميزة لشخصيته الرجل والمرأة في قبيلة الماندوجومر هي العنف والشراسة فالمجتمع يتسم بالعدائية، ويولد الطفل وينمو في مجتمع سيكون فيه كل افراد جنسه اعداء له ، ويعد محك النجاح في مستقبله هو القدرة على المزيد من العنف والعدوان ويضع دائماً رأسه على كفه .

وحين تحمل الزوجة فان هذا يضايق الزوج ولا ترغب المرأة كثيراً في الانجاب ، اذ ان مجيء الطفل يعد بمثابة حدث غير مرغوب فيه وقد يشك الزوج في ان الطفل قادم من صلبه ، اذ ان رغبة الرجل هنا تتحور فقط حول

القوة والمركز ، كما تتمثل في عدد النساء اللواتي يعملن له حيث تقوم المرأة بالعمل بجانب الرجل وتساعده في شراء ادوات القوة . ويفضل الرجل البنت اذا جاءت إلى الحياة على عكس الام التي تفضل الولد — مع افتراض انه لا مفر من الانجاب غير المرغوب فيه اصلا —

والرضاعة في هذه القبيلة ليست ممتعة بالنسبة للام او للطفل اذ لا يوجد الحنان او المداعبة اثناء عملية الرضاعة اذ يلقى بالطفل عقب الرضاعة مباشرة في سلة نومه كما ينمو الطفل من قبيلة الماندوجومر وهو تحت سياط الممنوعات ولا ينبغي ان يتحرك بعيداً عن الانظار خوفاً من الاخطار المحدقة به ، لا ينبغي له ان يدخل بيت زوجة ابيه لطلب الطعام ولا ينبغي له ان يلجأ إلى امه طلباً للود او نتيجة للخوف ولا ينبغي عليه ان يصرخ (يبكي) الا اذا كان على وشك ان يقتل .

والاطفال الذكور حتى سن الخامسة يتلقون تعليمهم من الامهات ، بينما تتلقى البنات في السن نفسه تعليمهن من الاباء وتعد هذه النقطة مهمة لانها تفصل الاب عن الابن وتفصل البنت عن الام وكذلك الاخ عن الاخت ويكون الشخص في هذه القبيلة في حالة دفاع وتأهب للمقاومة والعدوان . ومن المعتاد ان يسب (يشتم) الازواج زوجاتهم كذلك تسب الزوجات (تشتم) ازواجهن . ومنذ الصغر يتدرب الاولاد والبنات على القتال سعياً وراء العنف وبذا تتسم شخصية كل من النساء والرجال في هذه القبيلة بالسمات الموجودة في الرجال القساة الشرسين في مجتمع غير منضبط فالمرأة عدوانية شرسة وكذلك الرجل عدواني شرس .

وفي القبيلة الثالثة التامبولي وجدت نيد مجتمعاً غريباً اذ وجدت كل الرجال في القبيلة يقومون العمل الفني (الرقص ، والغناء ، والحفر ، والرسم ، وعمل

الاقنعة .....الخ) وتكثر حلقات الاحتفالات للممارسة الفنية ويكاد يقتصر عمل الرجل على هذه الاداءات بينما تقوم المرأة باعمال الصيد والقنص خصوصاً صيد الاسماك ولها السلطة المطلقة وتمثل القوة في هذا المجتمع ولهذا يختلف الدور تماماً لدى كل من الأرابش والماندجومر . الا ان الملاحظ ان العمل الفني في هذه القبيلة اهم من الفنان نفسه ، وبمعنى اخر فالرقص كعمل اهم من الراقص والغناء اهم من المطرب ، وحين تعمل المرأة في هذه القبيلة فان الهدف ليس اسعاد الزوج او الابناء ، ولكن يتمثل الهدف في اثراء الحفلات الفنية فالمرأة تدفع اجراً لحضور هذه الحفلات اذ أن المال نتيجة العمل يجعل الهدف وهو الرقص والحفل ممكن الحدوث . وفي هذا المجتمع نجد ان الرجل لا يتحمل اقل مسؤولية عن تربية الابناء بل يعد معتمداً على عمل المرأة وينمو الاطفال بدون توجيها لا مجرد التقليد لما هو سائد كأدوار يمارسها الكبار .

ويقدم مالينووسكي وهو بولندي الاصل نظرية تسمى النظرية الوظيفية للثقافة Functional theory of Culture ودرس مالينووسكي بعض القبائل في الشمال الغربي لميلانيزيا خصوصاً في جزر تربورياند Trobriand Islands مع بعض القبائل الاسترالية The Hopi of Arizona, The Bemba and Chagga في شمال افريقيا وكذلك Zapotes of mexico واستخلص من دراساته مجموعة من التصورات تشكل نظريته الوظيفية :

يعدّ مالينووسكي الثقافة جهازاً وسيلياً Instrumental apparatus عن طريقه يوضع الفرد في مركز ، وهذا المركز يتيح له مواجهة المشكلات والقضايا التي تزخر بها بيئته هادفاً الى اشباع حاجاته .

كما تعد الثقافة (منظومة) System من الموضوعات ، الانشطة، الاتجاهات العادات ..... الخ حيث يوجد كل جزء من عناصر هذه المنظومة باعتباره

وسيلة تهدف الى تحقيق غاية ، وهناك تكامل بين هذه المكونات او اجزاء الثقافة . وتتبادل فيهما بينها (الاعتمادية) اي يعتمد كل جزء او كل مكون على الجزء الآخر حيث تعد العلاقات بين هذه الأجزاء او المكونات علاقات تبادلية (تأثير وتأثر) وكل هذه المكونات او الاجزاء لهذه الثقافة تكون منظمة حول مجموعة من المهام tasks هذه المهام تكون حيوية ومهمة داخل كل المؤسسات الاجتماعية التي تنخرط داخل هذه الثقافة فالاسرة، وجماعة الرفاق ، والقبيلة والمؤسسات الاقتصادية والسياسية والقانونية والتربوية تعمل جميعها وفق هذا الكل المتكامل من مكونات الثقافة وعليه يرى مالينووسكي من وجهة نظر دينامية ان الثقافة يمكن ان تحلل الى عدة مظاهر مثل التربية ، والضبط الاجتماعي ، والاقتصاد ، والمعتقدات والاخلاق ، وكذلك التعبير من خلال الابداع الفني . وتعد العملية الثقافية وفي ضوء مايتضح منها من مظاهر الاطار الشامل الذي يحتوي على اناس يشغلون مواقع ولهم ارتباطات محددة ولهم علاقات فيما بينهم ويتضمن تنظيم هؤلاء الافراد عملية اساسية هي التواصل عن طريق اللغة او عن طريق او مزية أخرى كالفنون المختلفة من رسم ونحت ونقوش وصور... الخ

وفي هذا البعد تتحدد الملامح العامة للشخصية وتبرز بعض التباينات بين الشخصيات في ضوء البعد الاجتماعي .

البعد الاجتماعي Social Dimension

اذا كان البعد الثقافي متضمناً ماهو عام وشائع في الثقافة الذي يطلق عليه احياناً لفظ عموميات الثقافة Universalities ويتضمن ماهو شائع وخاص بمستويات ونوعيات وشرائح هذه الثقافة الذي يطلق عليه لفظ الثقافات الفرعية Sub-Cultures وما تطرحه هذه الثقافات الفرعية

من خصوصيات Specialities وفق الطبقات الاجتماعية فـــي بعض المجتمعات ، ووفق الشرائح المتباينة في مجتمعات اخرى ، مثل مستوى التعليم ومستوى ونوعية المهن ، والريف والحضر والبدو ، ووفق الوضع الاقتصادي لكل شريحة ، واذا كان كل ذلك يصبغ الثقافة ويصبغ افرادها بالمجموعة المتكاملة من المظاهر السابقة الذكر فأن البعد الاجتماعي يركز مايمكن تسميته بالتفرد الثقافي Uniquness . وهو احد ابعاد الثقافة الذي يعتمد اساساً على التنشئة الاجتماعية في داخل الاسرة وعلى الخبرات الفردية الخاصة التي يمر بها الفرد والتي تكمل صياغة شخصيته . ويؤدي هذا التفرد الثقافي بالفرد الى نمو شخصية مخالفة لكل الشخصيات في داخل الثقافة نفسها والثقافة الفرعية . فالشخصيات من نفس الثقافة ليست بنسخ كربونية ويكمن السبب الرئيسي في ذلك الى مبدأ الايجابية في الطفل ومنذ مولده .. صحيح انه يستجيب ويتعلم ابتداءً من سلوك الرضاعة مروراً بسلوك المشي والكلام وصولاً الى تمام النضج . ولكنه في كل الاحوال ليس سلبياً تماماً او مستقبلاً تماماً (عزيز حنا ،علم النفس والنمو ١٩٧٢) وانما تراه منذ المهد وهو يرفض ، قد يرفض الندى ، وقد يرفض اللعبة ، ويعاند وتكثر النواهي ويكثر التدعيم الموجب(الاثابة)والتدعيم والساليب(العقاب)وهكذا يستمر التناقض: الاذعان والتمرد ، الموافقة والرفض ، والمسايرة والمغايرة ، والمحصلة النهائية في أية مرحلة من مراحل العمر هي نتاج هذا الديالوج بين الشخص والآخرين طوال رحلة الحياة . وقد حاول علماء الاجتماع وكذلك علماء النفس الاجتماعي ابراز هذا البعد (البعد الاجتماعي) بأعتباره مكملاً للمظاهر الثقافية المذكورة سابقاً . وسوف نعرض لنظريتين تلقيان الضوء وتؤكدان اهية العامل الاجتماعي في تشكيل وصياغة الشخصية .

اولاً: نظرية التعلم الاجتماعي لروبرت سيرز Robert sears تأثر سيرز بكلارك هل Clark Hull ، ميلر Miller ودولارد Dollard ، وما ورر Mawrer من علماء المدرسة السلوكية والذين لهم باع واضح ومتميز في اكتساب السلوك وتعديله (التعلم) .

توصل سيرز من خلال بحوثه في مفاهيم التحليل النفسي التي اقنعته بوجود علاقات دالة بين الآباء والابناء . ويحكم سيرز على الشخص من افعاله Actions فالافعال تعد اساس التفرد ويؤكد سيرز اهمية الآباء في تطوير شخصية الابناء ، اذ ان تنشئة الطفل هي المحدد لطبيعته في المستقبل ، ونتيجة لذلك التباينات في شخصيات الافراد الى حد كبير للاختلافات الموجودة بين الآباء في فهمهم وتقويمهم للصيغ والاشكال المتباينة للمعلومات المتاحة في ممارستهم للتنشئة الاجتماعية . ويعد سيرز «الشخصية» نتاجاً لحياة الفرد تكونت عبر الافعال الثنائية Dyadic التي غيرت امكانات الفرد الشخصية وادت به الى المزيد من الافعال .

واول علاقة ثنائية توصف عند سيرز بالاعتمادية Dependancy ويعد سيرز الاعتمادية بمثابة دافع تترعرع من خلاله العلاقة الثنائية بين الطفل والام في اثناء رضاعة الطفل خلال العام الاول ،وقد يسهم الاب في غرس هذا الدافع ، ولكن التدعيم اساساً لهذا الدافع يأتي من خلال الام . وباستمرار نمو الطفل يبدأ في ان يتعلم الاستقلالية Independancy وتكون العلاقة الاجتماعية متمثلة في اعطاء الطفل الاحساس بالامن Security وذلك عن طريق الاستجابة لمطالبه الاعتمادية وفي الوقت نفسه مساعدته كي ينمو مستقلاً . ومنذ بداية العام الثاني وحتى موعد دخول المدرسة يبدأ الطفل في اشباع دوافعه الثانوية (المحبة ، التقدير ، الحرية ، الانضباط ، الانجاز ، الانتماء ....الخ) .

اذ يدرك الطفل ان سعادته الشخصية محكومة ومعتمدة على استعداده لعمل ماهو متوقع منه ، ومن ثم تصبح افعاله مدفوعة ذاتياً Self-motivated ويميل الطفل في افعاله لاشباع دوافعه الفسيولوجية (بوصفها دوافع اولية) والنفسية الاجتماعية (بوصفها دوافع ثانوية) وتكون هذه الاشباعات مشبعة للآباء في نفس الوقت ، ولا تكون كل افعاله بالضرورة مشبعة للآباء فقد يحدث العقاب وتكثر النواهي .

وليس ضرورياً ان يؤثر العقاب في سلوك الطفل الخاطيء كي يتعدل كما يتصور الآباء اذ قد يحدث العكس فيعاند الطفل وقد يصبح عدوانياً . ويرى سيرز ان العدوان دائماً ماينتج من الاحباط . ويبدأ العدوان بانفعال الغضب نحو العائق وهو الام عادة ويمكن ان يدعم هذا العدوان في ضوء استجابة الام . وفي سن الثالثة تقريباً يبدأ الطفل في تعلم الكبت او في تغيير اتجاه سلوك العدوان (ضرب لعبة مثلاً او تحطيمها) للتعبير عن العدوانية المزاحة من الام او الاب الى اللعبة ، ثم يبدأ الطفل في تمثيل الكثير من سلوك الابوين ويبدأ في التطابق (التوحد) معهما ويرتبط الوضع هنا بنمو الوعي . ويتصرف الطفل في غياب الابوين بالطريقة التي يعرف انهما يريدانها . وتقليد الطفل الناجح لسلوك الابوين ولتوقعاتهم يدعم سلوكه ثم تنمو شخصيته موجهة من الكبار ... ومع الوقت يصبح الطفل مؤهلاً لدخول المدرسة، ويكون مستعداً لامتصاص مفاهيم وقيم وسلوك الكبار من حوله في محيط عالمه من المدرسين ويمارس معهم مااعتاد ان يمتصه من الابوين . وبهذا يسهم المجتمع حينذاك في تطبيعه اجتماعياً .

ولكن للاسرة الدور الاساس ويأتي المجتمع بمؤسساته لزرع دوافع الفرد واهتماماته واتجاهاته وقيمه ومهاراته وفق ماتتوقعه منه البيئة الاجتماعية التي ينخرط فيها .

ثانياً : النظرية الاجتماعية لتالكوت بالسونز وروبرت بيلز

Talcott parsons Robert Bales

ينظر علماء الاجتماع عادة الى نمو الطفل بوصفه أحد مظاهر توظيف المنظومة الاجتماعية اكثر من نظرتهم الى نمو الفرد . ويعطي كل من بارسونز وبيلز وزناً كبيراً لعملية التطبيع الاجتماعي للفرد . وتشير هذه العملية من وجهة نظرهما إلى الدور الاجتماعي المتوقع من الفرد البالغ حتى يحقق التكامل والاتساق داخل هذا المجتمع . واذا لم يحدث هذا فان المجتمع يتفسخ ويتغير إلى مجتمع اخر بمنظومة جديدة وتتطلب عملية التطبيع الاجتماعي انتاج افراد لهم من القابليات والفعاليات والممارسات وبالاعداد المطلوبة لتأدية الادوار الموكولة اليهم اذ تصب في النهاية في المنظومة الاجتماعية . فالمنظومة الاجتماعية تتطلب جنوداً ، وفلاحين ، وعمالا من انواع مختلفة ، واطباء، ومعلمين ، ومهندسين ، واساتذة ..... الخ .

والمظهر الاخر لعملية التطبيع الاجتماعي هو نقل المعلومات والمعارف والمهارات من جيل الكبار إلى جيل الصغار . والمعلومات والمهارات تنقل بوسائط مختلفة فبعض الناس يتعلمون نوعاً معيناً من المعلومات او المهارات بينما يتعلم اناس اخرون معلومات ومهارات اخرى اذ لا يعقل ان يوجد شخص يعرف كل المعلومات وكل المهارات ولكن كل فرد يعرف بعض مما هو شائع بين الجميع كاللغة مثلا .

والمظهر الثالث لعملية التطبيع الاجتماعي هو نمو وتطور الدوافع والاتجاهات والقيم والاخلاقيات التي تسهم في تماسك المنظومة الاجتماعية وعليه تعد عملية التطبيع الاجتماعي وعاءً كبيراً يتضمن كل مظاهر الشخصية من معارف وقدرات ، ودوافع ، ومشاعر ، ووعي وفي كل مجال لعملية التطبيع

الاجتماعي تكون هناك بعض المفردات (العناصر) التي تتسم بالشيوع لكل افراد المجتمع والتي تميز هذا المجتمع من المجتمعات الاخرى . بيد انه يوجد ايضاً خلافات مهمة بين افراد الثقافة الواحدة في المعارف والقدرات والاتجاهات والمهارات ...الخ الا ان الاساس يكمن في الاسرة لانها تعد الركن الركين او حجر الزاوية في عملية التطبيع الاجتماعي . فالكثير من سلوك الطفل ينبغي ان يتغير حتى يصبح بالغاً مسايراً Conformist اجتماعياً والازمة الاولى في نمو الشخصية تسمى بالازمة الفمية Oral crisis في نظرية التحليل النفسي . وفي هذه المرحلة تكون المنظومة الاجتماعية غير موجودة بالنسبة للطفل ، اذ تؤدي الام الدور كله . وتبدأ الأزمة الحقيقية للطفل في المرحلة التالية المسماة بالازمة الاستية (الشرجية) Anal crisis اذ يبدأ الطفل في تعلم دوره في الاسرة حيث يتعلم ضبط عملية الاخراج ، ويبدأ في التزود بالمعرفة لمتطلبات المنظومة الاجتماعية التي ينخرط فيها . وفي هذه المرحلة يتغير دور الام من (موضوع يعتمد عليه) إلى ام محبوبة بطريقة اكثر نضجاً ويسميها بارسونز بالشخصية المعتمدة على الحب Love-dependent personality والشائع في جميع الاطفال في هذه المرحلة مجموعة من العلاقات بين الشخصية Inter-personal relations كالحب، العقاب ، الاعتمادية، الاستقلالية ...الخ ولكن يحدث التباين نتيجة لاختلاف التوازن بين هذه العلاقات مما ينعكس على شخصيات الافراد بعد ذلك .

والمظهر الثاني في صياغة الشخصية من وجهة نظر بارسونز ينبثق من الأزمة الاودبية Oedipal crisis اذ ان النقلة الكبرى للطفل في هذه المرحلة تأتي من عضويته المتكاملة في منظومة من شخصين هما الام والطفل ، إلى العضوية في منظومة رباعية الام ، والاب ، والطفل ، والطفلة .

ويمكن ان نخلص من ذلك بان المشكلة بالنسبة لعلماء النفس المتأثريـن بالمفاهيم البايولوجية تكمن في امكانية شرح وتفسير (المسايرة الاجتماعية) كيفية نشوئها رغماً عن وجود الفروق الفردية بين الافراد . بينما تصاغ المشكلة بالنسبة لعلماء الانثروبولوجيا وعلماء الاجتماع في امكانية شرح وتفسير الفروق الفردية بين الافراد رغماً عن فعالية وقوة عملية التطبيع الاجتماعي .

ويمكن ان نخلص من هذا العرض لنظريتي سيرز وبارسون إلى وجود ثلاثة مبادىء عامة تحكم البعد الاجتماعي في بناء الشخصية ، وقد تتباين الرؤى والاطر النظرية بالنسبة لكل مبدأ من المبادىء الثلاثة ورغماً عن هذا لا يمكن لاي منظر في الشخصية ان يغفلها من حسابه ، وقد يستطيع تحجيم دورها. وهذه المبادىء الثلاثة هي : الثواب والعقاب reward and punishment التطابق او التوحد Identification والمسايرة Conformity

الثواب والعقاب

يحظى مفهوم الثواب والعقاب (التدعيم الموجب) Positive reinforcement (والتدعيم السالب) negative reinforcement بتأييد بالغ مـن كثير من علماء النفس وبخاصة علماء نفس المدرسة السلوكيـة الجديدة والقديمة . فقد أشار اليـه بافلوف Pavlov صاحب مدرسـة الاشتراط الكلاسيكي classical conditioning (بتعزيز المثير) كما اشـار اليـه ثورنديك Thorndike في قانون الاثر law of effect بشقيه الايجابي والسلبي (الثواب والعقاب) قبل عام ١٩٣٠ ، وعقب عام ١٩٣٠ ركزثورنديك على الشق الايجابي (الاثابة) كذلك ابرز سكنر Skinner (عام ١٩٤٨) ، (١٩٧١) مفهوم التدعيم الايجابي وهو الاثابة على الاجراء الصحيح في تجاربه المتعددة ، كما بين معارضته الصريحة لاستخدام العقوبة كوسيلة

لضبط العلاقات كما اشار« ميللر » ودولارد » Millerand Dollard لمبدأ التعلم الاجتماعي والمحاكاة في ١٩٤١ واعطيا اهتماماً للتدعيم الموجب (الاثابة) واشار اليه اولمان وكرازنر ١٩٦٩ . وقد اصبح معروفاً لدى معدلي السلوك من علماء النفس المختصين بالعلاج اهمية الاثابة ومن بينهم فوليه Wolpe ١٩٧٦ ، وقد استخدمت فنية اقتصاديات البونات (بطاقات) Token economies كرازنر Krasner ١٩٧٠ وهي طريقة تتبع في بعض المصحات كنوع من الاثابة تعطى للمرضى اذا ماتحسن اداؤهم فيتسلم الفرد (بون) هذا البون يستطيع ان يشتري به من كافتريا المصحة بعـــض الحاجيات . وبتكرار الاداءآت السليمة (تنظيم الفراش مثلاً ، والعناية بالملابس وعدم استخدام الالفاظ البذيئة ..الخ) لوحظ تحسن ملموس في سلوك المريض كي يحصل على هذه الميزات .

واثابة السلوك المرغوب فيه من جانب الآباء والمربين عامة ، يهدف الى صياغة شخصية المتعلم وفق الرؤى الخاصة بهم . وبمعنى آخر يحدث للاجيال الصاعدة تطبيع اجتماعي يقبله الكبار . ويتعدل السلوك عادة في الاتجاه الذي يرغب فيه الآباء أو المربون ، ولكن ليس بالضرورة ان يطيع الفرد كل مايطلب منه ، اذ ان هناك تباينات بين الافراد ، رغماً عن الاثابة للسلوك المرغوب فيه اجتماعياً في ظل الثقافة التي ينخرط فيها الآباء والمربون والمتعلمون . ويختلف الامر نوعاً بالنسبة لمفهوم العقاب أو التدعيم السالب Negative reinforcement الـذي يهدف الى كشف السلوك غيـــر المرغوب فيه . ويأخذ التدعيم السالب اشكالاً متباينة (تعبيرات الوجه ، والتهديد باللفظ والاهمال المتعمد ، والصدمات الكهربائية ، والحرمان من

اشياء لاذة ، والعقاب البدني – والضرب – ويصل الى القسوة الزائدة التي قد تسبب عاهات جسدية) .

ويتوقف اثر التدعيم السالب – بالنسبة للانسان – على ظروف محيطية كثيرة ، فقد يقبل التلميذ التوبيخ من مدرسه اذا تم التوبيخ بينهما فقط ، وقد يكفّ التلميذ عن السلوك غير المرغوب آنذاك ، وقد يرفض هذا التوبيخ ولا ينطفيء سلوكه اذا ماتم هذا العقاب امام التلاميذ الآخرين . كذلك هناك عامل آخر مؤثر وهو اتجاه العقاب نفسه ، هل يتم من منطلق الحب ام الكراهية . كما ان العقاب قد يفشل اذا ماكان الناتج اللاذ من ممارسة السلوك غير المرغوب فيه أقوى من العقاب نفسه كتهريب المخدرات وما تدره من ربح طائل على مرتكبي عمليات التهريب ، ومع ارتفاع عقوبة تهريب المخدرات او الاتجار فيها الى الاعدام في بلاد كثيرة الا ان التهريب والاتجار فيها لم تقل معدلاتها ان لم تزد .

كما ان كثرة تعاطي العقاب قد يولد في المعاقب عادة التلقي ولا يرتدع ، وقد ثبت ذلك في حالات كثيرة في الجانحين اذ لم يتعدل سلوكهم نتيجة للعقاب ، بل ان بعض انواع العقاب البدني القاسي تولد في المعاقب ميلاً للمحاكاة ، اي يتمثل المعاقب الضارب او المعتدى ومن ثم يميل المعاقب الى ان يمارس مايمارس معه ، فيصبح عدوانياً كلما زاد العدوان عليه . وهناك الكثير من الدراسات التي اثبتت ان العقاب القاسي يولد في المعاقب عدواناً مماثلاً ، لان المحاكاة او النمذجة (الاقتداء) Modelling في التعلم اكثر من العقاب ، وقد اشارت ابحاث جليوك وجليوك Glueck & Glueck عام ١٩٥٠ في كتابهما عن جناح الاحداث الى هذه المقولة.

التطابق او التوحد

تعد عملية التطابق او التوحد ميكانيزما يتم على المستوى اللاشعوري ، اذ يتقبل الفرد عادات وافكار وقيم النموذج الذي سيطابقه ويتم ذلك غالباً من منطلق الاعجاب بالشخص الاقوى في اي مجال . فالطفل قد يتوحد مع الاب ، والطالب قد يتوحد او يتطابق مع مدرس معجب به ويتمنى ان يصبح مثله .

وقد يحدث التطابق حين يتمنى الفرد ان يحصل على المكاسب او الميزات الموجودة في الآخر الذي يطابقه ، وقد يطابق الشخص المعتدى خوفاً من العدوان كما يذكر فرويد ، اذ يمتص الطفل قيم والده ويكبت كراهيته للاب المنافس له في حب امه . ويعد التطابق هنا في رأي فرويد — ميكانيزما لتجنب الخصاء castration

المسايرة

الانسان كائن اجتماعي لايمكن ان يكتسب هويته الاجتماعية الا بالمعيشة وسط الناس ، بدأ بالاسرة ثم الوسائط الثقافية بما فيها المدرسة واخيراً المجتمع الكبير بكل مؤسساته وشرائحه . ولكل مجتمع معايير norms يلتزم بها معظم افراد المجتمع ويصبح الملتزم — في داخل الجماعة — In-Group اما غير الملتزم بهذه المعايير فعادة ماتلفظه الجماعة ويصبح — في خارج الجماعة — Out-Group . والسائد بين افراد الجماعة هو الرغبة في ان يكونوا ملتزمين بالمعايير الموضوعة من تقاليد ، وعادات ، وفهم مشترك ، ووعي جمعي ، وعقل جمعي ، كما يذكر دوركايم Durkheim وخروج فرد ما او عدم التزامه بمعايير الجماعة يسبب الكثير من الاضطرابات ، والقلق ، والمعاناة ، ففي مجتمع او جماعة تؤمن

بقيمة (الصدق) كقيمة مرغوب فيها فأن افراد الجماعة تنظر الى (الكذّاب) نظرة ازدراء وتبتعد عنه ونظرة الجماعة المتدينة والتي تحافظ على الطقوس الدينية الى «الملحد» نظرة ازدراء وتشكك مما تجعله خارج الجماعة . وفي عصابة للسطو المسلح يعد العدوان والاقدام سمة مرغوبة لافرادها ، فاذا انخرط في هذه الجماعة شخص وديع هيّاب ، لفظته وجعلته خارجها . ونخلص من هذا الى ان الفرد يميل لان يكون داخل الجماعة المنخرط فيها حتى يحس بالاطمئنان ، والحماية ، والامن ، والتقبل الاجتماعي ، وقد اثبتت دراسات كثيرة في علم النفس الاجتماعي هذه الحقيقة ككتابات مظفر شريف ، وكانترل Sherif & Cantril ١٩٤٧ وكذلك دراسات آش Asch ١٩٥٢ .

نمو الشخصية

مقدمة :

تختلف الرؤى بين علماء النفس ازاء الظواهر النمائية المختلفة التي تواكب نمو الفرد منذ الميلاد وحتى الشيخوخة مروراً بمراحل نموه المختلفة في الطفولة الباكرة والطفولة المتأخرة ، والمراهقة ، تمام النضج، والشباب ، والرجولة، والشيخوخة . ويتركز اهتمام عالم النفس —وفق نسق فكره النظري— على جوانب معينة في النمو يشكل من خلالها تصوره او اطاره النظري وسوف نعرض لثلاث تصورات مهمة ومتباينة . اولها اعطى اهتماماً بالغاً بالجانب المعرفي (العقلي) في نمو الشخصية وهو العالم السويسري المعروف جان بياجيه Jean Piaget ١٩٥٢ . وثانيهما عالم النفس المشهور سيجموند فرويد Sigmond Freud مؤسس مدرسة التحليل النفسي Psycho-analysis الذي اعطى اهتماماً بالغاً للجانب النفسي الجنسي في نمو الشخصية وثالثهما عالم النفس المعاصر الكندي البرت باندورا Albert Bandura (١٩٧٧) الذي ابرز الدور الاجتماعي في التعلم واهميته البالغة في نمو الشخصية . والواقع ان نمو الشخصية يتم في صورة متكاملة وفق ابعاد بنائها كما سبق أن ذكرنا في الجزء الاول من هذا الفصل ، ولكننا سنحاول في هذا الجزء تناول نمو الشخصية وفق كل جانب من الجوانب الثلاث لها : الجانب المعرفي ، والجانب النفسي الجنسي ، والجانب الاجتماعي. ولا ينبغي ان يغيب عنا ولو للحظة واحدة ، ان الجوانب الثلاثة متكاملة ومتفاعلة ،ولكننا نحلل ونقسم لغرض التبسيط ، وقد وقع اختيارنا على ثلاثة علماء لهم باع عميق في تصور الشخصية رغماً عن تركيز كل منهم على جانب بعينه فقط في هذا العرض .

النمو المعرفي عند بياجيه :

المقصود بالنمو المعرفي عند بياجيه ، العمليات العقلية المميزة لمراحل النمو المختلفة من الطفولة حتى تمام النضج . وقد اتبع بياجيه في ذلك منهجاً عملياً اذ قدم للاطفال في مراحل عمرية مختلفة بعض المشكلات كي يقوموا على حلها وتابع بدقة الطرائق المختلفة التي اتبعوها في مواجهة وحل تلك المشكلات »(كان من بين الاطفال اطفاله) .

عدّ بياجيه سلوك الطفل حين يؤدي المهمة المطلوبة منه (حل المشكلة) انه سلوكاً للتكيف بين الطفل وبيئته حتى يتم الاتزان equilibrium او الملائمة adaptation . وتنمو المعرفة (اي ينمو العقل) من خلال عملية التكيف بين الفرد والبيئة التي يعيش فيها ، اذ ان الفرد والبيئة يكونان كلا متوافقاً .

يقسم بياجيه مراحل النمو المعرفي لدى الفرد على مرحلتين اساسيتين وتنقسم كل مرحلة بدورها الى عدة مراحل اصغر منها :

المرحلة الاساسية الاولى يسميها المرحلة الحسية-- الحركية The sensorl-motor phase وتنقسم هذه المرحلة على ست مراحل اصغر منها والمرحلة الاساسية الثانية ويسميها المرحلة التصورية The coceptual phase وتنقسم بدورها على اربع مراحل اصغر منها (مراحل فرعية) .

المرحلة الاولى الاساسية تمتد منذ الولادة حتى نهاية العام الثاني . والمرحلة الثانية الاساسية تمتد من بداية السنة الثالثة وتستمر حتى المراهقة .

المرحلة الاولى الاساسية :

(المرحلة الحسية ــ الحركية) منذ الولادة وحتى السنة الثانية مدة المرحلة (٢٤) شهراً وتقسم على النحو الآتي : ــ

١ ــ الشهر الاول يؤدي الطفل افعالاً منعكسة مثل المص والبكاء .

٢ ــ من بداية الشهر الثاني وحتى الشهر الرابع يكرر الطفل افعالاً ليست بقصد معين او لتحقيق غرض خاص مثل حركة اليد ، وتحريك الاصابع ، وتحريك الساقين ، وكذلك النظر الى الاشياء وارهاف السمع وتسمى هذه الحركات (بالاستجابات الدائرية الاولية) .

٣ ــ من بداية الشهر الخامس وحتى نهاية الشهر السادس ، يكرر الطفل افعالاً ذات أثر في البيئة من القاء اشياء ،تحريك (خرخاشة) ويستمتع بذلك ، وهنا تعدّ التكرارات قصدية وتسمى هذه الحركات (الاستجابات الدائرية الثانوية) .

٤ ــ من بداية الشهر السابع وحتى نهاية الشهر العاشر ، وتبدأ عمليات التآزر في السلوك وتتضح للملاحظ ، اي تكرار استجابات الطفل وهو مسيطر على هذه الحركات وتعد بمثابة تكرارات للمرحلة الثالثة ، ولكن مع السيطرة والتحكم .

٥ ــ من بداية الشهر الحادي عشر وحتى نهاية الثامن عشر ، ويتضح في سلوك الطفل ادراكه ان الاشياء الموجودة في محيطه منفصلة عنه ، وانه يستطيع التأثير فيها وتحريكها ، وكثيراً مايستخدم الطفل اداءآت مختلفة للوصول الى مايريد . وتعد بمثابة مرحلة اكتشاف ، دحرجة اشياء ، رمي الكرة ، تقليب مايوجد امامه من مكعبات ....الخ وتسمى هذه الحركات (الاستجابات الدائرية الثالثة) .

٦ ــ من بداية الشهر التاسع عشر وحتى الشهرالرابع والعشرين،يتضح للملاحظ ان في سلوك الطفل قدر من الخبرة المختزنة من استخدام بعض الكلمات

من ضوء المخزون العقلي المكتسب (التجمعات العقلية) ويبدو على الطفل امكان استبصاره لأثاره في البيئة .

المرحلة الثانية الاساسية :

(المرحلة التصورية) بداية العام الثالث حتى المراهقة وتنقسم هذه المرحلة على النحو الآتي :

١ – مرحلة ماقبل التفكير التصوري (ماقبل تكوين المفاهيم) .

The preconceptual phase ، وتمتد من بداية العام الثالث وحتى نهاية العام الرابع . وفي هذه المرحلة تأخذ المعطيات في البيئة معنى رمزياً بالنسبة للطفل ، فيتعامل هو واللعب وكأنها كائنات حية، ويبدأ الطفل في تصنيف الاشياء وادخالها في كومات (او فئات) ويستغرق اللعب الرمزي معظم وقت الطفل ويتكلم الطفل معها ويثيبها او يؤنبها وغالباً مايعكس في ذلك سلوك الكبار نحوه .

٢ – مرحلة التفكير الحدسي The phase of Intuitive Thought

وتبدأ من بداية سن الخامسة وتنتهي بنهاية سن السابعة يبدأ الطفل في هذه المرحلة في محاكاة الواقع وتنمو لديه عملية الادراك السابقة على الفعل . اي يستطيع ان يتصور الفعل او يتمثله ذهنياً ، ويمكن ان يتصور انه سيعاقب اذا فعل شيئاً مما اعتاد والديه ان ينهياه عنه .... ويزداد تحكم الطفل في اللغة التي تساعده على تفاعله الاجتماعي هو والآخرون. وبحكم ادراك الطفل الخبرة الحسية ، قد يدرك اناء مرتفعاً ورفيعاً مملوءاً بالماء ، على ان كم الماء به اكثر من اناء آخر اوسع منه واقصر حيث يبدو فيه الماء اقل . كذلك لايستطيع ان يدرك ان بالونة

كبيرة من المطاط تساوي في الوزن كرة صغيرة من الحديد اي ان الحجم هنا يرتبط بالوزن والارتفاع يرتبط بالكم (*) .

٣ ـ مرحلة العمليات المحسوسة (الاجراءآت الحسية) او العيانية

The Phase of concrete operations

وتبدأ من بداية سن الثامنة وحتى نهاية سن الحادية عشر .

تنمو في هذه المرحلة قدرة الطفل على ادراك العلاقات بين الاشياء ، فينمو لديه مفاهيم الحجم ، الوزن ، الطول ، القصر ، والعدد . هنا يستطيع الطفل ان يدرك ان كرة صغيره من الحديد اثقل من بالونة كبيرة مملوءة بغاز الهيدروجين او الهليوم رغماً عن اختلاف الحجم .

٤ ـ مرحلة العمليات الصورية : (الاجراءآت الشكلية)

The phase of formal operations

وتبدأ من بداية العام الثاني عشر وتستمر حتى المراهقة (مشارف المراهقة) أي من نهاية مرحلة الطفولة المتأخرة (نهاية التعليم الابتدائي) وحتى مشارف المراهقة اي نهاية المرحلة المتوسطة وبداية المرحلة الاعدادية . (بالنسبة للعراق) .

تنمو هنا لدى الطفل (تجاوزاً) القدرة على التصور العقلي اي القدرة على التجريد Abstraction اذ يمكن للطفل والمراهق ان يتصور الاحداث والمواقف ويبتعد عن المعالجة العينية الحسية ، ويبدأ في تفهم معنى الرمز واستخدامه ، اي انه يمكن في هذه المرحلة ادراك الشيء دون ان يراه او

(*) ينبغي ان نلاحظ ان هناك فروقاً فردية بين الأطفال وحين نتكلم عن بداية عام ليس بالضرورة ان يكون من الشهر الأول منه اذ قد يحدث بداية من الشهر الثاني اومن الشهر الأخير في العام السابق . فالمراحل متداخلة كالليل والنهار وكفصول العام اذ لا يمكن تحديد ساعة محددة ينتهي بها النهار ويبدأ الليل اويوم محدد ينهي فصل ليبدأ فصل جديد .

يلمسه او يحسه ، وتستمر هذه الظاهرة بعد ذلك بصفة دائمة اذ يكون التعامل مع الفكرة عن الشيء ،او مع مايرمز اليه دون الادراك العياني concrete

ولذا لاينبغي تدريس الرياضيات المجردة كالجبر مثلاً قبل هذه المرحلة، كذلك الكثير من المفاهيم مثل الفضيلة ،والموت ، والحرب ، ويستطيع الفرد في هذه المرحلة ان يتصورها بكل ماتعنيه من ممارسات .

النمو النفسي عند فرويد

يتمحور مفهوم النمو النفسي عند فرويد في وجود مناطق شبقية في جسم الفرد ، وعند تنبيه او استثارة هذه المناطق ينتج عن ذلك اشباعات ليبدية . وقد قدم فرويد هذا المفهوم (الليبدو Libido) بأعتباره طاقة نفسية جنسية ، وهذه الطاقة تتركز في اماكن معينة في اثناء نمو الفرد . وفي الحالات السوية من النمو تنتقل وفق معيار زمني محدد ، وتتثبت رغماً عن مرور السن المناسب في حالات اللا سوية وفق درجة التثبيت .

وقد قسم فرويد هذه المراحل على اربعة اقسام هي :

المرحلة الاولى : المرحلة الفمية Oral Phase

وتنقسم هذه المرحلة الى مرحلتين :

أ ـ المرحلة الفمية الاستقبالية .

ب ـ ا رحلة الفمية السادية .

في المرحلة الفمية الاستقبالية يتركز الليبدو فيها في الفم وتقوم هذه المرحلة على المص (الرضاعة) وتشغل بالتقريب السبعة اشهر الاولى من حياة الطفل ، حيث يتعامل هو والبيئة عن طريق الفم . ويتحقق الاشباع الليبدي عن هذا

الطريق . وحين يعاني الطفل من احباط (كقلة وجود اللبن في ثدي الام) او عدم اشباعه في فترات الجوع يلجأ الى مص اصبعه كبديل او مص (الملهية)

وتحتل المرحلة الفمية السادية باقي العام الاول — والمعروف ان ظهور القاطعين الامامبين في فم الطفل يكون من سن السبعة شهور عادة — وهنا يتم عض الثدي — احياناً — كي يحافظ الطفل على موضوع اشباعه وهي الام عادة او من يقوم مقامها . والسادية هنا تعني ضيق الطفل بوجـــود الاسنان ، وبالاحباطات المتلاحقة نتيجة لعملية الفطام Weaning وتتسم هذه المرحلة (بالتناقض العاطفي Emotional ambivalence ، كما تتسم بالسادية والمازوشية (العدوان والاذعان) .

المرحلة الثانية : المرحلة الشرجية Anal Phase

وتشغل في النمو السوي عادة العامين الثاني والثالث ويتركز الليبدوفي هذه المرحلة في الأست . (فتحة الشرج) وفي هذه المرحلة يتدرب الطفل على التحكم في عملية الاخراج ، واثناء هذه العملية يتحقق الاشباع الليبدي باستشارة الاغشية المخاطية المبطنة للأست . وكثيراً ما يستبقي الطفل المادة البرازيـة (امساك) ، بهدف المزيد من الاستشارة الليبدية وكذلك بهدف العناد لمعارضة الكبار اثناء محاولتهم تدريبه على ضبط عملية الاخراج .

المرحلة الثالثة : المرحلة الذكرية (الاوديبية) Phallic Phase

تمثل هذه المرحلة عادة العامين الرابع والخامس ، ويتركز الليبدوفي هذه المرحلة في الاعضاء التناسلية ،ويتم الاشباع الليبدي عن طريق العضو الجنسي.

والموقف الاوديبي عند الطفل يتحدد حين يشبع الليبدوفي المرحلتيـــن الفمية والشرجية من جانب الام وهنا يرتبط الطفل الذكر بالام في المرحلة الاوديبية وتنشأ لدى الطفل حالة من التناقض العاطفي اذ انه يحب الاب ويكرهه

في الوقت نفسه لانه المنافس له في حب الأم وتسمى هذه الحالة عقدة اوديب Oedipus complex وقد يخشى الطفل هنا التهديد بالخصاء castration من جانب الاب. والموقف الأوديبي عند الطفلة بعد اشباع اللبيدوفي المرحلتين الفمية والشرجية من جانب الام ، ينتقل اللبيدو إلى البظر ولا زالت الفتاة تتجه بحبها نحو الأم ، وتريد ان تحتفظ بها وتنافس اباها في ذلك وتنشأ ايضاً لدى الطفلة حالة من التناقض العاطفي ازاء الاب وتسمى العقدة الأوديبية هنا عقدة اوديبية زائفة . وحين تكتشف الطفلة عدم وجود عضو ذكري لها كاخيها تتحول بحبها إلى الاب ويتحول اللبيدو إلى المهبل vagina وتسمى في هذه الحالة عقدة الكترا Electra complex .

المرحلة الرابعة :(مرحلة الكمون) latency phase

في هذه المرحلة تكبت المشاعر في كل من الولد والبنت في حوالي سن السادسة او السابعة . وهنا يمتص الطفل القيم والمفاهيم السائدة خصوصاً وقد اتسعت دائرة اتصالاته عن طريق التحاقه بالمدرسة ، ومن خلال النشاط المنظم بها (اللعب والاناشيد الجماعية) اذ تسهم في امتصاص انفعالات الطفل وتوجهها وفق المعايير المطلوبة اجتماعياً . ولقد آبان فرويد وجود ثلاث انماط من الشخصيات تتضح من خلال مراحل النمو المذكورة سابقاً حيث يحدث عادة التثبيت Fixation فالتثبيت في المرحلة الاولى (الفمية) يكوّن شخصية تتسم بالاتجاهات السلبية والتواكلية تجاه الاخرين وتسعى دائماً للاشباع عن طريق الاخرين . وعادة ما تتسم شخصية المثبت فمياً بعدم النضج وبالثقة المطلقة بالاخرين ، خصوصاً اذا ما تم التثبيت على المرحلة الفمية الاستقبالية. ولكن اذا حدث التثبيت على المرحلة الفمية السادية ينشأ الفرد شكاكاً متشائماً، غير واثق من استمرار المدد الفمي له .

والتثبيت على المرحلة الثانية (الشرجية) له نمطان أيضاً : ـ

النمط الاول في الشخصية يتسم بالقذارة والعدوانية،والمشاكسة،وكثيراً ما تحدث له حالات (اسهال) . في الوقت الذي يتسم التثبيت في النمط الثاني بدقة الفرد ، واهتمامه بالنظام ، كما يتسم بالعناد ، ويميل إلى الادخار ، وتجميع الاشياء ، والبخل ، وكثيراً ما يعاني من حالات (امساك) .

والتثبيت على المرحلة القضيبية يؤدي بالفرد إلى المزيد من القلق ، والتذبذب، والتنقل من موضوع حب لموضوع آخر ، كما تتسم تصرفات الفرد بأنفعالية حادة .

النمو الاجتماعي عند باندورا

اذا كان السلوك هو دالة الشخصية في تفاعلها مع البيئة ، ومن ثم يعد السلوك متعلماً او مكتسباً سواء في مظاهره السوية او غير السوية .

وقد اهتم البرت باندورا بدراسة الانسان في تفاعله هو والاخرون واعطى اهتماماً بالغاً بالنظرة الاجتماعية ، بل له نظرية باسمه تسمى نظرية التعلم الاجتماعي Social learning theory والشخصية في تصور باندورا لا تفهم الا من خلال السياق الاجتماعي والتفاعل الاجتماعي .

ويؤكد على ان انواع السلوك يمكن ان يتعلمها الفرد دون وجود تعزيز مباشر او فوري كما يفعل سكنر مثلا . فالسلوك عند باندورا يتشكل بالملاحظة Observation ، اي ملاحظة سلوك الاخرين . كما يعتبر باندورا العمليات المعرفية Cognitive processes مثل الانتباه ، والادراك ، والتذكر والتخيل والتفكير ، لها القدرة على التأثير في اكتساب السلوك ، كما ان للانسان القدرة على توقع النتائج قبل حدوثها ويؤثر هذا التوقع Expectation المقصود او المتخيل ، في توجيه السلوك ، وهذا

خلاف كيفي بينه وبين المدرسة السلوكية التي لا تعنـى بأي عملية وسيطة بين المثير والاستجابة والتعلم عنده يتم من خلال المحاكاة . Simulation مثل مشاهدة الاخرين ووجود القدوة او النموذج Model . وتسمى نظريته بالتعلم عن طريق النماذج المتاحة . والسلوك الذي يقمعه الفرد او يكفه ، سرعان ما ينطلق من عقاله تحت تأثير النموذج المناسب ، ويطلق باندورا على هذه الظاهرة (كف الكف) اي اضعاف الكف عن طريق التعرض للنموذج المناسب . ويمكن ان نقدم مثالا على ذلك وهو مخالفة الممنوعات اذا ما رأى اشخاصاً اخرين يخالفونها كالضوء الاحمر من اشارة المرور . وعليه يؤثر النموذج فيما نفعله وكذلك فيما نتنبه اليه وفي طريقة ادراكنا له .

وتبدأ الشخصية في الاستجابة للنماذج المتاحة منذ الطفولة . وتكون النماذج المتاحة في بداية الطفولة هي الابوان والاخوة الكبار . والسلوك المنحرف ايضاً يتم على نموذج خاص به. ويتضح هذا في نموذج سلوك العنف الموجود في الافلام الامريكية ، وبرامج الكارتون للاطفال ، كذلك يكتسب الطفـل المخاوف كالخوف من الفئران اذا ما وجد نموذجاً امامه يخاف الفئران كالأم والأب والأخ . وافضل النماذج تكون عادة من الجنس نفسه ، ويؤثر نوع السلوك الناتج عن النموذج في نوع المحاكاة التي يمارسها المقلد، وتمر عملية النمذجة بأربع عمليات اساسية متداخلة هي الانتباه Attention والاستدعاء Retention واعادة الاداء الحركي Motor reproduction والدافعية Motivation

العملية الاولى : الانتباه

يعد الانتباه عملية معرفية يتبأور فيها (يتركز) شعور الفرد واهتمامه حول مثير معين (هو النموذج) . وتحدد عملية الانتباه السلوك الانتقائي الملاحظ مع استبعاد انواع اخرى من السلوك لا تلفت نظر الملاحظ .

وهناك عدة عوامل تشترك في تنظيم كم وانماط الخبرات المنمذجة فعلى سبيل المثال : الافراد الذين تربطهم بالشخص الملاحظ علاقات متكررة تحد من انماط السلوك التي يتمثلها هذا الملاحظ (لانه محاط بمجموعة محددة مسبقاً) ، وتعد القيمة الوظيفية لانواع السلوك الملاحظ ، والعلاقات بين الشخصية التي تجذب النموذج إلى الشخص الملاحظ بمثابة عوامل مؤثرة من جانب النموذج . كما ان البرامج المتلفزة تشد انتباه الافراد من كل الاعمار دون وجود حوافز لمحاكاتها . وهناك بعض المؤثرات في عملية الانتباه يمكن اجمالها في ، النموذج كمثير ، ونوع العلاقة بينه وبين المقلد او المحاكي ، والقيمة الوظيفية للسلوك الذي يلفت الانتباه ، والخصائص الشخصية للملاحظ (المقلد) وامكانات الملاحظ الحسية كحدة البصر او السمع ..... الخ) . كذلك قدرة الملاحظ على الادراك والتأويل . واخيراً التعزيز السابق للملاحظ .

العملية الثانية : الاستدعاء

تعد عملية الاستدعاء بدورها عملية معرفية عن طريقها تستدعى الخبرات وانماط السلوك الناتجة عن النموذج ويمكن ان تخضع هذه العملية لمنظومتين: المنظومة الاولى منظومة تخيلية Imaginal system والمنظومة الثانية منظومة لفظية verbal system ومن خلال عملية الاشتراط الحسي Sensory conditioning ينتج النموذج باعتباره مثيراً ، صوراً متعددة السلوك . فسماع اسم شخص يتردد بصفة مستمرة يؤدي إلى تكوين صورة عن هذا الشخص . والصور البصرية visual images تقوم بدور مهم في التعلم بالملاحظة في مراحل النمو الباكرة ، اذ يفتقر الشخص إلى المهارات اللفظية verbal skills والتشفير اللفظي verbal coding للاحداث الملاحظة يؤدي إلى سرعة وتذكر التعلم بالملاحظة ، اذ ان الشفرات

الرمزية symbolic codes يمكنها نقل كم هائل من المعلومات في صورة مخزون ، بالاضافة إلى ان التشفير الرمزي يخدم الذاكرة نتيجة التكرار او الممارسة . كما ان تصوير الاداء بصرياً يزيد من كفاية عملية الاستدعاء .

العملية الثالثة : اعادة الاداء الحركي

تتضمن هذه العملية تحويل ما هو معروض من رموز إلى افعال مناسبة . كما يتضمن السلوك في هذه الحالة مجموعة من المهارات العملية او الحركية تتم بالممارسة وبالتغذية المرتده التي تحدث نتيجة للاداء ، وما ينجم من تعديل في ضوء استجابات الاخرين . وتتضمن هذه العملية امكانات فيزيقية وملاحظات ذاتية من جانب الملاحظ نفسه كذلك الدقة في عملية التغذية المرتدة.

العملية الرابعة: الدافعية

المقصود بالدافعية هنا كم التعزيز الذي يحفز الشخص لتمثيل سلوك النموذج. والتعزيز يأخذ صور ثلاث : التعزيز الخارجي External reinforcement ويتمثل في تقديم مكافأة او اثابة او ابعاد عقاب فالاثابة تؤدي إلى دفع الفرد لتكرار السلوك المحتذى ، والعقاب يؤدي إلى انطفاء السلوك الممارس .

والتعزيز البديل vicarious reinforcement يتم عادة حين يكافأ او يعاقب سلوك الاخرين . فاثابة سلوك الاخر تزيد من ميل الملاحظ لتمثل السلوك نفسه ، كما ان عقاب السلوك الناتج عن الاخر ينأى بالشخص عن ممارسة نوع السلوك نفسه .

وفي التدعيم الذاتي Self-reinforcement يرى باندورا ان النظريات التي تعنى فقط بالتعزيز الخارجي (الموجب والسالب) لاتكفي لتفسير دعم السلوك او انطفاؤه ويشير الى ان الأفراد يمتلكون تعزيزاً ذاتياً في ضوء

معايير السلوك التي يتبنوها. وبمعنى اخر ان للافراد القدرة على مكافأة او عقاب انفسهم وفق نوع السلوك الناجم عنهم .

والتعلم بالملاحظة من وجهة نظر باندورا (التعلم بالنمذجة)يمكن ان يؤدي على افضل وجه ممكن اذا ماأخبر الملاحظون مقدماً بكم ونوع الفوائدالتي سيحصلون عليها اذا ماتبنوا هذا السلوك النموذجي . ويمكن ايضاً ان تتم النمذجة بطريقة مجردة. خصوصاً في النماذج الأخلاقية حيث يؤدي الأباء والأقران والبرامج التلفزيونية والإفلام والصور ادواراً مهمة في أكتساب القيم والأتجاهات التي تمثلها هذه العناصر . وتؤثر النمذجة في خلق واستحداث انواع جديدة من السلوك تتولد وهي غير موجودة اصلا في النموذج .

ويشترك كل من باندورا وبياجيه في تأكيدهما على ان صغار الأطفال تنمو لديهم القدرة على ترجمة (تأويل) ماسبق وادركوه ويتحول بعد تأويل المدرك الى سلسلة منظمة من الأفعال اي تحويل الفكر الى فعل ولكن يكمن الخلاف بينهما في شرح الدافعية الذاتية Self-motivation .

بالنسبة لبياجيه وفي مراحله الباكرة في النمو الحسي الحركي يرى ان التقليد (المحاكاة) قاصرة على إعادة انتاج الأنشطة التي سبق ان نمت لدى الأطفال، او التي قاموا بفعلها، وتكررت هذه الأفعال . وبمعنى اخر ان الإداء يكون امام النموذج حين يعيد السلوك ويكرره . بينما يرى باندورا ان الكثير من بحوثه اثبت هو وكاي Kaue ١٩٧١ ان الأطفال يستطيعون التعلم عن طريق مراقبة الأخرين، وانهم قادرون على ان يكتسبوا مهارات جديدة عن طريق الملاحظة بل يمكنهم نقل هذا المهارات في مواقف جديدة .

الفصل الثالث

نظريات الشخصية

مقدمة :

اولا : نظريات تستند إلى الحتمية التكوينية :

١ – الفرويدية الكلاسيكية (التقليدية) فرويد

٢ – التكوينية (الجبلية) هيبوقراط – كرتشمر – شلدون

٣ – العضوية جولد شتاين

٤ – السمات اولبورت

الفصل الثالث

نظريات الشخصية

مقدمة :

سوف يقدم هذا الفصل ، والفصل الرابع عدة نظريات في الشخصية بعضها كلاسيكي والأخر حديث (معاصر) . وسوف يلحظ القاريء عامة والطالب اوالباحث خاصة هذا التنوع الهائل من التصورات ، وقد يرجع هذا الثراء . في المعلومات الى اهمية موضوع الشخصية وتعقيده ، بالاضافة الى انها موضوع قديم ومعاصر في نفس الوقت كما سبق وذكرنا في الفصل الأول فهي تعد « اي الشخصية (بمثابة البداية والنهاية في جميع فروع علم النفس ، كما ان لها العديد من الأنتشارات ramifications في مجالات الحياة . وسوف نعني في عرض هذه النظريات بفكرة عن حياة صاحب النظرية وظروفه الشخصية اثناء رحلة حياته ، وسوف نعني بالظروف التاريخية والحضارية التي عاش فيها صاحب النظرية اوالتي تأثر بها ، كذلك روح العصر ومعطياته والفلسفات السائدة فيه كلما كان ذلك ضروريا . اذ ان لكل بصمات واضحة على فكر المنظر في اي مجال من مجالات العمل العلمي اوالفني ، خصوصاً في مجال العلوم الأجتماعية (الأنسانية) لانها انتاج حتمي لحضارة وتاريخ وفلسفة العصر الذي تأثرت به هذه العلوم في ماضيها وواكبته في حاضرها وبمعنى آخر عملية التنظير (صياغة النظرية) تكون محكومة بمجموعة من المعطيات وقد يلحظ البعض في نفس العصر ، وتحت نفس المعطيات النظرية المطروحة نفسها انه يوجد كثرة من التباينات في طروح المنظرين المختلفين ، وهذا صحيح ولكنه لايلغي ماسبق ان طرحناه في

السطور السابقة ، لان لكل مفكر اومنظر اوباحث رؤياه الخاصة به وحده رغما عن تأثره بما هو شائع في عصره ، وبما هو مطروح في التراث الأنساني ، عامة والسيكولوجي خاصة ، ناهيك عن تكوين المنظر نفسه وظروفه الشخصية والأجتماعية والثقافية وخبراته الذاتية وممارساته وتجاربه .

وسوف نلحظ ذلك بوضوح في كل نظريات الشخصية التي سنطرحها في هذا الكتاب ، كما اننا سنلتزم بقدر من التوحيد في عرض كل نظرية لتسهيل عملية المقارنة والأستنتاج لدى القاريء ، وسنركز – كلما كان ذلك ضروريا – تصور المنظر في الشخصية وبنائها واجهزتها بما في ذالك من مفاهيم ومصطلحات – وكذلك تصوره عن الأساليب المتبعة لمعرفة الشخصية وفهمها وامكانية تعديلها وقياسها ، والأدوات المستخدمة في ذلك ، واخيراً تقويم الكتاب لهذه النظرية ، من وجهة نظر علمية وسوف نعرض بنشر نظريات بعضها يمكن تسميته بالنظريات الكلاسيكية وهي نظرية «فرويد » والنظرية البنائية الجبلية (هيبوقراط ، كرتشمر ، شيلدون والنظرية العضوية) (جولد شتاين) ونظرية السمات (اولبورت))في الفصل الثالث

والبعض الأخر يمكن تسميته بنظريات معاصرة في الشخصية وهي : الفرويدية الجديدة (أدلر ، هورني ، فروم ، سوليفان) ، والنظرية السلوكية الحديثة ونظرية المجال (ليفين) والنظرية الحيوية الأجتماعية (ميرفي) ، واخيراً نظرية الحاجات (موراي) في الفصل الرابع .

اولا : نظريات تستند إلى الحتمية التكوينية

١ – الفرويدية الكلاسيكية (فرويد Freud) ١٨٥٦ – ١٩٣٩

ولد في مورافيا تشيكو سلوفاكيا حاليا) من اب يعمل تاجراً للاصواف متنقلا ، وكان قد تزوج للمرة الثانية من زوجة تصغره بحوالي ٢٠ عاما وهو

التي انجبت فرويد . وانتقلت الأسرة الى فينا (عاصمة النمسا حاليا) وكان فرويد في الرابعة من عمره،وكان والد فرويد كثير الترحال وكان يغيب عن المنزل كثيراً بحكم ان تجارته كانت تعاني من ازمات بسبب انتشار مصانع النسيج الكبرى ، اذ المعروف ان القرن التاسع عشر ازدهرت به الصناعة كما ازدهر فيه مفهوم الطاقة التي تسير تلك المصانع وفي ضوء تدهور حالة الوالد الوظيفية وفي ضوء تفرغ الأم لابنها (فرويد) كان طبيعيا ان يلقى فرويد كل الرعاية والحنان من جانب امه بعيداً في معظم الأحيان عن والده اظهر فرويد منذ الصغر نبوغاً في الدراسة حتى التحق بكلية الطب وكان من البارزين فيها ،وقد حاول بعض اساتذته ان يلحقونه بالكلية عضوا في هيئة التدريس بعد تخرجه الا ان الطلب قد رفض بسبب ديانته (اليهودية) .

في هذه المرحلة كان الفكر السائد في اوربا خاضعاً لمفهوم الفلسفة الوضعية Positivism وتعني هذه الفلسفة بالعلم وتكنيكاته ، حتى ان البعض يطلق عليها فلسفة العلم . ومن الطبيعي ان تساير هذه الفلسفة ، عصر النهضة الصناعية البارز في القرن التاسع عشر . وتعنى هذه الفلسفة ايضـــاً بالكثير من المفاهيم العلمية ويعتبر مفهوم (الطاقة) energy من ابرز المفاهيم في هذه الفلسفة وقد تأثر فكر فرويد بهذا المفهوم بل قد وظفه في تصوره لمفهوم الشخصية. فالانسان من وجهة نظر الفلسفة الوضعية يعد بمثابة منظومة معقدة من الطاقة ، والغذاء مصدر لهذه الطاقة اذ يستفاد منه في تشغيل اجهزة الجسم تماما كما يحدث في الألة اذ تسيرها الطاقة الناجمـــة عن احتراق الفحم ، اواي نوع من الوقود وكذا الكهرباء . وحين تعمل اجهزة الجسم فينتج عنها مجموعة من الوظائف والأنشطة مثل الأنتباه والأدراك ، والتذكر ، والتفكير ....الخ . ويطلق على الطاقة التسمية المناسبة للنشاط الذي تقوم به ، فالطاقة النفسية مثلا هي التي تسير العمليات المعرفيـــة

سابقة الذكر ، والطاقة الجنسية (الليبد و Libido كما سماها فرويد) هي الطاقة التي تسير عمليات الأشباع الجنسي وهكذا . يستنتج من ذلك ان فرويد تأثر فكرياً بفلسفة العصر الذي عاش فيه بل استعار منه بعض مفاهيمه ومصطلحاته .

كان لظروف فرويد الشخصية ايضاً بعض الأثر في تصوراته وافكاره فقد كان يحس في فترات كثيرة بان والده يعد بمثابة المنافس له في حب امـــه وربما يكون هذا الأحساس احد مصادر مفهوم فرويد عن العقدة الأوديبيـة ثم ان رفض الجامعة لتعيينه ولّد فيه احساسا متشائما بظروف الحياة، كما ان نشوب الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨) كانت بمثابة الشرارة التي جعلت فرويد يحس بان العالم عدواني بطبيعته ، وربما كانت هذه الحرب بويلاتها احد مصادر مفهوم فرويد عن العدوان وماسبق ذلك مـن طرحه لمفهوم غرائز الموت .

ركائز الشخصية عند فرويد :

ترتكز نظرية فرويد في الشخصية على مفهوم أساس هو « الحتمية البايولوجية» ولذلك فهي لاتلقى اهتماما ذا بمال الى البعد الأجتماعي اوالثقافي واثره في الشخصية ولقد سبق ان طرحنا وجود ثلاث منظرمات في تصور فرويـــد طرحها في بناء الشخصية ونموها في الفصل الثاني من هذا الكتاب، وسوف نضيف هنا ببعض التفصيل مجموعة الوظائف والأليات التي تعمل بها كـل منظومة . والمنظومات الثلاث تعمل بطريقه متكاملة، وينتج عن هذا التكامل السلوك المعبّر عن الشخصية . وتعني بالسلوك هنا شقية : السلوك الواضح كما يتضح من خلال اداءات الفرد Performances والذي يخلع عليه لفظ Overt Behaviour ،والشق الثاني هو السلوك المضمر Covert Behaviour

الذي يمكن الكشف عنه بطرق غير مباشرة والذي يعبر عن اغوار الشخصية والذي ابتدع فرويد اسلوبا في فهمه هو التحليل النفسيPsycho – analysis والى بعض التفاصيل المهمة عن ماتقوم به منظومات الشخصية الثلاث : ـ

الهو Id

يعد بمثابة مخزون الغرائز، ومخزون الطاقة النفسية، ويحاول الهو خفض التوتر اوازالته بالأشباع وفق مبدأ اللذة. والتوتر ينجم عن طريق الأستثارة الخارجية او الداخلية .

واليات الهو هي الأفعال المنعكسة التي تواجه الأستثارة البسيطة مثل دمع العين والعطس،والكحة .....الخ، وكذلك العمليات الأولية لتحقيق رغبة عن طريق استدعاء لهذه الرغبات في شكل صور ذهنية (تخيلية) imaginary images فالجائع مثلا يمكن ان يستدعي صورة لمطعم او لطبق شهي. وتعد الأحلام dreams من العمليات الأولية كذلك الهلاوسhaluicinations وتحاول الأحلام عادة تحقيق رغبة واستدعاء هذه الصور لايزيل التوتر اويخفضه، ولكنه يقرب الهو من الهدف التخيلي، ولكنه لايؤدي الى اشباع ،وتعد الصور الذهنية التخيلية واقعاً زائفاً، ولكن هذا هو الواقع الوحيد الذي تتعامل معه الهو. ومع وجود هذه الفعاليات من جانب الهو طوال حياة الفرد، بداية العام الثاني تنبثق من الهو منظومة اخرى هي :

الأنا Ego

خلال العام الثاني لنمو الطفل يبدأ مضطراً الى التعامل مع الواقع الموضوعي فهناك محاولات لتنظيم مواعيد التغذية ، وكذلك الفطام Weaning ومحاولة ضبط عملية التبرز toilet training وانبثاق الانا يحدث لمواجهة هذا الواقع الى تأجيل الأشباع حتى تحظى بموضوع الأشباع

الحقيقي وليس الموضوع المتخيل ، فيضطر الطفل الى تأجيل الألحاح على الطعام حتى يأتي موعد الأطعام .

ويسود مبدأ الواقع فعل الأنا، ويتوارى نسبياً مبدأ اللذة هذا المبدأ الذي يريد الأشباع فور حدوث الحاجة راغباً في ازالة التوتر .

واليات الأنا هي العمليات الثانوية . والعملية الثانوية هي تفكير واقعي محكوم بما هو مدرك في البيئة حول الفرد— والأنا من خلال هذه العملية الثانوية— تختار بوعي ما تريد ثم تحاول تنفيذ ذلك في الواقع لتختبر مدى قدرة هذه العملية الثانوية على الأشباع ، وحيث ان الأنا منبثق من الهو فهو يعمل من خلالها، ولكنه يحاول ان يحقق مطالب الهو واعياً بشروط الإشباع في الواقع الحقيقي للفرد ، من حيث الأمكانات المتاحة ،وماهو مقبول أو غير مقبول وفق النمط الثقافي السائد.وعليه تعد الأنا المنظومة الإدارية المنفذة في ضوء معايشتها للواقع .

الانا العليا Super ego

تعد هذه المنظومة المنظومة الأخلاقية للشخصية ،فهي تنحو نحو المثالية ، وتتجاوز الواقع ، وتحكم عليه حكماً قيمياً (صواب اوخطأ) وهذا الحكم القيمي مكتسب من واقع الثقافة التي يعيشها الفرد متمثلا في نسق من السلوك السليم (والسلوك الخاطيء الذي يمتصه الطفل في خلال السنتين الثالثة والرابعة من العمر. وتعد عملية الأثابة والعقاب (التعزيز الموجب والتعزيز السالب) ضمن آليات الانا العليا ، اذ يستدخل الطفل السلوك المطلوب من الوالدين ويطابقه، ويصبح جزءاً من سلوكه بل قد يعكسه على الأخرين . فعلى سبيل المثال اذا تكرر من الأب عبارة(لاتلعب في اوراقي اوكتبي على المكتب) وتكررت هذه النواهي عدة مرات وصاحب ذلك تعزيز سالب (الضرب مثلا)

واذا لم ينفذ الطفل هذا الطلب فإن الطفل بالتكرار يستدخل هذه التعليمات وتصبح جزءاً من سلوكه فلا يقرب بعد ذلك كتب والده على المكتب وقد يمنع شخصاً آخر ، (زائراً مثلا) من الأقتراب من هذه الكتب اذا حاول ان يقلب فيها وهو في حجرة المكتب ، وقد شاهده الطفل اذ غالبا مايصيح الطفل قائلا» لاتقترب من كتب بابا» وبناء الانا العليا يتيح للفرد ان يتحكم ذاتياً في سلوكه بدلا من ان يحكمه سلوك الوالدين ، وبمعنى آخر يتعلم الطفل ان ينضبط ذاتياً بدلا من ان يضبط من الخارج (الوالدين) ويتمثل دور الأنا العليا اساساً في عمليات الكف لكل رغبات الهو (الجنس والعدوان ، والميل للاشباع الفوري وفق مبدأ اللذة) . كذلك تحاول الانا العليا صبغ الأنا بصبغة اخلاقية محاولة ان تصبغ الواقع بنسق اخلاقي وقيمي ومثالي، وعليه قد يتعارض هذا الدور ودور الانا الذي يحاول التوفيق بين الهو والواقع .

ويمكن مع التبسيط غير المخل ان تعد المنظومة الأولى (الهو) بمثابة منظومة بايولوجية تسعى للذة آنية ، وتعد المنظومة الثانية(الانا) منظومة سيكولوجية تسعى لتوافق الفرد وبيئته في ضوء الواقع المعاش وتعد المنظومة الثالثة (الانا العليا) منظومة اجتماعية تسعى لطبع الفرد اخلاقياً وفق النمط الثقافي السائد في بيئته ومجتمعه وذلك في ضوء الواقع المثالي .

منهج فرويد في دراسة الشخصية :

تتطلب دراسة الشخصية من وجهة نظر فرويد منهجاً كلينيكيا Clinical والمنهج الكلينيكي يعد منهجاً علاجياً كلياً ، مصبوغاً بصبغة انسانية ويقوم على دراسة تأريخ الحالة ، ووسيلته في ذلك التحليل النفسي وفنيات اخرى لسنا بصدد تعدادها هنا (انظر السيكودراما ،العلاج عن طريق اللعب...الخ)

ويمكن ان تحدد ثلاث اسس يقوم عليها هذا المنهج :-

١ - الشخصية بكل مكوناتها ونموها تعمل بطريقة دينامية ،اي ان السلوك الذي يصدر عنها هو نتاج تفاعل المنظومات المختلفة في صراعاتها. بل يمكن اعتبار دراسات (الشخصية) دراسات للصراعات الموجودة بين المنظومات الثلاث. فمنذ ميلاد الفرد وهو يعيش مواقف صراع متلاحقة تؤدي الى حالات من عدم التوازن، ويحاول الفرد جاهداً حل اورفع هذه الصراعات لينهي توتراته ويشبع حاجاته ويعود الى حالة الأتزان والذي لايستطيع حل أو انهاء هذه الصراعات الموقفية ، اي لايستطيع ازاله التوترات الناجمة عنها يلجأ الى الدفاعات defences

٢ - الشخصية من وجهة نظر المنهج الكلينيكي تعمل كلها(كوحدة)اي ان النظرة الى الشخصية لابد ان تشمل انواع السلوك والأداءات الناجمة عن الشخص في المواقف كافة في الأسرة،وفي العمل،ومع الرفاق ... الخ اي في صلة هذا السلوك بالعالم المحيط بالفرد،ويتعدد نوعياته ومستوياته كذلك تتضمن النظرة الكلية للاداءات المضمرة (التفكير اواحلام اليقظة ، الأحلام) .

٣ - الشخصية من وجهة نظر المنهج الكلينيكي تعمل وفق منظور زمكاني (الزمان والمكان في تفاعلهما) فمواقف الصراع التي تواجه الفرد لايمكن ان تفهم الا بفهم تأريخ حياة هذا الفرد ، فالشخص اسيرماضيه ودراسة(الحالة) Case Study منذ الطفولة ، والبحث في اغوار الشخصية هو التكنيك المناسب، اذ ان الدلالة الحقيقة لما يسلكه الشخص تكمن في اللاشعور ، ولايعد السلوك الظاهر الشعوري معبراً عن الشخصية ولايسهم في فهمها بل قد يكون مافي شعور

الشخص نقيضاً لما في اللاشعور وتؤدي ميكانيزمات الدفاع defence mechanisms او الحيل الدفاعية دورها في هذا الإجراء. ويؤكد هذا المنطلق لا جاش في كتابه « وحدة علم النفس » ترجمة صلاح مخيمر ١٩٦٥ اذ يقول (ان دراسة الشخصية تتطلب منهجاً لاكميا احصائياً بل كيفيا يستند الى الحدس intuition والمذاق الفني وليس لمثل هذه الدراسة ان تغفل الجوانب النفسية التي تعبر بها الحياة عن نفسها) . ويشير مصطفى زيور ١٩٧٣ في «مقدمة خمس حالات من التحليل النفسي» (ان الأنسان فيما يبدو لنا منه لاينطبق على نفسه، فهو ماليس هو ، وهو ليس ماهو) .

ومن هنا نقع في المحذور اذا ماصدر الحكم على شخص مابالرجوع الى «شعوره» فشعور الفرد يظهر فقط مايتفق مع المنظومة الدفاعية ومن هنا يكون التشويه في السلوك الناتج عن الشخص (احد السفاحين في بريطانيا الذي اغتصب ثلاث عشرة فتاة، كان يعمل عاملا في مصنع ويشهد له زملاؤه والمشرفون عليه بالمثالية، وقد حصل على جائزة ،وظهرت صورته في الصحف على انه العامل المثالي) .

ميكانيزمات الدفاع (اليات الدفاع) Defence mechanisms

قدم فرويد تصوراً ديناميا يوضح فيه هذا المفهوم (ميكانزم دفاعي) ، اذ يعد الحفزات الجنسية التي تريد ان تنطلق من الهو وتعيش شعورياً لتشبع وفقاً لمبدأ اللذة، الا ان الانا تريد منعها مستندة الى مبدأ الواقع ومتأثرة بالأنا العليا الأخلاقية. واعتبر فرويد كلمة ميكانيزم دفاعي بمثابة القوة الكابتة التي تضعها الأنا لتمنع هذه المكبوتات من الظهور شعورياً وتسمى هذه الميكانزيمات (دفاعية) لأنها تلتف حول التعبير المباشر عن الحفزات الجنسية غير المرغوب

فيها ، وتصبح فـــي صور مقبولـــة تقريباً ، اذ تقوم بالتوفيق بين الحفزة الجنسية ومتطلبات المجتمع وثقافته. فالحفزات الغريزية تثير القلق لـــدى الشخصية وميكانزيمات الدفاع تنشأ لمواجهة هذا القلق. وفهم الشخصيـــة يتأتي من تعرفنا المواقف التي يغلب عليها اثار القلق، والدفاعات التي تلجـأ اليها الشخصية لمواجهة هذه المواقف. وتعد هذه الميكانزيمات الدفاعية ذات دلالة بالغة في نظر المحلل النفسي لأنها تعد بمثابة مباديء للتفسير السيكولوجي عند المعالج. ولايعد الميكانزم دفاعياً الا اذا تكرر حدوثه مرات ومرات في مواجهة تجارب كثيرة منذ الطفولة. وتعمل هذه الميكانزيمات لاشعوريا ، كما وتعـد بمثابة هروب من مواجهة الواقع عن طريق الإنكار، والتحريف او الطمس او الإخفاء .....الخ .

١ ـ الكبت Repression

يتسع هذا المفهوم ليشمل «الإنكار» والعزل« والمحو» و«التكوين الضدي»

والمقصود بالمصطلح نفسه ميل لاشعوري الى النسيان او عدم الوعي وذلك لمنع تأثير المكبوت، الذي لايتحقق مع ذلك الا في الكبت الناجح اي «الأعلاء» للكبت بمعناه الدقيق حيث يظل المكبوت فعالاً ويشـــرح مخيمر« ١٩٧٩» هذه العبارة اذ يقول« ان الفكرة المعبرة عن الحفزة الجنسية هي التي تكبت بينما الوجدان المصاحب يزاح علـــى حفزة يجعلها مشتقة من الحفزة السابقة والحقيقة هي ان بعض الوجد ان يظل مع الفكرة الأصلية والالكان الأعلاء». والكبت اسلوب تتبعه الأنـــا اتحول دون طفح حفزة غريزية مستهجنة موجودة في الهو وتريد ان تتسرب الى المنطقة الشعورية. ويتم انكار الحفزة اومحوها فقد يصبح

الشخص عاجزاً جنسياً لأنه يخاف الحفزة المحارمية مثل الأخت او الأبنة .

والمقصود «بالإنكار» رفض الأعتراف بالحفزات الخطرة اجتماعياً في الواقع. ففي الطفولة يتم الإنكار في اللعب الأيهامي ، وفي الراشد يمكن ان يكون الكذب المرضي والذي يهدف الى اقناع المستمع بتصديق شيء غير صحيح ،او بتكذيب شيء صحيح وتؤدي احلام اليقظة دوراً في الإنكار لأنها هروب من الواقع ، ويعيش الشخص احلاماً تعويضية .

والمقصود «بالعزل» تجريد الذكريات الخطرة اجتماعياً والكريهة، و تجريدها من شحنتها الأنفعالية فتظهر عارية من الشحنة ومن ثم يتحدث عنها الشخص وكأنها ذكرى غير خطرة اجتماعياً، وغير كريهة في الوقت نفسه (عصابي قهري – وهو احد الأمراض النفسية – كان يتكلم ببساطة عن تجربته الجنسية مع المحارم في الوقت الذي ينفعل فيه بشدة امام فكرة الإتصال بالمرأة بدون زواج). صلاح مخيمر ١٩٧٩ في المدخل الى الصحة النفسية .

والمقصود «بالمحو» استبعاد ممارسة خاطئة اجتماعياً سواء أكانت واقعية او وهمية (ممارسة في احلام اليقظة ويتم المحو بفعل رمزي تكفيري كالصلاة أو العمل الزائد او الكرم الزائد) ولايعني هذا ان عملية الصلاة التي يقوم بها الأفراد، او الإندماج في العمل الزائد، او الكرم الزائد، يكون تكفيرا أو محواً لممارسات خاطئة واقعياً اووهمياً.

والمقصود «بالتكوين الضدي» تكوين ميول واهتمامات لاشعورية مقبولة اجتماعياً وتكون مضادة للافكار الخاطئة او الكريهة اجتماعياً كالخجل

ضد الرغبة بالتعري، والنظافة الزائدة ضد القذارة ، والكرم الزائد ضد البخل، والتحشم الزائد ضد الرغبة، في الأستعراض .

٢ ـ الاسقاط Projection

يعمل هذا الميكانزم للتخفيف من معاناة ـ غير معروفة المصدر ـ بالنسبة للشخص ،لأن الميكانزم يتم بطريقة لاشعورية كما سبق ذكرها . كافكار الشخص غير المقبولة اجتماعياً اوالخاطئة او الكريهة ،المنسلة من انتاج الهو، نجد عند بوابة الخروج« الأنا» تحاول تجنيب الشخص هذه المعاناة ، والخوف من مصادر عقاب خارجي ، فتخرج الأنا بهذا الميكانزم الذي يتمثل في ماأود اتيانه اسقطه على الأخر، فبدلا من ان اقول اني اعشقه تصبح بالإسقاط هو يعشقني، وبدلا من اقول اني أكرهه تصبح بالإسقاط انه يكرهني وبالأسلوب نفسه يمكن للمهمل او اللص ان يتهم الأخر بالأهمال واللصوصية كما يمكن للكذاب ان يتهم غيره بالكذب فتتخفف معاناته، وبالنسبة للاشباعات الجنسية غير السوية التي يرغب فيها الشخص ويقدم عليها ولكنه يتهم الأخر الذي سبب له الإشباع المرضي بأنه هو الساعي وراء هذا ولست أنا .

٣ ـ النكوص regression التثبيت fixation

يتمثل هذا الميكانزم في استجابة الشخص الراشد اوفي استجابة الطفل للموقف الذي يعترضه باللجوء الى استجابات سابقة تكررت اثناء طفولته الباكرة ، وارتبطت بالموقف الأصلي موضوع التثبيت . وبمعنى آخر يرتد الشخص الذي يعاني من خبرات اليمه اوقاسية الى مرحلة باكرة من نموه حيث يمارس ما كان يمارسه في تلك المرحلة الباكرة . وقد سبق ان اشرنا الى ان هناك تثبيتات مختلفة ، كالتثبيت على المرحلة الفمية اوالشرجية اوالقضيبية ، فينكص

الشخص الى المرحلة التي سبق ان تثبّت عليها . ويتم سلوكه وهو راشد في الموقف المشكل بسلوكه هو نفسه وهو طفل في المرحلة التي سبق ان تثبت عليها .

والملاحظ مثلا عند مولد طفل جديد في الأسرة (الثاني عادة) حين تتجه الرعاية والحنان اليه ويستحوذ على اهتمام الأم ، ان الطفل الأكبر (الأول) احس بوجود مشكلة امامه مفادها ان كل ما كان له وحده تحول الي هذا المنافس القادم الجديد . ولايستطيع ازاء هذا الموقف الا النكوص الى مرحلة سابقة « فيبدأ في مص اصابعه ، ويمتنع عن الأكل الا اذا اطعم ، وقد يتبرز ويتبول على نفسه بعد ان كان قد ضبط وتحكم في هاتين العمليتين ، وقد لايتكلم بعد ان استطاع الكلام ، وقد يزحف (يحبو) بعد ان استطاع المشي ويترجم الميكانزوم عن نفسه وكأنه يريد ان يقول (اريد ان اعود طفلا اصغر مما أنا عليه الان حتى احظى بالرعاية والحنان اللذين اغتصبهما مني هذا المولود الجديد) .

٤ – التبرير : Rationlization

يهدف هذا الميكانزوم الى ابراز اسباب شعورية غير حقيقية في واقع الامر يقتنع بها الشخص لانها تبدو معقولة ومتزنة وتلقى قبولا اجتماعيا . فالراسب في الأمتحان قد يعزى السبب الى اهمال المصحح اوحقده على الطلبة بعامة او ان الأسئلة جاءت من خارج المقرر . وسائق السيارة المسرع والذي تسبب في قتل طفل يعبر الشارع يبرر تصرفه بان الطفل كان يعبر من الطريق الخاطيء اوالميكانيكي لم يقم بضبط الموقف (البريك اوالفرامل) او ان السيارة المجاورة لهي التي انحرفت وحتى يتم تفاديها اصاب الطفل وهكذا ، والتبرير من الدفاعات المريحة للشخصية ، اذ تبتعدُ بها عن الأحساس بتأنيب الضمير او الأحساس بالاثم .

٥ – الهروب Escapism

هذا الميكانزم الدفاعي يساعد الفرد على الهروب من الموقف المثير للقلق، وقد يتمثل الهروب في حالة الأغماء اوالأنغماس في نشاط للتلهية كالغناء وكثرة الكلام (الثرثرة) اوالعمل المتصل دون كلل ودون وجود فترة لالتقاط الانفاس اواللعب المتصل اوالأستغراق في احلام اليقظة ، وقد يتم الهروب ايضاً عن طريق الأدمانات (شرب الكحوليات ، المخدرات ، التدخين) . ويهدف كل ذلك الى شغل الشخص – دون ارادة منه بعدم اعطائه الفرصه ليقف امام نفسه يكاشفها والأيعاني الكثير من القلق والتوتر .

٦ – التطابق (التوحد) Identification

يسمى هذا الميكانيزم احيانا بمحاولة استدخال Internalization لاشعورية لشخص آخر ودمجه بذات الفرد. واحيانا يمتص خصائص او سمات في النموذج المحتذى (القدوة) Model وفي حالات الهستريا ، كثيراً مايتطابق المريض مع موضوع حبه فيتوحد معه ويشير ماورر Mowrer ١٩٥٠ الى وجود نوعين من التطابق اوالتوحد ، اولهما التطابق التطوري Developmental Identification ويحدث حين يواجه الشخص صرعات بسيطة ، ففي حالة الطفل المعتنى به من جانب الوالدين ، الذي لم يتعلم الأنضباط ، فانه سيتطابق تطابقا تطورياً مع احد الوالدين ويمارس السلوك المرغوب فيه من جانبه وثانيهما التطابق الدفاعي Defensive Identification ويسبب هذا النوع ازمة عاصفة في طبيعة الفرد ، فقد يتم في هذا الميكانزم مطابقة المعتدى ، وقد يتطابق الفرد السمات السيئة في النموذج ، فيصبح الفرد شريراً اوعدوانيا (تطابق الصهيوني والنازي) .

٧ – الاعلاء (التسامي) Sublimation

يعمل هذا الميكانزم الدفاعي على تحويل الحفزة غير المرغوب فيها ، ويحدث تعديلا في الهدف وبمعنى آخر يتيح هذا الميكانزم افراغاً كاملا للحفزة بتغير الهدف الأصلي لها ، واحلال هدف جديد او موضوع جديد . فتنسحب الطاقة الليبدية المصاحبة للحفزة ، وتتحول الى الموضوع البديل . فتحويل الطاقة الليبدية الجنسية الى نشاط فني (تمثيل ، غناء ، رقص ، كتابة ، كتابة قصص عرض شعر) يعد اعلاء . وان ممارسة الأنشطة والهوايات والرياضية منها ، والأجتماعية والثقافية ، وتعد تحويلا للحفزات الجنسية الى نشاط مقبول ويرى فرويد ان « الجراحة» يمكن ان تكون اعلاء « للعدوانية» كما ان الغناء يمكن اعلاء للحفزة الفيمة .

ولما كانت ميكانزيمات الدفاع ، ناشئة لمواجهة « الهو» بوصفها مخزنـا اومستودعاً للغرائز ، فيجدر بنا هنا ان نشير باختصار شديد الى ان «فرويد ». كان قد قسم الغرائز Instincts على نوعين غرائز الحياة وغرائز الموت هدف المجموعة الأولى (غرائز الحياة) الى الحفاظ على النوع وتتضمـن الأشباعات الحشوية (جنس ، جوع ، عطش ....الخ)

وتسمى الطاقة التي تستخدمها غرائز الحياة بالليبدو . والجنس بعده غريزة حياتية وهو في شكله الرسمي يؤدي الى التكاثر ، ولكن مجالات الأشباع الجنسي لاتؤدي الى التكاثر ، اذ ان هناك مناطق عدة في الجسم اذ استثيرت أدت الى رغبات شبقية لاذة ، وتسمى هذه المناطق بالمناطق الشبقية erotic zones فهي في مناطق كثيرة على سطح الجلد ، وفي الأغشية المخاطيـة شديدة الحساسية وهي مبطنة للفم والشرج ، والأعضاء التناسلية ، ويؤدي استشارة هذه المناطق الى التشبيق .

اما غرائز الموت فلم يقف عندها «فرويد كثيراً » بل عدّ هدف الحياة هو الموت . وتتمثل هذه الغرائز عمليات الأيض (الهدم والبناء في الجسم). وتعد غريزة العدوان من الغرائز الأساسية من غرائز الموت ، بل ربما تعد هي غريزة الموت . وقد اشار « فرويد » في اثناء الحرب العالمية الأولى الى ان السبب الرئيسي هو غريزة العدوان .

التداعي الحر Free association

يعد هذا التكنيك من اهم اضافات فرويد وهو تكنيك التحليل النفسي بدأ فرويد هذا التكنيك بعد ان ان زار فرنسا وعمل مع شاركو Sharco بالتنويم المغناطيسي في علاج حالات الهستريا ، الا ان فرويد لم يرتح لهذا الأجراء ، وعمل عقب ذلك مع جوزيف بروير Joseph Breur الذي كان له اسلوب خاص مميز في علاج الهستريا ، عن طريق مايسمى بالعلاج (بالكلام) اوالنفض اذ يحكي المريض التفاصيل التي واكبت ظهور الأعراض المرضية عليه ، وقد لاحظ فرويد ان المريض عقب عملية النفض هذه اوالتفريغ يتم له الشفاء .

وقد طور فرويد هذا الأسلوب واصبح منهجه العلاجي يسمى بالتداعي الحر . والفكرة في هذا المنهج العلاجي ان يستلقي المريض على اريكة مريحة ويطلب منه ان يذكر كل شيء يخطر على باله دون تدخل من جانب المعالج وهي تختلف عن طريقة جوزيف بروير التي تركز فقط على التفاصيل التي واكبت ظهور الأعراض لدى المريض .وطريقة التداعي الحرتتيح للمعالج ان يستمع الى كل مايقال مهما كان تافها .اوغير مترابط دون تدخل منه ، واذا ماتوقف المريض عن التداعي ، قد يتدخل المعالج لمجرد حثه على الأستمرار

بالكلام . ويتكلم المريض عادة عن ذكريات طفولته ، وحين يرغب المريض في عدم الأفاضة (وجود مقاومة) يتركه المعالج على راحته ، ثم تأتي الجلسة الثانية في وقت لاحق . ومنتظم ، ليستمع ايضاً المعالج الى المريض المسترخي على الأريكة وفي اثناء عملية التداعي الحر يذكر المريض مايمر به من احلام ومايرتبط بها من تداعيات ، وقد استبصر فرويد بمكنونات الأحلام وتوصل الى ان الحلم معبر واضح عن نشاط العقل من خلال العمليات الأولية التي تهدف الى تحقيق رغبة ، اوتفريغ شحنة انفعالية بطريقة رمزية . فقد يحلم طفل بانه دخل الى حديقة الحيوانات للنزهة ، ورأى فيلا كبيراً قادما نحوه فانقض عليه وقتله ، يرمز الى الأب القاسي ، ورغبة الطفل في التخلص منه فيتحول الأب في الحلم الى رمز هو الفيل . وقد اعتبر فرويد الأحلام عمليات رمزية تحقق بها الشخصية اما رغبات مكبوتة تتطلب الأشباع . اوتكون ترجمة صريحة لما يعانيه الشخص في حياته اليومية . ويمكن ان تعبر الأحلام عن امنيات يصعب تحقيقها في الواقع المعاش .

تقويم نظرية فرويد :

ليس من شك في ان فرويد قد قدم لعلم النفس عامة ، وللشخصية خاصة اسهامات عظيمة قل ان يوجد عالم نفسي آخر على نفس المستوى من العمل الجاد المضني ، ويتميز فرويد بانه قاريء ممتاز بأكثر من لغة فهو يجيد العبرية والألمانية واللاتينية والفرنسية والأيطالية والأنكليزية ، بالاضافة الى انه ذا مذاق فني متميز حتى ان اسلوب كتابته يعد قطعاً أدبية رائعة . ويمكن ارجاع مفهوم الدينامية الى فرويد ، ويمكن عده المكتشف الأول للاشعور .

وتعد نظريته في « الشخصية » من اكمل النظريات واشملها . كما يعد «فرويد » المؤسس الحقيقي لعلم النفس التحليلي ، وقد ظل عاملا وبجد حتى وفاته ، رغما من اصابته في السنين الأخيرة من حياته ، بسرطان الحنجرة .

ويعدّ انتاج فرويد من اضخم الأنجازات في تاريخ علم النفس بعامة .

الا ان هناك بعض المآخذ على النظرية يمكن اجمالها فيما يأتي : —

١ — اعطى فرويد وزنا كبيراً ودورا حاسما للعوامل البايولوجية والغريزية خصوصاً « غريزة الجنس » وذلك في ضوء مفهومه عن الحتمية البايولوجية واهمل الى حد كبير العوامل والظروف البيئية والأجتماعية والحضارية التي يعيش فيها الفرد ، والتي تؤثر بالضرورة في صياغة شخصيته .

٢ — اعطى فرويد اهمية بالغة الى اللاشعور ، وقلل الى حد كبير دور الوعي والأرادة في تحديد السلوك وكأن انسان « فرويد » مسيّر لاحول له ولاقوة .

٣ — عدّ فرويد غريزة العدوان احد المحركات الأساسية في الأنسان هادفا منها الى موت الأخر ، او انتحار الذات ، وهي نظرة شديدة التشاؤم وتعد الأنسان عدواناً بطبيعته وهذا المفهوم غير صحيح ، فالعدوان «سمة» تكتسب في ظل مجموعة ظروف اجتماعية وثقافية ، ويصعب ارجاع الحروب التي تنشب الى العدوان في داخل الفرد ، فكل حرب في التأريخ لها مجموعة من الظروف الأقتصادية ، والأجتماعية ، والتأريخية والأيديولوجية ، المسؤولة عنها .

٤ — قد تأثر فرويد بالفلسفة «الوضعية» وهي فلسفة علمية سادت القرن التاسع عشر ، والتي تعدّ فلسفة لاايديولوجية اذ تتمحور حول تبرير الواقع لاتغييره، بدعوى الموضوعية، وتعني الموضوعية هنا تعاملها هي وماهو

موجود دون ان يتدخل عنصر الذاتية في الحكم على الأشياء ويظل الوضع حينذاك كما هو وفق التحيزات الخاصة بصاحب المقولات نفسها، اي ان التعامل هنا مع المعطيات كما هي مصوغة في عباراتها وكلماتها والمعاني التي تطرحها وبذا تبتعد تماما عن المعنى الحقيقي للموضوعية .

ومع هذا هاجم فرويد الحضارة الأوربية من منطلق شخصي ، لانه هو نفسه قد عانى منها كثيراً بوصفه يهوديا فقد رفضته الجامعة، بل ان رفض اوربا لمنهج التحليل النفسي، كان يكمن وراء هذا الرفض لفرويد ذاته ، والدليل على ذلك محاولة فرويد تبني العالم البارز «يونج» الذي اراد فرويد ان يحمل من ورائه منهجه في التحليل النفسي بحيث لايصبح التحليل موصوفا باليهودية .

٥ ـ معظم مفاهيم فرويد لاتخضع للتجريب ، ولايمكن التحكم فيها ولهذا تبتعد عن العلمية ويطلق عليها احيانا المفاهيم الغيبية (اللبيدو ، الهو ، الانا ، الانا العليا ...الخ) ان فرويد يعدّ كل تلك المفاهيم لافتات تعبر عن دينامية الشخصية في تفاعلها وصراعها هي والواقع .

٦ ـ معظم الحالات التي درسها فرويد (مرضاه)، كانوا من الطبقة الوسطى وهذه الطبقة تعاني عادة من مشكلات الجنس بحكم انها الطبقة المحافظة على التراث والتقاليد ، ويتأخر افرادها عادة في سن الزواج ، لان افرادها من الجنسين يحاولون بناء انفسهم اقتصاديا واجتماعيا قبل التفكير في انشاء اسر لهم . وهذا على خلاف الطبقتين العليا والدنيا .

اذ لايهتم الكثير من افراد الطبقات العليا بالمعايير الأجتماعية ، ومن ثم تقل معاناتهم بالنسبة للجنس حيث يسهل عليهم الممارسات المشروعة وغير المشروعة ثم ان معظم افراد الطبقة الدنيا يتزوجون عادة في سن مبكرة ولا

تعنيهم التقاليد الخاصة بالمفاهيم الأجتماعية ومنها الجنس ، ومن ثم تقل ايضاً معاناتهم الجنسية . وربما ظهرت معاناة اخرى اذ كان فرويد قد قام بعلاج بعض الحالات من الطبقتين العليا والدنيا ، التي تشكل بدورها اشكالا جديدة من العصاب Neurosis غير العصاب الناشيء عن المعاناة الجنسية الذي ظهر في مرضى فرويد .

٧ – كان لحياة فرويد الشخصية اثر بالغ في صياغته للنظرية ، فعقدة اوديب مثلا عاشها فرويد نفسه بسبب تجوال والده وغيابه كثيراً عن منزل الزوجية مما اتاح لفرويد الصغير فرص المعايشة الحميمة لأمه وعدّ الوالد هو المنافس في هذا الحب ، ثم ان مفهوم غرائز الموت التي تحولت الي غريزة العدوان كان من الممكن عدم طرحها اذ لم يعش فرويد المعاناة من رفضه بوصفه يهوديا ، ومن نشوب الحرب العالمية الأولى ، وكذلك من الهجوم المستمر عليه وعلى منهجه في التحليل النفسي .

ويبقى فرويد شامخا مع كل مالاقاه في ضوء كل ماقدمه من فكر وعلم وممارسة .

٢ – التكوينية (الجيلية) ابو قراط – كرتشمر – شيلدون

Hippocrates, Kretshmer, Sheldon

في القرن الخامس قبل الميلاد ، قدم ابوقراط تصوره عن وجود نمطين من الأشخاص : النمط الأول – القصير البدين – والنمط الثاني – الطويل النحيل – وربط النمطين بأمراض خاصة فالقصير البدين يكون استعداده للاصابة بالسكتة القلبية Heart failure اكثر من الطويل النحيل . ويصاب النحيل اكثر من القصير البدين بالامراض الصدرية اذ يزداد استعداده للاصابة بمرض السل T.B. واعطى تصوراً خاصاً بالأمزجة

Temperments فهناك الهوائي والمائي والترابي والناري ، واشـار الى ان للسـوائل المـوجودة فـي الجسم (يقصـد الهرمونات) التي تفرزها الغدد الصماء تأثيراً محدداً على المزاج ، وقد قسمها الى الصفراء ، والسوداء والدم ، والبلغم ، وتتوقف الشخصية على نوع السيادة من هذه السوائل . فالشخص سريع الغضب وسريع الأنفعـال اطلـق عليه اسم الصفـراوي Choleric ، وهنـاك السوداوي Melancholy صاحـب المزاج المتجهـم والمكتئب ، وهناك البلغمي Phlegmatic وهو الشخص الكسول المتبلد قليل النشاط والفعالية ، كما ان هنـاك الشخص المـرح النشيط وهـو المسمى بالدموي Sanguine

كان ابوقراط من اوائل من طرح عملية ربط المواصفات الجسمية ،ووظائف الأعضاء (الفسيولوجيا) بالمزاج ، ويتضح هذا المزاج في سلوك الفرد وادائه.

ثم قدم كرتشمر في كتابـه التكوين الجسمـي والطبع Physique & character عام ١٩٢٥ المترجـم من الألمانية الى الأنكليزيـة . مجموعـة مـن الدراسات تظهر العلاقة بين الأضطرابات العقلية والتكوين الجسمي والمعروف عن كرتشمر انه طبيب متخصص في الأمراض العقلية وهو الماني الجنسية . وقد اظهرت دراساته وجود ترابط واضح بين التكوين الجسمي Physical constitution والسلوك الناتج عـن الفرد . وقد ركز اهتمامه على نوعين من الأمراض العقلية (الذهان) Psychosis هما الفصام Schizophrenia وذهان الهوس ، الأكتئاب Manic-depressive psychosis . ومـن اعـراض الفصـام العامة ، انسحاب المريض عادة مـن العلاقـات الأجتماعيـة والشخصيـة كمـا انـه يفتقـر الى الحـس الوجدانـي ، وللفصـام صـور متباينة لسنا بصدد ذكرها

هنا ..... والنوع الثاني وهو ذهان « الهوس – الأكتئاب » حيث يتقلب الشخص بين الهوس Mania . ويتمثل في النشاط الزائد والأستثارة العالمية ، وقد يؤذي الأخرين وهو في هذه الحالة من الهياج . وفي حالات اخرى يكون الشخص متبلداً مكتئبا يتطلب الرعاية والأهتمام وكأنه طفل صغير عاجز .واستطاع كرتشمر ان يجد اسلوبا في التصنيف الخاص بتكوين الجسم ، ثم ربط مابين هذه الفئات المصنفة جسميا وبين مدى ارتباطها بهذين النوعين من الذهان ، بالاضافة الى ارتباطها بالاسوياء .

وفي ضوء دراسات كرتشمر استطاع ان يصل الى ثلاث انماط (طرز) هي :–

١ – الهزيل (النحيف) Asthenic حيث يكون التكوين الجسمي له ضعيفاً ويتسم الشخص بطول القامة ، ويكون الوزن ومحيط الصدر والجذع اقل من المتوسط العام ، كما ان الجلد يكون كالحا غير حيوي ،وتكون العضلات ضامرة والضلوع في القفص الصدري بارزة يمكن عدها .

٢ – النمط الثاني هو الرياضي Athletic ويتسم تكوين الجسم بالبناء العضلي القوي ، وتكون العظام متينة والصدر عريض والكتفين عريضتين والمعدة قوية والأرجل والأفخاذ قوية . والخصر معتدل ويكون الشخص متوسط الطول .

٣ – والنمط الثالث البدين Pyknic ويتسم التكوين الجسمي بالامتلاء في منطقة الصدر والبطن خاصة ، وتكون المعدة كبيرة وتتراكم الشحوم تحت الجلد وفي منطقة الجذع والبطن خاصة ، ويكون الطول متوسط وقد يميل الى القصر ، والرقبه قصيرة ممتلئة .

وقد اضاف كرتشمر على هذه الطرز الثلاثة طرازا ربما هو المختلط

Dysplastic ويشمل جميع الأفراد الذين تتضح فيهم اشياء غريبة خارجة عن المألوف بشكل بارز .

وفي ضوء هذا التصنيف وفق الطراز الجسمي ، درس كرتشمر حالات مرضى الفصام ومرضى ذهان الهوس ، الأكتئاب وتوصل الى وجود علاقة واضحة بين الفصام ونمط الجسم الهزيل (النحيف) وكذلك الرياضي والمختلط بدرجة اقل . كما وجد علاقة قوية بين ذهان الهوس — الأكتئاب ، والنمط البدين .

وجاء شلدون ليكمل هذا الأتجاه من القصور بطريقة اكثر عملية وشمولا وله مجموعة من الدراسات المتميزة في العديد من الكتب : —

انواع التكوين الجسمي للانسان ١٩٤٠ ، انواع المزاج ١٩٤٢ ، اطلس الرجال ١٩٤٥ ، وغيرها من الدراسات القيمة التي تسير على المنهج نفسه وبذا يعدّ شلدون الممثل الشرعي لهذا الاتجاه . فقد تفوق على كل من سبقوه بهذه الاعمال والدراسات التجريبية التي قام بها . ويشير شلدون الى ان المقصود بالجبلة (التكوين الجسمي) ماهو موجود في الفرد من جوانب تكون ثابتة ولا تتغير بسهولة وبالتحديد فيما يتعلق بالشكل الظاهري (المورفولوجي) Morphology ويشكل التكوين الجسمي ، التركيب الغددي ووظائف الاعضاء (فسيولوجيا الجسم) Physiology . وهناك جوانب أخرى تكون قابلة للتعديل والتغير بوساطة البيئة مثل العادات والاتجاهات . ويرى شلدون ان علم النفس الجبلي (التكويني) يعني بدراسة الجانب النفسي للسلوك في ارتباطه بشكل الجسم خارجياً ، كذلك بفسيولوجيا الجسم اي وظائف اعضائه وقد برز ذلك بوضوح في كتابة تنويعات التكوين الجسمي للانسان The varieties of human physique (١٩٤٠) .

يتلخص تصور شلدون في ان هناك تكويناً بايولوجياً معيناً يؤسس طرازاً معيناً في التكوين الجسمي الظاهر للعيان ، بالاضافة الى ان هذا التكوين البايولوجي ايضاً الفعالية في تحديد انواع السلوك الناتجة عن الفرد وفي كتابة اطلس الرجال واطلس النساء Atlas of men & Atlas of Women (١٩٥٤)

قام بالتقاط العديد من الصور من الناحية الامامية والخلفية والجانبية (البروفيل) لعدد كبير من الافراد من الجنسين في وضع ثابت وموحد بالنسبة لكل فرد امام آلة التصوير . وبهذا تجمعت لديه آلاف الصور . بدأ في تصنيف هذه الصور في ضوء مشاهدته للتباينات وشاركه في ذلك بعض الحكام ، واصبح هناك اجماع من الحكام على وجود سمات خاصة يمكن في ضوئها تقسيم هذه الآلاف من الافراد . تجمّع من هذه الدراسة ثلاثة تكوينات جسمية غير متداخلة ، هي : قسم سماه التكوين الداخلي Endomorphy ويتمثل هذا التكوين الجسمي في استدارة اعضاء الجسم ونعومة ملمس الجلد ، ويكون تكوين العظام والعضلات اقل من المعتاد ، وتكون الاحشاء الداخلية (خصوصاً المعدة والامعاء الدقيقة والغليظة) كبيرة في نموها وتكون مساحة السطح الخارجي للجسم اقل منها لدى التكوينين الآخرين وذلك بالنسبة لوزن الجسم . وينمو كل ذلك من الطبقة الداخلية للجاسترولا (*) gastrula وهي طبقة الاندودرم Endoderm .

(*) المعروف عقب تكوين البويضة المخصبة في داخل رحم الأم انها تنقسم بطريقة التضاعف الى ملايين الخلايا ، ثم تصطف الخلايا في ثلاث طبقات Layers وتعرف الطبقة الداخلية منها بالاندودرم ، والوسطى بالميزودرم ، والخارجية بالاكتودرم ، انظر) المنظومة المزاجية في الفصل الأول ، وانظر البعد التكويني في الفصل الثاني من هذا الكتاب .)

واطلق شلدون على التكوين الثاني ، التكوين المتوسط Mesomorphy ويتمثل في هذا التكوين سيطرة كل من العظام والعضلات ، ويتسم التكوين الجسمي بالقوة ، ويستطيع صاحبه بذل الجهد البدني القوي ، ويشيع هذا التكوين في المغامرين والرياضيين والجنود ، واستعيرت كلمة «المتوسط» اساساً من طبقة الميزودرم Mesoderm ، وهي الطبقة المتوسطة للجاسترولا . والتكوين الخارجي يتمثل في الافراد الطويلي القامة ، النحاف الجسم الضعاف العضلات ، وتكون مساحة السطح الخارجي للجسم اكبر منها لدى التكوينين الآخرين وذلك بالنسبة لوزن الجسم . كما يتسم التكوين بكبر حجم الجمجمة بما فيها من المخ ، ويبنى هذا التكوين من الطبقة الخارجية للجاسترولا المعروفة بالاكتودرم Ectoderm ، ويتسم هذا النوع بالحساسية الشديدة للمثيرات الخارجية ، ويرجع ذلك الى اتساع مساحة السطح الخارجي ويصعب على هذا النوع بذل الجهد العضلي او الجسمي .

وقام شلدون بتقسيم كل من التكوينات الثلاثة على سبع فئات يمثل ، الرقم (١) الحد الادنى من المكون (اندرومورفي– ميزومورفي – اكتومورفي) وتزداد الارقام حتى تصل الى الرقم (٧) وهو الحد الاعلى في التكوين . وبهذا يوضع الافراد وفق التكوينات الثلاث ، فقد يحصل فرد على الارقام الآتية ٧ – ٢ – ١ يعني هذا ان التكوين الاندومورفي لديه عال جداً ، في حين التكوين الميزومورفي قليل لحصوله على رقم (٢) ، في الوقت الذي يكون تكوينه الاكتومورفي في الحد الادنى حيث حصل على الرقم (١) . وهكذا تم تصنيف الافراد وفق هذه التكوينات وتشعباتها .

ثم قام شلدون بعد ذلك بمحاولة لتحديد السمات التي يتسم بها الانسان في ضوء استغراقه لقراءآت متعددة وابحاث كثيرة في الشخصية وقد جمع

مايزيد عن الـ(٦٠٠) سمة . وقام مع مجموعة من مساعديه باختصار هـذه السمات خصوصاً المتداخلة ووصل في هذه العملية الى تجميع السمات المتشابهة واصبح العدد في النهاية (٥٠) سمة ومن خلال تكتيك الملاحظة الدقيقة والمنظمة لمدة عام لعينة من طلاب الدراسات العليا خلال نشاطهم اليومي في الدراسة والترقية بالاضافة الى بعض المقابلات الكلينيكية المنظمة ، تم قياس كل فرد من افراد العينة وفق مقياس سباعي لكل سمة من هـذه السمات الخمسين ، وجمع السمات ذات الارتباط الموجب العالي معاً (لايقل معامل الارتباط عن ٠,٦) وتكون في الوقت نفسه ذات ارتباط سالـب بالتجمعات الاخرى من السمات الباقيـة (يكون ارتباطـاً سالباً قدره ـ٠,٣ في الاقل) . ومن خلال هذه التجمعات من السمات Cluster of traits افترض وجود متغير كامن وراء هذه المجموعة ، وهو مايسمى في الاحصاء بالعامل Factor ، ويعني هذا ان عملية التجميع هذه بطريقة التحليـل العاملي Factor analysis كشفت عن وجود ثلاث مجموعات رئيسة من السمات تشمل ٢٢ سمة من السمات الاصلية الخمسين .

التجمع الاول : Cluster one وتتضمن السمات الآتية :

١ ـ الاسترخاء في الوضع والحركة Relaxation in posture & movement
٢ ـ حب الراحة الجسدية love of physical comfort
٣ ـ رد الفعل البطيء Slow reaction
٤ ـ حب الحفلات المهذبة love of polite ceremony
٥ ـ المخاوف الاجتماعية Sociophilia
٦ ـ ثنائية تيار العواطف Evenness of emotional flow
٧ ـ التسامح Tolerance

٨ – الرضا Complacency

٩ – المزاج العنيف Untempered characterestics

١٠ – سهولة التواصل ، انبساط المكون الحشوي Easy communication fo feeling, extra version of viscerotonia

التجمع الثاني **Cluster two** ويتضمن السمات الأتية : –

١ – التوكيدية في الوضع والحركة Assertiveness of posture and movement

٢ – حب المغامرة الجسمية love of physical adventure

٣ – خاصية الحيوية والنشاط The energetic characteristic

٤ – الحاجة والأستمتاع بالتمارين Need and enjoyment of exercise

٥ – حب المخاطر ة والصدفة Love of risk and chance

٦ – الأسلوب الشجاع المباشر Bold directness of manner

٧ – شجاعة بدنية للمقاتلة Physical courage for combat

٨ – العدوانية التنافسية Competitive aggressiveness

٩ – الصوت المدوي (المجلجل) The unrestrained voice

١٠ – مظهر يتسم بزيادة النضج Over maturity of appearance

التجمع الثالث : **Cluster three** و يتضمن السمات الأتية : –

١ – التحفظ في الوضع والحركة ،التزمت Oestraint in posture and movement, tightness

٢ – ردود فعل سريعة ومبالغ فيها Overly fast reactions

٣ – حب الخصوصية love of privacy

٤ – التركيز العقلي ، الأنتباه الزائد الحدة ، الفهم والأستيعاب .
Mental overintensity, Hyperattentionality ,Apprehensiveness

٥ — السرية في المشاعر ، التحفظ الأنفعالي

Secretiveness of feeling, emotional restraint

٦ — التيقظ الواعي في تعبير العينين والوجه

Self-conscious mobility of the eyes and face

٧ — الخوف المرضي من المجتمع Sociophilia

٨ — الكف عن المخاطبة امام جمع من الناس .

Inhibited social adress

٩ — التحفظ في اخراج الصوت العالي والتحفظ العام ضد الضوضاء

Vocal restraint and general restraint of noise

١٠ — سلوك شبابي متعمد ومظهر شبابي

Youthful intentness of manner and appearance

السمات الثلاثون يكونون المقياس المختصر لشلدون ١٩٤٢

* The thirty traits constitute collectively the short form of the Sheldon's scale 1942.

اطلق شلدون على التكوين الذي يتسم بالمجموعة الأولى من السمات (العشر في المقياس المختصر ، والعشرين في المقياس الكامل) بالتكوين الحشوي Viscerotonia والتكوين الذي يتسم بالمجموعة الثانية من السمات (العشر في المقياس المختصر ، والعشرين في المقياس الكامل) بالتكوين البدني Somatotonia . والتكوين الذي يتسم بالمجموعة الثالثة من السمات (العشر في المقياس المختصر ، والعشرين في المقياس الكامل) بالتكوين المخي Cerebrototonia .

(*) توجد ثلاثون سمة أخرى تكمل المقياس الأصلي ، بحيث يشمل كل تجمع عشرين سمة ، ولكن السمات الثلاثين المنتقاة في المقياس المختصر تكفي لغرض التصنيف Taxonomy

اعتمد شلدون في دراساته المستفيضة في التكوين الجسمي وفي السمات المزاجية على المنهج الاستقرائي Inductive method .والاستقراء كما هو معروف Induction كان من وضع فرانسيس بيكون Francis Bacon (١٥٦١ – ١٦٢٦) وكان رداً على المنهج الاستنباطي Deductive method الذي كان سائداً منذ ارسطو . !«ويعتمد الاستقراء على الوصول الى القانون العام للظاهرة بالانتقال من دراسة الخصائص الجزئية وصولاً الى التعميم / / فعلى سبيل المثال اذا قلنا ان الذهب يتمدد بالحرارة، والحديد يتمدد بالحرارة، والرصاص يتمدد بالحرارة ... نخلص من ذلك الى قانون عام مؤداه المعادن (الفلزات تتمدد بالحرارة) . وهذا عكس الاستنباط الذي يبدأ من قضايا كلية ليصل الى الجزء . وفي المثال السابق نفسه يمكن ان نقول ان المعادن (الفلزات تتمدد بالحرارة) ، الذهب معدن(فلز) اذ الذهب يتمدد بالحرارة».

والنمو من وجهة نظر شلدون يتم وفق الاستعدادات البايولوجية ،وهذه الاستعدادات تؤدي الى الاشكال المتميزة في السلوك . ومع اعتراف شلدون باللاشعور كأحد محددات السلوك يعده نتاجاً للعوامل البايولوجية ، واذا ماتفهّم الفرد استعداداته البايولوجية فانه يتمكن حينذاك من تفهم المؤثرات اللاشعورية التي توجه سلوكه .

كذلك قام شلدون بدراسات مستفيضة للبحث فيما اذا كان ثمة علاقة بين التكوين الجسمي والجناح ،وكذلك بين التكوين الجسمي والامراض العقلية ، وظهرت هذه الدراسات في كتابه «تنويعات في الشباب الجانح "Varieties of delinquent youth". ١٩٤٩ .

تقويم النظرية التكوينية (الجبلية) :

فجرت اعمال شلدون الكثير من المستغلقات امام الدراسات التي تلته في

ميدان الطب ، والانثروبولوجيا ، وعلم النفس . وقد اكدت النظرية التكوينية بصفة عامة ، الدور الحاسم للتكوين الجسمي في الشخصية وكذلك من خلال فعل العوامل البايولوجية ، وفي هذا المجال تفوّق شلدون على كل من ابوقراط وكرتشمر ، وذلك بتخطيطه للمنهج الاسطاطالي الى المنهج الجاليلي ، اذ ركز على مفهوم السياقات contexts بدلاً من الفئات Categories . والمقصود بالسياقات تشكيلات النوع الواحد ، والمقصود بالفئات التجمعات المتمايزة والمنفصلة ، والمعروف عن المنهج الاسطاطالي تقسيمه الظواهر بالثنائيات Dicotomies ، فالرجال فئة والنساء فئة اخرى مختلفة ، والمبصرون فئة ، والمكفوفون فئة اخرى مختلفة ، وكذلك الأمر فيما يتعلق بالسواء والمرض وفي داخل كل فئة يتم استقراء شامل لعينات كبيرة عددياً بحيث يتم تجميع ماهو شائع (بالتكرار او التواتر) ويعبر عن ماهية الفئة ، ويتم ذلك غالباً عن طريق المنحنى الناموسي (التوزيع الاعتدالي) ويخلص المنهج الى ان لفئة الرجال خصائص مشتركة ، تتباين تماماً هي وفئة النساء ، كذلك الحال بين المبصرين والمكفوفين ، وبين السواء والمرض ، وبهذا تصبح الوقائع او الظواهر مجمعة في اكوام (صلاح مخيمر ، تصنيف الاعصبة ١٩٧٧) .

وقد تخطى المنهج الجاليلي هذا التصور بحيث يقوم هذا المنهج اساساً على استقراء ضيق وعميق (يمكن ان يتم على حالة واحده) اذ يعد الظواهر متماثلة ، فهي واحدة من حيث المبدأ وان تباينت في انتظاماتها وهي تقع على متصل واحد continuum وتعد هذه النقلة الكيفية لشلدون اضافة في علم القياس بالنهج الجاليلي ، وقد اكد ذلك في دراساته بالنسبة للطراز المختلط وهو الذي كان مهملاً في تصور ابوقراط وكرتشمر .

ومن ضمن المآخذ على النظرية الجيلية ، أو التكوينية صعوبة تصور ان خمسة المليارات انسان (تعداد العالم بالتقريب الآن)يمكن تقسيمها وفق تصور ابو قراط او كرتشمر الى ثلاث او اربع فئات متباينة ، الا انه لايمكن اتهام شلدون بهذا القصور اذ ان تبنيه للمنهج الجاليلي جعله يحصل انتشارات تربو على (٢١) غير تداخلاتها المتعددة وهي التي سماها (الانماط المختلطة).

يمكن ان يوجه نقد مهم لشلدون وهو ان معظم معاملات الارتباط لديه كانت عالية بدرجة قد توحي بتحيز الباحث نفسه ، وهو خطأ منهجي كان يمكن لشلدون ان يتخطاه ، كما ان مجرد وجود معامل ارتباط موجب مرتفع لايمكن ان نستنتج منه وجود ثمة علاقة سببية تفيد في التفسير . هناك نقد آخر يمكن توجيهه ايضاً وهو ان التكوين البدني قابل للتغير المستمر مع زيادة السن خاصة ، فالمعروف ان معظم الناس يميلون للسمنة بعد سن الاربعين مما يؤثر بالضرورة في نمط التكوين الجسمي عبر السنين .

٣ – العضوية : كيرت جولدشتاين Kurt Goldstein (١٨٧٨ – ١٩٦٥)

ولد جولد شتاين في المانيا عام ١٨٧٨ وانهى دراسته ليتخرج طبيباً بشرياً، عمل عدة سنوات مساعداً لبعض مشاهير الاطباء ثم عمل بالتدريس والبحث في مستشفى للطب النفسي ، وعين استاذاً للاعصاب والطب النفسي بجامعة فرانكفورت ، وخلال الحرب العالمية الاولى عين مديراً للمستشفى العسكري الخاص بالاصابات المخية للجنود . ولفت الانظار اليه وإلى كل العاملين في ميدان العلوم النفسية حين ظهر له كتاب بعنوان الكائن العضوي The organism عام ١٩٣٩ وقد اعاد هذا الكتاب للكائن العضوي «كليته» بعد ان كان ينظر اليه على أنه مجموعة افعال منعكسة (استجابات جزئية كردود أفعال لمثيرات (كما تطرح ذلك المدرسة السلوكية) . ويرجع اعادة بناء هذا

الكيان الكلي عضوياً الى الدرسات القيمة التي اجراها جولد شتاين على الجنود المصابين بتهتكات في المخ Brain Injured soldiers في الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ — ١٩١٨

وفي ضوء دراساته طرح عدة مفاهيم عن الوحدة والكلية والتفرد واثبت ان الدافع للوصول الى التكامل في هؤلاء المصابين يعد دافعاً متعالياً او «شامخاً» Transcendental ، وتعد وجهات نظره في كتاباته المتنوعة العديدة، بمثابة وضع برنامج لفهم الكائن العضوي اكثر من كونها نظرية بالمفهوم الشمولي الذي طرحه فرويد .

ويرى جولد شتاين في كتابه الكائن العضوي ان الظواهر التي توصل اليها كانت من خلال الاصابات المخية في القشرة المخية Cortex وذلك لسببين اولهما : الاهمية البالغة لسيطرة القشرة المخية على كل الاداءات والافعال الارادية للانسان Voluntary deeds ، وعليه فان اصابة هذه القشرة وما ينتج عن ذلك من مظاهر تسهم بقدر كبير في فهم السلوك الانساني وطبيعته . وثانيهما : ان تحليل هذه الظواهر يساعد في عرض واكتشاف قوانين عامة تفسر حدوث الاضطربات او الخلل في الوظائف التي تقوم بها هذه القشرة المصابة ، وتسهم هذه القوانين المكتشفة بدورها في تفهم وظائف الكائن العضوي .

والمعروف سابقاً وكما هو مطروح في دراسات سابقة كثيرة ، عن الاصابات في القشرة ، تشير كلها إلى فقد بعض الوظائف كفقد القدرة على الكلام ، او فقد البصر او عدم القدرة على الاداء الحركي : وقد غيرت دراسات جولد شتاين هذا التصور اذ وجد في كثير من هذه الحالات (اصابات القشرة المخية) ، ان الخلل نادراً ما يرتبط بأداء واحد ومحدد، ومن

ثم لا يمكن ربط الخلل بالاصابة ربطاً ميكانيكياً لأن الاصابة تؤدي إلى تغير كلي وموحد Holistic unitary يؤثر بالضرورة في مجالات واداءات متعددة ، ويعبر عن ذلك من خلال اعراض مختلفة Symptoms ، واصبح واضحاً من دراساته ان العلاقات بين الاداءات العقلية ، ومراكز محددة في المخ مسؤولة عنها تشكل مشكلة شديدة التعقيد ، ومن ثم رفض مفهوم المواقع المحلية localization .

ومشكلة المنهج methodology لها دلالة بالغة في الدراسات السايكوباثولوجية Psycho-Pathology وكذلك في الدراسات البايولوجية عامة . وفي وصف الاعراض لدى الكلاسيكيين في موضوع فقد النطق (الأفازيا Aphasia) نجد ان الاعراض التي يتصورونها عرض (اولي) تتمثل في عدم القدرة على النطق ، ويرجع السبب في ذلك إلى اضطرابات في الصور التي تمثل حركة الكلام ، واذا ارتبط الخلل في عملية الكتابة ، فان هذا الخلل الاخير يفسّر كنتيجة للخلل الحادث في صور حركة الكلام . وكذلك في حالة الصمم يفسره الكلاسيكيون بوجود خلل في الصور الحسية الخاصة بالكلام وتعد بمثابة العرض الاولي . ومن هذا العرض الاولي يحاولون شرح الاعراض الاخرى الموجودة في مثل تلك الحالات مثل البارافازيا (ما وراء عدم النطق) . وقصور هذا التصور يرجع إلى ما اعتاد عليه الاخصائيون من ايجاد علاقة مباشرة بين الاصابة والعرض ، بمعنى ان الاعراض تعد تعبيرات مباشرة للاصابة في مكان ما من الجهاز العصبي . يقول جولدشتاين «اننا نفعل ذلك لاننا ننسى ان الاستجابات السوية او غير السوية ما هي الا تعبيرات لمحاولة الكائن العضوي التعامل مع مطالب البيئة ، وحين يدخل ذلك في اعتبارنا تعدّ الاعراض حينذاك ظاهرة للذات Self-apparant (جولد شتاين ١٩٣٩) .

ويعني هذا ان الاعراض لأية اصابة ما هي الا اجابات يعطيها الكائن العضوي الذي تعدل لمطالب محددة . وبمعنى آخر فالاعراض تعد بمثابة ايجاد حلول لمشكلات مستخرجة من مطالب البيئة الطبيعية هذا من ناحية ، ومن الناحية الاخرى تعد الاعراض من المهام الخاصة المفروضة على الكائن العضوي في وقت الفحص .

ويلاحظ انه في كل يوم من ايام المريض المصاب حدوث انتقالات محددة من البيئة تسير جنباً إلى جنب مع كل نقص او عجز لديه . وهناك ميل من جانب الكائن العضوي لمنع بعض الاعراض من ان تكشف عن نفسها . والمهم جداً في تصور جولد شتاين ان بؤرة الانتباه إلى اعراض معينة قليلة او مختارة سيؤدي بالفاحص بالضرورة إلى عزل اعراض اخرى لها قيمتها ، من هذا يتضح التركيز الشديد من جانبه على مفهوم الكلية والديناميكية في عمل جهاز الشخصية لدى الفرد

وقد وضع جولد شتاين بعض القواعد النظرية مستقاة من مبادىء الجشطالت gestalt ، تلك المبادىء تركز الكليات Wholes والتنظيم Systematization والتبدل الوضعي Transposition وقد جمع هذه القواعد النظرية في ثلاثة مسلمات منهجية :

١ — لابد من النظر بعين الاعتبار لكل ما هو مطروح من جانب الكائن العضوي كما يتمثل في «زملة الاعراض» Syndromes .اذ لا يوجد عرض اهم من آخر والمهم ان يكون الوصف صحيحاً ، ولنترك مؤقتاً ولوقت تال امكانية وجود عرض اهم من آخر ، اذ ليس شرطاً ان يكون العرض البارز هو الاهم .

٢ ــ المهم ان يكون الوصف سليماً لهذه الاعراض ودقيقاً من جانب الفاحص. ومن الخطأ البين التركيز على مجرد الاثر الناتج عن الاصابة ، لان الاثر الناتج عنها قد يكون مضللا في علاقته بالوظيفة التي حدث فيها الخلل. ويمكن من خلال تحليل الاسباب لتلك الاثار الحادثة النجاح في فهم هذه الاعراض . ويحاول السيكولوجيون عادة تقديم تفسيرات ثنائية (ايجابية ، سلبية) وكأن العملية هي عملية جمع وطرح ، وكل ذلك من منطلق التفكير الفئوي Categorical thinking ، وهذا التقسيم على فئات مأخوذ عن النهج الارسطاطالي (وقد سبق شرح هذا المنهج في النظرية الجبلية) وقد تجاوز «جولد شتاين» هذا النهج واصبح منهجه اقرب إلى النهج الجاليلي الذي يفكر بلغة السياقات .

٣ ــ لا توجد ظاهرة بطريقة مجردة ، ويعني هذا ان الظواهر لا تلاحظ أو تفهم او تفسر الا بالرجوع إلى الكائن العضوي المعني وبالرجوع إلى الموقف الذي ظهرت فيه . ولا يكون الامر سهلا الا اذا اخذ بعين الاعتبار الكائن العضوي كله .

وهناك اعتراض على هذه المسلمات الثلاثة. الاعتراض الاول يمكن تلخيصه فيما يأتي :

اذا سلمنا بهذه المسلمات الثلاثة فلا يمكن للباحث آنذاك ان يحدد في اية لحظة متى ينتهي الفحص بحيث يتم التأكد من اكتماله !! ويرد جولد شتاين على هذا الاعتراض قائلا : «لا يمكن ان يكون الفحص كاملا مكتملا ، ولكن هناك خلاف كبير بين الطريقتين : بين الوصف المعتاد وتعداد الاضطرابات المنفصلة كما تتمثل في خلل الاداءات البصرية ، والاداءات اللغوية ، او الاداءات الحركية ، وفي رأي «جولد شتاين» ان طريقته موجهة نحو معرفة

الكل في سياقه ومن خلال هذا الاطار المرجعي يمكن تحليل العديد من اداءات الفرد الممكنة» . (ويتضح هنا النهج الجاليلي في تفسير جولد شتاين والنهج الارسطاطالي في تفكير مقدمي الاعتراض) .

وتكتيك «جولد شتاين» يتحاشى بالضرورة الكثير من الاخطاء حتى اذا لم يؤد إلى نتائج نهائية مرضي عنها . والنظرة الكلية الدينامية تمكن من تحاشي استنتاجات نظرية حاسمة ولكنها تعطي رؤية دينامية لتفاعل الكائن مع الموقف في ضوء تفاعل الاصابة والاعراض . وثمة اعتراض ثان مؤداه هو ان طريقة «جولد شتاين» تحدد بالقطع عدد الحالات التي يمكن دراستها اذ ان دراسة حالات كثيرة غير مكتملة لا تفيد على الاطلاق ، في حين أن دراسة حالة واحدة بطريقة سليمة ومؤكدة بالعمق والشمول اللازمين توصل إلى فهم القوانين التي تحكم الحالة ، ومن ثم يسهل على الباحث آنذاك ان تتم المجانسة (المماثلة) وحالات اخرى .

ويظهر ايضاً في هذا الرأي اتباع «جولد شتاين» للمنهج الجاليلي .

الركائز السيكولوجية للنظرية العضوية :

١ – الشخصية . سوية في طبيعتها وهي منظومة متكاملة من صيغ Configurations او اكلال (كليات) wholes منظمة ومتسقة ومتكاملة ، تعمل كوحدة ، واذا ما حدث اضطراب ما او خلل في اي جزء من هذا الكل ينشأ المرض او اللاسواء . وهذا الخلل لا يحدث الا من الظروف البيئية المادية والبشرية المهددة العنيفة من الخارج . ويظهر في هذه الركيزة الاولى تأثر جولد شتاين بفيلسوف الثورة الفرنسية (جان جاك روسو) الذي نادى في كتابه «آميل» «كل شيء حسن ما دام في يد الطبيعة ، وكل شيء يلحقه الدمار اذ مسته يد الانسان» .

٢ ـ الكائن العضوي The organism منظومة متسقة، «كل منظم» تتمايز داخله اجزاء ، ولا يمكن دراسة هذه الاجزاء اذا انتزعت من هذا الكل ، لان الجزء داخل الكل مرتبط به عضوياً . وتتحدد هويته بهذا الكل الذي ينتمي اليه ، والكل اكبر من مجموع اجزائه ، كما ان التنظيم جزء في المنظومة نفسها وليس خارجاً عنها . ويظهر في هذه الركيزة التأثر الواضح بمدرسة الجشطالت Gestalt التي نشأت عام ١٩١٢ في المانيا نفسها والتي اهتمت بظاهرة الادراك في مجال التعلم خاصة ، والتي وضعت قوانين الشكل والارضية والجشطالت الجيد الذي يتم عن طريق الغلق والقرب والتشابه . وهي نقيض المدرسة السلوكية التي تتبع منهجاً ذاتياً atomistic وتنطلق من مفهوم ميكانيكي (مثير — استجابة) ، وفعل ورد فعل ، والمعروف ان المدرسة السلوكية متأثرة بالنظرية الميكانيكية لنيوتن عالم الفيزياء المشهور، والغريب ان هذه النظرية قد أثرت في الفكر الانساني زهاء ثلاثة قرون (القرن ١٧، ١٨، ١٩) وتكلمت على الجذب والتنافر . وقد توارت عقب ظهور النظرية الديناميكية وبروز مفهوم اللاثوابت والصيرورة في ضوء النظرية النسبية لاينشتاين .

٣ ـ يحرك الكائن العضوي دافع واحد اساسي متعال وشامخ Transcendental سماه «جولد شتاين» دافع تحقيق الذات Self-realization وفكرة « الدافع الواحد» معبرة عن المفهوم الكلي للفرد .

في ممارساته الحياتية ، فالفرد يحاول دوماً تسخير كافة امكاناته في اتساقها وتناغمها وتكاملها ووحدتها لتحقيق ذاته في الحياة (*) .

٤ — وللكائن العضوي — اذا ما واجه ظروفاً صعبة كما في حالة المرض قدرة على ابدال الاداءات Substitute performances (اداءات بديلة) الناتجة عن الكائن الحي حتى يتحاشى المواقف الخطرة. فيتناول الفرد المريض الموقف المفروض عليه بتلك الاداءات البديلة للمحافظة على كيانه . وكثيراً ما يدهش الفرد لقدرة المريض الممتازة على فعل ذلك . وقد تبدو هذه الاداءات عديمة المعنى ،وقد لا تمت للموقف بصلة ، واحياناً تبدو للمريض غير مناسبة ، ولكنه سيكون أقل اضطراباً وقلقاً بممارستها مما لو اضطر لمواجهة الموقف الصعب امامه . ودلالة هذه الاداءات البديلة لا تكمن في محتواها بقدر ما تكمن في قدرتها على تحاشي الكارثة المحيقة به . ومن ثم تعد بمثابة النبع الاخير له لمواجهة الموقف ، فهي على الاقل تجعله على علاقة ما بالبيئة من حوله بطريقة او اخرى . ويمكن مع بعض التبسيط غير المخل ان تعد الاداءات البديلة هنا وكأنها ميكانزمات للدفاع كما طرحها فرويد .

٥ — يوجد اشكال معينة من السلوك الداخلي يمكن عدها مهمة بالنسبة للكائن العضوي لدلالتها بالنسبة لطبيعته ، كما ان هناك بعض اشكال اخرى من السلوك يمكن عدها اكثر اهمية لانها تقاوم اثر الاصابة او المرض .

(*) رغما عن تأثير النظرية العضوية بمدرسة الجشطالت الا أنها تتباين معها في ان الأولى، تركز في الأساس على ما هو قائم من امكانات اصيلة في الكائن نفسه اذا ما اتيحت لهذه الامكانات ان تنفتح في تفاعلها مع الظروف البيئية والأجتماعية المناسبة يتحقق للفرد حالة السواء . والتباين مع الجشطالت يكمن في ان نظرية الجشطالت نظرية لا تاريخية Ahistorical وتنطلق من (هنا والان) مهملة الى حد ماتراكم الخبرة السابقة وامكانات الفرد الأصيلة فيه .

اي ان للكائن العضوي نوعين من الاداءات : اداءات واعية ارادية تتمثل في الفعل ، واداءات اوتوماتيكية ذات اهمية خاصة ، وهذا النوع الاخير سماه «جولدشتاين» غريزة المحافظة على الذات »

The instinct of self preservation

وتبرز هذه الغريزة في حالات المرض خاصة .

٦ — يميل الكائن الحي في حالات المرض — في اوقات اليقظة خاصة — إلى شغل وقته بأي شيء وتكون اداءاته بصفة عامة نمطية ، وتتضمن تغيرات قليلة . ويعني هذا ان المريض ليس كسولا متبلداً ولكنه يجب ان يعمل شيئاً باستمرار داخل حدود قدرته على الاداء ، والعمل هنا يعد هروباً يحميه من مواقف خطرة في البيئة ، اي ان الانشغال بالعمل او بأي نوع من الاداء المتكرر يساعد الكائن العضوي على الهروب من مشكلاته . وهناك ميل من جانب المريض نحو التنظيم ، فقد لاحظ «جولدشتاين» ان المرضى باصابات في المخ يتحاشون المواقف المزعجة ويمكن ان يصبحوا متعصبين ازاءها . ويذكر «جولدشتاين» ان الكثير من مرضى التهتك المخي اللذين كانوا تحت رعايته وملاحظاته عدة سنوات ، كانوا يحفظون دواليبهم في حالة نموذجية من النظام والنظافة . وكل شيء في مكانه منظم مرتب حتى ان المريض يستطيع بسرعة فائقة الحصول على مايريد . وبمعنى آخر كل شيء «منظم» من وجهة نظر المريض ، واذا ماوضعت بعض الاشياء بدون نظام وبطريقة عشوائية على منضدة مثلاً ولاحظ المريض ذلك فانه يقوم فوراً بتنظيمها وترتيبها فيضع الاشياء المتماثلة متلاصقة (ملاعق ، شوك ، سكاكين ...الخ) .

بعض المفاهيم الاساسية لدى «جولد شتاين» :

١ ـ تحقيق الذات Self-realization

طرح «جولد شتاين» هذا المفهوم باعتباره الدافع الوحيد ، وكل مايقال عن دوافع اخرى فسيولوجية كانت او نفسية او اجتماعية (جوع ، عطش، جنس ، أمن ، انجاز ...الخ) كلها ماهي الا مظاهر لهذا الدافع الوحيد ، وتحقيق ذات الانسان بالقدرة على العطاء واثراء الحياة ، ويشابهه في هذا الفهم ماطرحه ماسلو من دافع تحقيق الذات ايضاً .Self-actualization

ولكن بالنسبة لماسلو يقع هذا الدافع في قمة هرم اشباع حاجات الفرد .

٢ ـ التعادلية Equilization

طرح «جولد شتاين» هذا المفهوم متأثراً في ذلك بالفلسفة الوضعية (الفلسفة العلمية التي سادت القرن التاسع عشر) ، عصر ازدهار الصناعة وبروز مفهوم الطاقة . وخلاصة هذا المفهوم أن هناك قدراً ثابتاً من الطاقة تتوزع بانتظام داخل الكائن الحي . وهذا التوزيع الثابت والمنظم يؤدي الى «مبدأ الثبات» وهو الحالة الطبيعية للكائن . اذا حدث توتر ما (سواء أكان فسيولوجيا او سيكو لوجيا) وسواء اتى هذا التوتر نتيجة منبهات خارجية او داخلية فانه حتى يتم خفض هذا التوتر او ازالته فان جزء من الطاقة يتحول للاستجابة او للمواجهة ، وعقب ازالة التوتر والوصول الى مرحلة الاشباع ، تعود الطاقة مرة أخرى وتتوزع بنفس النظام السابق مؤدية الى مبدأ الثبات حتى يحدث موقف آخر يؤدي الى توتر ما وهكذا . ومن ثم يسعى الكائن العضوي دائماً للتعادلية» * .

(*) لا حظ التباين بين هذا المفهوم وماطرحه فرويد من مفهوم اشتهاء المثير بمعنى السعي وراء التوتر .

٣ – التوافق والبيئة Adjustment with the enviroment

البيئة مصدر للاضطراب وهي مصدر للاشباع وفي كلا الحالين تفرض نفسها على الكائن العضوي . ومن ثم فعليه ان يتوافق معها ولا يدخل في صراع عن طريق الاصطدام حتى يصبح سوياً واذا ماتمت الاصابة او الصدام اختل النظام في الكائن العضوي وانتحى نحو المرض .

تقويم النظرية العضوية لجولد شتاين :

لهذه النظريات ايجابيات كثيرة رغماً عن وجود بعض السلبيات بها . ويمكن تلخيص ايجابيات النظرية في النقاط الآتية : –

١ – تعد هذه النظرية من النظريات المتفائلة بالنسبة لطبيعة الانسان فهي تؤكد ان الكائن العضوي (الانسان) يتمتع بامكانات التفوق والاصالة وتخطي الصعاب، واذا ماحدث الاضطراب او الخلل فانه يكون مفروضاً على الكائن من الخارج نتيجة لظروف بيئية او اجتماعية سيئة .

٢ – التفكير في هذه النظرية يتم بلغة السياقات Contexts بدلاً من لغة الفئات categories ، وبهذا يكون جولد شتاين قد تخطى المنهج الارسطاطالي وتجاوزه الى المنهج الجاليلي .

٣ – الفهم الكلي للشخصية يتطلب منهجاً كلينيكياً وبخاصة الدراسة المتعمقة للحالات (تاريخ الحالة) في تفاعلاتها ودينامياتها ، ويؤدي هذا الى كشف وفهم القوانين التي يعمل بمقتضاها الكائن العضوي بوصفه كلاً موحداً ، وبذا يصبح الكائن الهدف والوسيلة في الوقت نفسه .

٤ – ترفض النظرية فكرة التجزئة وفكرة الميكانيكية في السلوك ، وبذا تكون قد تخطت عيوب المدارس السلوكية القديمة والحديثة .

اما السلبيات التي تواجه بها النظرية فيمكن تلخيصها فيما يأتي : ـ

١ ـ رغماً عن مفهوم الوحدة والكلية الذي طرحه «جولد شتاين» ، ورغماً عن تجاوزه لمدرسة الجشطالت التي تطرح مفاهيم الكلية ايضاً مع انها تتناول قضايا جزئية نفسية كالادراك والتعلم وخلافه ، فان النظرية العضوية وقعت في الخطأ نفسه ، اذ انها ومن نفس المنطلق تكلمت عن الكائن ككيان كلي موحد ، واهملت الى حد واضح تفاعله المستمر والمتبادل مع البيئة بمعطياتها ، حيث يشكلان معاً (الانسان ، البيئة) الوحدة الكبرى وهذا الربط العضوي بينهما ، وكذلك هذا التكامل بينهما لم يوليه «جولد شتاين» الاهتمام الواجب .

٢ ـ تأكيد العوامل الداخلية كالنضج والتطور والوظائف الفسيولوجية ، واغفال الجانب المكتسب بالممارسة والخبرة والتعلم ، واهمال البعد الثقافي والتاريخ الحضاري للكائن الحي (الانسان) ، ويعدّ هذا بمثابة سباق الجري على ساق واحدة . فالمعروف ان كل هذه العوامل المغفلة تؤثر بدورها في عمليات النضج والتطور وفسيولوجيا الجسم بل واعضائه ، اذ ان العلاقة بين الانسان والبيئة بكل معطياتها من ثقافة وحضارة وتاريخ تؤثر كيفياً في الانسان فتطوره ، كما يؤثر هو فيها فيغيرها اي ان الانسان مغيّر ومتغيّر . (عزيز حنا داؤد ، التربية النضالية ١٩٨٧) .

٣ ـ هاجم بعض السيكومتريين (علماء نفس القياس) عدم التزام «جولد شتاين» بمفهوم التواتر (التكرار) والمنحنى الناموسي واستخدام الاساليب الاحصائية ...الخ من ادواتهم . ولكن لايعاب على جولد شتاين هذا فمنهجه كلينيكي ودراسته كيفية وليست كمية ، وهو غير ملزم بأن

يتبع المنهج السيكومتري اذ ان وسيلته الاساسية هي دراسة الحالات بعمق ، ودراسة الحالة هي الاداة الاساسية للمنهج الكلينيكي .

٤ – هناك نقد أخير يمكن ان يوجه الى «جولد شتاين» وهو ان معظم دراسته كانت على المرضى المصابين بتهتكات في المخ نتيجة الحرب العالمية الثانية ، واذا كان قد توصل الى فهم للقوانين التي تحكم السلوك ، فقد يمكن ان لاتنسحب هذه القوانين على الاسوياء ، ونفس النقد كما سبق وذكرنا كان قد وجه الى فرويد الذي قد توصل الى مفاهيمه في الشخصية عن طريق دراسة مرضاه من الطبقة الوسطى التي سبق وذكرنا انها عادة ما تعاني من قضايا جنسية .

الا ان «جولد شتاين» يرد على هذا النقد بقوله ان السواء لايعرف الا من خلال المرضى ، كما ان المرض لايعرف الا من خلال السواء، فالانسان بلغة السياقات هو هو سواء اكان مريضاً ام سوياً .

٤ – السمات (جوردن اولبورت) Gordon Allport

ولد جوردن عام ١٨٩٧ كان والده طبيباً وكان جوردن اصغر اخوته الاربعة ، لم يكن يشارك اخوته العابهم بحكم صغر سنه بالنسبة لهم ، كما كان منعزلاً عن الاطفال الآخرين ، وكان يحلو له أن يصنع دائرة نشاطاته وممارساته بنفسه ، وكان يصرح احياناً بأنه لايشعر بالانسجام مع الاطفال الآخرين .

اتم دراسته الباكرة في كليفلاند بولاية اوهايو . شجعه اخوه فلويد على الدراسة الجامعية فدرس الاقتصاد والفلسفة ثم عكف على دراسة علم النفس في جامعة هارفارد وحصل على الدكتوراه عام ١٩٢٢ . قام بالعديد من الدراسات في المانيا وانكلترا واكتسب عمقاً واتساعاً في التفكير والخبرة.

وكي نفهم افكار جوردن اولبورت لابد من تقسيمها الى قسمين :—

١ — مجموعة الدراسات والابحاث والكتب التي انتجها في الثلاثينيات وحتى منتصف الخمسينيات .

٢ — مجموعة الدراسات والابحاث والكتب التي انتجها في اواخر الخمسينيات وخلال الستينيات وبالتحديد من عام ١٩٥٨—١٩٦٢ .

ويتضح في هذه الاعمال الاخيرة تغير واضح في موقفه السابق ،اذ عدّل في كثير من افكاره مما يدل على عمق النظرة وثراء الخبرة والمزيد من النضج العلمي .

وبالنسبة للمجموعة الاولى يعدّ كتاب «الشخصية تفسير سيكلوجي» من اروع كتبه Personality, A Psychological interpreation (١٩٣٧) ويقول عنه شولتز Schoultz ان ميدان الشخصية لم يصبح جزءاً رئيساً في علم النفس الا بعد ان نشر اولبورت هذا الكتاب القيم ، ويقول لازروس Lazarous ان جوردن اولبورت هو عميد سايكولوجية سمات الشخصية بلا منازع .

بالاضافة الى هذا الكتاب له مجموعة دراسات مهمة عن الحركة التعبيرية بالاشتراك مع فرنون Studies in expressive movement ١٩٣٣، وسيكولوجية الراديو بالاشتراك مع كانترل Psychology of radio ١٩٣٧، وسيكولوجية الاشاعة بالاشتراك مع بوستان The psychology of rumer ، والفرد وديـنه The individual and his religion ١٩٥٠ ، وطبيعة التعصب The nature of prejudice ١٩٥٤ ، والصيرورة : اعتبارات اساسية في سيكولوجية الشخصية Becoming:Basic considerations for a psychology of personality ١٩٥٥ .

ومن الاعمال الحديثة له في القسم الثاني من حياته هذه الاعمال :ـ

١ ـ مقال بعنوان : «اي الوحدات سنستخدم ؟ في تقويم دوافع الانسان
What units shall we employ? in the Assessment of Human Motives ١٩٨٥ .

٢ ـ مقال بعنوان : المنظومة المفتوحة في نظرية الشخصية ، مجلة علم نفس الشواذ مجلد عام ١٩٦٠ The open system in personality theory

٣ ـ كتاب «النموذج والنمو في الشخصية عام ١٩٦١
Pattern and growth in Personality

٤ ـ ومقال بعنوان : العام والفريد في علم السيكولوجيا بمجلة الشخصية مجلد ٣٠ عام (١٩٦٢) .
The general and the unique in psychological science

سوف نعالج في الجزء الاول من نظرية السمات الركائز الاساسية مما طرحه خلال دراساته وبحوثه المنصوص عليها في القسم الاول في الاعوام مابين ١٩٣٠ ـ ١٩٥٥ ، ثم نعرض بعد ذلك التعديلات الكيفية التي ادخلها على تصوره الاول في الاعوام (١٩٥٩ ـ ١٩٦٢) .

تصور اولبورت في المرحلة الاولى عن الشخصية :

١ ـ يقوم التصور على اساس من الفهم الكلي الكيفي
Qalitative holistic understanding ، ومن ثم ويرفض المنطق التحليلي الذراتي (المدرسة السلوكية) ، ويتضح في هذا التصور تأثر اولبورت بمدرسة الجشطالت .

٢ ـ للعوامل البايولوجية التكوينية دور مهم في تفرد الشخصية ثم تفرد السلوك .

٣ – يفترض اولبورت وجود استعداد مستقل عن الظروف الخارجية ،وهو مستقل ايضاً عن ظروف التعلم ، وعن الظروف البيئية المادية والاجتماعية ، (الشخصية تفسير سيكولوجي ١٩٣٧) وقد تغير هذا التصور لديه في عام ١٩٦١ .

٤ – يتسم السلوك الناتج عن الشخص بالثبات والوحدة رغماً عن تعقيد السلوك ويتضح من خلاله تفرد الشخصية (تغير هذا التصور ايضاً في ١٩٦١) .

٥ – السمات Traits هي الحقائق النهائية للتنظيم السيكولوجي ، والسمة لها اكثر من وجود اسمي ، فهي مستقلة عن الملاحظ ، وهي هناك حقيقة ، كما انها تعدّ القوة الدافعة للسلوك (*)

٦ – الشخصية متغير داخلي intervening variable ، او تكوين فرضي hypothetical construct ، بين الفرد وبيئته الفيزيقية والنفسية ، فهي كيان مستقل بايولوجي التكوين ، وفي ضوء هذا التصور قدم اولبورت هذا التعريف : «الشخصية هي ذلك التنظيم الدينامي في داخل الفرد ، لتلك المنظومات السيكوفيزيقية التي تحدد اسلوبه الفريد في التوافق مع بيئته «(الشخصية ١٩٣٧) . والمقصود بالتنظيم الدينامي وجود تفاعل مستمر ومتبادل بين اجزاء هذا التنظيم ،والمقصود بالمنظومات السيكوفيزيقية هو وجود العقل والجسم : العقل يعني به الجانب النفسي ، والجسم الجانب الفيزيقي . ولكنهما يعملان في تناغم كوحدة واحدة . ويعني التوافق مع البيئة ، ان الشخصية يمكن ان تتشكل وفق المواقف البيئية كي تتوافق مع تلك

(*) السمات عند اولبورت تقابل الحاجات عند « موراي» والغرائز عند « فرويد» .

المواقف ، ولكن يتم كل ذلك من الجانب الداخلي للشخصية اذ يتم التركيز على التفاعل الدينامي بين مكونات الشخصية الداخلية .

٧ – الجانب اللاشعوري في الشخصية لايؤدي دوراً مهماً في الاقل في شخصية الراشد السوي ، اذ ان الراشد السوي ينجز وظائفه وانشطته بأساليب عقلانية واعية مدركاً للكثير من المؤثرات التي تحركه (وهنا يختلف اولبورت عن فرويد) .

٨ – ان الحاضر هو الاهم بالنسبة للشخصية ، والكائنات البشرية ليست سجينة صراعات الطفولة وخبراتها . فالحاضر هو الذي يوجه اكثر من فعالية الماضي (هنا يختلف ايضاً عن فرويد) .

٩ – اهتم اولبورت بدراسة الشخصية بالمنهج الاديوجرافي (المنهج الفردي) Idiographic وتتسم الدراسة في هذا المنهج بالعمق والشمول لحالة واحدة فريدة ومتميزة ، وهذا المنهج طبيعي في تناول الحالات بالطريقة الكلينيكية ، وهو يختلف عن المنهج الناموسي Nomothetic الذي يهتم بدراسة اجزاء معينة مشتركة على عينات كبيرة من الافراد ، كي يصل الى القانون العام لاداء الفرد ، والمهم في كل الاحوال هو عنصر «التواتر» او التكرار ازاء الظاهرة المراد دراستها التي تتوزع عادة وفق المنحنى الاعتدالي (الجرسي ، الناقوسي) . ويعارض اولبورت دراسة الشخصية من خلال البيانات المتجمعة ، ولا يهتم بما هو شائع بين الافراد اذ يتم التركيز على التفرد في الشخصية ، ومع انه يسير هنا في منهج فرويد الكلينيكي الا انه يختلف عنه في تصوره عن السواء والمرض او السواء والشذوذ اذ يعتبر اولبورت انهما فئتين متباينتين ويوضح هذا تأثره بالمنهج

الارسطاطالي الذي يجمع الظواهر في صورة فئات (كما سبق ان ذكرنا في هذا الفصل) .

كما يشير اولبورت ايضاً الى ان الطفولة تتباين هي والرشد بنفس النظرة الفئوية في الوقت الذي يعدهما فرويد سياقاً واحداً ، كما سبق ان ذكرنا ايضاً لان هذا هو النهج الجاليلي الذي يفكر بلغة السياقات .

١٠ — يعارض اولبورت الاستعارة من العلوم الطبيعية ،ويرفض التجريب واجراء الممارسات المعملية (المختبرية) ، اذ يدعو دائماً لفصل العلوم الانسانية عن العلوم الطبيعية ،وفصل المنهج المستخدم في كل منهما. والشخصية في تصوره لايمكن فهمها او دراستها بايجاد القوانين التي يمكن ان تفسرها ، بل يمكن فقط فهمها عن طريق دراسة الحالة وفي هذا يتفق تماماً مع فرويد .

المفاهيم الاساسية عند اولبورت : —

السمة : Trait

يعدها اولبورت الوحدة الطبيعية natural unit لوصف الشخصية ، وقبل صدور كتابه المشهور عام ١٩٣٧ ، قام في عام ١٩٣٦ مع اودبرت Odbert بتجميع عدة آلاف من الكلمات ترمز الى السلوك الناتج عن الناس (تزيد على ١٧ ألف كلمة) صنفها واختصرها ، وازال منها الكلمات التي تمت الى حالات مزاجية مؤقتة ، ومتشابهة ،واستبعد ايضاً الكلمات التقويمية (ذات المعيار الحكمي) ، وبقى لديهما حوالي ٤٥٠٠ كلمة كلها قاصرة على وصف السلوك .

وفي الكتاب المذكور اعلاه ، تعد السمة منظومة نفس عصبية تخص الفرد . هذه المنظومة القدرة على نقل العديد من المنبهات المتعادلة من الناحية الوظيفية ، وتهدف الى التعبير عن السلوك التوافقي ، وهي موجودة داخل الشخصية ، وقد أكد البورت ان السمات تكون متكاملة في الشخص (منظومة) — وليست من خيال الملاحظ — وهذه المنظومة يمكن ملاحظتها من الخارج عن طريق السلوك، فسمة العدوان مثلاً تلاحظ من خلال سلوك الفرد العدواني .

في البداية قسم اولبورت السمات على عامة وخاصة : والعامة هي التي يشترك فيها جمع من الناس في اية ثقافة ، وهي تجريدات abstracts تعكس ماهو شائع من مفاهيم وافكار وعادات وقيم اجتماعية ، وهي خاضعة للضغوط الاجتماعية لمسايرة الفرد لها . هذا النوع من السمات لم يوله اولبورت اهتماماً ، ومن ثم لايعدها سمات اساسية . اما السمات الخاصة (الفردية) فقد اطلق عليها مصطلح « استعدادات شخصية » Personal dispositions وهي منظومات نفسية عصبية تعمل على تحريك السلوك وتوجيهه في اتجاه ما . ويمكن بالملاحظة الدقيقة لفترة زمنية طويلة لسلوك شخص ما ، ان يلاحظ هذا الانتظام في طريقة استجابة الفرد للمنبهات المختلفة في المواقف المتشابهة والمتباينة في ضوء مؤثرات بيئة الشخص وثقافته. وقام بتقسيم هذه السمات على ثلاث مستويات :

١ — المستوى الاول والاعمق وبه سمة واحدة خاصة بالفرد — ليس بالضرورة كل فرد — تسمى سمة « قلبية » Cardinal trait وتتسم بالشمولية والعمومية ، وهي توجه الشخص وتسيطر على سلوكه ، وكأنها الحاكم الآمر الناهي بالنسبة للشخص ، مثل سمة

السادية Sadism (التلذذ بايذاء الآخر والاستمتاع بذلك) ، والمازوشية Masochism (التلذذ بالايذاء من الآخرين والاستمتاع بذلك) .

٢ ــ المستوى الثاني وبه مجموعة من السمات قليلة العدد نسبياً (من ٥ــ١٠) على الأكثر ، وتتضمن خصائص سلوك هذا الفرد ويتكرر التعبير عنها في مواقف متباينة ، وتسمى بالسمات المركزية Central traits وتخلع على سلوك الفرد مثل : العاطفي Sentimental والعدواني Aggressive والساخر Ironical .

٣ ــ المستوى الثالث وبه مجموعة كبيرة من السمات الثانوية Secondary traits لايسهل ملاحظتها الا بالمعايشة مدة طويلة (في داخل الاسرة الواحدة) او الاصدقاء المقربين .

ويمكن تجميع محددات السمات لديه في النقاط :

١ ــ السمة اكثر عمومية من العادة habit ولها أكثر من وجود اسمي لانها موجودة في داخل الشخصية .

٢ ــ تؤدي السمة دوراً دينامياً ، وهي منفردة (مستقلة) ومتفاعلة هي وغيرها من السمات التي تدفع السلوك .

٣ ــ يمكن ملاحظة نتائج السمة وقياسها بالوسائل السيكومترية العادية ، (يمكن قياس السلوك الانطوائي الذي يعبر عن سمة الانطواء ، ويمكن قياس السلوك العدواني الذي يعبر عن سمة العدوان وهكذا) .

٤ ــ قد ينتج عن الفرد انواع غير متوقعة من السلوك في ظروف خاصة ، تناقض مايوصف به عادة من سمات ، فقد نجد الشخص المتسامح في مواقف كثيرة ، جامداً متصلباً في موقف ما ، وقد نجد الشخص العدواني في مواقف كثيرة عطوفاً في موقف معين وهكذا .

٥ ــ تعد السمات مفاهيم لوصف السلوك ،وليست مفاهيم لتفسير السلوك.

ويضيف بيشوف Bishof عام (١٩٦٤) في كتابه «تفسير نظريات الشخصية» Interpreting personality theories اضافات لهذه المحددات من وجهة نظر اولبورت تتمثل في ان مفهوم السمات بوصفها وحدات Units يساعد على تفسير الثبات الذي تتسم به الشخصية ، ويمكن للسمات المكتسبة ان تصبح وحدات اساسية دافعة ويؤدي هذا الى مدخل جديد قدمه اولبورت تحت مفهوم الاستقلال الوظيفي ويعد مفهوماً مهماً من المفاهيم الاساسية عند اولبورت .

الاستقلال الوظيفي : Functional autonomy

يعبر هذا المفهوم عن سلوك مايؤديه الكائن لتحقيق هدف معين ، او لمواجهة موقف خاص ، وهذا السلوك نفسه يمكن ان يصبح هدفاً في حد ذاته بعد ذلك . وبمعنى آخر ان هناك ميلاً لدى الكائن لممارسة سلوك معين حتى اذا غاب المبرر الاصلي لاداء هذا السلوك .

ويقسم اولبورت هذا المفهوم على نوعين :

١ــالاستقلال الوظيفي الذاتي المثابر Persevative Functional autonomy

هذا السلوك متواجد في الانسان والحيوان على السواء (خصوصاً الثدييات) ، ويتضح هذا النوع من السلوك في الكثير من الاداءات والايقاعات الحركية المتكررة ، وكأنها افعال منعكسة بدون المثير ، فقد لوحظ في احد التجارب على فئران في متاهة انها كانت تحاول مسرعة اجتياز المتاهة للحصول على الطعام في نهاية الممر لاشباع حالة الجوع لديها . وبعد ان تم اشباع حالة الجوع ، كانت الفئران تحاول مسرعة ايضاً اجتياز المتاهة ليس للحصول على

الطعام لانها اشبعت فعلا ، ولكن تكرار السلوك هنا يدل على انه ليس غائياً الا اذا اعتبرنا ان التسلية غاية في مثل هذه الحالات . والمقصود من وجهة نظر اولبورت ان السلوك لم يعد يحقق هدفاً بايولوجياً (اشباع الجوع ، ولم يحدث له انطفاء) extinction

٢ ـ الاستقلال الوظيفي الجوهري Propriate Functional autonomy

يعد اولبورت النوع الثاني من السلوك منظومة مفتوحة open-system والتنظيم داخل هذه المنظومة على مستوى ارقى من النوع الاول من السلوك. وتعد هذه المنظومة بمثابة القوة الدافعة الكامنة لما يكون قد تم اكتسابه من اهتمامات (ميول) interests ، واتجاهات attitudes ، وعواطف sentiments ، وقيم values . وبمعنى آخر كل ما تم استدخاله في الفرد واصبح نمطاً فريداً للفرد. وقد اطلق اولبورت على هذا النوع من السلوك في كتابه الصيرورة Becoming عام ١٩٥٥ اسم الدوافع الجوهرية Propriate motives الانا او الذات Ego or self.

يستخدم اولبورت هذين المصطلحين بطريقة مترادفة . وسبب الترادف يرجع إلى انهما مفهومان غير محددين بوضوح ، الا انه يعتقد ان بعض الافكار ، او الافعال ، اكثر قدرة في كشف الذات او الانا من غيرها ، وموضوع الذات يفتح الباب واسعاً امام الكثير من القضايا الجدلية (الخلافية) التي تتصل بطبيعة الانسان وطبيعة الروح والعقل ، ومفهوم الحرية والقهر ، والخلود .... الخ . ويرى اولبورت ان هذه الصعوبات لا ينبغي لها ان تغفل هذا المفهوم لمجموعة من الاسباب : ـ

١ – المعيار الوحيد الصادق لوجود الشخصية ووحدتها يكمن في واقع الامر باحساسنا بذواتنا .

٢ – تبقى كل نظريات التعلم ونظريات الدوافع قاصرة ، اذا لم تستطع الكشف عن مفهوم الذات في الشخصية ، لانها هي التي تتعلم وهي التي تدفع بالشخص نحو غاياته .

٣ – يكمن الدور الاساس في علم النفس في تقديمه فكراً واقعياً محكماً عن معنى الذات ، اذ يسهم في ان تتبلور من خلاله الرؤى الفلسفية .

ويختلف مفهوم الذات عند اولوبرت عن المفهوم المطروح عند فرويد. فالذات او الانا جزء من عملية دينامية ذات قوى ايجابية ، تؤدي دوراً في توحيد جميع عادات وسمات واتجاهات ومشاعر ونزعات الشخصية ، ولكنها في مفهوم فرويد منبثقة عن «الهو» وتحاول التوفيق بين الهو الساعي لتحقيق مبدأ اللذة ، والانا العليا الساعية لتحقيق المبادىء الاخلاقية ، محققة تناغماً مع مبدأ الواقع .

وقد اقترح اولبورت مفهوماً بديلا لكلمتي «الانا» او «الذات» سماه « الجوهر » Proprium ، ويعني به جميع وظائف الذات او الانا وتتضمن الاحساس البدني ، وهوية الذات ، وتقدير الذات ، وامتداد الذات، والتفكير المنطقي ، وصورة الذات والكفاح الجوهري ، والوظائف المعرفية . و «الجوهر» لا يولد مع الانسان ولكنه ينمو مع الوقت ففي الثلاث سنوات الاولى من حياة الفرد ينمو «الجوهر» بالاحساس ببدن الطفل (الاحساس بالجسم) ثم الاحساس بالذات (اسم الطفل) . ثم نجاحات الطفل في المشي والكلام وهو ما يعبر عنه بتقدير الذات self-esteem ، وتتطور

بقية المظاهر بعد ذلك ، حتى اذا ما وصل الفرد إلى مرحلة المراهقة يكون «جوهره» قد اكتمل ويعمل من خلال الشخصية بطريقة فريدة ومتميزة.

الدافعية : Motivation

يعد اولبورت هذا المفهوم من اعقد المفاهيم في علم النفس بعامة وفي الشخصية بخاصة . وعن معظم النظريات التي تتناول الدافعية نظريات قاصرة وغير مكتملة بما فيها نظريته هو ، ووضع اربعة مطالب يرى ضرورة توافرها لاية نظرية في الدافعية : —

١ — المطلب الاول . ان تعترف النظرية بالوضع الراهن للدوافع اي ان الدوافع تعمل «هنا والآن» ، وبمعنى آخر إنه يرفض مفهوم الدافعية المنبثق من الماضي .

٢ — المطلب الثاني . يتناول هذا المطلب ان تركز النظرية في الدوافع الشعورية، وهو لا ينكر الدوافع اللاشعورية ولكنها متفاعلة بالضرورة هي والدوافع الشعورية في صورة واحدة ولا يمكن التفسير باعتبارها دوافع منفصلة .

٣ — وبالنسبة للمطلب الثالث ينبغي العناية بدينامية العمليات المعرفية كالتفكير والتذكر ، اذ ان النظريات القديمة التي فسرت الدوافع احياناً بالغرائز او الطاقات الكامنة في الهو ... الخ قد اضعفت دور العمليات المعرفية الواعية . ويرى اولبورت ان العقل والرغبة يمتزجان معاً في واقع يسميه النية او القصد intention .

٤ — ويتلخص المطلب الرابع في انه لابد من التمييز بين الدوافع العيانية concrete motives والدوافع المجردة abstract motives . فالدافع العياني هو ما يتمثل في رغبة مباشرة كدافع الشخص نحو

الالتحاق بكلية الطب ليصبح طبيباً ،في الوقت الذي يمكن ان يفسر فيه هذا الدافع بعدة تفسيرات مثل رغبة جنسية مكبوتة بالنسبة «لفرويد اذا حاول تحويله من دافع عياني إلى دافع مجرد .

التعديلات التي ادخلها اولبورت على نظريته :

في مجموعة دراساته التي بدأت عام ١٩٥٨ ــ ١٩٦٢ يلمح الدارس تغيراً في بعض المواقف وتأكيداً لمواقف سبق ان طرحها ويمكن اجمال وجهات نظره الحديثة فيما يأتي :

اولا :

اشار اولبورت إلى ان معظم منظري الشخصية قد تجاهلوا التوجه إلى الخصائص التي تعكس النمو والتطور او الانجاز بدرجة أرقى . وتركز اهتمامهم في تناول وصياغة ما هو موجود سابقاً كحالة واقعة ، وفي الوقت الذي ينبغي فيه ان ينحو نحو تزويد الفرد بمستويات ارقى مما هو قائم .ويتضح في هذا القول تغير في مفاهيم اولبورت فبعد ان كان يصور الواقع بدينامية في داخل الفرد اصبح ينحو نحو تجاوز هذا الواقع واثرائه .

ثانياً :

ركز مرة اخرى على الطابع العضوي للسلوك الفردي الا انه شارك بعض المنظرين الاخرين في اقتراح كون انسب نموذج للسلوك الانساني هو المنظومة المفتوحة open system ، وهذه نقلة اخرى لانه كان يتصور في دراساته السابقة ان المنظومة تكون مغلقة closed system . والمنظومة المفتوحة تعكس بوضوح اهمية المؤثرات الخارجية للفرد التي كانت في دراساته السابقة غير مهمة .

ثالثاً :

لا يزال اولبورت مصراً على أن التفرد في الشخصية هو «مفتاح» فهم الشخصية وهي نفس وجهة نظره السابقة ولكنه اقترح في نفس الوقت توظيفاً جديداً للمفاهيم التي سبق أن طرحها واعتنى بما اسماه السمات التكوينية الظاهرة .. morphogenic traits .

رابعاً :

ابدى اهتماماً جديداً ومتصاعداً لدور المحددات الثقافية ـ الاجتماعية Socio-cultural determinents . وهذا التغير يبدو انه قد اكتسبه من خبراته في الزيارات المتعددة ، والعمل في بعض الدول البعيدة عن الولايات المتحدة الامريكية كجنوب افريقيا .

خامساً :

اقترح اولبورت أربعة محكات criteria لدراسة وفهم الشخصية المحك الاول: يتركز حول المدخلات والمخرجات In-puts and out-puts لكل من المادة والطاقة . ويضع اولبورت نظرية المثير ـ استجابة في انقى صورها عند هذا المحك ، بمعنى ان هناك مثيراً يدخل وتنتج عنه استجابة ، والأمر الطبيعي ان تتواجد «ماكينة في الداخل للتجميع» ، و «التخزين» ، ولكن الناتج بالضرورة متأثر بالمدخلات (هذه الماكينة تسمى عند السلوكيين بالصندوق الاسود) black box ، وينتقد اولبورت السلوكيين لاهتمامهم فقط بالقطبين (المثير والاستجابة) واهمالهم العمليات الوسيطة Intervening processes . ويساير هذا التصور مفهوم «الوضعية المنطقية» logical positivism ، اذ تنحو هذه الفلسفة نحو بلورة انتباه

الفرد على ما يمكن ملاحظته وقياسه من المدخلات، وكذلك ما يمكن ملاحظته وقياسه من المخرجات ، ومن ثم لا لزوم «للشخصية» .

المحك الثاني : يتعلق هذا المحك بمعظم نظريات الشخصية الدينامية التي تتناول مفاهيم التوازن ، والثبات ، في المنظومات المفتوحة ، والتي تعنى بمفاهيم كاشباع الحاجات ، وخفض التوتر للحفاظ على التوازن ... الخ ويسير هذا المحك وفق مفهوم الهوميوستازس كما يذكر ذلك ستاجنر Stagner ١٩٥١ وماورر Mawrer ١٩٥٩ وهذا المحك يسمح بتبادل المادة والطاقة ، ويميل إلى تأكيد كون الكائنات تحاول الحفاظ على حالة الثبات (التوازن) . وتنحو معظم النظريات في هذا الاتجاه إلى تأكيد الاستقرار stability بدلا من النمو growth والثبات permenance بدلا من التغير change ، ويؤكدون الاختزال غير المؤكد uncertainty reduction ونظرية المعلومات information theory والتشفير coding والنظرية المعرفية cognitive theory بدلا من تركيز مفهوم الابتكارية creativity ، وبالاختصار يؤكدون ما هو موجود حالياً بدلا من الصيرورة becoming . ويشير اولبورت إلى ان معظم نظريات الشخصية يغلب عليها الطابع البايولوجي، أي انه يعزى للشخصية محكان من النظام المفتوح وتتضح في كل الكائنات الحية ، الا انه يوجد محكان آخران احياناً ما تذكر ولكن نادراً ما يتم تأكيدهما من جانب البايولوجيين، ونخلص من ذلك أنهما مهملان في معظم نظريات الشخصية المعاصرة .

المحك الثالث : يتلخص هذا المحك المهمل في الكفاح من اجل تزويد وارتقاء وامتداد التنظيم الداخلي للشخصية strive to enhancement internal order ، ويسير في هذا الاتجاه «جولد شتايـن» وماسلو لى سبيل المثال في مفاهيمهما عن تحقيق الذات .

ويشير اولبورت في هذا المحك إلى ان المنظور عبر الحضاري cross-cultural والمنظور عبر الاطلنطي transatlantic perspective يشير إلى ان الموقف النظري لدراسة علم النفس عامة والشخصية خاصة في الولايات المتحدة الامريكية يغلب عليه طابع «العلم السلوكي» Behavioural science ، ويشير اولبورت إلى ان هذا الاطار النظري (هذه اللافتة التي فرضت علينا) تعني اننا مشغولون بالمنظومات نصف المغلقة semi-closed system ، وهذا يعني انه يتوجب على العالم السلوكي ان يلتزم عند دراسته الانسان بمصطلحات سلوكية مأخوذة من علوم الفيزياء والرياضيات اكثر من التزامه بمعطيات الوجود الزماني والوجود المكاني ، وكذلك يتأثر بمعطيات الاستجابة عن معطيات البرمجة ، وينحو نحو معطيات خفض التوتر بدلا من زيادة التوتر وكذلك من معطيات رد الفعل عن فعل الفعل (تصعيد الفعل) proaction . ويظهر هذا النقد للاتجاه السلوكي تغيرات اساسية في وجهة نظره . وفي ضوء المنظور عبر الثقافي يحيلنا اولبورت إلى حكمة هندية قديمة Ancient Hindu wisdom يقول الهندوس ان لمعظم الرجال اربع رغبات مركزية ، ومع بعض التبسيط يمكن ارجاعها إلى مراحل النمو :

اول رغبة هي المتعة (مبدأ اللذة) Pleasure وهذا المبدأ معروف في الثقافة الغربية تحت اسماء مختلفة منها خفض التوتر ، التعزيز ، الليبدو ، والحاجات ... الخ .

وثاني رغبة هي النجاح success وهذا المبدأ ايضاً معروف في الثقافة الغربية تحت اسماء مختلفة منها القوة ، المركز ، القيادة ، الذكورة ، الحاجة للانجاز .

والمحك الثالث هو اداء العمل وتحمل المسؤولية ، وبهذا الصدد ذكر بسمارك Bismark (وليس القائل هندياً) «لسنا في هـذا العالم للمتعة ولكن لنعمل الواجب المناط بنا "We are not in this world for pleasure but to do our demand duty" » « وهنـا تفتقـر البحـوث فـي الثقافة الغربية ، ويقـل اهتمامها بهذا المحك الثالث الـذي سمـاه اولبرت بدافع الواجب duty motive . فنادراً مـا نجد بحوثاً تتكلـم على عقاب الآباء في علاقته بنمو وعي الابناء ، وتضيف الحكمة الهندية التي طرحها اولبورت محكاً رابعاً هو المعنى meaning ويعني هذا ان هناك المحك الرابع الذي يتجاوز اللذة والنجاح والواجب تفتقر اليه ايضاً البحوث في الثقافة الغربية . فمعظم نظريات الشخصية في الثقافة الغربيـة تتعامل هي والطموحات الدينية من منطلق رد الفعل reaction كنـوع من الهروب ولا تصنّف مع الانتحار مثلاً ، والادمان الكحولي ، والعصاب . وقد ظهر هذا الاهتمام بالمعنى بالاضافة الى الواجب عند فكتور فرانكل Victor Frankl اذ يركز فـي علاجه العقلانـي الوجـودي الواجـب والمعنى ، وهما الدافعان اللذان ركز عليهما الهندوس في هرم الرغبات .

وصل فرانكل الى مركزه هذا بفضل معسكرات النازي مع المساجين الآخرين ، اذ وجد نفسه في حالة من «الوجود العاري» ، في مثل هـذا الوجود البشع ، ماذا يريد الانسان او ماذا يحتاج اليه ؟ بطبيعة الحال اللذة والنجاح في خارج السؤال، ويريد الانسان ان يعرف معنى هذه المعاناة وعليه ان يتعلم كيف يتحرر ويخلص نفسه acquit himself ، هل ينتحر ؟ اذا كان الامر كذلك لماذا ؟ ،واذا لم يكن الامر كذلك فلماذا ايضاً ؟ هنا البحث عن المعنى ، معنى الوجود يصبح القمة في سلم الدوافع ، ولقد كان

فرانكل واعياً بانجازه المؤلم لنظريته في الدافعية التي تبتعد كثيراً عن النظرية الامريكية وقد انتقد مبدأ الهوميو ستازس .

تقويم نظرية السمات لاولبورت :

يمكن عرض مجموعة من الايجابيات لهذه النظرية كما يشوبها الكثير من السلبيات :

اولاً : ايجابيات النظرية :

١ – تسمح هذه النظرية بالملاحظة والوصف وتسمح بالقياس لابعاد مختلفة من الشخصية وبذا تعد متطورة – من هذا الجانب– عن نظريات الانماط او الطرز التي تبرز فقط الحالات الطرفية وتهمل الحالات الاكثر شيوعاً وهي المختلطة عادة .

٢ – تعنى النظرية بالحاضر والمستقبل ولا تولي اهتماماً كبيراً لماضي الشخص وقد تعدّل هذا الوضع نوعاً في كتابات اولبورت المتأخرة .

٣ – تؤكد النظرية الوظائف الجوهرية للأنا «الذات» التي سماها اولبورت الجوهر Proprium الى جانب مفهومه عن الاستقلال الوظيفي ، وبذلك تساير النظرية التطورات اللاحقة لسيكولوجية الانا عند اصحاب مدرسة التحليل النفسي المعاصرة .

٤ – اهتمام النظرية بالدراسة التفصيلية للحالة الفردية وبالمنهج الكلينيكي وتعدّ اضافة للعلم باتباع المنحى الايديوجرافي خاصة Ideographic

ثانياً : سلبيات النظرية :

١ – كي نستطيع تفسير السلوك لايمكن ان يتم هذا ونحن ندور حول انفسنا ، باحثين في الداخل عما يمكننا من تفسير السلوك ، لابد من

البحث في الخارج : في بيئة الشخص ، وتاريخه وحضارته وثقافته والمواقف التي يتعرض لها ، اذ ان هذا كله في تفاعله وترا كمه يكون الحاكم للسلوك ، والانسان بدون تلك الظروف يكون مشروعاً للسلوك ويؤكد هذا الطرح طولمان Tolman في كتابه السلوك الغرضي في الحيوان والانسان Purposive behaviour in animal and man

٢ – في ضوء تعريف اولبورت للسمة (وهي مفهوم اساسي عنده) نجد انه يرجع السمات الى الشخص كما لو كانت هذه السمات اشياء موجودة داخل الفرد ، ثم جعل هذه السمات مسؤولة عن سلوك ذلك الشخص اي ان وجود سمة ما تفرز سلوكاً ما وكأنها غدة فالغدة الكظرية مثلاً تفرز هورمون الادرنالين وهذا فهم غير علمي ، اذ ان السمة لافتة تخلع على اداءآت معينة ، أو على شكل او اشكال من السلوك في مواقف اجتماعية ، أو في مواقف اختبارية ، ومن ثم تظل مجرد تسمية للسلوك وليست سبباً له .

٣ – ينتقد نوت كات Notcutt ١٩٥٣ في كتابه «سيكولوجية الشخصية» The psychology of personality بقوله : ان النظرية غامضة وغالباً مايفهمها مختلف الناس فهماً متبايناً ، فالشجاعة مثلاً تبدأ صفة للرجال في الحروب ، ولكنها قد تمتد الى « الشجاعة الادبية» ، ويتضمن اسم السمة عادة اشارة خفية الى معيار اجتماعي فعندما نقول ان شخصاً يتسم بالشراهة فأن ذلك يعني انه يطلب طعاماً يزيد على مايطلبه معظم الناس من نوعه دون ان نحدد بدقة هوية هؤلاء الناس الآخرين اي دون ان نحدد المعيار The norm .

٤ ــ لايتضح في النظرية العلاقة التفاعلية بين السلوك والموقف البيئي الذي يتم فيه . هذا السلوك اذ ان اهتمام اولبورت البالغ كان موجهاً نحو مايحدث في داخل الكائن ولكنه لم يول اهتماماً ذا بال للمؤثرات الفاعلة في البيئة الا في دراساته المتأخرة .

٥ ــ يصعب تصور ماذهب اليه اولبورت عن عدم الاستمرارية بين الطفل والراشد ، بين الحيوان والانسان ، بين السوي والشاذ ، وذلك نتيجة اتباعه المنهج الارسطاطالي الفئوي الذي يقسم على فئات ، مع انه في دراساته المتأخرة اتجه نحو المنهج الجاليلي الذي يعنى بدراسة السياقات .

٦ ــ تعدّ النظرية قاصرة فقط على وصف الحاضر «هنا والآن» وعاجزة عن التنبؤ بالمستقبل ، كما انها تعنى بالدوافع الشعورية فقط وتهمل الدوافع اللاشعورية التي تعد بمثابة اجزاء اقل اهمية في تفاعلها مع الجوهر الا في الحالات المرضية .

٧ ــ الكثير من مفاهيم النظرية يتسم بالغموض مثل الاستقلال الوظيفي ، فهو غير خاضع للتجريب وبخاصة الاستقلال الوظيفي الجوهري ، اذ ربما كانت هناك دوافع غير معروفة ادت الى استمرارية الاداء مع زوال المؤثر الاصلي المعروف .

الفصل الرابع
نظريات الشخصية

ثانياً : نظريات تستند إلى الحتمية البيئية

النظرية السلوكية

ثالثاً : نظريات تستند إلى الحتمية التفاعلية

الفرويدية الجديدة (ادلر ، هورني ، فروم ، سوليفان)

نظرية المجال

نظرية الحاجات

النظرية الحيوية الاجتماعية

ثانياً : نظريات تستند إلى الحتمية البيئية

السلوكية Behaviourism

يصعب ادعاء ان هناك نظرية تسمى النظرية السلوكية في الشخصية ، فالاتجاه السلوكي يضم مجموعة ضخمة من كبار علماء النفس ، لكل منهم رؤية خاصة ، ومفاهيم قد تتباين من عالم لآخر . ولكن يجمعهم اطار عام متسع ومهم . بدأ هذا التيار السلوكي منذ مايزيد على الثمانين عاماً ولا يزال مؤثراً وفاعلاً في الفكر السيكولوجي عامة ، وفي دراسة التعلم على وجه التخصيص .

ولا بد ان نشير الى ان ظهور هذا التيار السلوكي كان حتمياً في ظل مجموعة من الظروف التاريخية والحضارية التي سبقته ، وكذلك التي عاصرته .ولعل النظرية الميكانيكية لنيوتن Newton التي اثرت في الفكر الانساني زهاء ثلاثة قرون (القرن ١٧ ، ١٨ ، ١٩) كانت احد المصادر الاساسية لبناء التفكير السلوكي .

وكان لعصر النهضة الصناعية (خلال القرن التاسع عشر) وسيطرة الفلسفة البراجماتية ، وكذا الفلسفة الوضعية (فلسفة العلم) كان لكل ذلك مجتمعاً تأثير واضح في جذور هذا التيار السلوكي . كما ان لافكار داروين Darwin في الانتقاء الطبيعي ، وفي اصل الانواع آثار واضحة ، بل بصمات على الفكر السلوكي . ويتسم هذا التيار بالعلمية والعملية ، ويبتعد عن كل ماهو غيبي او ميتافيزيقي .... ويتعامل هو والمحسوس والملاحظ والقابل للقياس من سلوك الانسان والحيوان . وقد تأثر علم النفس بعامة —ولا يزال— بهذا التيار رغماً عن تعدد الرؤى في داخله .

بدأ ظهور هذا التيار الفكري في أعمال الفسيولوجي الروسي المشهور

ايفان بافلوف Ivan Pavlov (١٩٠٦) أثناء دراسته فسيولوجياً الجهاز الهضمي في الكلاب ، فقد لاحظ بافلوف ان الكلاب تستجيب (باسالـــة اللعاب) لغير المثير الطبيعي لاسالة اللعاب ، كرؤية المجرب ، او سماع وقع اقدامه ، او سماع صوت عارض ، لمجرد ان هذا المثير او ذاك قـد ارتبط بالمثير الطبيعي وهو الطعام ، وقد اثارت هذه الظاهرة اهتمام بافلوف ، فقام بدراسة استجابة الحيوان لمثير صناعي (صوت شوكة رنانة) مصاحب للمثير الطبيعي (الطعام) . استنتج بافلوف من تجاربه انه اذا شرطت استجابة معينة بمثير يصاحب مثيرها الاصلي ، وكررت عدة مرات ، فان تقديم المثير المصاحب وحده بعد ذلك يمكنه ان يستدعي الاستجابة الشرطية : مثير شرطي (صوت جرس) + مثير غير شرطي (طعام) ——— استجابة (تدفق اللعاب) . (تكرر عدة مرات) مثير شرطي (صوت جرس) ——— استجابة (تدفق اللعاب) .

وقد ارجع بافلوف هذه الظاهرة الى اسس فسيولوجية بحتة استناداً الى احداث مخية افتراضية ، وعدّ النصفين الكرويين مسؤولين عن تنمية الافعال الشرطية من شتى الانواع والرتب . واستنتج بافلوف عدة قوانين .

١ — قانون الكيف والكم Law of quality & quantity

يستلزم حدوث الارتباط بين المثير الشرطي (الصناعي) والمثير غير الشرطي (الطبيعي) ان يسبق المثير الشرطي ظهور المثير غير الشرطي بعدد من الثواني ، وان يتكرر ذلك عدة مرات ، ولكن حين يتوفر للمثير الشرطي شدة غيـر عادية يمكن ان يحدث الارتباط من مرة واحدة .

٢ — قانون التعميم : Law of generalization

عند حدوث استجابة شرطية لمثير معين ، فان المثيرات الاخرى المشابهة لهذا المثير يمكنها ان تطلق نفس الاستجابة (اذا كان المثير دائرة مثلاً فان

الاشكال البيضاوية القريبة من شكل الدائرة يمكن ان تستدعي نفس الاستجابة) .

٣ – قانون التمييز : Law of differentiation

اذا تكونت استجابة شرطية لمثيرين شرطيين مختلفين ، واصبح التعزيز اي تقديم المثير غير الشرطي (الطبيعي) يتبع احد هذين المثيرين فقط ولايتبع الآخر ، فان الحيوان يستطيع التمييز بينهما ولا يستجيب الا في حالة المثير الذي يتبعه التعزيز .

٤ – قانون درجـــات الارتباط: Law of gradient of corrolation

يعد ارتباط المثير الشرطي بالمثير غير الشرطي إرتباطاً من الدرجة الاولى ، فاذا وجد مثير شرطي ثان يسبق المثير الشرطي الاول حدث ارتباط من الدرجة الثانية وهكذا ، ولكن الارتباط لايتخطى عادة في انتقاله الدرجـة الرابعة .

٥ – قانون الانطفاء : Law of extinction

اذا تكرر ظهور المثير الشرطي دون ان يتبعه ظهور المثير غير الشرطي، فان الاستجابة الشرطية تتلاشى تدريجياً ثم تنطفيء .

٦ – قانون الاسترجاع التلقائـي : Law of spontaneous recovery

ان انطفاء الاستجابة الشرطيـة نتيجة تقديم المثير الشرطي دون تعزيز بالمثير غير الشرطي لايكون نهائياً ، فالاستجابة الشرطيـة تعود للظهور ثانية اذا قدم المثير الشرطي بعد فترة من الزمن يستريح فيها ، او من خلالها الحيـوان .

اعجب واطسون Watson (١٩١١) بتجارب بافلوف ، ويعد واطسون بحق زعيم التيار السلوكي في انقى صوره . فقد اغفل الظواهر الشعورية متمثلة في الاستبطان introspection وعدهـا مادة لاتصلـح للدراسة

العلمية والعملية ، واقتصر فيدراساته على المسالك الخارجية ، وفي كتابه (مقدمة في علم النفس المقارن ١٩١٤) احل قانون التكرار وقانون الحداثة Law of racency & law of frequency بدلاً من قانون الاثر عند ثورندايك Law of effect Thorndike ويعني ذلك ان التكرار هو المسؤول عن تدعيم الرابطة بين المثير والاستجابة ، وأن لأحدث الاستجابات أسبقية في الظهور عن غيرها ، كما عدّ واطسون الفعل المنعكس الشرطي هو «وحدة السلوك» ، وهو الاساس الذي يفسر في ضوئه اكتساب العادات . فالعادة habit — في رأيه — عبارة عن مجموعة من الافعال المنعكسة الشرطية المتعاقبة ، حيث يعد نهاية كل فعل منعكس شرطي بمثابة «مثير» يطلق الفعل المنعكس الشرطي التالي وهكذا .

ثم حاول جاثري Guthrie (١٩٢٥) وضع نظرية الاقتران Contiguity وتعني اقامة ترابط صارم متلازم بين المثير والاستجابة ، وتتمثل في : اذا صاحبت مجموعة مثيرات مجموعة حركات (أفعال) ، فان هذه المجموعة تميل عند تكرار حدوثها الى ان تستتبع نفس الحركات ، ولا تتعرض نظرية جاثري للدوافع او التكرار او الاثابة او العقاب ، وكل ماتعنيه هو «التوفيق» بين المثيرات والحركات . كما يشير «جاثري» ايضاً الى ان التكرار قد يكون مهماً اذا مارتبط بالمهارات المعقدة المراد تعلمها ،ولكن اذا كانت المهارة بسيطة والمثير نفسه بسيطاً فتكفي آنذاك محاولة واحدة لحدوث الاقتران (عزيز حنا داؤد — ١٩٨٥ ، دراسات وقراءآت نفسية وتربوية ، الجزء الثاني) .

وحين نطرح مفهوم السلوكية في مجال الشخصية فاننا نجد على الفور تصور

أب السلوكية «واطسون» عند فاربر Farber I.E (١٩٦٤) «اطـار عمـل لدراسة الشخصية كعلم سلوكي «في تغير» الشخصية .

"A Frame work for the study of personality as a behavioural science" in Personality Change).

اذ يقول (عام ١٩١٩) : «دعنا نعني بمصطلح الشخصية مجموع الموجودات assets للفرد المتاح منها والمتوقع ، كذلك ماسوف يتعرض له الفرد من امكانات وعوائق liabilities (المتاح منها والمتوقع ايضاً) .

«والمقصود بالموجودات اولاً المجموع الكلي للعادات المنظمة التي اكتسبت اجتماعياً ، وكذلك الغرائز المنتظمة ، والانفعالات التـي نشأت اجتماعياً ، وكذلك الجوانب المزاجية ، بالاضافة الى التفاعلات بين كـل هـــذه الموجودات . وثانياً الارتباطات الموجودة والتي تتمثـل في امكانات بناء وتكوين عادات جديدة او تغير عادات قديمة » ، وكذلك تتمثل في امكانية استرجاع عادات قديمة اصبحت متروكة (غيـر مستخدمة) كانـت قد اكتسبت في مرحلة سابقـة . كل ذلك في ضوء الظروف البيئية والمؤثرات الفيزيقية التي يعيشها الفرد . وبمعنى آخر فان الموجودات بالنسبة «لواطسون» تعبر «عن كل الجزء الخاص بأجهزة الشخص التي تعمل من اجل توافقه وتوازنه في محيطه البيئي الحالي ، وكذلك لاعادة توافقه وتوازنه اذا تغيّرت بيئته . والمقصود «بما سوف يتعرضـــ له الشخص» liabilities هذا الجزء من امكانات الفرد وتجهيزاته ، التـي لاتعمل في البيئـة الحالية (الوجود الحالي) ، والعوامل الكامنة التي قد تحول دون نهوضه لمواجهة البيئة المتغيرة . وتعدّ الشخصية في هذه الحالة عملية مستمرة Contineous process

وتؤكد وجهـة النظر السلوكية على مظهرين مهمين في دراسة الشخصية :

١ — الشخصية بعدّها نتاجاً في اية لحظة في مجرى الحياة المستمر ، حيث — تتكون من مجموعة عمليات وانشطة تتضح من خلال السلوك ، وحيث ان هذه العمليات والانشطة بمثابة ردود افعال من المثيـرات في بيئة الفرد ، واذ ان البيئة عادة ماتكون حبـلى بمثيرات كثيرة ومتباينة ، فانه يتوقع بصفة مستمرة وجود انواع متباينة من السلوك كردود افعال ، وهو ماجعل النظرة السلوكية للشخصية تعدّ الشخصية هي السلوك .

٢ — والمظهر الآخر هو التغير مع النمو في الشخصية فاذا كانت الشخصية متغيرة دوماً (لتغير المثيرات وتعددهـا) أصبحـت الشخصية آنذاك منظومة مفتوحة للتغير ، من المهد الى اللحد ، إذ يكتسب الفرد طوال رحلة حياته عادات جديدة تعدّل من عادات سابقة . وتحل مواقف جديدة محل مواقف قديمة ، ومـع تغيـر المواقف situations تتنحى الطرق والاساليب السابقة لتفسح المجال امام طرق واساليب جديدة تتكون . ومن ثم فهناك رفض بات لوجود محددات مسبقة للسلوك او مايسميه بعض المنظرين في الشخصية بالديناميات (راجع الفصل الثالث) . ويقدم التيار السلوكي نظرية للسلوك بدلاً من نظرية الشخصية ، اذ يقدم السلوكيون مفاهيم خاصة : مثل التعلم والدافعية ويبتعدون عن مفهوم الشخصية او الدينامية ، او القوى المؤثرة ، او الطاقة الكامنة ، ويتوج الفكر السلوكي في الشخصية عالمان حاولا ان يضعا نظرية شبه متكاملة عن الشخصية في كتابهما (الشخصية والعـلاج النفسي) Personality and Psychotherapy سنـة ١٩٥٠ وهما «جون دولارد» John Dollard ونيل ميلر Neal Miller

حاول ميللر ودولارد ان يستفيدا من مفاهيم الشخصيـة التي طرحها « فرويد » مستخدمين في ذلك مباديء التعلم كما تطرحها السلوكية الحديثة .

وقد قاما بتقديم اربعة مفاهيم نظرية تعدّ : الاساس في عملية التعلم وبناء الشخصية في نفس الوقت وهذه المفاهيم هي : —

١ — الحافز : Incentive او الدافع drive او الدافعية motivation

٢ — الدليل : cue او العلامـة sign او المثيـر . stimulus

٣ — الاستجابة : response كما تتمثل في الفعل action او التفكير thinking .

٤ — التدعيم : reinforcement بشقيه الايجابـي positive والسلبي nagative او الثواب reward والعقـاب Punishment

فالحافز او الدافع يحث ويدفع كي يستجيب الكائن بأستجابة ما، واذا ما تم تدعيم هذه الأستجابة بالأثابة (اي تدعيم موجب) تقوي الرابطـة relation بين المثير وبين الأستجابة. يكتسب المتعلم كم من الأستجابات في ضوء مجموعة المثيرات، هذه الأستجابات المكتسبة تؤدى دوراً في تدعيم الدافع الذي استثار الأستجابة الأولى . ويذكر« دولارد وميلر» ان اي مثير يمكـن ان يصبح حافزاً اودافعاً اذا كان قوياً بدرجة كافية، وكلما زادت قوة المثير اوشدته (قوة الدافع، والحافز) كلما زادت فعاليته في الإداء .

وقد قسمت هذه المثيرات بعدها حوافز الى مجموعتيـن :

١ — مجموعة فطرية اولية Primary innate motives وهي المجموعة التي ترتبط بالحاجات الفسيولوجية . Physiological needs مثل

الجوع ، العطش ، الجنس، التعب، الألم ..... الخ وكلها حاجات لازمة لحياة الكائن الحي .

٢ ــ مجموعة ثانوية مكتسبة Secondary acquired motives وهذه المجموعة تكتسب من خلال البيئة الأجتماعية التي يعيشها الفرد مثل الأمن ، والمحبة، والتقدير، والأنجاز ،والحرية، والضبط ، والأنتماء ..... الخ ويخلع عليها «دولارد وميللر » مصطلح دوافع اجتماعية Social motives .

ويقدم هل Hull وهو احد السلوكيين البارزين» واستاذ كل من دولارد وميللر» نظرية في كيفية أكتساب هذه الدوافع الأجتماعية بحيث تنشأ مع الطفل وهو في المهد وتظل معه طوال رحلة حياته ، فأثناء عملية الرضاعة . (الرضاعة الطبيعية خاصة) breast feeding تقوم الأم اوالمرضعة بحضن الطفل ودغدغته ، وتقبيله ، واضفاء الكثير من الحنان والدفء بالنسبة له . ومع تكرار حدوث هذه العمليات المصاحبة concomitant processes تصبح في حد ذاتها دوافع او حاجات مكتسبة وتتطلب الأشباع . واذ كان موقف التغذية مرتبطاً بأختزال دافع الجوع drive – reduction فهو ينمي في الوقت نفسه دافع المحبة affection ودافع الأمن security . وينسحب نفس الكلام على تنمية الدوافع الأجتماعية الأخرى ، كالتقدير والأنجاز على سبيل المثال ، فإذا استطاع الطفل ان يستقل في نهاية العام الأول بالمشي ويمسك الأشياء ، واثيب على ذلك من جانب الأم ، بتعبيرات الوجه المفرحة ، يتدعم سلوك الطفل ويتحسن اداؤه ، وانتقل من انجاز الى اخر، الاانه اثناء العام الثاني يقابل الطفل مواقف جديدة تولد لديه صراعات، وهذه المواقف تختص اساساً بمحاولة تعويد الطفل وتدريبه

كي يتحكم في عمليتي التبرز والتبول، ويتوقف سلوك الطفل هنا على مهارة الأم او من يقوم مقامها ، اذ قد يعاني الطفل من صراع اذا كانت الأم قاسية عصبية ، ولايستطيع هو ان يفهم سبب هذا التحكم في ضبط هاتين العمليتين، وقد تمر المرحلة بسهولة اذا ماتسم سلوك الأم بالصبر والحنكة والثقافة . ومع مزيد من نمو الطفل يكتسب المزيد من الدوافع الأجتماعية كالأنتماء والحرية والضبط .

وبالنسبة للدليل (المثير) «يشترط دولارد وميللر» ان يكون محدداً واضح الملامح متميزاً من حيث الشكل او اللون او الحجم او اية خاصية اخرى تميزه عن المثيرات الأخرى الموجودة معه او حوله ، ويستطيع المثير المحدد والمتميز structured ان يفرض نفسه على المثيرات الأخرى عديمة القيمة في هذا الموقف بالذات وحتى تتم عملية التعلم .

وبالنسبة للاستجابة لابد ان تكون سليمة اوصحيحة اذ انها في هذه الحالة ستختزل الحافز او الدافع، فتناول طعام شهي مثلا يخفض بنجاح دافع الجوع ، ويوجد ضمانات للتأمين في العمل، ويتمثل في العلاج المؤمم او التعويض وفي حالات الإصابة يختزل الدافع نحو الأمن، وهنا تؤدي الدول المتقدمة دوراً واعياً في هذا الاجراء ، اذ تتيح فرص الضمانات الكافية لابناء شعوبها،ويتمثل ذلك في التعليم المجاني والعلاج ايضاً، والتعويض عند الأصابة وايجاد كل الضمانات بما فيها حق العمل المنتج ورفض مفهوم «اللاعمل » او البطالة التي تشيع في بعض النظم بسبب سيطرة رأس المال أو صاحب العمل وتحكمه ، ويؤدي كل ذلك الى خفض دوافع الأمن وتستثير ودوافع القلق بالنسبة للمستقبل.والملاحظ ان حالات الأنتحار والجريمة يرتفع معدلها في بعض المجتمعات الرأسمالية عن مثيلاتها في مجتمعات اخرى .

ومبدأ التدعيم يفيد في المحافظة على استرجاع الأستجابة اي تكرار حدوثها اذا كان التدعيم فورياً وليس مؤجلا immediate not delayed واذ ان التدعيم يؤدي الي تقوية الرابطة بين المثير والأستجابة (م– س) ومن ثم ترتبط الأستجابة بالتدعيم (*).

واذا لم تثب الأستجابة حدث انطفاء لها ، وقد لوحظ ان العادات الأقوى والأشد رسوخاً (نتيجة وجود حوافز او دوافع قوية) تكون اقدر على مقاومة الأنطفاء من العادات الأقل قوة(التي تكون دوافعها اوحوافزها ضعيفة) . والملاحظ ايضاً ان عملية الأنطفاء قد تزول عقب فترة من الراحة وتعود الأستجابة في صورة الأسترجاع التلقائي spontaneous recovery

حاول «دولارد وميللر» في الدراسات المتعددة التي قاما بها تطويع بعض المفاهيم الفرويدية– كما سبق ان ذكرنا– بمباديء التعلم السلوكي، وعلى سبيل المثال فقد قاما بتأويل كيفية تعلم العصاب Neurosis

من المعروف ان مفهوم فرويد عن «العصاب» مفهوم دينامي ناشيء عن صراعات قابلها الطفل في اثناء مراحل نموه الباكرة خصوصاً الصراعات التي تعمل في نفسه من ناحية «الهو» و«الانا العليا» و (الأنا الواقعية» ويعني هذا عند فرويد ان دينامية الصراع بين هذه المنظومات الثلاث هي التي ينشأ عنها العصاب فهي عملية داخلية نفسية صرفة، ولكن «دولارد وميللر» يقدمان

(*) من الملاحظ داخل المدرسة السلوكية وجود نمطين للتدعيم الأول تزعمه بافلوف Pavlov وهو تدعيم المثير عن طريق ربطه بالمثير الطبيعي) (المعزز) وهو الطعام عند كلاب بافلوف بينما يقف في الطرف الأخر سكنر skinner الذي يقوم بتدعيم الأستجابة اي ان المعزز هنا يتم عقب الأستجابة الناجحة « السلوكية » في عصر « بافلوف تسمى بالسلوكية الكلاسيكية Classical behaviourism « السلوكية في عصر « سكنر » تسمى بالسلوكية الجديدة neo – behaviourism .

مفهوماً سلوكياً عن نشأة العصاب بأعتباره سلوكاً غير متوافق يكتسبة الطفل في اثناء عملية التنشئة الأجتماعية ويتم ذلك من خلال اربعة مواقف هي : ١ — موقف التغذية ٢ — موقف التدريب على النظافة (ضبط عمليتي التبرز والتبول) ٣ — موقف التدريب على الجنس ٤ — موقف التحكم في انفعال الغضب .

هذه المواقف الأربعة هي التي تولد انواعاً من الصراعات تتضح في سلوك الفرد. وهذه الأنواع من الصراعات ماهي الا انواع من السلوك غير المتوافق، الذي يمكن ملاحظته وقياسه، وهو رد فعل اوردود افعال لمجموعة من المواقف المثيرة . وهذا يترجم بالدقة مفهوم التيار السلوكي بأعتبار ان الأعراض التي نراها في العصاب او غيره ماهو الا سوء توافق سلوكي اي « استجابة» لموقف مثير او مواقف في حياة الفرد . وتلخص حينذاك بنفس الرابطة (م—س). ويؤدي التدعيم هنا دوراً مهماً ، فقد يؤدي السلوك غير المتوافق (الأستجابة) لى تدعيم سالب من جانب المحيطين بالفرد . وقد يؤدي احياناً الى تدعيم موجب من جانب الفرد ذاته، او من جانب المحيطين به ، ففي الحالة الأولى قد ينطفيء هذا السلوك. وفي الحالة الثانية قد يتدعم هذا السلوك ايضاً . ويقوم معدلو السلوك والذين يعالجون العصاب بطريقة العلاج السلوكي الحديث او « تعديل السلوك » . behaviour modification ومنهم جوزيف فوليه Joseph Wolpe (١٩٥٨) ، وليونارد اولمان leonard Olmann (١٩٦٩) ، وليونارد كرازنر Leonard Krazner (١٩٧٠).— كلهم ينتمون بشكل صريح اوضمني الي نظرية الشخصية عند« دولارد وميللر »— ويتخلص دورهم اساساً في تعديل العادات التي تكوّن الشخصية ، ولما كانت العادة وسيلة ارتباط بين المثير (الدليل) وبين الأستجابة

ترتب على ذلك« خلق» مثيرات جديدة (وهي فنيات العلاج السلوكي) ويترتب عليه بالضرورة ارتباطات جديدة ، (وسلوك جديد سوى)

ويمكن تصنيف فنيات العلاج السلوكي على النحو الاتي :(حسام الدين عزب، ١٩٨١، العلاج السلوكي الحديث، تعديل السلوك، اسسه النظرية تطبيقاته العلاجية والتربوية) رسالة دكتوراه منشورة) .

اولا : فنيات قائمة على اساس « الترغيب »

١ ــ فنيات الكف بالنقيض Reciprocal Inhibition Techniques

٢ ــ فنيات تخفيف القلق Anxiety Relief Responses (A.R.R.)

٣ ــ اقتصاديات البونات Toxen Economies Programmes (T.E.P.)

٤ ــ التشكيل والتعلم البديل Shaping and Vicarious learning Techniques

ثانياً : فنيات قائمة على اساس «الترهيب» :

١ ــ العلاج التنفيري Arersion therapyTechnique

٢ ــ الممارسة السلبية والتشبيع Negative proctice & Satiation Techniques

٣ ــ الانبعاث الضمني للحساسية Covert Sensitization Techniques

٤ ــ الغمر والتفجر الداخلي Flooding Implosive Technique

ويتضح من هذه الفنيات المستخدمة لتعديل السلوك ــ رغماً عن تباينها ورغماً عن تفضيل المعالج لاسلوب او استخدام «فنية» او اكثر وفق رؤاه وتجاربه وممارساته ــ انها جميعاً محاولات لوضع مواقف مثيرة جديدة أمام المريض الذي يعاني من سلوك غير توافقي ، حتى تتم روابط جديدة (عادات) بين المواقف الجديدة المصوغة والاستجابات المنشأة الجديدة ،

بعدّها انماطاً من السلوك التوافقي تؤدي الى الشفاء او السوء . وبمعنى ابسط فان الشخصية تتعدّل في ضوء ما اكتسبته وتعلمته من هذه المواقف المثيرة التي يطبقها المعالج مع مريضه . والواقع ان هناك تبايناً واضحاً بين تلك الفنيات ، بل هناك الوان من الصراعات الصريحة والضمنية بين المعالجين انفسهم في مدى جدوى اسلوب ما (او فنية ما) في العلاج . وعلى سبيل المثال اثار «سكنر» (١٩٧٦) في كتابه «عن السلوكية» "About behaviorism" قضية مهمة فيما يتعلق بفنية«الضبط التنفيري» وهي مايسميه «بمضاد الضبط» Counter control ، فهو يرى ان المؤسسات او الوسائط المنظمة ، من قبيل الحكومات ، والاديان ، الانظمة الاقتصادية ، والمربين ، والمعالجين النفسيين ، يمارسون قوة الضبط وغالباً على نحو مزعج وان تلك الوسائل الضابطة عادة ماتكون تنفيرية – بشكل فوري– بالنسبة لاولئك الذين يتم ضبطهم ، وتنفيرية – في المدى البعيد – بالنسبة لاولئك الذين يقومون باستخدامها في ضبط الآخرين ، ومن ثم فاولئك الذين يتم ضبطهم يمكن ان يتخذوا موقفاً ايضاً ، اذ يمكن ان يهربوا بعيداً عن مدى تأثير الضابط Controller ، اذا كان فرداً ، او يخرجون على الحكومة ، او يرتدون عن الدين او يتخلون عنه ، او يهربون من المدرسة ، ويمكن ان يقوموا بالمهاجمة لاضعاف او تحطيم القوة الضابطة ، (Controlling power) وهذا الامر يتمثل في الثورات او حركات الاصلاح ، او الاضطرابات ،او احتجاجات الطلبة ، وبعبارة اخرى يعارضون الضبط Control بمضاد الضبط Counter-control (نفس المرجع السابق)حسام الدين عزب.

ويتفق «دولارد وميللر» مع «فرويد» في اهمية دور العوامل اللاشعورية بوصفها محددات مهمة في سلوك الانسان ،الا انهما يقدمان تفسيراً متبايناً

لتفسير «فرويد» . اذ يقسم «دولارد وميللر» المحددات اللاشعورية الى قسمين : القسم الاول لم يمر من قبل بمرحلة الشعور وقد اكتسبه الطفل وهو في المهد (في العامين الاولين) قبل قدرته على التعبير اللفظي او على التواصل باللغة مع الكبار من حوله ، وهي مجموعة من البواعث ، والدوافع او المؤثرات وكذلك الاستجابات .

والقسم الثاني مرّ في المرحلة اللا شعورية في يوم ما (اثناء الطفولة) ولكن لمدة بسيطة ،ويجمع هذا القسم الادلة (المثيرات) والاستجابات التي سبق ان كانت شعورية ولكنها ومن خلال «الكبت» repression لم تعد موجودة في الشعور . اي ان الكبت كميكانيزم دفاعي عند «فرويد» يتم على المستوى اللا شعوري ،يرى «دولارد وميللر» انه «استجابة» متعلمة كأي استجابة اخرى ، وحيث انها استجابة لم تدعم ايجابياً ، وقد تكون قد دعمت سلبياً (عوقبت) من جانب الكبار ، مما ولّد لدى الطفل شعوراً بالخوف من أن يكررها .. وعليه فان الافكار والذكريات والاستجابات التي تسبب مشاعر الخوف او الغضب فان الطفل يطرحها جانباً (لايفكر فيها) ،اذ ان عدم التفكير فيها يؤدي بالضرورة الى خفض المثيرات المسببة لها ، وبهذا يتم تعزيز الاستجابة بعدم التفكير فيها اي بتجنبها . وينسحب مايحدث مع ميكانيزم «الكبت» ، مع ميكانيزمات الدفاع الاخرى ، كالتبرير والاسقاط ، والازاحة والاعلاء ... الخ اي ان الفرد يتعلم هذه الميكانيزمات بالوعي ، وعليه فهي شعورية بالضرورة .

تقويم النظرية :

لم تحظ نظرية من النظريات بمثل ماحظيت به النظرية السلوكية خصوصاً في مجال التعلم ، من نظرة شاملة ، صارمة العلمية ، تجريبية المنهج .

وقد حاول كل السلوكيون –كل بطريقته وتجاربه– ان يبحث عن القوانين العلمية التي تحكم سلوك الكائن سواء اكان انساناً او حيواناً . ولا زالت النظرية السلوكية (الواقع انها نظريات وليست نظرية واحدة) تشغل مساحة عريضة من الكتابات والبحوث والدراسات في كافة انحاء العالم الغربي بصفة عامة . وتكاد تسيطر على فكر علماء النفس الامريكيين بخاصة . واذا اردنا ان نطرح مجموعة الاضافات الايجابية التي قدمتها هذه النظرية ، يمكن ان نركزها في النقاط الآتية :

١ – تجاوزت هذه النظرية كل نظريات الشخصية الاخرى من حيث اصرارها على تحديد المفاهيم بطريقة تجريبية experimental method وكذلك الطريقة التجريبية (الامبيريقية) empirical method ولهذا ابتعدت عن كل المفاهيم الغيبية او الميتافيزيقية التي لايمكن ملاحظتها او التحكم فيها او التنبؤ بها ، وعليه فهي تستعصي على الفهم .

٢ – اصرار النظرية على اتباع المنهج العلمي كما هو مطبق في العلوم الفيزيقية ، الذي يؤدي الى فهم الظواهر ، التنبؤ بها ، والتحكم فيها وذلك عن طريق اكتشاف القوانين العلمية التي تحكم السلوك .ويمكن عد هذه المدرسة (م – س) النموذج الفاعل بالنسبة للمنهج التجريبي الموضوعي الذي يتناول السلوك الانساني .

٣ – استطاعت هذه المدرسة ان توظف الكثير من المفاهيم التي كانت تعد مفاهيم غيبية بسبب عدم خضوعها للمنهج العلمي ، واستطاعت هذه النظرية ان توظف هذه المفاهيم في ضوء الاسس التي طرحتها ،والقوانين التي وظفتها مما ساعد على تفسير هذه المفاهيم القبلية .

٤ – اسهمت هذه النظرية في ابراز دور السلوك (الظاهر منه والمضمر) overt and covert اذ تعدّ هذه المدرسة السلوك هو الشخصية سواء في حالته السوية ام غير السوية ، والسلوك هو العرض symptom واذا كان هذا السلوك مضطرباً او مختلاً ، فان العلاج يمكن في تعديل هذا السلوك ولا شيء يوجد وراءه . اي انه لاتوجد اسباب داخلية في الفرد تسبب سلوكاً سوياً او غير سوي ، ويؤكد هذه المقولة ايزنك Eysenck (١٩٦٣) «العلاج السلوكي ، الانطفاء ، والارتداد في العصاب» "Behavior, Therapy, Extinction and relapse in Neurosis"

«لاشيء وراء الاعراض» .

أوجه النقد بالنسبة للنظرية :

١ – هناك نقد يوجه للنظرية خاصاً بالتعميم من المعمل (المختبر) الى الحياة الحقيقية ، وبمعنى آخر نقل مايحدث داخل المختبر من تجارب حيث تكون جميع العوامل والظروف والشروط محكومة ، ومسيطر عليها ، ويختلف الوضع بطبيعة الحال خارج المختبر ، ومن ثم فان عملية النقل المذكورة يشوبها الكثير من الشك ، الا ان السلوكيين يردون على هذا النقد بقولهم اذا ما استطعنا ان نعمم من موقف (غير محكوم وغير مسيطر عليه) ، الى موقف آخر غير محكوم ايضاً وغير مسيطر عليه، فاننا حينذاك لانستطيع حصر أو السيطرة على المتغيرات المتباينة في كل من الموقفين ، وعليه فالتعميم هنا ايضاً بالضرورة خاطئاً .

٢ – هناك نقد آخر يوجه الى المدرسة السلوكية تحت دعوى ان التعميم من الحيوانات (الفئران ، والقطط ، والكلاب ، والحمام .. الخ) الى الانسان

يكون خاطئاً بالضرورة، فهذه الحيوانات ليست اجتماعية non-social ولاتتكلم non-verbal فالتعميم يكون بالضرورة مخلا انظر الخلاف الكيفي بين الأنسان وجميع اعضاء المملكة الحيوانية في الفصل الأول من الكتاب « محددات الشخصية — المنظومة البنائية ويرد السلوكيون على هذا بقولهم ان البعض مستاء من هذه النقلة من الحيوان الى الأنسان اذ يظن هذا البعض ان ذلك يقلل من قيمة الأنسان حين يقارن بالفأر مثلا ، ويضيف السلوكيون الى ذلك قولهم ان هذه النقلة هي كالنقلة التي تتم حين نقارن الراشد بالطفل في المهد .

٣ — تنتقد النظرية من جانب علماء نفس مدرسة الجشطلت ، باعتبار ان السلوكية تيار ذراتي atomistic يتعامل مع الجزء ، ويقوم بتفتيت السلوك وانتزاعه من سياقه ، وفي ضؤ قوانين الجشطلت الخاصة بأن الجزء تتحدد هويته في ضوء الكل الذي ينتمي اليه هذا الجزء، وان الفهم للسلوك لن يتأتى بهذه النظرية الجزئية (الذراتية) بل لابد من فهم السلوك بطريقة كتلية وكلية . كما يتهم علماء مدرسة الجشطالت السلوكيين لاغفالهم عملية « الأدراك» perception فعملية الأدراك كعملية معرفية تنقل ماهو موجود في العالم الخارجي الى الفرد عن طريق حواسه ، ثم يقوم المخ (القشرة المخية cortex) بتفسير أو تأويل ماسبق وتم أدراكه من مدركات Percepts في البيئة ، وقد وضع الجشطلتيون مجموعة من القوانين تخضع لها عملية الأدراك ، وما يصاحبها من خلل في عملية الأدراك نفسها — خداع الحواس — فخداع البصر optical illusion كمثال يجعل الفرد يرى قضبان السكك الحديدية كأنها ستلتقي بعد مسافة ما ، في الوقت الذي

نعرف جميعاً انها خطوط متوازية (اي لاتلتقي) ، وكذلك بالنسبة لظاهرة السراب ، وظاهرة الفاي ... الخ) يمكن الرجوع الى اي كتاب في التعلم) .

٤ ـ مع كل المحاولات التي يبذلها السلوكيون لتحديد معاني المصطلحات اجرائياً، اي تعريف المفاهيم المطروحة اجرائياً عن طريق مايعرف بالتعريف الأجرائي Operational defiinition ، فإن مفهومي (م ـ س) (المثير الأستجابة)لازالا في حاجة ماسة الى تحديد فهما صادقا تماماً واجرائياً في حالات السلوك البسيط كالأفعال المنعكسة في الحيوان ، وفي الطفل وفي الراشد ، ولكن في حالات السلوك المركب والمعقد والمحكوم بمجموعة لاتحصى من خبرات تأريخية وحضارية وموقفية يصعب ان لم يستحل ارجاع سلوك معين (من انواع السلوك المركبة) الى مثير ما او حتى موقف به مجموعة مثيرات .... فالسلوك المركب السوى اوغير السوى (الشاذ) يكون نتيجة لمجموعة يصعب التحكم فيها او تحديدها ـ اي مجموعة مؤثرات موقفية وخبرات ماضية وتجريدات في ذهن الفرد، تكونت عبر تأريخه المنصرم ووضعه الحاضر ومطامحه المستقبلية ـ وعليه يصبح من التبسيط المخل التكلم على «المثير» وكأنه شي يمكن السيطرة عليه والتحكم فيه. والتنبؤ بالأستجابة المتوقعة .الا في حالات الفعل المنعكس البسيط، او العادات الطفلية ، ولاينسحب على سلوك الراشد المحنك ولاعلى السلوك الشاذ برمته . وينسحب نفس الكلام على مفهوم « الأستجابة » اذ لايمكن ارجاع استجابة مركبة الى موقف مثير أو مواقف مثيرة الا في الحالات البسيطة ايضاً من السلوك . ولقد ادرك

« دولارد وميللر» هذا الأشكال وحاولا تسمية نظرية (م-س) بنظرية الرابطة او الوصلة . The bond theory اذ ان تحليل الرابطة او الوصلة قد يكون أكثر فعالية ، ويمكن الحديث عنه أكثر من الحديث او التحكم في كل من المثير او الأستجابة .

ثالثاً : نظريات تستند إلى الحتمية التفاعلية :

(١) الفرويدية الجديدة- النظريات السيكولوجية الأجتماعية

Social Psychological Theories

الفريد ادلر	Alfred Adler	(١٨٧٠ - ١٩٣٧)
اريك فروم	Erich Fromm	(١٩٠٠-)
كارين هورني	Kareen Horney	(١٨٨٥-١٩٥٢)
هاري ستاك سولفيان	Harry Stack Sullivan	(١٨٩٢-١٩٤٩)

في اواخر القرن التاسع عشر، أدى علماء الأنثروبولوجي (بند كت ، . ميد ، مالينووسكي، وادوارد سابيرو .....الخ) وكذلك بعض علماء الأجتماع البارزين (جورج ميد، ليونارد كوثرل، كانترل ....الخ) دوراً مهماً في ابراز اثر الثقافة Culture (انظر البعد الثقافي في الفصل الثاني من الكتاب) وكذلك اثر التنشئة الأجتماعية Socialization (انظر البعد الأجتماعي في نفس الفصل)، في تشكيل وصياغة الفرد .

وقد تأثر الفرويديون الجدد بهذا التيار بالأضافة الى تأثيرهم واعجابهم «بفرويد» وبمنهج التحليل النفسي الذي تبناه، وطوره ، وقد ابتعد كل منهم عن التفكير الفرويدي الكلاسيكي الذي يركز في الأساس على «الفطرية» و« التكوينية» « والطاقات الكامنة » وسبق بأن طرحنا ذلك في الفصل الثالث عند عرض نظرية «فرويد» تلك النظرية التي اغفلت الى حد كبير الثقافة ،

والأجتماعية والتأريخ الحضاري، واثر ذلك كله في بناء الشخصية. وركزت اساساً على البناء العضوي التكويني للفرد ومايصاحبه من اجهـزة نفس جنسية. (انظر: عزيز حنا وآخرون : الشخصية بين السواء والمرض ١٩٨٩)

ويشترك العلماء الأربعة في انتمائهم للمدرسة الفرويدية الجديدة ، مـع وجود تباين واضح فيما بينهم،في ضوء الرؤى المختلفة لكل منهم،والتركيز على مفاهيم خاصة ذات دلالة من وجهة نظر كل منهم ولنبدأ :ـ

الفريد أدلر (١٨٧٠ ـ ١٩٣٧)

ولد في فينا ، انهى دراسته للطب وعمل طبيبا للعيون لفترة ، ثم تحول الى علم النفس ، اعجب بفرويد واشترك معه في تأسيس جمعية فينا للتحليل النفسي ، ثم رأس الجمعية لفترة محدودة . بدأت افكاره تظهر مغايرة لافكار فرويد ،وكذلك لاراء اعضاء الجمعية التي يرأسها ،ونتيجة للكثير من الأختلافات في الرؤى بينه وبين اقرانه في الجمعية ،اضطر للاستقالة ثم ابتعد عن التحليل النفسي الفرويدي .

اهتم « أدلر » بدراسة ذاتية الفرد واطلق مصطلح علم النفس الفردي ، Individual Psychology . وسرعان ماالتف حوله بعض العاملين في مجال علم النفس، وتكونت جماعة سميت بجماعة علمالنفس الفردي وحين ذهب أدلر ليعيش في الولايات المتحدة الأمريكية ١٩٣٥ سئل من قبل كارل ميرتشيسون Carl Murchison كي يلخص وجهة نظره في علم النفس الفردي .وفي مجلد تحت عنوان علومالنفس Psychologies لعام ١٩٣٠ :(اعتاد ميرتشيسون الأستاذ بجامعة كلارك ان ينشر كل خمس سنوات مجلداً في علوم النفس، اذ كانت علوم النفس لسنة ١٩٢٥ واخرى لعام ١٩٣٠ وهكذا ...) .

وقد عبّر « أدلر » بوضوح عن مفهومه عن علم النفس الفردي بكتاب مهم بالنسبة له تحت عنوان « الممارسة والنظرية لعلم النفس الفردي » .

The Practice and theory of Individual Psychology

في هذا الكتاب ابرز ادلر ان سلوك الأنسان تحركه الحوافز الأجتماعية باعتبار ان الأنسان كائن اجتماعي ، مرتبط بالاخر ويمارس انشطة اجتماعية ويكتسب اثناء نموه اسلوب حياة Style of life ، ويتسم بالتعاون والأجتماعية ، وبمعنى آخر يتم تطبيع الفرد اجتماعياً من خلال تعرضه للعلاقات الأجتماعية ويعد الأهتمام الأجتماعي في الفرد فطري innate النشأة ، الا ان شكل العلاقات الأجتماعية وصياغتها تتحدد بنوع المجتمع ، ونوع النظم الأجتماعية السائدة فيه . وعليه فللانسان بالفطرة اهتمامات اجتماعية، كما ان الشخصية عند أدلر « متفردة » unique ، كذلك ذات الفرد « فريدة »بدورها ،والشعور في تصوره هو مركز الشخصية والأنسان يعيش شاعراً بذاته ،قادراً على تخطي الصعاب ، ومن ثم يتسم سلوكه بالقصدية intentionality

بعض المفاهيم المهمة التي طرحها «ادلر»

١ ــ النضال من اجل التفوق (تعويض النقص) :

يقول أدلر في كتابه«دراسة للنقص العضوي والتعويضي والنفسي ازاءه عام ١٩١٧

"Study of organ inferiority and its Psychical compensation"

ان اصابة الفرد بمرض ما في عضو خاص في الجسم ، يشير الي ضعف بناء اوتكوين هذا العضو ويشير بهذا الصدد الي ان الشخص المصاب بعجز او قصور في عضو ما ، يحاول في الغالب تعويض هذا النقص اوالعجز ، بالعمل على تقوية هذا العضو بالمزيد من العمل اوالتدريب . ثم تطور هذا المفهوم لديه ،ولم يصبح قاصراً على النقص العضوي فحسب ،ولكنه

اصبح يعني به الشعور بالنقص عامة . وقد يتضمن هذا الشعور بالنقص نواحي نفسية او اجتماعية غير النواحي العضوية . وحين يحس الأنسان بهذه«الدونية» يدفعه هذا الشعور للتعويض الزائد Over-compensation وبهذا الصدد يقول « ادلر » الآن بدأت ارى بوضوح في كل ظاهرة نفسية (النضال من اجل التفوق) .

Now I began to see clearly in every psychical Phenomenon the "striving for superiority".

وهذا « النضال» او « الكفاح» يسير موازياً مع النمو الجسمي ، ويعد بمثابة ضرورة واقعية للحياة نفسها . ويعدّ النضال من اجل التفوق الأساس لطرح كل الحلول المتاحة اوالممكنة لمواجهة مشكلات الحياة ، وتتبع كل وظائف الأنسان الفرد هذا المفهوم . اي ان كل وظائف الأنسان الفرد تناضل من اجل اكتساب الثقة واليقين ، والمزيد من التفوق والسيطرة ، وهذه القوة المتمثلة في النضال ،تدفع الفرد بصفة مستمرة ليتخطى الصعاب ، وليس هناك من نهاية لهذا الدفع اي ان الحث هنا يتسم بالاستمرارية و يدفع من اسفل الى اعلى.

ويقول ادلر في الفصل «٢١» من مجلد ميرتشيسون عام ١٩٣٠ .

Adler, A., "Individual Psychology" in Murchison Co., Ed., 1930 "Psychologies"

«مهما كانت المقدمات المنطقية التي يحلم بها كل الفلاسفة وعلماء النفس عن حماية الذات ، ومبدأ اللذه ،والتعادلية .... الخ فان كل هذه المصطلحات مزاعم غامضة (مبهمة) ، اومحاولات للتعبير عن (الدافع العظيم الصاعد للاعلى great upward drive) ، ويضيف « ان تاريخ العنصر البشري يشير الى وجود هذا الأتجاه كما يتمثل في الأرادة ، والتفكير ، والكلام والبحث عقب الراحة ، وعقب المتعة ، والتعلم ، والفهم ، والعمل والحب ....كل ذلك « يدل على "betoken" وجود . هذا اللحن الخالد،

٢ – اهمية البعد الاجتماعي :

في كتابه «مشكلات العصاب «عام ١٩٢٩ « "Problems of Neurosis" يبرز أدلر الدور الأجتماعي الفطري في الفرد . فمنذ الطفولة الباكرة يسعى الطفل لاشباعاته من خلال سياق اجتماعي Social-context ، وتتطور ممارساته ، وحين يحس بالنقص في مواجهة بعض المعوقات يتحفز للعدوان ضد مصادر الأعاقة ساعيا الى القوة Power ومع المزيد من التوافق الأجتماعي ، يتطور السعي من القوة الى النضال من اجل التفوق :(يبرز هنا التأثير المبدئي لفرويد عليه ، فقد طرح « فرويد » مفهوم غرائز الموت كما تمثل في العدوان ، الذي طوره ادلر لمفهومه عن النضال من اجل التفوق (. والملاحظ ان « أدلر » قد نحى نحو اجتماعية الأنسان بدلا من انانيته وعليه فانسان « أدلر » تحركه اهداف مستقبلية ، كما تحركه توقعاته ، اكثر مما تحركه خبراته الماضية ، واذا كان ثمة مقارنة بينه وبين « فرويد » فالشخصية عند « فرويد » تسير وفق مبدأ« العلية» وتعيش اسيرة للماضي ، ويحكمها الى حد كبير اللاشعور ، في الوقت الذي يصور فيه «أدلر » الشخصية على انها تسير وفق مبدأ « الغائية » وتعيش متطلعة الى المستقبل ويحكمها الشعور .

٣ – الذات المتفردة :

يعد « أدلر » الذات المتفردة متغيراً وسيطاً intervening variable يقع مابين العالم الخارجي المملوء بالمثيرات ، والأستجابات لهذه المثيرات ،وهي – اي هذه الذات – اساس بناء الشخصية عنده ، وهي تكوين فرضي hypothetical construct ، ولكن تتضح آثار هذا التكوين الفرضي في اداء الفرد اي سلوكه ، وهذه الذات تعمل من خلال مايقدمه

المجتمع للفرد، ولكن طريقة تناول وتعميل Processing هذه المدخلات يتم بطريقة واسلـــوب فريدين ، وفي الوقـــت نفسه لايلغـــي «أدلر» دور التربية وعوامل التنشئة الأجتماعية من جانب الأباء ، فهي تشجع عـــلى قيام الذات المتفردة بدورها بطريقة اكثر نضجاً وفعالية وايجابية ، وذلـــك بالمقارنة اذا ماكانت عوامل التربية وعوامل التنشئة الأجتماعية يشوبها الكثير من اوجه النقص ، اذ قد يؤدي ذلك الى استجابات مرضية (كالعصاب مثلا) وقد اعترض « أدلر» ان ترتيب الطفل في الميلاد يعد محدداً حاسما في بناء شخصيته ، وهو على قناعة بأن الأكبر والأوسط والأصغر من الأطفال داخـل الأسرة الواحدة سوف ينمون بشخصيات مختلفة ، وذوات متفردة متباينـــة لان لديهم خبرات اجتماعية مختلفة . وقد أكدت دراسات « ستانـــلي شاكتر Stanley- Shakter في كتابه « الوضع الرتبي وكفاءة الطيار المقاتل» ١٩٥٩ Ordinal Position and fighter Pilot effectiveness

هذا الفرض من خلال دراساته عن مجموعات من اسر الطيارين المقاتلين، وترتيب وضعهم الرتبـي فـي الأسرة (الأول ، والثانـي ، الثالث ...الخ) وقد أثبتت هذه الدراسات ان للوضـع الرتبي اثراً في درجة القلق والخوف فالمولود اخيراً يكون مقاتلا افضل مـن المولود الأول .

٤ – الافكار غير الصادقة (الخرافية المتسلطة)

يعيش الأنسان في مواقف كثيرة على افكار غير صادقة (خرافية) ، تتناقلها الأجيال وتعدّ بمثابة حقائق ، ولايمكن التيقن منها الا من خلال اتباع المنهـج العلمي في التفكير ، وبمعنى آخر لابد من فهمها كظواهر والكشف عن القوانين التي تحكمها حتى يمكن التنبؤ بها والتحكم فيها ..... وحيث انه يستحيـل اخضاعها للمنهج العلمي ، تعدّ اوهاما يعيشها الفرد .

فاذا اقتنع فرد ما ببعض هذه المقولات دون تمحيص أودحض علمي ، فقد تسير حياته وفقاً لها ، وتعدّ اهدافاً يهفو لتحقيقها ، ومن ثم يدفعه الوهم لتحقيق ذلك . ويشيع بين الأيرانيين مثلا (خرافة مؤداها ان الموت في الحرب العدوانية من جانبهم ضد العراق ، يؤدي بالميت من الأيرانيين الى مكان مافي الجنّة ، بل ان الأسرى والموتى منهم ، وجدت معهم مفاتيح لهذه الجنة المزعومة . ومن ثم تشحذ هذه الأوهام الروح المعنوية لهؤلاء الأميين بمثل هذه الأفكار الخرافية) . وكثيراً ماتسمع مقولات مثل كل طويل « اهبل» وكل قصير « فتنة» ، شعب الله المختار ، « الجنس الأري فوق الجميع » ، التاريخ يعيد نفسه ، القرش الأبيض ينفع في اليوم الأسود ...الخ.

والشخص ذو المنهج العلمي يستطيع ان يتجاوز هذه المقولات ، لانه يسير بموضوعية نحو تحقيق اهداف يرسمها ويخطط لها بمنهج علمي ، اما العصابي فيغلب على نمط تفكيره هذه الصور من الأوهام ، ولايستطيع التخلص منها ، وعادة مايتسم سلوكه — من خلال صراعاته بافكار وهمية كثيرة فهو افضل الكل ، واذكاهم ، واكثرهم جاذبية ، واكثرهم شعبية ، وكثيراً ماتدفعه هذه الأوهام الى الدخول في منافسات محاولا تخطي الأخرين ، فاذا نجح سبب له النجاح خوفاً بسبب حسد الأخرين وهو في حاجة اليهم ، واذا فشل سبب له الفشل خوفاً مضاعفا ، وكثيراً ما يصاحب هذا الطموح المرضي لدى العصابي — نتيجة هذه الأفكار اوالأهداف الوهمية — كف في العمل ، ويحيره الشك في الجميع ، وقد يصاب بالأكتئاب .

٥ — اسلوب الحياة :

يبدأ اسلوب الحياة ببداية حياة الوليد ، ويتشكل هذا الأسلوب ، من المؤثرات الباكرة في حياة الطفل . ومن اهم الاتجاهات الوالدية التي تشكل اسلوب حياة الطفل ثلاث اتجاهات رئيسة :

(آ) اتجاهات الحماية الزائدة Over-protective attitude

ويتمثل هذا الاتجاه الوالدي في تدليل الطفل الزائد ، واشباع رغباته كافة دون حساب ، ويصبح الطفل آمراً ناهياً ، فيتسم اسلوب حياته بالفردية والأنانية ، ولا ينمو لديه الاحساس بالاخرين وبالمجتمع ، وحين يعتاد الفرد هذا الاسلوب يتوقع من الاخرين الامتثال لكل ما يرغب فيه ، واذا شغل مركزاً مرموقاً في المستقبل يصبح قاسياً لا يشارك الآخرين وجدانياً ، ويتوقع منهم الطاعة والموافقة ، وهو اسلوب يميز الطغاة والاوتوقراطيين .

(ب) اتجاه الاهمال الزائد Over-negligence attitude

ويتمثل هذا الاتجاه الوالدي في اهمال الطفل وعدم تحقيق الامن والرعاية والحنان بالنسبة له ، فيشب الطفل ويصبح راشداً حاقداً ، جاف الوجدان ، شكاكاً ، غير آمن ، وحين يصبح راشداً ، يتضح في اسلوب حياته من خلال معاملته للآخرين ، اللااجتماعية ، واللا انتماء ، والانانية ، ومحاولة الكسب بأية طريقة لتأمين حياته .

(ج) اتجاه السيطرة الزائدة Over-domineering attitude

ويتمثل هذا الاتجاه الابوي في القسوة في معاملة الابناء ، والعقاب الصارم عند اقل الاخطاء ، ويعاني الطفل من كثرة الاحباطات ، وحين يصبح راشداً ، يتمثل في اسلوب حياته من خلال معاملته للآخرين ظاهرة الرفض ، والعداء ، والرغبة في الانتقام. ويتسم سلوكه بالعدائية hostility والعدوانية aggressiveness

وقد ينشأ الطفل وهو يعاني من عجز جسمي او تكويني ، واذا لم يتلقفه الآباء بذكاء وبصر ، عن طريق التشجيع المستمر ومحاولة غرس الثقة في نفس الطفل ، ليعوض هذا العجز ، بل قد ينجح الآباء في تحويل هذا العجز

إلى قوة عن طريق التعويض ، واذا لم يع الآباء ذلك ، وحاولا التندر عن الطفل ، او مجرد الاشفاق السلبي تجاهه ، فكما يقول «ادلر» فان الاعضاء العاجزة او المتدنية ربما تكون مسؤولة عن المشاعر النفسية المتدنية ايضاً . (احساس الطفل او الراشد بالدونية) . ولا يتعارض هذا الطرح ومفهوم «النضال من اجل التفوق» ، ولكن كي يتم هذا التعويض لابد من تشجيع الطفل اولا ليتجاوز هذا النقص ، ويشجع ويثاب ، وبذا يتحقق كفاحه من اجل التفوق ، ويصبح راشداً سوياً ومتوافقاً ، ودراسة الذكريات والخبرات الاولى للشخص تعد ــ من وجهة نظر «ادلر» ــ اساساً مهماً لفهم اسلوب حياته المستقبلي .

ويتمحور العلاج النفسي عند «ادلر» في جعل المريض واعياً بنقصه في معاونة المعالج . وفي اقناعه بأصل هذا النقص من طفولته ، ومن سوء التوافق الذي ترتب على ذلك ، والهدف من هذا تنمية وزيادة قدرة المريض في معاونة المعالج ، بهذا تُزال «عقدة النقص» لديه نتيجة صحوة عنصري الشجاعة والتفاؤل وايجاد معنى لحياته .

اريك فروم (١٩٠٠ ــ)

ولد في فرانكفورت بالمانيا ، اتم دراساته في علم النفس وعلم الاجتماع ، وعمل محللا نفسياً في ميونخ ، وكان من المعجبين بتكنيك «فرويد» في التحليل النفسي . سافر إلى الولايات المتحدة وعمل محاضراً في مجال التحليل النفسي في شيكاغو ثم استقل بفتح عيادة للتحليل خاصة به .

ومن اهم مؤلفاته «الهروب من الحرية» ١٩٤١ Escape from fredom «والانسان لنفسه» ١٩٤٧ "Man for himself" «والمجتمع العاقل » ١٩٥٥ The sane society

النقطة المحورية في تصور «فروم» عن الشخصية تكمن في التفرقة بين مصطلحين مهمين اولهما الطابع الاجتماعي للشخص The social character of the person ، وثانيهما الطابع الفردي للشخص the individual character of the person. يولي «فروم» اهتماماً بالغاً بالطابع الاجتماعي ، وفي دراساته للاستجابات السيكولوجية لجماعة ما ، يهتم ببناء الطابع الجمعي لافراد هذه الجماعة . وبهذا ينصب الاهتمام لا على ما يميز افراد الجماعة بعضهم عن البعض الاخر ، أي التباين الموجود بين الافراد ، ولكن ينصب الاهتمام في بناء هذا الطابع على ما هو مشترك بين افراد هذه الجماعة ، وهو ما يسميه «بالطابع الاجتماعي» . وبطبيعة الحال لا يتسم هذا الطابع بالخصوصية التي يتسم بها الطابع الفردي، اذ ان الاخير اما يعني : (كل السمات المميزة للفرد والمصوغة والمكونة لشخصيته) ، بينما يتكون الطابع الاجتماعي من مجموعة مختارة فقط من السمات ، وتعد «النواة الاساسية» essential nucleus في بناء الطابع المميز لمعظم افراد الجماعة . هذه «النواة الاساسية» تكون قد نمت وتطورت نتيجة للخبرات الاساسية واسلوب الحياة الشائع بين افراد هذه الجماعة . ويتوقع ان لا ينسحب هذا الكلام على بعض الافراد ، ومن ثم لا يطيعون بالطابع العام الشائع ، ولكن تظل الحقيقة قائمة ، وهي ان هناك طابعاً عاماً لافراد الجماعة ، والخروج عن هذا الطابع العام الذي يظهر في بعض الافراد مكوناً طابعاً مغايراً قائماً لا يكون الا بعض الانتشارات للنواة الأساسية في هذه الجماعة ، وعليه يصبح مفهوم الطابع الاجتماعي هو المفهوم الرئيس لفهم العملية الاجتماعية .

هذا الطابع الاجتماعي يحدد بدوره التفكير ، والمشاعر ، والافعال لدى الافراد . واذا كان هذا الوضع يغاير المفهوم السائد لدى البعض من ان التفكير

عملية معرفية ، موجودة في التنظيم المعرفي (العقلي) ومستقلة عن البناء النفسي للشخصية ، فان «فروم» يرى ان كل مفاهيم التنظيم المعرفي والوجداني لها مصفوفة انفعالية emotional matrix او نسيجاً انفعالياً .فالحب ، والعدل ، والمساواة ، والتضحية ، والتفكير ، والتخيل ، والتذكر .... الخ كلها مفاهيم لها هذه المصفوفة او هذا النسيج الانفعالي . وهذا النسيج له جذور في الطابع الاجتماعي للفرد ، واذا اردنا ان نفهم روح الثقافة او الكشف عن مفتاح فهم روح الثقافة في مجتمع ما ، فان علينا ان نبحث عن النسيج الانفعالي للافكار . فالمجتمعات المتباينة ، او الطبقات الاجتماعية داخل المجتمع الواحد ، لها طابع اجتماعي خاص . وفي ضوء هذا الطابع تنمو لدى هذه المجتمعات او هذه الطبقات افكار خاصة بهم ، وتصبح فاعلة ومؤثرة في سلوك الافراد . والخلاصة ان بناء طابع الفرد الاجتماعي ، يؤثر في تفكيره ومشاعره وكذلك افعاله .

ويدلل «فروم» على ذلك بقوله في المجتمع المعاصر ، يمكن ان تصبح افكار مثل العمل والنجاح مقبولة ، وتعد اهدافاً اساسية في حياة الانسان المعاصر في مجتمع متقدم ، وربما تجعل الفرد في مثل هذا المجتمع يحس بالوحدة والقلق وينمو لديه الشك اذا لم يستطع تحقيق هاتين الفكرتين . ولكن الدعاية لهاتين الفكرتين «العمل والنجاح» والمجهود المتواصل للكفاح من اجل النجاح اذا ما وجهته لفلاح مكسيكي ، فانها لن تؤثر فيه ، ولن تدفعه ، اذ يصعب عليه فهم هذا الامر بسبب الطابع الخاص الاجتماعي الذي يميز جماعته .

ونحن نرى بوضوح في مجتمعنا العربي ، طابعاً اجتماعياً خاصاً بكل قطر ، بكل شريحة في هذا القطر او ذاك في ضوء الثقافة السائدة ، وفي ضوء الثقافات الفرعية المميزة لجماعات هذا القطر او ذاك في الوطن العربي . ولذلك تكون

الوظيفة الذاتية لطابع الشخص الاجتماعي العادي هي ان توجهه ليعمل وفق ما هو ضروري بالنسبة له ، ومن وجهة نظر عملية . كذلك تجعله راضياً من الوجهة السيكولوجية حين يمارس هذا النشاط . والمطالب الاجتماعية تتحول في الفرد إلى خصائص ، عن طريق الاستدخال internalization ، ويؤدي هذا الاستدخال لهذه المطالب إلى تقوية طاقة الفرد للعمل في المنظومة الاقتصادية والاجتماعية التي ينخرط فيها .

والوظيفة الاجتماعية للتربية كما يطرحها «فروم» هي تأهيل الفرد ليقوم بوظيفته من خلال الدور الذي سيؤديه في المجتمع مستقبلا . اي ان التربية مسؤولة كأداة اجتماعية عن جعل الطفل منذ باكورة ايامه ، متوافقاً مع حاجات المجتمع ومطالبه ، بحيث تكون تصرفات الطفل ، ومن ثم الراشد متناغمة مع النظام الاقتصادي الاجتماعي السائد ، وعليه فالشخص في نظر «فروم» حتى يتوافق لابد وان يكون مسايراً conformist .

ففي المجتمع الرأسمالي ، يتعلم الناشئة كيف يسلكون ازاء دعم النظام الرأسمالي ، فتبرز لديهم اهمية التوفير saving لتجميع رأس المال لدعم الاقتصاد على سبيل المثال ، وفي المجتمع الاشتراكي يتعلم الناشئة كيف يحترمون العمل ، بغض النظر عن مستواه ، ويكتسبون مفاهيم العمل الجمعي الانتاجي ، والتعاون ، والبعد عن الفردية ، حتى يتحلون بالأخلاق الاشتراكية.

واذا فرض المجتمع على الإنسان مطالب تتعارض مع تكوينه سبب له ذلك الأحباط. وكذا الحال اذا تكونت طباع الناس من خلال نظام مجتمع قائم في مرحلة معينة، ثم تغير هذا المجتمع وتبنى نظاماً جديداً مختلفاً كالتحول مثلا من الأقطاع الى الرأسمالية ، ومن الرأسمالية الى الأشتراكية، ومن الريف الى المدينة على سبيل المثال لاالحصر، قد يؤدي هذا الى اضطراب

الطابع الأجتماعي الممتص لدى الأفراد، وقد يحس الفرد حينذاك بالأغتراب alienation وينعزل ويعاني الوحدة . ويرسم «فروم» مجتمعاً يجمع مابين الناس «المحبة» و«الأخوة» ، مجتمعاً يكتسب فيه كل فرد شعوراً ذاتياً قوياً لاقهر فيه او خضوع ، مجتمعاً انسانياً ، مجتمعاً يتيح الفرص لأفراده ليخلقوا بدلا من ان يدمروا، وقد اطلق« فروم» على هذا المجتمع «الأشتراكية الأنسانية الجماعية» .

ويشير «فروم» الى وجود اربع حاجات ضرورية للفرد يسعى لأشباعها حتى يحس بالتوافق هذه الحاجات هي :ـ

١ ـ الحاجة الى الأنتماء الأجتماعي، فالأنسان يختلف عن افراد المملكة الحيوانية ، التي يقتصر تعاملها مع الطبيعة لأشباع حاجاتها العيانية concrete needs اما الإنسان فقد تجاوز اشباعاته العيانية واصبحت له مجموعة حاجات اجتماعية منها الإحساس بالأنتماء sense of belonlngness ، فالأنتماء الى الوطن او الى مكان العمل ، او الى العائلة ، او الى ناد او الى مدرسة فنية معينة، كلها حاجات ضرورية للانسان ليرتفع فوق الطابع الحيواني .

٢ ـ الحاجة الى الشموخ (التعالي)، فالأنسان يسعى دوماً للارتفاع والأرتقاء ومن ثم يعمل لتزدهر مواهبه، ويسعى لأن يصبح مرموقاً من خلال تنمية خياله، ومن خلال التحضر، ومن خلال الفنون قاطبة، حتى يصبح مبدعاً، فناناً ، متبلا على الحياة وعلى الناس ، محبا ، واذا ماصدم او تكررت احباطاته، فإنه يصبح كارها. والحب والكراهية استجابتان متباينتان لقضية واحدة هي الحاجة الى الشموخ ، فإذا تحقق الأشباع اصبح الشخص محباً، واذا لم يتحقق اشباع هذه الحاجة وحدث الأحباط تولدت الكراهية .

اذ هما استجابتان مختلفتان ناتجتان عن اشباع او عدم اشباع الحاجة للتعالي .

٣ ــ الحاجة الى الهوية: يحتاج الفرد في اثناء بناء طابعه الأجتماعي الى ان يتوحد مع الاخر، اويتوحد مع العمل، حتى يبتعد عن الوحدة والعزلة والأغتراب . وفي الحالات المرضية قد يتوحد مع المعتدي ، اومع نموذج مرضي، فقد يتوحد العبد مع جلاده ، وقد يمارس دور الجلاد نفسه في المستقبل، ويمكن ان نرى ذلك اذا توحد الصهاينة مع النازيين جلاديهم السابقين وهم يمثلون في فلسطين المحتلة الدور نفسه.

٤ ــ الحاجة الى الأنضباط الأجتماعي: تحدد المعايير التي يطرحها النظام القائم نوع القيم السائدة، التي ينبغي مسايرتها ، والألتزام بها والتوافق معها، والعمل على تدعيمها. واذا ماامتص افراد المجتمع هذه المعايير والنسق القيمي السائد ساد الوئام كيان المجتمع وعاش في هناء .

بيد ان هناك خلافاً في الحاجات عند« فروم» عن مفهوم الحاجات عند «فرويد» .فعند «فروم» تنمو لدى الفرد من خلال علاقته بالاخرين حاجات مثل الحب ، الكراهية ، والتعاطف ، وتبادل المنفعة ، والأحساس بالأنتماء ..... الخ. وتعد كل تلك الحاجات ظواهر نفسية اساسية .

اما عند «فرويد» فهي نتائج ثانوية نتيجة الأشباعات او الأحباطات للحاجات الغريزية .

ويكمن خلاف آخر مؤداه ان الطفل عند« فرويد» يمارس اللذة من خلال المناطق الشبقية« الفم، الأست» وذلك من خلال عمليتي الرضاعة والتبرز ، ونتيجة لأستمرار التنبيه الزائد لهذه المناطق والأحباطات المصاحبة لها ، يحدث تثبيت للبيدو في هذه المناطق في الطفولة الباكرة. بينما في النمو

العادي فإن المناطق الجنسية هي التي تحظى بالأهتمام الشبقي. والتثبيت عند «فرويد» يقود الى ميكانزمات الدفاع كالاعلاء والتكوينات الضدية، وتصبح جزءاً في بناء الطابع لدى الفرد. فالبخيل او الشخص الذي يميل الى الأدخار (نقود او اشياء أخرى) يعني انه اجرى اعلاء لاشعورياً للرغبة في الأحتفاظ «بالعمود البرازي». او شخصاً يود ان يحصل على كل شيء من الاخر ، وليس نتيجة لجهده هو، لأنه مدفوع برغبة لاشعورية لأن يطعم، تلك الرغبة التي تم اعلاؤها الى الرغبة في الحصول على المساعدة المعرفية وغيرها. بينما عند «فروم» فالرغبة في الحصول على كل مايريده الفرد من حيث الحب ، والحماية ، والمعرفة ،والأشياء المادية، بطريقة سلبية ومن مصدر خارجي، فانها تنمو في طبع الطفل كأستجابة لخبراته مع الاخرين. فإذا حدث من خلال هذه الخبرات ان ضعف شعور الطفل بالقوة نتيجة مخاوفه او اذا ماشلت مبادأته وثقته بنفسه، واذا مانمت عدائيته وكبتت، وفي نفس الوقت قدم له الوالدان المودة او المحبة والرعاية تحت شرط الخضوع لهما فإن هذه الكوكبة من الظروف تقود الى ان تولد في الطفل اتجاهاً تكون فيه السيطرة الإيجابية قد ولت، وتتحول كل طاقاته الى مصدر خارجي للاشباع وهذا الأتجاه يتسم بالطابع العاطفي Passionate character لأنه الطريقة الوحيدة التي عن طريقها تتم محاولة تحقيق هذه الرغبات . ومن هنا تكثر في احلام هؤلاء الأفراد انهم يطعمون، ويعتنى بهم،ولما كان ان الفم مصدر الأخذ كان معبراً عن هذا الأتجاه الأستقبالي ، وليس الأحساس الفمي هو السبب في وجود هذا الأتجاه .

ويخلص «فروم» من ذلك الى ان الطبيعة الإنسانية مشروطة تأريخياً ، historically conditioned وليس معنى ذلك التقليل من دلالات

العوامل البايولوجية ، ومن ثم لاينبغي ان نضع القضيـــة وكأنها « عوامل ثقافية» ضد «عوامل بايولوجية» .

واذا كان « فرويد » ينظـــر الى الإنسان بوصفه كينونة entity ومنظومة مغلقة closed system ممنوحة من الطبيعة مع بعض الدوافع الفسيولوجية المشروطة. واذا كان تفسيره في نمو طابـع هذا الإنسان استجابة للاشباعات والأحباطات لهذه الدوافع، فان مدخـل «فروم» لفهم الشخصية الإنسانية يكمن في ادراكه لعلاقة الإنسان بالعـالـم وبالاخرين وبالطبيعة وبنفسه ايضاً. فالإنسان كائن اجتماعي، وليس مكتفياً ذاتياً self – sufficient في المقام الأول كما يذكر «فرويد» وتأتي حاجته للاخرين لأشباع حاجاته الغريزية في مقام ثانوي.

ولذلك يعد« فروم» علم النفس الفردي في الأساس علم نفس اجتماعي وبمصطلحات «سولفيان» علم نفس العلاقات بين الأشخاص . ومفتاح المشكلة في علم النفس ارتباط الشخص بالعالم وليس اشباع او احباط رغبة غريزية مفردة. وما يحدث للرغبات الغريزية يجب ان يفهم جزء من المشكلة الكلية وهي علاقة الفرد بالعالم، وليست مشكلة الشخصية الإنسانية. فالحاجـات والرغبات التي تتوسط الفرد في علاقته بالأخرين مثل الحب، والكراهيـة والتعاطف والمنفعة المتبادلة ، هي الظواهر السيكولوجية الأساسية عند« فروم» بينما هي عند« فرويد»توضع فقط في مقام ثانوي تكون عن الأشباعات او الأحباطات الغريزية .

كارين هورني (١٨٨٥–١٩٥٢)

ولدت في هامبورج (المانيا) درست الطب، وعملت بالتحليل النفسي زهاء خمسة عشر عاماً في معهد برلين للتحليل النفسي، ثم ذهبت الى الولايـات

المتحدة الأمريكية ،وعملت في معهد شيكاغو للتحليل النفسي، ثم عملت في نيويورك، واخيراً تركت التحليل النفسي الفرويدي، وكوّنت رابطة جديدة للتحليل النفسي وفق منظورها الثقافي هي ومجموعة من العلماء المحدثين الذين اعجبوا بأتجاهها. التزمت «هورني» بالتحليل النفسي ولكنها حاولت تخليصه من الميكانيكية البايولوجية، وطرحت شعار ان الأضطرابات النفسية تكمن اساساً في اضطرابات الطابع character وظهرت اهم اعمالها في ثلاث كتب :ـ

١ ـ الشخصية العصابية في عصرنا Nurotic personality of our times (١٩٣٧).

٢ ـ صراعاتنا الداخلية Our inner conflicts (١٩٤٥) .

٣ ـ العصاب ونمو الإنسان Neurosis and human growth (١٩٥٠) .

تعطي «هورني» اهتماماً بالغاً بالمؤثرات الثقافية في اثناء تربية الطفل . ولا تهمل في الوقت نفسه العوامل البايولوجية ، وتعد ان التوافق الذي يقود الى السواء واللاتوافق الذي يقود الى العصاب راجعة الى عملية التنشئة الأجتماعية في ضوء ثقافة ماعبر تأريخ هذا الفرد .

وتعد «هورني» العدوان غير فطري او غريزي كما يقول فرويد، ولكنه وسيلة يحاول بها الإنسان حماية امنه. وان القلق وعدم الشعور بالأمن ، مصدران اساسيان لما يشعر به الطفل والراشد، ويؤديان الى العزلة والتعاسة . وقد يتخذ العصابي اساليب للمواجهة منها مثلا العدوان على هؤلاء النابذين له، اويتخذ سلوكاً مغايراً يتمثل في شدة الخضوع كي يسترجع الحب الذي فقده ، واذا فشل في الحصول على الحب ، فقد يعمل على السيطرة

واستخدام القوة لتعويض احساسه بالعجز او النقص ،وقد يستغل الأخرين منافساً، ويصبح الكسب عنده اهم من الأنجاز .واذا مااستمرالشخص ممارساً لأحد الأساليب التي تحقق له اشباعاته، فإن هذا الأسلوب قد يصبح في حد ذاته دافعاً ملحاً مميزاً للشخصية. ويتمثل هذا بوضوح في سيكولوجية العصاب. والدافع او الحاجة العصابية يمكن تصنيفها وفق تصور «هورني» على ثلاث حاجات عصابية :

١ – الحاجة العصابية الأولى: وتتمثل في التوجه المرضي نحو الناس سعياً وراء الحب والتقبل الأجتماعي، ويتضح في سلوك العصابي رغبته العارمة في ارضاء الاخرين وعمل مايريدونه كي يرضيهم حتى لايحس بالهجر. كما يتضح في سلوكه ايضاً عدم القدرة على تحمل النبذ، وتعتريه رغبة ملحة في ان يكون محط اعجاب الاخرين في ضوء بناء صورة غير حقيقية عن صفاته، ويرد من الاخرين الأعجاب بهذه الصورة التي صنعها لنفسه، وقد يتضح في سلوكه الرغبة في ان يكون مرموقاً (البحث عن النجومية)، ويتضح ذلك في حالات الهستريا خاصة . Hysteria

٢ – الحاجة العصابية الثانية، وتتمثل في التوجه المرضي بعيداً عن الناس سعياً وراء الأستقلال ، ويتسم سلوك الشخص بالعزوف عن الناس وبعدم الأرتباط بأحد نتيجة اخفاقه في محاولاته اليائسة في العثور على الدفء العاطفي والمودة والحب. كما يتمثل في سلوك العصابي النمطية ويعاني من الأحساس بالأثم ، ويخشى ارتكاب الأخطاء ويحاول دائماً اخفاء هذه الأخطاء التي يرتكبها ويتضح ذلك في الكثير من مرضى الحصار (الوسواس) Obsession .

٣ ـ الحاجة العصابية الثالثة، وتتمثل في توجه العصابي ضد الناس وضد المجتمع ، فيسلك باحثاً عن القوة او السيطرة او الأمتلاك واستغلال الاخرين. ويتمثل في سلوكه ايضاً ظاهرة (اسقاط) اي رغباته على الاخر. الاخر هو الذي يكرهني ولست انا، الاخر هو الذي يريد استغلالي ولست انا، كما يتسم في سلوكه الشك ازاء الاخرين ويتمثل ذلك في صورة العصاب القهري Compulsive neurosis .

وتقدم «هورني» تحليلا رائعاً للخواص التي تميز العصاب بصفة عامة رغماً عن تباين انواعه :

١ ـ الخاصية الأولى في العصاب هي المنافسة Competition

تعدّ المنافسة بمثابة حجر الزاوية فيصراعات العصابي وتتمثل في النواحي الاتية :

هناك دائماً محاولة لمضاهاة الاخرين، والوقوف امامهم منافساً حتى في المسائل التي لاتتطلب ذلك. ويحاول العصابي تخطي الاخرين في كل مواقف المنافسة حتى مع افراد ليس لديهم الهدف نفسه، ويسعى العصابي نحو الاخرين لمعرفة من هو الأذكى ، من هو الأكثر جاذبية ، من هو الأكثر شعبية ؟

٢ ـ الخاصية الثانية وتتعلق بمحتوى طموح العصابي. وليس الهدف منها تحقيق شيء يستحق العمل من اجله (اي له قيمة) فحسب ولكن الهدف هنا هو ان يكون احسن الكل . هذه الطموحات توجد في الخيال ، وقد يكون العصابي واعياً بها او غير واع (شعورية اولاشعورية) ، وتختلف درجة التيقظ(الوعي) لهذا الأمر من عصابي لاخر.وقد تظهر في لحظات كالبرق الخاطف ، وتكون عادة في تضاد غريب مع الكف

نحو العمل ، او نحو القيادة ، بل نحو كل الوسائل التي يمكن ان تؤدي الى نجاح يؤمن الشخص . وتؤثر هذه الطموحات الخيالية في الحياة الأنفعالية للعصابين عن طريق الحساسية الزائدة للنقد ، واحياناً الأصابة بالاكتئاب أو الكف الذي يتبعه الفشل . وهذا الفشل قد لايكون حقيقياً اذ ان كل ما لايحقق الأحساس بالعظمة grandiose ايحس كأنه «فشل » ونجاح شخص آخر يعد: فشلا له. هذا الأتجاه التنافسي لايوجد فقط مع العالم الخارجي بل هو داخلي ايضاً، ويظهر ليضاهي الأنا المثالية . والطموحات الخيالية تزداد كمطالب متصلبة نحو الذات والفشل في تحقيقها يولد الأكتئاب والتوتر كما يحدث مع الاخرين .

٣ ــ الخاصية الثالثة هي كم العدائية المتضمنة في طموحات العصابي: فبينما تتضمن المنافسة الحادة عناصر العدائية، فهزيمة المنافس تعد بمشابة انتصار للعصابي. واستجابات العصابي تكون محكومة بالنهم(عدم الشبع) واللاعقلانية ، حتى ان العالم لايوجد فيه غير الذكي المؤثر الجذاب المحبوب. ويصبح العصابي حانقاً ويحس ان محاولاته محكوم عليها باللاجدوى futility'' « لااحد غيري» No one but me. يقود هذا الأحساس الى الخوف من الانتقام « الثأر » اذ ان النجاح يعرض للخطر ، والفشل يكون خطراً ينبغي تفاديه اذ الأفضل البقاء في ركن يكون متواضعاً. هذا الخوف يقود الى التراجع عن اية منافسة ويؤدي الى كف خصوصاً في العمل وايضاً ازاء كل الخطوات الضرورية لمتابعة اهداف الشخص . ومعظم العصابيين يحلمون احلاماً تظهرهم في مواقف دونية ويحسون بالنقص ازاء

الاخرين، كذلك يحسون بعدم الكفاءة. ووجود هذا الأحساس بالنقص يجعلهم يقفون لخدمة الاخرين. ويتمثل ذلك في الصـــراع الدائم ابداً بين الطموح والحب، فالطموح يؤدي الى النجاح أوالفشل والنجاح اذا تم ولد الخوف من المنافس ، وهو في حاجة الى عطفه كما ان الفشل في حد ذاته يؤدي الى الإحساس بالدونية، ومن ثـــم النبذ ، وهو في حاجة الى الاخر. وعادة مايحسد العصابي الشـــخص الأقوى ، ويزدري الشخص الأضعف ولديه عدم الثقة في الكل .

ويمكن اجمال بعض الخلافات بين «هورني» و«فرويد» .

١ – على الرغم من ان «هورني» كانت تستخدم التداعي الحر ،وتحليل الأحلام ، الا ان علاقة المحلل بالمريض عند« فرويد» تكـون محايدة، في الوقت الذي عملت فيه «هورني» على ان تكون العلاقة بينهما تعاونية، اذ يدير المحلل الجلسة عن قصد .

٢ – مادة الطفولة في التحليل عند« فرويد» مادة اساسية فهي المصدر الثري ولكنها عند« هورني» مصدر ذو وزن نسبي، والمهم هو موقف المريض حالياً (اثناء العلاج) اذ من المهم ان تتلمس موقف المريض حالياً وتأثير اتجاهاته ومفاهيمه على حاضره .

٣ – يتسم اتجاه« هورني» في العلاج بمرونة شديدة، حيث يمكن ان تتناول كل مريض كحالة منفردة لها ادواتها الخاصة، وينبغي ان يتكيـف المحلل مع كل حالة بمعطياتها كحالة فريدة، وهي هنا تختلف عـن فرويد الذي اتسم اسلوبه بالنمطية الى حد كبيـــر ، لأن الأختلافات الثقافية والأجتماعية لم تكن تشغل باله بالقدر الذي اهتمت بها «هورني» .

هاري ستاك سوليفان (١٨٩٢ ـ ١٩٤٩)

ولد في ولاية نيويورك، حصل على دراساته في الطب والجراحة من جامعة شيكاغو . له اسهامات واضحة في الطب النفسي Psychiatry كما ان له نظرية خاصة في العلاقات بين الأشخاص inter-personal relations تدور الفكرة المحورية في تصوره حول الإنسان منذ ميلاده، وهو في علاقة متبادلة مع الاخرين. إذ ان الفرد عضو في مجال اجتماعي، طوال حياته. وتتعدد المواقف الأجتماعية التي ينخرط فيها الفرد، ولايوجد شخص هكذا منفرداً اذ دائماً مايكون في موقف منذ الطفولة الباكرة حتى ارذل العمر بل يذهب سوليفان الى القول بأن العلاقات بين الأشخاص تسهم في تغير الأشخاص انفسهم من الناحية الفسيولوجية، كما تتمثل في عادات التغذية والتنفس والأخراج والهضم. وكذلك في تغير النواحي المعرفية كالادراك والتذكر والتفكير ، وكذلك في الجوانب الوجدانية كما تتمثل في الميول والأهتمامات والأتجاهات والقيم . ويعني كل ذلك ان الإنسان دائم التغير . في ضوء هذه العلاقات الموجودة دائماً بين الأشخاص .

وقد حاول « سوليفان » ان يزاوج بين علم الطب النفسي Psychiatry وعلم النفس الأجتماعي Social Psychology . ومن اهم دراساته : « كتاب عن تصورات (مفاهيم) في الطب النفسي » (١٩٤٧) Conceptions of modern Psychiatry وكتاب آخر بعنوان: «التوترات بين الأشخاص والتفاهم الدولي : وجهة نظر طبيب نفسي سنة ١٩٥٠ Tensions inter-personal and international understanding سنة ١٩٥٠ A Psychiatrist's view ومقال «الضغينة»الحقد الكراهية ، وفنيات العزل »(١٩٥٣) Malevolence, hatred, and isolteing techniques

كتاب نظرية العلاقات بين الأشخاص فيما يتعلق بالطب النفسي عام ١٩٥٣ The interpersonal theory of Psychiatry وكـذلك كتـاب «المقالة الشخصية الطبية النفسيـة» (١٩٥٤) The Psychiatric Interview والكتاب الأول (١٩٤٧) هو الوحيد الذي اخرجه « سوليفان » قبل وفاته اما الإنتاج الباقي فقد جمعه تلاميذه ونشـروه عقب وفاته .

في هذا الإنتاج ابرز «سوليفان» كيفية نمو الشخص منذ الطفولة الباكرة وكيفية أكتسابه توتراته وقلقه من خلال تفاعله مع الاخرين. فعلى سبيـل المثال يطرح« سوليفان» سؤالا مؤداه، كيف يصبح الشخص حاقداً ، ويرد على هذا السؤال بأن الحقد او الضغينة وكذا العدوان ليست أشياء داخـل الفرد كما يذكر فرويد، ولكنها خصائص للسلوك تكتسب اثناء رحلة الحياة ويجيب على السؤال قائلا ان كل مايحدث في الطفولة، خصوصاً بعـد العامين الأولين« مرحلة المهد»، هو أكتساب للغة ، التي تعد اداة التواصـل بين الطفل والمحيطين به، واللغة في نظره مهمة وحيوية. ففي مرحلة المهد لايستطيع الطفل عملياً اداء اي شيء لتأكيد وجوده ، اوحياته، فهو مستقبل ولكن حين يترك هذه المرحلة وحين يبدأ في تعلم اللغة، يدخل مرحلة مهمة تسمى بالطفولة الباكرة (٣-٦) اعوام، في هذه المرحلة يزداد الطلب من جانب الأسرة على تعاون الطفل ، اذ يتوقع الاباء من الطفل ان يؤدي بعض متطلبات عمليات التطبيع المطلوبة، وعليه يفرض على الطفل اشياء عن طريق السلطة ، تبدأ هذه المطالب أولا بالأم (خصوصاً في عملية ضبط التبرز) ، ثم يبدأ الأب في مطالبة الطفل بالأنصياع الى مطالب اخرى، وقد يلي ذلك مطالب من الأخوة الكبار والأقارب. هنا تبدأ معاناة الطفل وتتمثل معاناته

اساساً في عملية الخوف من كثرة النواهي، وقد يصاحب الخوف بعض القلق، ويعد سوليفان القلق مرتبط بالعلاقات الأسرية الحميمة مع الأشخاص الكبار اذ هو مكتسب بالضرورة ،بينما الخوف– الذي يظهر عادة حين تؤجل اشباعات الطفل – فتصبح الحاجات خاصة الحاجات الفسيولوجية مؤدية الى الأحساس بالألم. ويعاني من هذا الأذى hurt الذي يحدث نتيجة لضغط الألم pain على الأجهزة الداخلية من الناحية الفسيولوجية. يفرق« سوليفان» بين الألم الذي يصاحبه القلق والالم الذي لايصاحبه القلق، ويعد النوع الأول الأكثر خطورة ، ويشير الى ان بعض الاباء يعرضون الطفل للقلق دون ان يعرفوا ذلك، وتبدأ رحلة المعاناة ،وبتكرار تعرض الطفل للقلق او بدونه يصبح الطفل قلقاً . ويعد القلق هنا حالة تتكرر وتتحول الى سمة. ويظهر ذلك بوضوح في الاسر التي يكون فيها الاباء سريعي التهيج والنرفزة ازاء الأخطاء او الأنتهاكات violations التي يرتكبها الأبناء . ويكون هؤلاء الاباء غالباً قد تعرضوا لمآسي سببتها لهم ظروف قاسية اثناء مراحل سابقة، اذ يميل الاباء في هذه الحالة الى التنفيس عن ذلك من خلال تعاملهم مع الطفل واحياناً مع الحيوانات الأليفة بالمنزل .

«يقسم «سوليفان» حياة الأنسان على ست مراحل متداخلة ومتمايزة :–

١ – المهد(العامان الأولان) لايحدث في هذه المرحلة قلق او مخاوف فهي مرحلة استقبال من جانب الأم ويستجيب الطفل بطريقة سماها الإدراك الأولي اوالفطري . Prototaxic

٢ – مرحلة الطفولة الباكرة (من٣–٦ اعوام) وهي المرحلة المهمة كما طرحنا في الأسطر السابقة،فيها يتم الإدراك بطريقة تركيبية Syntaxic

٣ – الطفولة المتأخرة (من ٦–١٠ اعوام) وهي تقابل تقريباً مرحلة التعليم

الأبتدائي وهي امتداد للطفولة الباكرة ، الا ان التواصل فيها يزداد من خلال اللعب مع الأقران وتعد مرحلة تنفيسية للطفل في اللعب المنظم داخل المدرسة خاصة .

٤ ـ بداية المراهقة (مشارف المراهقة من ١٠ـ١٣ عاماً) في هذه المرحلة تنمو علاقات قوية حميمة بين المراهق وفرد من نفس الجنس وهي بداية مرحلة الحب ويعد الاخر بالنسبة للشخص أكثر اهمية من الاباء ويسمى هذا الوضع ثقافة المراهقين المشتركة Peer culture .

٥ ـ المراهقة المتوسطة (في الأعوام من ١٣ـ١٧ على وجه التقريب) وفيها يتعلق الفرد بالجنس الاخر، وبنفس الجنس في ذات الوقت، فهو في حاجة الى الجنسية الغيرية والجنسية المثلية، وقد تتحد الحاجتان وينتج عن ذلك الميل الجنسي للجنس نفسه.

٦ ـ المراهقةالمتأخرة (من حوالي سن ١٧ـ٢٠ عاماً) وفي هذه المرحلة . تندمج الحاجة الجنسية والحاجة للصداقة الدافئة، لشخص من الجنس الأخر وفي العادة تتركز على شخص واحد .

اهم المفاهيم التي طرحها سوليفان :

١ ـ الشخصية: تعد في نظره تكويناً فرضياً hypotheatical construct واذا كانت وحدة دراسة الشخصية عند« اولبورت» هي السمة،ووحدة الدراسة عند «فرويد» هي الغريزة ، ووحدة الدراسة عند « دولارد وميللر » هي العادة ، فإن وحدة الدراسة عند «سوليفان» هي الموقف الشخصي المتبادل بين الأشخاص وتنتظم الشخصية من الوقائع المتبادلة بين الأشخاص وليست الوقائع الشخصية الداخلية . والشخصية تعبر عن نفسها من خلال سلوك الشخص في علاقته بالاخر. وقد تكون

العلاقة مع بطل او نموذج، كما قد تكون هذه العلاقة مع اناس ماتوا في الماضي أو اناس لم يولدوا في المستقبل بعد. وهذه العلاقات الشخصية تحكم العمليات المعرفية كالإدراك والتذكر والتخيل والتفكير والذكاء. وعليه يكون الفرد في حالة اشتباك دائماً مع الاخر أو الأخرين في الواقع، اوفي احلام اليقظة ، day dreams اوفي الأحلام dreams .

٢ – الديناميات Dynamisms : وهي اجزاء من الطاقة ثابتة الى حد ماتميز الكائن الحي الأنساني، وتتمثل في سلوك الفرد الظاهر كالكلام مثلا او اي اداء قابل للملاحظة، وفي السلوك المضمر كالتفكير واحلام اليقظة. وتتضح الديناميات(اجزاء السلوك) في علاقة الشخص بالاخرين، فقد يظهر من هذا السلوك (الدينامية) محبته أوكراهيته لفرد او لجماعة، ويتكرر هذا الموقف وتعد الأستجابات اياً كانت (استجابة خوف، وغضب وشهوة وتقديس .... الخ) بمثابة ديناميات خاصة بهذا الشخص، وتفيد هذه الديناميات في اشباع حاجات الفرد الأساسية .

٣ – الذات Self : تعد بمثابة منظومة من اساليب سلوكية يكتسبها الفرد وهذه المنظومة تجعله آمناً لأن هذه الأساليب الناتجة عنها تتوافق مع رغبات الأبوين (في الصغر) فيلقى التعزيز الموجب، في الوقت الذي قد يتلقى العقاب ومايصاحبه من قلق اذا لم تؤدي هذه الأساليب السلوكية مايراد منها. وقد يطلق على المنظومة الأولى ومايتنج عنها الذات الطيبة والمنظومة الأخرى وبالذات الشريرة. فوجود الذات المتوافقة تعد حماية للفرد من التعرض للعقاب ومايصاحبه من قلق ،بينما وجود الذات غير المتوافقة الشريرة تعد مصدراً لاينضب للقلق والمعاناة .

٤ — التوتر والقلق Tension & Anxiety : يعد « سوليفان » وجود توتر داخلي محكوم بحاجات الكائن العضوية مثل التوتر الناجم عن عدم اشباع الحاجات الفسيولوجية عامة، واشباعها يخفض التوتر . وهناك نوع آخر من التوتر محكوم بالقلق، وقد يكون القلق المصاحب نتيجة مخاوف او اخطار واقعية او خيالية وتؤدي الى عدم اشباع حاجة الفرد للامن

وينعكس على علاقات الشخص بالاخرين .

والملاحظ اختلاف« سوليفان» عن« فرويد» في رفضه لمقولة «فرويد» بأن الدافع تعبير عن الغرائز، كما يرفض مفهوم الطاقة النفسية الجنسية الليبدو libido ، ويكون السلوك المكتسب نتيجة التفاعل مع الاخرين المعبر الحقيقي عن الشخصية. وفي نفس الوقت لايرفض« سوليفان» كون العوامل البايولوجية فاعلة ومؤثرة في نمو الشخصية، ولكنها تعمل في ضوءالمؤثرات الأجتماعية، وقد تتعارض حاجات الفرد البايولوجية مع المؤثرات الأجتماعية فينشأ الأضطراب في الشخصية، ومن ثم تعد هذه المؤثرات سبباً فيما يلحق بالشخصية من آثار مرضية.

تقويم النظريات السلوكية الأجتماعية :

١ — على الرغم من قيام هذه النظريات على أكتاف نظرية« فرويد» وعلى منهج التحليل النفسي، لها طابع خاص يمكن تلخيصه في عبارة واحدة مؤداها ان الشخصية تتشكل بالمؤثرات الأجتماعية، مع عدم الغاء او نفي للمكونات البايولوجية وتتباين هذه النظريات فيما بينها من حيث مجموعة المتغيرات الأجتماعية Social-variables التي توليها الأهمية والفعالية ذات الأثر الأكبر .

يرى« ادلر» مثلا ان الإهتمام الأجتماعي فطري في الإنسان وتتحدد الشخصية وتأخذ شكلا اجتماعياً مميزاً في ضـــوء الطبيعة الأجتماعيـــة للمجتمع ،ونوع النظام الأجتماعي السائد، والإنسان« شعورياً» يكون منفرداً واعياً بنقائصه محاولا تخطيها .

بينما يركز «فروم» على شكل المجتمع وملامحه بحيث يطبع ذلك افراده والنتيجة ان يتناغم كل افراد المجتمع والقيم والمفاهيم والحاجات المشتركة لهذا المجتمع ، وهي عملية مكتسبة بالضرورة ، اي ان الفرد مطبّع اجتماعياً

وتركز «هورني» اساساً على دور العوامل الأجتماعية داخل الأسرة ، كما تتمثل في علاقات الأباء بالأبناء، والأبناء بعضهم بالبعض، وكل ذلك من منظور السياق الأجتماعي، ويعد الأضطراب في الشخصية (العصـــاب) محكوماً بنوع هذه العلاقات ، ونوع الثقافة السائدة في هذا المجتمع .

بينما يركز «سوليفان» على العلاقة الأنسانية المتبادلة بين الأشخاص منذ سني المهد، ويولي مراحل النمو اهمية بالغة في تشكيل الشخصية، وهـــي عملية مكتسبة بالضرورة، وهو بهذا العدد يتفق مع هورني .

٢ – تركز هذه النظريات على عملية التفاعل المستمر بين ابناء البايولوجي (بما يتضمنه من استعدادات عامة قابلة للتشكيل) في ضوء المحددات الأجتماعية. فنجد «ادلر» مثلا يؤكد فطرية الأهتمام الأجتماعي كجزء في هذا البناء البايولوجي، كما يؤكد« فروم» فطرية الحاجة الى التعالي من خلال عملية المنظمات التربوية والأجتماعية . ويعني هذا ان الطبيعة الأنسانية مرنة وقابلة للتشكيل، كذلك المجتمع مرن وقابل للتشكيل والتغيـــر ايضـــاً. والعلاقة هنا تبادلية ولما كان المجتمع يغير من طبيعة الإنسان فإن الإنسان بدوره يستطيع تغيير المجتمع، وعليه يصبح المجتمع مشكلا في ضوء رغبات افراد.

٣ ـ تجمع هذه النظريات على الأتجاه الديمقراطي وعلى فعالية المؤسسات التعليمية كالمدارس في مرحلة الطفولة بخاصة، وتؤمن هذه النظريات بأمكان اصلاح الكبار المجرمين والمنحرفين. فقد نادى« فروم» وسعى وراء مجتمع اصلح وهو المجتمع الإنساني الأشتراكي الديمقراطي كما نادت« هورني » بالمجتمع السعيد ،وكذلك سعى «سوليفان» الى الأصلاح الأجتماعي والتفاهم الدولي، ولكل منظر في هذه النظريات الأربع خبرة ثرية بالأسباب التي تؤدي الى الخلل في النظم الأجتماعية ومن ثم يمكن عدهم مصلحين اجتماعيين .

٤ ـ تجمع هذه النظريات على ان القلق نتاج للمجتمع في علاقاته بأفراده وفي علاقة الأفراد بعضهم ببعض. فالإنسان ليس قلقاً بالطبيعة ولكن ينشأ فيه القلق بفعل ظروف اجتماعية ينخرط فيها. فعدم اشباع حاجات الفرد الأساسية نتيجة ظروف اجتماعية عائقة تولد قلقاً . فالطفل الجائع غير المشبع مثلا يكتسب القلق، والكبير في ظل نظام اجتماعي تنافسي، وفي ظل شبح البطالة وشبح الجريمة، وشبح الحرب. يكتسب القلق . والمجتمع الذي يؤمن افراده ويشبع فيهم حاجاتهم الى الأمن يؤدي بالضرورة الى قلة القلق او خفضه. في الوقت الذي تتسم فيه بعض المجتمعات / بشيوع ظاهرة القلق كسمة ، نتيجة عدم اشباع حاجة معظم الأفراد الى الأمن (في بريطانيا يوجد ٣ ملايين عاطل ، وفي الولايات المتحدة الأمريكية ١١ مليون عاطل، ودول العالم الثالث التي تنتهج الأشتراكية منهجاً للحياة تخطط في مجتمعاتها لالغاء شبح البطالة كما تسعى لتأمين العلاج والتعليم بحيث تتاح الفرصة لكل طفل) .

٥ – تجمع هذه النظريات على ان الإنسان ليس عدوانياً بالطبيعة ، ولكن العدوان قد ينمو في الفرد نتيجة الأحباطات التي تواجهه، فيضطر للعدوان على مصدر احباطاته، ومع هذا، ومع وجود الأحباط، قد يلجأ الفرد الى الأنسحاب او الخضوع والأستكانة اذا ماكان المصدر المحبط قوياً، وقد يحدث تطابقاً مع المعتدى او مصدر الأحباط فيصبح الشخص وقد تمثل نموذج العدوان من غيره .

٦ – يركز كل من «ادلر» ، «فروم» ، « هورني » على تفرد الشخصية ووجود الذات المبدعة والخلاقة وفي هذا بعض الإسراف في التفاؤل الا ان «سوليفان» لايشاركهم هذا التصور المسرف في تفاؤله .

٧ – تشترك النظريات الأربع في عدم الأهتمام بالدوافع اللاشعورية بل ان الأنسان في تصورهم يعي تصرفاته وهو مدفوع بوعي وتيقظ .

٨ – اهملت هذه النظريات مفهوم« التعلم» الذي يحدد بالدقة كيفية اكتساب الإنسان هذا الطابع الأجتماعي، ولماذا يتباين الأفراد تحت ظل ظروف اقرب ماتكون الى التوحد، كيف يتم اكتساب العادات والأتجاهات والقيم ، وكيف يتم الأختيار من جانب الذات المنفردة .... كل ذلك لم توله هذه النظريات اي اهتمام، في الوقت الذي لايمكن تجاوز مفهوم« التعلم» بغض النظر عن النظرية الخاصة به او القوانين التي تفسره في بناء الشخصية .

٢ – نظرية المجال Field theory

كيرت ليفين Kurt lewin (١٨٩٠ – ١٩٤٧)

ولد في بروسيا وتعلم في جامعة ميونخ وجامعة برلين وحصل على الدكتوراه عام ١٩١٤ ، خدم في الجيش الألماني اربع سنوات ثم عاد الى

برلين وعيـن استاذاً لعلم النفس ١٩٢٦ ثـم رحـل الى الولايات المتحدة الأمريكية وعمل في جامعة كورنيل مدة عامين (١٩٣٣– ١٩٣٥) ثم عمل في جامعة أيوا .

له كتابات نظرية عديدة واعمال تجريبية كثيرة من اهمها: « النظـرية الدينامية للشخصية » عام ١٩٣٥ "Dynamic theory of personality"

وكتاب ثان بعنوان« اسس علم النفس الطبولوجي» (١٩٣٦)

"Principles of topological Psychology"

وكتاب ثالث بعنوان «نظرية المجال في العلم الأجتماعي» (١٩٥١)

"Field theory in social science"

من كتاباته المتعددة ابرز ليفين مفهومين اساسيين: مفهوم الطوبولجـي Topology وهـو نوع مـن الهندسة اللاكمية ، اللامقدارية (لااقليدية) وبذلك ادخل مفهوم الرياضيات في علم النفس بأعتبار ان الرياضيات هـي اللغة الأصلية للبحث العلمي، والطوبولوجيا تعني ايضاً الخريطة المكانية التي يصور فيها ليفين الشخص بمكان ما ويرسم فيها الحدود التي يتعامل مـن خلالهـا . والمفهوم الاخـر الذي طرحـه هـو الهودولوجـي Hodology وهذا المفهوم يعني به الطاقة التي تحدد المسارات في داخل الشخصية اي‌دينامية الشخص .

والنظرية المجالية مأخوذة عن علم الفيزياء وهذا« المفهوم» المجال بدأ مع ظهور مدرسة الجشطالت (ماكس فرتيمر، فولجانج كوهلر، كورت كوفكا) ورغماً عن انتمائه لمدرسة الجشطالت في بداية حياته العلمية، فإن نظريتـه (نظرية المجال) تختلف عن نظرية الجشطالت: « فليفين» يركز الحاجات، الإرادة ، الشخصية، العوامل الأجتماعية، في الوقت الذي تركز فيه مدرسة الجشطالت على الإدراك، التعلم التكوينات الفسيولوجية في شرح سلـوك

الإنسان. ويعتبر توجه« ليفين» في علم النفس توجهاً اجتماعياً بل قال صراحة ان علم النفس هو علم اجتماعي. وركز في عمله هو واتباعه على دراسة السلوك كدالة للموقف الفيزيقي والأجتماعي .

١ — حيز الحياة : life space

بعض المفاهيم المهمة التي طرحها ليفين :

يعد هذا المفهوم من اهم مفاهيم ليفين، والمقصود بهذا المفهوم كل الحقائق (الوقائع) التي تحدد سلوك الشخص في وقت محدد. ويتضمن فقط الوقائع التي تمت للسلوك المعني في موقف ما، اما الأحداث الماضية او المتوقعة مستقبلا فهي لاتمت للموقف الحالي بصلة، ومن ثم لاتؤثر في السلوك الحالي كذلك يحدد «ليفين» ان بعض الحقائق الحالية (الانية) في الموقف الحاضر لاتمت بشكل مباشر للسلوك، ومن ثم ينبغي استبعادها . واحياناً يكون حيز الحياة لفرد ما في الماضي، حيث يسرح ويفكر في طفولته مثلا، اوفي اي حدث في الماضي ،واحياناً. يكون حيز الحياة كله في المستقبل . فحين يفكر الشخص في المستقبل، كما يتمثل في نوع الملاذ المتوقع الحصول عليها في رحلة ما في المستقبل مع شخص يهمه، فإنه في حالة انتظار هذا الحدث يكون حيز الحياة هو مايتوقعه الشخص في هذه الرحلة .و «ليفين»يرفض التفسيرات الغريزية للسلوك الإنساني لأنه يشعر ان اسباب السلوك ينبغي ان تكون حقائق عيانية Concrete facts

وهو يرفض فكرة ان عراك شخص مع آخر ينبع من سابق عدوانيته، (مخزونه من العدوان) ولكنه يفسر هذا بأن الخضوع للسيطرة يكون له تكافؤ سالب عند الشخص، وان الأشخاص الأخرين الذين يعانون من العنف يكون لديهم تكافؤ بالسلب، وكل ذلك يعود الى دينامية الموقف ،ان فهم حيز الحياة

للفرد يمكن فهم سلوكه العياني في بيئة سيكولوجية معينة، وفي وقت محدد ويضع ليفين معادلة مؤداها ان السلوك هو دالة حيز الحياة .

(السلوك) س = ∝ ح (حيز الحياة)

(السلوك) س = ∝ (الشخص × البيئة)

(السلوك) س = ∝ ش × ب

حيز الحياة = الشخص × البيئة

ح = ش × ب

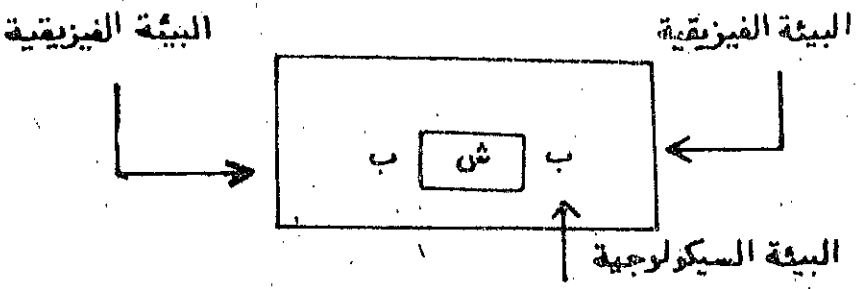

ش × ب = حيز الحياة

يمكن للبيئة الفيزيقية (الوقائع الفيزيقية) ان تؤثر في حيز الحياة ، ويمكن لحيز الحياة ان يؤثر في البيئة الفيزيقية. اي انه في لحظة مايمكن ان تتغير البيئية السيكولوجية نتيجة نفاذ شيء من الخارج، ويمكن ان تتغير البيئة الفيزيقية نتيجة نفاذ شيء من الداخل ، وخلال محيط حيز الحياة « يفترض » «ليفين» وجود هذا الغشاء المحيطي الذي ينفذ منه واليه الوقائع المتبادلة.

٢ ـ الحاجة : Need

تعد الحاجات بمثابة حالات دافعية يمكن حدوثها نتيجة حالات فسيولوجية ولاتصبح حاجات الا اذا احتلت منطقة متميزة في الشخص من الداخل

فالرغبة في شيء من البيئة او النية (القصد)لتحقيق هدف معين يمكن ان تصبح حالة دافعة وتصبح حاجة ملحة تتطلب الأشباع .

٣ـ التوتر : Tension

يعبر التوتر عن الحالة الأنفعالية التي تصاحب الحاجات دوماً، فحين يحتاج الطفل الى الطعام، يصبح في حالة توتر يمكن خفضها بالطعام. كما يمكن ان ينشأ التوتر ايضاً من اشياء بيئية مغرية يكون لها دلالة كافية للشخص. فقد يكون الطفل منهمكاً في اللعب، ثم تنشأ لديه حاجة عند رؤيته قطعة من الحلوى في يد طفل آخر مثلا . وقد تنشأ الحاجات مع الراشدين في ضوء اهتماماتهم بما يشبع هذه الحاجات فتزال التوترات .

٤ ـ التكافؤ Valence

لكل الأشياء والأشخاص تكافؤات موجبة او سالبة، فما يشبع حاجات الفرد. ومايكون جذاباً له يحصل على حالة تكافؤ موجبة ، والذي لايشبع حاجات الفرد كالتهديد مثلا او مايؤدي الى نفور الشخص ، يكتسب تكافؤاً سلبياً ، وعليه يعد مفهوم التكافؤ مفهوماً تصورياً مجرداً عن الأشياء .

٥ ـ المتجه Vector

يشير هذا المفهوم الى اتجاه وقوة وشدة عملية الجذب للاشياء . فإذا كان هناك متجهاً واحداً فسوف يسير الفرد في اتجاه هذا المتجه ، واذا ماواجه الفرد متجهين متضادين ومتوازيين فالنتيجة الحادثة هي صراع Conflict

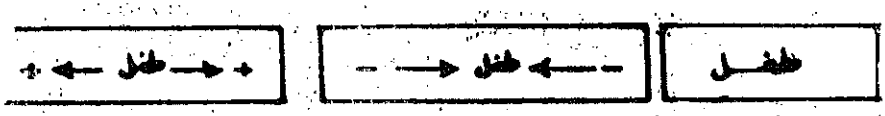

الاقدام والاحجام صراع الاحجام والاحجام صراع الاقدام والاقدام

٥ ـ الحواجز Barriers

قد تكون الحواجز اشياء، او اشخاصاً، اوعرفاً اجتماعياً، واخلاقياً، او اي شيء يعوق الشخص المدفوع في اتجاهه نحو هدفه. وتعد الحواجز بمثابة: تكافؤات سلبية، وينشأ عنها عادة سلوك استكشافي. exploratory behaviour اوربما تقود الفرد الى شن هجوم عليها .

٦ ـ الاتزان Equilibrium

ان تحقيق الهدف اوالوصول اليه يؤدي بالفرد الى حالة من الأتزان، فالهدف الأسمى لكل انواع السلوك المدفوع هو العودة الى حالة الأتزان. حيث يحصل الفرد على ازالة التوتر او خفضه حيث تشبع حاجاته فيعود الفرد لاستعادة توازنه .

يرفض «ليفين» مفاهيم الكثير من النظريات الأخرى فهو لايقتنع بمفهوم السمات الثابتة او العادات الجامدة او اي ثوابت اخرى. فالواقع النفسي يتغير دوماً، ويرى «ليفين» ان المفاهيم الثابتة تميز التفكير الأرسطاطالي،وان التغير واللاثبات يميزان التفكير الجاليلي .

ويركز «ليفين» في المقام الأول على الوقائع (الحقائق) facts سواء كانت محسوسة (عيانية) او مستنتجة او مجردة، ويعد هذه الحقائق في حركة وفي عمل وفي تواصل، مكونة مايسمى بالأحداث events والأحداث كي تلعب دوراً في شخصية الفرد. تخضع لثلاثة مباديء :

١ ـ مبدأ الارتباطية Relatedness

الحدث يتم نتيجة تفاعل بين واقعتين أو أكثر، فالواقعة الواحدة لاتسبب حدثاً، واذا كان الشخص يعيش في بيئة مادية واجتماعية تم بالضرورة

التفاعل بينه وبين الاخرين في البيئة، وبينه وبين البيئة الفيزيقية نفسها، وعليه يحدث تكون الأحداث .

٢ – مبدأ العيانية Concreteness

الوقائع الفعلية (الحقائق) ، هي التي لها اثر في تكوين الأحداث .هناك وقائع ممكنة او محتملة او فرضية ولكن تظل عاجزة عن الفعل فهي موجودة بالقوة force ولكنها ليست موجودة بالفعل action .

٣ – مبدأ التزامن (المعاصرة) Contemporarity

الوقائع في زمان ما، في مكان ما، التي تسبب سلوكاً (حدثاً) هي الوقائع الراهنة التي يمكن ان تحدث هذا السلوك الراهن الان.فوقائع الطفولة المبكرة مثلا، لايمكن ان يكون لها وقع على سلوك الراشد ، الا اذا استطاعت المحافظة على وجودها طوال هذه السنين كما يحدث في العصاب مثلا .

لنظرية «ليفين» ثلاثة ابعاد :

١ – البيئة السيكولوجية وهي المظهر الخاص بحيز الحياة المرتبط ببيئة الفرد.

٢ – الشخص .

٣ – مستوى الحقيقة– اللاحقيقة، (الوهم).

مستوى الحقيقة يجعل سلوك الشخص ممكن التحقيق في الزمان والمكان بينما يرجع مستوى اللاحقيقة (الوهم) الى احلام اليقظة والخيالات .

اولا : بناء وديناميه البيئة السيكولوجية :

The structure and dynamics of the Psychological environment

البيئة السيكولوجية اوالمجال هي ماتعرضه البيئة الفيزيقية من مثيرات حول الشخص، ولكن هذه البيئة في عمومها تؤدي دوراً حين تؤثر في سلوك

الشخص في وقت ما، فعلى سبيل المثال قد .لايكون لوجود كنز مدفون تحت، منزل شخص ما اي اثر عليه او على سلوكه اذا لم يكن عارفاً بهذه الحقيقة وقد يكون مفهوم شخص آخر عن وجود جار له شرس في تعاملاته ربما مؤثراً في سلوكه، بغض النظر ماذا كان هذا المفهوم عن الجار حقيقة او وهماً . وهذا يعني ان اتجاه العدائية او الصداقة يكون مكوناً في بيئة الفرد السيكولوجية ولاينكر« ليفين» ان الأشياء في البيئة الفيزيقية يمكنها ان تحدث اثراً سيكولوجياً في الفرد من خلال عملية الإدراك.وقد اشار مراراً الى انه ينبغي علينا ان نفهم كيف تتم عملية الإدراك .

والسلوك عند« ليفين» ليس هو النشاط الفيزيقي الواضح والقابل للملاحظة **overt behaviour** كما يتصور السلوكيون، انما السلوك عنده هو دالة الشخص في تفاعله مع بيئته .

السلوك = دالة (الشخص × البيئة)

س= (ش× ب)

ويعد «ليفين» المجال السيكولوجي متكوناً من قطاعات (مناطق) تستجيب للاحداث السيكولوجية في ضوء المواقف المتباينة . فقد تكون هناك سلسلة من المناطق او الاقسام مرتبة خطياً linear وينتج عنها سلسلة من الانشطة . ومناطق اخرى متجاورة ، يستطيع الفرد فيها ان ينتقل من نشاط لآخر دون اية خطوة وسيطة ، واحياناً ما ترجع منطقة معينة لنشاط ما في الفرد ، وفي احيان اخرى ترجع إلى احداث تكون قد حدثت للفرد ، فالمنطقة قد تستجيب اذا ما تم اثابة الفرد، او اذا ما تمت عقوبته ، وفي كلا الحالين يكون السلوك دالة على التفاعل بين الشخص والمؤثرات البيئية الاجتماعية . والشخص الذي سرح من الجيش وشغل عملا في الصناعة مثلا ، يعد كأنه

تحرك من منطقة إلى أخرى (من الجيش او الحياة العسكرية إلى الحياة الصناعية). وقد يوجد الحاجز بين منطقتين في حيز الحياة ، وقد يكون الحاجز سميكاً ، وفاصلا تماماً بين المنطقتين . كما قد يكون هناك بعض التواصل لنفاذية هذا الحاجز او رقته ،ومن خلال هذه البيئة السيكولوجية . فهناك قوى تتحرك قد تتسم بالشدة وبالاتجاه ، فاذا كان الفرد محاصراً في منطقة ما، فانه قد يتجه إلى منطقة اخرى ذات تكافؤ موجب ويبتعد عن منطقة ثالثة ذات تكافؤ سالب ،ويمكن لهذه التكافؤات ان يقوى او يدعم بعضها بعضاً ،ويمكن ان تتصارع ،وكذلك يمكن ان تتضاد والناتج النهائي هو محصلة لكل هذه القوى .

ثانياً : بناء وديناميات الشخص

The structure and dynamics of the person

كانت بدايات اعمال «ليفين» عن الدافعية التي صورها باعتبارها (منظومة حاجات في حالة من التوتر) . والحاجة وهي في حالة توتر تدفع الشخص كي يجد طريقاً لاشباع هذه الحاجة ، وهذا هو الاساس لنظريته عن الشخص . كما يتصور «ليفين» الشخص بعده (كلا دينامياً) محتوياً على مناطق تزداد في العدد كلما نما الشخص.ودرجة الكلية تكون في الطفل أكبر منها في الراشد اذ ان تغير جزء من المنظومة ، يؤثر بالضرورة في بقية اجزائها ويتم ذلك في الطفل بدرجة اكبر مما يحدث في الراشد ،اذ ان شخصية الطفل اقل تمايزاً، واقل تكاملا منها عند الراشد ،والاتصالات النسبية في الطفل تكون اصغر منها في الراشد . ويعد الشخص في حالة تناغم اذا ما كانت مناطقه او اجزاءه، في حالة من الاتزان ، ويصبح مضطرباً عقلياً اذا ما افتقرت هذه المناطق في بيئته الشخصية إلى الارتباط واصبحت كل منطقة معزولة عن الاخرى . وينمو الشخص بعمليتين اساسيتين : (انظر ، الشخصيه بين السواء والمرض عزيز حنا وآخرون) ١٩٨٩.

آ ـ التمايز Differentiation

وتتم هذه العملية بزيادة عدد المناطق المتمايزة في الشخص . وهذه الزيادة تتم مع نمو الشخص ، ومع زيادة خبراته وتفاعلاته في المجال الذي يعيش فيه .

ب ـ التصلب Rigidification

وتتم هذه العملية بزيادة صلابة الحواجز الموجودة بين المناطق ، ويزداد هذا التصلب ايضاً بزيادة السن وبزيادة الخبرة .

وتعمل العمليتان معاً في نفس الوقت (تزامن) Simultaneously ويتوقف التمايز في الحياة على ثراء الخبرات وتنوعها ، تلك الخبرات التي عاشها الفرد واستمتع بها في أثناء مراحل نموه . ويعد «حيز الحياة» بالنسبة للوليد دائرة فارغة ، اذ ان المجال بالنسبة لهذا الوليد تكون مساحته قليلة نسبياً ، وتكون ايضاً غامضة غير متمايزة ، ولا يوجد اشياء أو اشخاص محددين بالنسبة له ، بحيث يمكن ان تتمايز هذه الموجودات ،حتى ان جسم الوليد لا يستطيع ان يميزه عن الوسط المحيط به،كما لا يستطيع ان يميز «أناه» عن الآخرين ، وكذلك لا توجد بالنسبة له احداث مستقبلية او توقعات اذ ان الوليد يكون محكوماً بالموقف اللحظي المتاح . وقد تتمايز مع الوقت بعض المساحات ذات الطابع الخاص ، وهي تلك المساحات المتعلقة او المرتبطة بالتغذية والاخراج . ومع نهاية العامين يبدأ الطفل في تفحص جسمه ، وما يحيط به من أشياء في البيئة الفيزيقية التي تحيط به ، ومع المزيد من النمو يبدأ التمايز يتزايد في الحجم ، ويبدو واضحاً ومتصاعداً في حيز الحياة للطفل ، ويمكن ان نلحظ آثار هذه الزيادة في التمايز فيما يأتي : ـ

١ — في ضوء الأبعاد السيكولوجية تبدأ خطط الطفل في الأمتداد مع الوقت ، وتزداد الأنشطة المتباينة وتصبح مكررة ومنتظمة مكونة وحدة متآلفة .

٢ — في ضوء التمايز في بعد الحقيقة (الواقع) — اللاحقيقة (الوهم)، — فان الطفل بنهاية العامين وحتى الست اعوام تزداد لديه وحدات اللعب البعض منها في مستوى الحقيقة والواقع ، والبعض في مستوى اللا حقيقة والوهم . وتتوافق مراحل اللاواقع ومراحل الخيالات والأوهام وتتضمن رغبات ايجابية ومخاوف في الوقت نفسه .

ومن الوجهة الدينامية ، يتوافق مستوى اللاحقيقة (اللاواقع)

وبيئة الطفل اووسطه «المائع » Fluid ، ويكون قريب من الأتصالات بالطبقات المركزية (الوسطية) في الطفل ، وفي المستقبل السيكولوجي له تتوافق الرغبات والمخاوف ، في الوقت الذي يكون فيه مستوى الحقيقة متوافقاً مع ماهو متوقع . فالامل hope يتوافق مع قدر كاف ومتماثل من الحقيقة واللاحقيقة في المستقبل السيكولوجي ، بينما الأحساس بالذنب (الأثم) يكون نتيجة للتناقض بينهما في ماضي الشخص السيكولوجي .وهناك تناقض واضح بين مستويات البناء في كل منهما . فالحقيقة والوهم ضروريان للتخطيط والأنتاج بالنسبة لطفل ، ويمكن ان يفهم اللعب « كفعل» action على مستوى الحقيقة ، ويكون مرتبطاً عن قرب بمستوى الوهم (الخيال) اللاحقيقة . فالصدق والكذب ، والأدراك والتخيل ، تكون اقل تمايزاً في الطفل الصغير ، لانه لم يكون بعد درجة كافية من القدرة على التميز في حياته بحيث تختلط مستويات الحقيقة والوهم . وتختلف السرعة التي بها يزداد حيز الحياة في المجال ،وفي درجة التمايز اثناء نمو الطفل . وهذا الأختلاف

بين طفل وآخر.يكون محكوماً في ضوء اختلاف البيئة السيكولوجية لكل طفل، بالأضافة الى الأختلاف في الذكاء اوالعمر العقلي ، وكذا الأختلاف في النمو الحركي ، وفي النمو الأجتماعي .

ويمكن تحديد ملامح النمو للشخصية في المراحل الاتية :-

١ - زيادة في مجال حيز الحياة في ضوء :

آ- ماكان موجوداً في الماضي ولايزال موجود في الحاضر السيكولوجي.

ب - المنظور الزمني في اتجاه الماضي السيكولوجي والمستقبل السيكولوجي ايضاً .

حـ - البعد الخاص بالحقيقة- اللاحقيقة .

٢ - تزايد التمايز في كل مستوى لحيز الحياة في العديد من العلاقات الأجتماعية ومجالات النشاط .

٣ - زيادة في التنظيم .

٤ - التغير في الميوعة(عدم التحديد،)او التغير في التصلب في حيز الحياة.

وتصبح مناطق حيز الحياة سهلة المنال فقط من خلال مراحل النمو . ففي نقطة معينة في نمو الطفل،يرى الأطفال الأكبر سناً منه مشغولين بنشاطات معينة تستهويه، ويود المشاركة فيها، ولكنه لايقدر ربما لقلة خبرته اوقوته وهناك حدود لتحركاته تكون عادة مفروضة عليه كممنوعات من جانب الكبار(طفل الثانية عشر او الثالثة عشر يود قيادة سيارة والده على سبيل المثال) او من خلال المحارم الأجتماعية Social taboos ..... الخ والعلاقة بين المناطق سهلة المنال او صعبة المنال في حيز الحياة،وحجم الحيز الذي يتيح

قدراً من الحركة الحرة،ومدى احكام الحاجز بين المناطق السهلة او الصعبة، كل ذلك يكون من الأهمية بمكان للسلوك ولنمو الطفل السوي او الشاذ . وتحسب من ضمن الفروق الفردية بين الأطفال قدرتهم على حل المشكلات و بخاصة المشكلات التي تتطلب التفافاً من حولها detour problems

عملية النمو : The process of development

يميز «ليفين» بين هذه المظاهر اثناء النمو :

١ – بزيادة عمر الطفل ،يظهر تنوع كبير في سلوكه، وتتضح هذه الزيادة وكذا التنوع في التعبيرات الأنفعالية ، وفي الحاجات والأهتمامات وفي المعرفة والعلاقات الأجتماعية، ويلاحظ ايضاً اضمحلال بعض الأنشطة السابقة .

٢ – وعلى الرغم من هذا المخزون المتزايد من السلوك ، يتخذ شكلا منتظماً ويكون موجهاً، ومحكوماً بهدف واضح او فكرة واضحة ، ويعمل هذا الهدف ، وتعمل هذه الفكرة كقيادة بالنسبة للسلوك :

آ – وفي هذا التنظيم ينقسم السلوك على وحدات كبيرة تتضمن اجزاء فرعية sub-parts تجعل وظيفة السلوك أكثر تعقيداً في اللعب، اذ تصبح وحدة الفعل (ربما تكون بناء برج) متطلبة عدة خطوات كوضع مكعب فوق آخر كما كان يفعل في مراحل باكرة من العمر .

ب – يميل التنظيم الي ان يكون هرمياً ، كل مستوى يقدم التوجيه للمستوى الأدنى ، ويتلقى التوجيه من المستوى الأعلى.

حـ – ربما يصبح التنظيم شديد التعقيد في ضوء الحاجة الي اجراء نشاط ما، من خلال المقاطعات او الي اجراء عملين(نشاطين)

في وقت واحد ، او وضع استراتيجية تناسب هدفين(غرضين) مختلفين في الوقت نفسه، ولايكون كل فعل يقوم به الراشد ، بالضرورة منتظماً تماماً ، ولكن الأتجاه العام في النمو ، يشيـــر الى ان المزيد من التنظيم يسير طردياً مع زيادة العمر .

٣ ــ تمتد البيئة السيكولوجية للطفل في كل من المساحة والمدى الزمني، فحيز الحياة في الطفل الصغير لا يحتوي على مناطق مرتبطة عن بعد بالمنطقة التي يشغلها ، كما ان بيئته السيكولوجية لا تحتوي على آمال وتوقعات مستقبلية او احباطات واشباعات مرتبطة بأحداث في ماضي الشخص ، ومن ثم يميل حيز حياة الطفل إلى الزيادة في الحجم مع المزيد من نموه في العمر ، ولكن يتعين الجزء سهل المنال (التحقيق) بزيادة العمر أيضاً. ويكون الجزء الذي يتحقق اصغر في الحجم مما هو موجود لدى الراشد .

٤ ــ يتضمن نمو الطفل تغيرات في تبادل الاعتمادية بين انشطته المختلفة :

آ ــ يكون سلوكه محكوماً بالحث وبمشاعر الطفولة ، وحين يتجه نحو الرشد ، تصبح افعاله اكثر استقلالية كل منها عن الاخر وهذه الاستقلالية يعبر عنها «ليفين» بالتمايز .

ب ــ تصبح انشطة الطفل اكثر استقلالية ، بمعنى انها منتظمة في مركب معقد ، وأنماط غرضية (نماذج) ، ويعبر «ليفين» عن ذلك بزيادة التكامل . Increased integration .

٥ ــ هناك زيادة في العلاقة ، بين قدرة الطفل التميزية بالنسبة لمستويات الحقيقة واللاحقيقة ، فليس سهلا على الكبار الآن ان يخدعوه او يضحكوا عليه ، اذ ان الحقيقة والواقع بالنسبة له اصبحت شيئاً واضحاً متعالياً ، وتكون الحواجز بين المناطق متصلبة إلى حد ما ، ويعي الطفل ان المرامي

او الاهداف لا يمكن الوصول اليها بمجرد التمنيات او التخيلات ، ولكن يتم ذلك فقط بالسلوك الذي يساير القواعد المناسبة ، وهنا يظهر ان الطفل قد اكتسب مفهوم «العالم الموضوعي» Objective World خارجاً عن ذاته .

ووفق رأي «بولدوين» Baldwin في كتابه نظريات في نمو الطفل « "Theories of child development" » تعد هذه الملامح الخاصة بالنمو التي شرحها « ليفين » في جزء منها امبيريقية (تجريبية) empirical معممة، ومعبرا عنها في لغة هذه النظرية ، ولم يقدم «ليفين» نظرية فيالنمو، ولكنه قدم وصفاً للمشكلات التي ينبغي للنظرية ان تنشغل بها . وهو مقتنع بأن هذه المستويات من النمو تفهم جيداً من خلال الصفات العامة لحيز الحياة بأعتباره كلا دينامياً ، والنكوص regression في نظرية ليفين لايرجع الى الأحباط في الموقف الحالي ولكنه نتيجة لخلفية هذا الأحباط ، فكم النكوص يزداد مع فعالية خلفية الأحباط. ويتفق هذا المفهوم ومفهوم «فرويد» ، ولكن فرض «ليفين» هو ان الناس يميلون لتذكر الأعمال غير المكتملة أكثر من تذكرهم الأعمال التي أكتملت ، وبمعنى آخر فإن الخبرات غير السارة يمكن تذكرها غالباً أكثر من الخبرات السارة وهنا يظهر التضاد ومفهوم «فرويد» عن الكبت.

وربما كان اهم مظهر له دلالته بالنسبة لنظرية «ليفين» هو ابرازه لأهمية العوامل الأجتماعية والثقافية في نمو الطفل . فالفرد في عملية نموه يكون معرضاً لضغوط متنوعة من الخارج بالإضافة الى ضغوط التوترات من الداخل تلك الناجمة عن عدم التوازن بين الفرد وبيئته الفيزيقية والسيكولوجية وبهذا الصدد فإن أكبر التوترات تكون ناتجة بفعل القوى الفاعلة في البيئة الأجتماعية

في صورة ممنوعات (نواهي) محارم .... الخ . ويعني هذا ان بناء حيز حياة الفرد يتوقف الى اي احد (مدى) تكون فيه هذه العوامل الأجتماعية متسامحة او ممانعة (تسمح او تمنع) . فإذا ماكانت هذه الضغوط قوية بدرجة كافية فإن المناطق في شخصية الطفل تنضغط او يقل عددها، واذا ماتفككت فربما تفشل هذه المناطق في التكامل بطريقة مناسبة. وعليه فإن الثقافات المختلفة والمجتمعات المتباينة تنشط الضغوط بطرق متباينة . وهذه الحقيقة لاتقتصر فقط على مايحدث بين الدول المتقدمة والمجتمعات البدائية فحسب ، ولكنها ايضا تتم بين المجتمعات الأبوية والمجتمعات الأمومية ، واكبر قوة فاعلة في هذه القوى الأجتماعية تأثيراً في بناء الشخصية هو طريقة تنشئة الطفل . وحيث ان كل مرحلة من مراحل نمو الطفل تتعرض لاعادة تركيب حيز الحياة ، وعليه يصبح ماسيكون عليه الطفل معتمداً بالضرورة على الطريقة التي تربى بها ، وأية حواجز في حيز الطفل ربما تولد فيه عدم القدرة على دخول المناطق في ضوء تربيته القهرية نتيجة للنواهي المفروضة مباشرة عن طريق الوالدين وكذلك المجتمع الكبير .

و بالنسبة «لليفين» فالمراهق ينتمي الى مناطق متداخلة للاطفال وللراشدين ، فهولايود الانتماء الى مجموعة الأطفال التي سبق ان تركها، وهو لم يقبل بعد في مجتمع الكبار (الراشدين) الذي يطمح فيه ، ومن ثم يعد رجلا على الحدود marginal man غير آمن ، غير مستقر ، وشديد الحساسية .

تقويم النظرية :

لهذه النظرية مجموعة من الإيجابيات كما وعليها بعض المآخذ :

الايجابيات :

١ ــ فتحت هذه النظرية المجال امام بحوث كثيرة هامة في علم النفس

الأجتماعي، وعلم نفس الطفل ، وعلم النفس التجريبي ، وفتحت المجال للكثير من البحوث المهمة في مجال مستوى الطموح والذاكرة والصراع ، وديناميه الجماعة .

٢ ــ ابرزت هذه النظرية اهمية الثقافة والمجتمع ، وطرق التنشئة الأجتماعية وارجعت الأختلافات بين الشخصيات الى هذه المؤثرات ،وبذلك تتفق النظرية تماماً مع علماء النفس الأجتماعيين وعلماء الأنثروبولوجيا .

٣ ــ نقلت المفاهيم التقليدية التي كانت تعد بمثابة دوافع داخلية كالباعث والليبدو والسمة نقلتها كلها الى عوامل خارجية (منبهات) ومواقف مثيرة حتى ان التوتر الذي يحدث في الكائن لايتم معزولا عن البيئة ، فالإنسان جزء في مجال اجتماعي دينامي ويتسم بالشمولية وبالكلية ويختلف هنا عن المفاهيم الذرية التي طرحتها المدرسة السلوكية .

٤ ــ ادخل« ليفين» البعد الذاتي كما يتمثل في المطامح ، القصدية، القيم تلك المفاهيم التي اهملتها المدرسة السلوكية، وخفضت سلوك الإنسان الى مستوى الماكينة (الالة) في صورة افعال منعكسة، ومثيرات ، واستجابات، وعادات .... الخ .

٥ ــ حول اهتمام السيكولوجيين من الدراسات على القطط والكلاب والحمام الى دراسات في سلوك الإنسان في داخل الجماعة ، وله اعمال كثيرة عن العمال في المصانع، وربات البيوت ، والأطفال اثناء اللعب ، ونشاط المراهقين ..... الخ .

المآخذ :

١ ــ تعد النظرية لاتأريخية Ahistorical فهي تعني بالموقف الحالي (هنا والان) ولهذا يصعب التنبؤ بالسلوك، وتهمل الماضي والتراث.

٢ ــ تفتقر النظرية الى التعاريف الأجرائية ،اذ لاتوجد تحديدات تساعد على فهم واستيعاب المفاهيم التي طرحها، وذلك بسبب لجوئه الى مفاهيم في علوم الرياضيات والفيزياء، دون مبرر واضح (التكافوء، الكميات المتجهة ، الممر، والحيز ،والمجال ، والحواجز، ..... الخ) وهناك بعض الصعوبة في ادخال هذه المفاهيم في السياقات النفسية .

٣ ــ ليس واضحاً في النظرية كيفية حدوث التغيرات في حيز الحياة من جانب البيئة غير السيكولوجية .

٤ ــ تفتقر النظرية ايضاً الى البناء المنظم فالمفاهيم تظهر هنا وهناك ومعظمها غير مترابط .

٥ ــ هناك خلط بين مايدركه الفرد(وهو الواقع الفينومونولوجي) وبين الواقع كما هو موجود مادياً او كما هو موجود بالفعل ، ومن ثم فحيز الحياة وهو بيئة سيكولوجية يعتبر تصوراً فينومونولوجيا .

٣ ــ علم الشخصية لدى موراي "Personology" (نظرية الحاجات)

هنري موراي Henry Murray

ولد عام ١٨٩٣ وفي سن مبكرة حرم من حنان الوالدين وكان في حاجة ماسة الي تعويض هذا الحنان، وجعله هذا يتعاطف هو والاخرون الذين يعانون من مشكلات انفعالية. كان معتل الصحة ومصاب بحول داخلي اجريت له عملية فزال الحول الداخلي واصبح لديه حول خارجي ، ونتيجة لهذا كان يعاني من عدم التفوق الرياضي مع ميله الى اللعب سواء في لعب التنس ام في العاب الكرة بصفة عامة ونتيجة لهذا اصيب بالتأتأة .

تخرج من كلية الطب ١٩١٩ من جامعة كولومبيا ثم حصل على ماجستير في علوم الحياة (البايولوجي) ، وقام بعدة دراسات في علم الأجنة

Embriology وفي عام ١٩٢٧ حصل على الدكتوراه، من جامعة كمبردج في الكيمياء الحيوية Biochemistry له مجموعة من الكتب والدراسات من اهمها :ـ

١ـ استكشافات في الشخصية عام ١٩٣٨ Explorations in personality

٢ ـ مقال مهم بعنوان دراسة كلينيكية للعواطف بالإشتراك مع مورجان وكريستيان عام ١٩٤٥ Morgan & Christiann, A clinical study of sentiments

٣ ـ ثم قدم تحليلا سيكولوجياً شديد الحساسية والعمق لرواية امريكية تسمي « موبي ديك » Moby Dick لكاتبها هيرمان ميلفيل Herman Melville بعنوان In Nomine Diaboli عام ١٩٥٢ .

٤ـ كتاب« الأمريكي المسرف في التحليق» : من دراسات كلينيكية في الشخصية مجلد٢ عام ١٩٥٥

American Icarus: In Clinical studies in Personality

٥ ـ مقال بعنوان« الأستعدادات لمسرح المنظومة الشاملة» عام ١٩٥٩.

Preparations for the scaffold of a compre hensive system in: S. Koch (ed)., Psychology: Astudy of Science

٦ ـ ثم قدم دراسة اخيرة بعنوان« دراسات في ضغط النزاعات المتبادلة بين الأشخاص » عام ١٩٦٣. "Studies of stressful interpersonal disputations" in: American Psychologist

من مجموع هذه الدراسات كون موراي علم الشخصية الذي يرتكز على المسلمات الاتية :

١ ـ تعتمد العمليات النفسية على العمليات الفسيولوجية، أصل الشخصية المخ، ووظائف المخ او انشطته هي التي توجه وتحكم، وبمعنى آخر ان

وظيفة المخ (فسيولوجيا المخ) هي التي ترشد وتوجه وتحكم الشخصية. اذا لم يكن «دماغ» لم تكن بالتبعية شخصية. كل مايميز الشخصية موجود في الدماغ (الشعور واللاشعور، والمعتقدات، والأتجاهات والقيم والمخاوف .... الخ). ويمكن لدواء معين يتعاطاه الفرد، ان يؤثر في نشاط المخ (وظيفته)، ثم تتغير الشخصية ايضاً.

٢ ـ الحاجة لأغراء التوتر: لدى الإنسان حاجة مستمرة ودائمة للاستثارة (اشتهاء المثير)، اي ان الإنسان يسعى للتوتر وليس لإزالة التوتر اذا ما وجده، ولكن ما يحدث بالدقة هو خفض للتوتر tension reduction اذ يؤدي خفض التوتر الي الراحة والأستمتاع، بينما يؤدي ازالة التوتر tension elimination الي عدم الراحة والتعاسة. ينبغي من الضروري ان يوجد قدر من التوتر، واذا زاد هذا التوتر عن الحد تطلب الأمر السعي وراء الخفض الى حين، ثم العودة مرة اخرى للاستمتاع بالتوتر، واذا ماتصاعد تكرر الطلب نحو الخفض وهكذا. هنا يتضح تأثر «وراي» بالدراسات البايولوجية كما يحدث في منظومة الغدد الصماء، التي تقوم بعمل التغذية المرتدة الحيوية Bio feed-back

٣ ـ لاتفهم الشخصية الا من خلال منظور زمني تطوري وبمنهج طولي اي ان الشخصية تنمو وتتطور مع الزمن بطريقة مستمرة ومتصلة، والماضي ذو اهمية كبيرة، كما ان الحاضر مهم جداً في مستقبل الشخصية لأنه سيصبح ماضياً بعد فترة. فالشخصية دائمة التغير والتقدم فهي مفهوم غير ثابت ويصعب تحديدها.

٤ ـ الشخصية متفردة رغماً من وجود بعض التشابه بين الناس، ولكل فرد شخصية متميزة، ولاتوجد صور «كربونية» من الناس، والملاحظ

انه يتفق في معظم هذه الأسس مع« فرويد» .والمعروف ان« موراي » نفسه قد تم تحليله نفسياً من منطلق المدرسة الفرويدية الكلاسيكية. ويظهر تأثر « موراي » « بفرويد » ، في تقسيمه لجهاز الشخصية ، اذ يشبه الي حد ما تقسيم «فرويد» ويعد موقعه بارزاً في علم النفس الدافعي Motivational Psychology .

ويتركب جهاز الشخصية عند« موراي» من :—

١ — الهي Id وهي كما يتصور فرويد مستودع لكل الميول الدافعية الفطرية وبها الطاقة التي توجه السلوك ، ومن ثم تعد بمثابة القوة الدافعية للشخصية وتتضمن كل الدوافع البدائية، الشهوية، اللا اخلاقية، بالإضافة الى دوافع فطرية اخرى مقبولة اجتماعياً، كالتوحد مع الاخر (الحب) ، والرغبة في السيطرة على البيئة . وتعد كل الدوافع الخيرة او الشريرة من وجهة نظر المجتمع موجودة في الهي. وتختلف شدة الهي من فرد لاخر فهناك فرد لديه قدر أكبر من الحيوية والشهوة أكثر من فرد آخر.

٢ — الأنا Ego : هي الجانب العقلاني في الجهاز النفسي ، وتعمل على تبديل او تأجيل الرغبات غير المقبولة للهي . وهي بعملها منظم للسلوك تؤدي مهمتها بوعي وتفرض السلوك المرغوب فيه وتمنع السلوك غير المرغوب فيه.

وعليه، فإن دورها أكثر فعالية من الانا عند« فرويد»، فهي في الحالة الأولى واعية، قادرة، حرة ، وموجهة للسلوك، وهي في الحالة الثانية مكبلة تحاول المنع وقد لاتستطيع بحكم سيطرة الهي، وهي تحكم ما بين الهي والأنا العليا، وقد تنحاز للهي فتشكل حياة المجرم ، كما قد تنحاز للانا العليا فتشكل حياة القديس. والأنا القوية تستطيع ان تسيطر وتوجه وتصالح

مابين الهي والأنا العليا. بينما الانا الضعيفة تترك الساحة للحرب بين الهـــي و الأنا العليا. فالصراع ليس حتمياً كما يدعي « فرويد» ولكنه يحدث فقط في حالة الانا الضعيفة كما يصرح بذلك «موراي»

٣ ـ الأنا العليا Super ego يعرف « موراي» الأ نا العليا بأنها عملية استدخال Internalization للقيم والمعايير والأعراف والتقاليد والعادات، وتشكل قواعد الحكم الخلقي، وتفرض علـى الطفل في سن مبكرة من جانب السلطة كما تتمثل في الوالدين، وصور السلطة الأخرى، وهنا يتفق تماماً مع «فرويد» الا انه يضيف الى ذلك وجود مؤثرات اخرى تساعد في تشكيل shaping الانـــا العليا، ومن ضمن هذه المؤثرات جماعة الأقران ، واساطير وسيـر الأبطال .... الخ،وعليه فإن الأنا العليا عند «موراي »تتكون على مدى زمني طويل نسبياً ولاتتحدد بالسنوات الخمس الأول كما يقول«فرويد».

اهم المفاهيم التي طرحها موراي :

اولا ـ الحاجات Needs

تعد الحاجة عند «موراي» حجر الزاوية في نظريته عن الشخصية، ولايعد «موراي» اول من ابدى اهتماماً رئيساً بتحليل الدوافع الا ان صياغاته تتضمن عناصر كثيرة مميزة، ويعد تقسيمه للحاجات من افضل واشمل ماهو موجود من تصنيفات وقد استمد هذا المفهوم من دراسته للاسوياء . والحاجة مفهوم افتراضـي hypothetical concept وتصـــور هـذا المفـهـوم يساعد في تفسير السلوك، والحاجات محكومة بفسيولوجيا المخ، ومن ثم توجه وتنظم كل العمليات المعرفية في الفرد (الإدراك، التذكر ، التخيل ، التفكير الذكاء) وقد تنشأ حاجات اخرى من عمليات داخلية مثل الجوع او العطش

او من احداث في البيئة، اذ تؤدي الى ظهور حاجة. بدورها تؤدي الي توتر ثم اشباع للحاجة فينخفض التوتر، فالحاجة تدفع بالسلوك الي نشاط معين، وهذا النشاط يسهم في اشباع هذه الحاجة. وقد عرض «موراي» حوالي (٣٥) حاجة منها (٢٠) حاجة تسمى بالحاجات الظاهرة overt needs و(١٥) حاجة تسمى بالحاجات الكامنة (المضمرة) covert needs ويوكد «موراي» انه يمكن ان نستنتج وجود الحاجة لدى الفرد من بعض المظاهر التي تتضح في سلوك الشخص ازاء انتقائه واستجابته لنوع معين من المثيرات يصاحبه انفعال خاص، وحين يتم اشباع الحاجة يحس الفرد بالراحة كما يحس بالضيق اذا لم يتحقق الأشباع .

وفيما يأتي اهم الحاجات التي طرحها« موراي» :

١ ــ الحاجة للاذلال (التحقير) Abasement

يحتاج الشخص للخضوع من جانب الاخر ويستمتع بألتانيب ، وقديتلذذ الفرد احياناً بسوء الحظ، او بالعقاب او المرض .

٢ ــ الحاجة للانجاز (التحصيل) Achievement

يحتاج الفرد لانجاز اشياء صعبة ، ويود التنافس والأنتصار والتحكم والتفوق على الغير

٣ ــ الحاجة الى التواد Affiliation

وفيها يود الشخص الأستمتاع بآخر يشبهه ويحبه ويتمسك به ويصبح وفياً له .

٤ ــ الحاجة الى العدوان Aggression

وفيها يود الشخص الأنتقام ويهاجم ويحارب ويجرم اويقتل ويتغلب على المعارضة بالقوة اذا تمكن .

٥ ــ الحاجة الى الأستقلال : Autonomy

وفيها يود الشخص ان يصبح حراً يقاوم الضغوط ويتحاشى الأنشطة المفروضة من سلطات عليا، ولايرتبط بالعرف اوالتقاليد .

٦ ــ الحاجة الي مضاد الفعل Counter-action

وفيها يقاوم الشخص الضعف وينحو نحو السيطرة، ويبحث عن المصاعب ليتخطاها، ويحس بالكبرياء.

٧ ــ الحاجة الى الحماية : Defendence

وفيها يقاوم الشخص الأهانة او النقد او اللوم ويغطي الفشل دفاعاً عن ذاته .

٨ ــ الحاجة الى الأنقياد Deference

وفيها يعجب الشخص بآخر ويسير وفقاً لارائه، واذا اتسع نطاق هذه الحاجة يساير الشخص العادات ويخضع بشغف للرئاسة .

٩ ــ الحاجة الي السيطرة : Dominance

وفيها يميل الشخص الي السيطرة على بيئته ، ويوجه سلوك الاخرين ويتحكم فيهم .

١٠ ــ الحاجة الي الأستعراض Exhibition

ويود فيها الشخص ان يثير اهتمام الأخرين ويتلقى اعجابهم ، ويترك اثراً فيهم ويرغب في ان يرى ويسمع اعجاباً .

١١ ــ الحاجة الي تجنب الأذى Harm avoidance

وفيها يحاول الشخص تجنب الألم والمرض ، ويهرب من المواقف الخطرة ويتخذ اجراءات وقائية .

١٢ – الحاجة الى تجنب الأذلال : Infavoidance

وفيها يحاول الشخص الأبتعاد عن المواقف التي تسبب له حرجاً، ويتجنب المواقف التي تقلل من شأنه ، او تصغر من امكاناته .

١٣ – الحاجة الي اغداق الرعاية Nurturance

وتتمثل في مشاركة ومساعدة الاخر، والأهتمام به و رعايته، وحبه واغداق الحنان عليه، ومواساته حين يتألم .

١٤ – الحاجة الي النظام Order

وفيها يميل الشخص الى التنظيم والترتيب والدقة والأتقان .

١٥ – الحاجة الى اللعب Play

وفيها يميل الشخص الي المتعة والراحة والأستماع الى الأغاني والمشاركة في الحفلات واستحسان الدعابة .

١٦ – الحاجة الي النبذ Rejection

وفيها يحتاج الفرد لعزل نفسه عن الأشخاص او الموضوعات ويحاول صد الاخرين والتقوقع على الذات .

١٧ – الحاجة الى البحث عن اللذة الحسية Sentiance

وفيها يستمتع الفرد باللذات الحسية ويبحث عنها

١٨ – الحاجة الى الجنس Sex

وفيها يبحث الشخص عن الممارسة الجنسية، وتنمية العلاقات التي تشبع الجانب الجنسي .

١٩ – الحاجة الى طلب اغداق الرعاية (العطف من الاخر) Succorance

وفيها يحتاج الشخص الى تلقي العطف والمحبة من شخص قريب اليه ويستمتع بالحب والرعاية والأحتضان والتسامح .

٢٠ ـ الحاجة الى الفهم Understanding

وفيها يود الشخص معرفة الجديد ، ويتأمل ويحلل ويسأل ويجيب ، وبمعنى آخر يحاول تفهم ماهو قائم .

وهناك مجموعة من الحاجات الكامنة(المضمرة) ترتبط بالعدوان المكبوت والجنسية المثلية، والبحث عن الأذى ... الخ وهي تخص عادة الكلينيكي : حين يتناول بالعلاج الشخصيات المريضة .

ثانياً: الضغط : Press

يمثل هذا المفهوم المؤثرات الأساسية للسلوك ، وهذه المؤثرات توجد في بيئة الفرد بعضها مادي والاخر بشري . وهذه المؤثرات تدفع الشخص ليقترب من او يبتعد عن هدف خاص به. وترتبط الضغوط بالأشخاص او الموضوعات . وتؤدي الضغوط اما لتحقيق واشباع الحاجات واما لتجنب هذا الأشباع. والضغوط محكومة بالوضع الأسري وبالوضع الأجتماعي . فالوضع الأقتصادي في الأسرة مثلا قد يؤدي دوراً في ضغط من نوع ما ثم ان التنافر او التناغم بين افراد الأسرة يؤدي ايضاً الي ضغط اوضغوط من انواع معينة، والمرض والوفاة والمودة والحب ، كلها تشكل ضغوطاً في أكثر من اتجاه، وهناك ضغوط اخرى خاصة بالأقران والأصدقاء والخصوم والأعداء . كذلك هناك نوع آخر من الضغوط مرتبطة بالحاجات المطروحة سابقاً مثل الأنتماء وطلب الرعاية والصداقة ، والجنس ..... الخ ويقسم « موراي» الضغوط على نوعين :

النوع الأول : يسمى بضغوط الفا Alpha press وهي الضغوط كما هي موجودة في الواقع الموضوعي في بيئة الفرد .

النوع الثاني : ويسمى بضغوط بيتا Beta press وهي الضغوط كما يدركها الشخص اي الظاهرياتيه (الفينومونولوجيا) .

ثالثاً : اختزال التوتر Tension reduction

فرق «موراي» بين اختزال التوتر اوتخفيفه وبين ازالته. ويرى ان الأنسان في حاجة دوماً الى التوتر بقدر ما، فإذا زاد عليه ان يخفضه ولايزيده اي يخفف من حدته، وتستمر عملية زيادة التوتر وخفضه ثم زيادته مرة اخرى وخفضه وهكذا ويصاحب عادة خفض التوتر حدوث الأشباع اواللذة .

رابعاً : الموضوع Thema

يعد الموضوع مركباً من الحاجات والضغوط ، ويشكل هذا المركب ارتباط الحاجة بموضوع الأشباع، وعادة مايتمثل هذا المركب في العلاقة الثنائية بين الفرد والاخر، حيث يتبادل كل منهما الحاجة (الضغط) اي الأشباع من كلا الطرفين نتيجة ضغط كلا الطرفين وتسمى العلاقة في هذه الحالة بالعلاقة الثنائية (الفرد والاخر) Dyadic relation

خامساً : تكامل الحاجة Need-integrate

قد لا ترتبط الحاجات بموضوعات نوعية في البيئة ، فكثيراً ما يتوصل الفرد بخبراته إلي ربط موضوعات بعينها لحاجات معينة لديه ، وقد يحدث ان اسلوباً معيناً في الاستجابة يجعل الشخص يقترب او يبتعد من صاحب هذا الاسلوب . وهنا يرتبط هذا الموضوع بالحاجة اذا ما كان الموضوع مشجعاً. ويتم التكامل عادة حين يجد الفرد الاخر الذي يشبع له حاجاته ، وهنا يعد الاول هو المبادىء ويعد الآخر المستجيب، وقد يتبادل الدوران ويتم التكامل بينهما .

سادساً : وحدة الموضوع Unity-thema

وهي مركب من حاجات مترابطة اما في حالة تآزر وانسجام او تضاد وصراع ، وهذا المركب من الحاجات يرتبط بمجموعة ضغوط سبق ان ارتبطت

في هذه الحاجات في مراحل سابقة من النمو ولا سيما في الطفولة . وقد تكون هذه الضغوط في المراحل السابقة محققة لاشباعات او قد تكون محبطة للاشباعات . وهذا المركب يطفح في مراحل لاحقة من حياة الفرد ، اما بالشكل الذي تم فيه في الماضي او بتكوين عكسي له .

سابعاً : العمليات السائدة Regnent processes :

وتكون جميع الحاجات النفسية محكومة بالمخ ونشاطاته الفسيولوجية ، ويصاحب أية عملية نفسية عملية فسيولوجية معينة ، ويؤدي ارجاع جميع العمليات النفسية إلى وظيفة المخ إلى تصور او صياغة لعمليات سائدة في المخ، او عمليات مسيطرة تحكم العملية النفسية . ويوضح «موراي» ان جميع العمليات الشعورية عمليات سائدة ، وليست كل العمليات السائدة عمليات شعورية . فالجانب الشعوري يقتصر مفعوله على بعض العمليات النفسية ، وهناك عمليات نفسية تتم على المستوى اللا شعوري .

أبرز «موراي» في دراسات حديثة له ارتباط مفهوم الحاجات بخدمة بعض القيم التي يتشربها الفرد من الثقافة التي ينخرط فيها . وهذه القيم يكون لها اتجاهات في نشاطها الفيزيقي او السيكولوجي ومن ثم اوجد مصطلحاً جديداً يسمى (الموجه – القيمة) Value-vector وتتمثل الموجهات في : الاستقبال ، والاستحسان ، الرفض ، الامتلاك ، الاستحواذ ، الدفاع ، التجنب ... الخ وتتمثل القيم في الصحة ، والملكية ، والسلطة ، والانتماء ، والمعرفة ، والجمال ، والفلسفة ، والدين ... الخ .

اضافات للشخصية خاصة بموراي :

من الملاحظ ان «موراي» في كتاباته الحديثة نوعاً ، قام باعادة تشكيل وتعديل في صياغة النظرية ، كما حاول اضافة مظاهر جديدة رئيسية في

الشخصية من خلال دراسات امبيريقية empirical ففي مقالة عن رواية «موبي ديك» قام بتحليل رائع يتسم بالحس السيكولوجي ويظهر الابعاد الشخصية لبطل الرواية وهو الكابتن «اهاب» الذي يتسم بالشر والقسوة ، ويعبر هنا «موراي» عن «الهي» اذ ان الرواية تتعلق بالبحر وبسفينة تسير فيه وقبطان هذه السفينة في صورة شيطان الذي واجه خصماً في البحر هو «الحوت الابيض» ومع كثرة ما في الرواية من رموز الا ان موراي قدّم تفسيراً لها من الوجهة السيكولوجية بطريقة تبرز ان الرواية نفسها محكومة بشخصية المؤلف (ميلفين) .

وفي كتابه «الامريكي المسرف في التحليق» وجه «موراي» احساسه الكلينيكي المرهف لفهم «لحم ودم» Fless & blood المراهق الامريكي . حاول استخراج عقدة «ايكاروس» وهي تمثل مراهقاً امريكياً يدعى جروب Grope ومن خلال دراسة سيرة حياته ومن خلال المقابلات والاستفتاءات التي طبقها عليه ، ومن خلال دراسة تاريخ الحالة في المهد والحضانة ، خبرات المدرسة ، العلاقات الاسرية ، الطموحات والمرامي ، والقيم وتقويم المراهق لذاته وتقويمه للاخرين من خلال هذه النظرة الشاملة والمتعمقة توصل الي مفهوم عقدة هذا الامريكي .

ملاحظة : ايكاروس يمثل اسطورة لشخص اراد ان يصل إلى الشمس باجنحة ملتصقة بالشمع واثناء صعوده اليها ذاب الشمع فسقط ميتاً .

وفي احدث مقال «لموراي» وهو الخاص بدراسته للضغوط من جانب الاشخاص في المواقف ، اجرى تجربة على مجموعة صغيرة من الاشخاص في موقف اجتماعي ثم قوّمهم بطرق متعددة وبملاحظين مختلفين ، وكان الهدف تفهم انفعال الغضب حين يختلف الافراد حول موضوعات جدلية ،

وقد سجل ما يحدث لهم اثناء ضغوط المناقشة ، في ضوء الاراء المتعارضة ، وقد سجل سرعة ضربات القلب لكل مناقش في هذه المواقف الضاغطة واقترح «موراي» انه كي تقوّم الشخصية لابد من وجود منظومة للتقويم (التقدير) متعددة الصيغ (الاشكال) Multiform system assessment وتعتمد هذه الصيغة على مكونين ضروريين اهملا من جانب معظم السيكولوجيين في بحوثهم عن الشخصيات العادية (الاسوياء) وهما :

١ – لابد من تجميع كل الوقائع بكل الوسائل حتى نتمكن من الحصول على وفرة من الوقائع التجربية والتجريبية للسير الذاتية من كل شخص .

٢ – وينبغي ان تبذل محاولات جادة ومنظمة لتشييد (بناء) صياغة متماسكة لكل شخصية .

تقويم النظرية :

في هذه النظرية استطاع « موراي » بمهارة ان يكوّن هيكلا منسقاً لعلم الشخصية ، ادمج فيه علم النفس العلمي والممارسة الكلينيكية والتعمق في علم البايولوجيا. هذا بالاضافة إلى اسلوب «موراي» المتميز نتيجة اهتماماته بالاداب والفنون بصفة عامة ،ومن ثم جاء تصوره ،وجاءت دراساته وكتاباته بطابع جديد مميز حين يقارن بالمنظرين الاخرين في الشخصية . وربما لا يجاريه او يتفوق عليه في هذه المهارة سوى «فرويد» .

ويمكن ان تصوغ بعض ايجابيات النظرية مع انها لا تخلو من بعض المآخذ

ايجابيات النظرية : –

١ – طرح مجموعة من المفاهيم افادت الكثير من العاملين في ميدان علم النفس عامة ، وفي مجال علم النفس الكلينيكي خاصة ، من ضمن هذه المفاهيم مفهوم الحاجة ، والضغط من جانب البيئة ، وقد اضاف هنا مفهوم البيئة كما هي موضوعياً والبيئة كما يدركها الفرد .

٢ ــ كان موفقاً بدرجة كبيرة في تصنيفه للحاجات الظاهرة والكامنة ، رغماً عن وجود بعض التداخل الا ان اهتمامه الفائق بالتصنيف Taxonomy فاق معظم المنظرين في المجال الدافعي خاصة .

٣ ــ اسهم في وضع اختبار على درجة عالية من الجودة والصدق وهو اختبار اسقاطي (تداعي الصور) Thematic Apperception Test T.A.T

٤ ــ اهتم «موراي» بماضي الفرد وحاضره ومستقبله ، واهتم بالشعور واللاشعور وبهذا يكون قد تجاوز القصور في نظرية «فرويد» التي تعني كثيراً بالماضي دون الحاضر ، وكذلك تجاوز «ليفين» الذي يركز على الحاضر دون الماضي .

بعض المآخذ على النظرية :

١ ــ يفترض ان تكون النظرية المتكاملة متضمنة لمجموعة فروض قابلة للاختبار حتى يتمكن الباحثون من التجريب ، وتحقيق هذه الفروض وتعاني النظرية من هذا القصور .

٢ ــ تعد النظرية قاصرة في عدم ايجاد القوانين التي تساعد في التنبؤ ، ولهذا تقف عند مرحلة الوصف . وقد تصل إلى مرحلة الفهم ولكنها تعجز عن التنبؤ .

٣ ــ تعد نظرية «موراي» أيضاً نظرية متسعة ومتشعبة مما يفقدها ظاهرتي التحديد والتعيين وهما اساسان مهمان في اية نظرية .

٤ ــ ركّز «موراي» على العملية الدافعية ، ولم يبين كيفية تكون هذه الدوافع وقد اهمل الى حد كثير دور التعلم كما اهمل ايضاً كيفية تطور الدوافع وكيفية اكتسابها مما ترك بعض الغموض ازاء المحور الاساسي لنظريته .

٤ ـ النظرية الاجتماعية الحيوية The Biosocial Theory

جاردنر ميرفي Gardner Murphy (١٨٩٥ ـ)

ولد في أوهايو في الولايات المتحدة الامريكية ، وتخرج من ثلاث جامعات مشهورة هي جامعة ييل Yale حيث حصل على درجة البكالوريوس ، وحصل على الماجستير من جامعة هارفارد Harvard والدكتوراه من جامعة كولومبيا في الاعوام ١٩١٦ ، ١٩١٧ ، ١٩٢٣ على التوالي . خدم في الجيش الامريكي وظل معظم عمله العلمي عضواً في هيأة التدريس بجامعة كولومبيا، واشرف على العديد من الرسائل في علم النفس الاجتماعي .

(تعد نظريته نظرية توفيقية eclectic بمعنى انه استخدم الكثير من المفاهيم السائدة في علم النفس المعاصر بغض النظر عن الاصول الخاصة بكل منها ، الا انه استطاع ان يستفيد من هذه المفاهيم بأن ادخلها بانسجام وتناغم في سياق المفاهيم النفسية . وهنا يختلف اسلوبه عن اسلوب «ليفين» الذي استعار مفاهيم كثيرة من انظمة مختلفة ، ولكنه لم يستطع توظيفها بالقدر الكافي او يجعلها تنسجم في سياق المفاهيم النفسية . واذا كان ثمة خلاف آخر عن «ليفين» فان «ميرفي» يؤكد دوماً على الخبرات الماضية المبكرة في حياة الطفل ، في الوقت الذي لا يعني «ليفين» فيه بالماضي وتعد نظريته كما سبق واشرنا نظرية لا تاريخية (هنا والآن) .

يتفق «ميرفي» و «ليفين» في مفهوم المجال اذ يؤمنان معاً بالتفاعل المستمر المتبادل بين الشخص والبيئة المادية والاجتماعية ، ولكنهما يختلفان في ان «ميرفي» يولي اهتماماً بالغاً بالاسس البايولوجية وما تتضمنه من جوانب فسيولوجية ، بالاضافة إلى الاسس الاجتماعية ، ويؤكد باستمرار على الاهمية البالغة للجسم بحواسه وعضلاته وانسجته ووظائف كل منها ، في الوقت الذي

يهمل فيه «ليفين» الجانب الفسيولوجي . وقد شغل «ميرفي» مركزاً رئيساً في مؤسسة ميننجر Meninger foundation ، وقامت هذه المؤسسة بدراسات مستفيضة عن التعلم الادراكي .

«ولميرفي» مجموعة من الكتب والمقالات من اهمها ما يأتي :

١ ــ كتاب : مقدمة تأريخية لعلم النفس الحديث (١٩٢٩)

Historical Introduction to Modern Psychology

٢ ــ كتاب «مداخل إلى الشخصية» (١٩٣٢) بالاشتراك مع «جينيسن»

Approaches to personality

٣ ــ كتاب : «علم النفس الاجتماعي التجريبي» (١٩٣٧) بالاشتراك مع « نيوكمب »

Newcomb Experimental Social Psychology

٤ ــ كتاب : الشخصية : «مدخل اجتماعي حيوي في الاصول والبناء » (١٩٤٧)

Personality: A Biosocial approach to origins and structure

٥ ــ مقال مهم بعنوان «البحث في الظواهر الخارقة والشخصية» (١٩٤٩)

Psychical research and personality

٦ ــ كتاب : «الطبيعة الانسانية والسلام المستديم» (١٩٥٤)

Human nature and enduring peace

٧ ــ كتاب «الامكانيات (الكمونيات) البشرية (١٩٥٨)

Human potentialities

٨ ــ كتاب «التحدي للبحث في الظواهر الخارقة» (١٩٦١)

Challenge of Psychical Research

تأثر «ميرفي» في كتاباته المتعددة بمدرسة الجشطالت وبمفهوم الاستبصار

Insight ، ومبادىء التحليل النفسي ، وديناميات الشخصية ، واللاشعور والترابط association المأخوذ عن المدرسة السلوكية وبالتحديد «ثورندايك» ، وكذلك انتقال اثر التعلم . وقد عدّ «ميرفي» كل ذلك بمثابة موجودات assets تعمل متناغمة مكونة لحناً واحداً . وينظر «ميرفي» للانسان على اساس انه جزء في مجال يضم هذا المجال الشخصي والبيئة ويكونا معاً بناء واحداً دينامياً . اي ان كل اجزاء هذا المجال متفاعلة بالضرورة ، وهو يشبه «ليفين» إلى حد كبير ، الا ان المجال عند «ليفين» اجتماعي بالضرورة ، والمجال الاجتماعي يضم المجال المادي الفيزيقي ، مع عدم الاهتمام بأعضاء الجسم ووظائف هذه الاعضاء (فسيولوجيا الجسم) في الوقت الذي يركز فيه «ميرفي» بشكل واضح على هذا الجانب ، ومن ثم يعد اتجاهه اتجاهاً بايولوجياً في الاساس حتى يمكن فهم الشخصية ويشير «ميرفي» إلى وجود اربع عمليات ثورية تطورية واضحة تماماً هي :

١ ــ يوجد عدد لا نهائي من تحويلات تحدث في الكائنات ، فتخلق كائنات جديدة ، وتندثر كائنات قديمة ،ويمكن لعالم البيولوجيا ملاحظة ذلك، من الدراسات الخاصة «بالتجانس» Homogamy اذ يوجد ميل للتزاوج بين الكائنات المتشابهة ، فيتم تجميع الجينات التي تنتقل عبر التناسل فتنشأ اختلافات بيولوجية وعصبية توصل إلى وجود امكانيات جديدة للشخصية .

٢ ــ تخضع معدلات التوالد لعملية انتقائية ، بمعنى تقوية خصائص جسمية، واختفاء خصائص ضعيفة ، اي ان الاتجاه نحو الافضل ، وينعكس ذلك في النضال من اجل رفع مستوى المعيشة ، والسيطرة الاجتماعية.

٣ ــ المؤثرات الثقافية تؤدي دوراً اكبر ، فقد اعادت تحديد دلالات

الصفات البيولوجية ، واصبح متوفراً نوع جديد من البشر بدأ يتزايد في الطبقات الاجتماعية المختلفة .

٤ ــ اصبحت خلايا الجسم body cells والخلايا الجنسية germ cells متميزة تماماً ، وأصبح ممكناً تغذيتها ورعايتها ، واصبح لها القدرة على نقل الخصائص الموروثة من جيل لآخر بغض النظر عن اللغة المتخاطب بها والمهن الممارسة ، والتحيزات التي يمكن ان توجد في الافراد الذين يحملونها . اي اصبح لها دور في التغيير ، بالاضافة إلى دورها المستمر في الحفاظ على النوع مع تطويره .

وتزخر كتابات «ميرفي» بالعديد من المواقف التي تبين ان اشتقاق اللذة يتم من خلال الانشطة الحسية والحركية . وتنشيط الحواس وتنشيط العضلات بل انه يصل إلى القول انه يمكن تزويد واثراء اللذة بتعهد ورعاية الاعضاء الحسية والعضلات . وهو لا يقتنع بوجود دوافع اساسية ، ولكنه مقتنع بأن للجسد حاجات متعددة ، وهذه الحاجات تتطلب استثارة الحواس والعضلات في الجسد . وعليه تصبح عند «ميرفي» حاجات حسية وعضلية وحركية في الاساس . ولا يلقي بالا للحاجات الثانوية ، ويصل من هذا التصور إلى وجود دافع واحد يعد بمثابة الدافع الاجتماعي البايولوجي او البايولوجي الاجتماعي. وطاقة الجسم تنتقل من منطقة إلى اخرى من خلال شبكة قنوات canalization . ونشاط الكائن الحي هو الوعاء الذي تتفرع منه هذه القنوات، سواء كان هذا النشاط يهدف إلى اشباع الجوع او العطش او الجنس او المنافسة او الحب . وكل هذه الانشطة تبدأ بتوتر ما ، يؤدي إلى تولد حاجة، وهذه الحاجة تدفع إلى الاشباع . ويمكن ان تحل هذه الالفاظ بعضها محل البعض الآخر .

ويختلف «ميرفي» مع المنظرين الآخرين الذين يذهبون إلى ان هناك دوافع مكتسبة او متعلمة (السلوكيون عامة على سبيل المثال) . فيقول ان ما نظن انه مكتسب هو في الحقيقة دوافع عضوية في الاساس . فالدافعية داخلية في بناء الكائن الحي ، بحكم التطور وليس بحكم التعلم . فحب الموسيقى (الجاز مثلا) يكون بسبب كونها تهيج التوترات العضوية ، والموسيقى الحالمة تهدىء من هذه التوترات ، وتؤدي إلى النشوة بعيداً عن التهيج ، ومن ثم ان حب الموسيقى هنا غير مرتبط بذكريات سارة او سيئة . والانسان مع النضج يصبح اكثر اتزاناً وتكاملا ، وحين يواجه ضغوطاً معينة من البيئة ، فانه ينتقي منها ما يتناسب وحاجاته ، مغفلا اشياء كثيرة اخرى في البيئة ليست مهمة بالنسبة له . واذا لم يتوافر المناسب له (اي اذا ما عانى الحرمان) فانه سيبحث عن مصدر آخر للاشباع (فتح قناة جديدة) واذا صدم الانسان من العالم الخارجي ، يحدث له انهيار في ديناميته .

ولكي يمكن معرفة دافعية الانسان يكون الفضول هو الاساس ويسميه «ميرفي» بدافع الفضول Curiosity drive . وبالميلاد يمكن ان تظهر في الطبيعة الانسانية الاولى مكونات لهذا الفضول ، وللمزيد من معرفة هذه المكونات ، ولكي يمكن فهمها قدمها «ميرفي» على انها تظهر في الطبيعة الانسانية ، ولكن يمكن ان يتصاعد نشاطها ويعاد تنظيمها بالثقافة وبالمؤثرات الاجتماعية .وتتحول حينذاك هذه الطبيعة الانسانية الاولى الفطرية nature إلى الطبيعة الانسانية الثانية (التطبع) nurture وفيما يأتي هذه المكونات الثلاثة :

١ ـ المكونات الحشوية Visceral components

تشير الوقائع الكلينيكية ، وبخاصة الوقائع المستمدة من التحليل النفسي

وعلم الاعراق السلالية ، إلى ان هناك حقيقة تتمثل في الاشباعات الغريزية المحجبة (المبطنة) من خلال النغم والرتم الناتج عن صوت الرياح وخرير المياه ، اذ يجد الانسان في الطبيعة من حوله ما يذكره بحاجاته البدائية (الاولية) ونزعاته إزاءها .

٢ – طلب الانسان للنظام والصيغة Order and configuration

يؤكد هذا المكون ان الانسان يسعى دوماً للنظام والترتيب والصيغة الجيدة (الشكل الجيد) . ولا تتعارض هذه الرؤية والمكون الاول الحشوي ، فالاول يهتم بالنزعات الغريزية ذات الجذور الحشوية بينما يهتم المكون الثاني بجودة الشكل (الصيغة) الذي ينشأ عن «الرتم» او التناغم الناتج من الاحداث المحيطة بالفرد . وبهذا الصدد قدم «رودلف ارنهايم Rudolf Arnheim في كتابه «الفن والخبرة البصرية» Art and visual experience موضوعاً مهماً عن (سيكلوجية العين المبدعة) ١٩٥٤ A Psychology of Creative Eye ومن هذه الرؤية يسعى الانسان لايجاد التوازن كما يتمثل في « التماثل » Symmetry ، والايقاع المتناغم rhythm والنشاط العضلي العصبي neuro-muscular activity الذي يكون فيه الجسم كله منتظماً محافظاً على الجودة والنظام ، اذ تولد كافة الوان الفنون .

٣ – المبدأ غير النوعي Non-specific doctrine

يشير هذا المبدأ إلى ان القدرة على الاستجابة تزداد كلما ارتقى الحيوان في سلم المملكة الحيوانية ، فمع المزيد من تعقد الجهاز العصبي تزداد بالضرورة الاستجابات لاي شيء ولكل شيء . ويجد المجال بكل ما فيه مثيراً للاهتمام وتتحقق الامكانات الانسانية ويزداد التذوق مع الحركة والنظام ، اذ يؤديان

إلى الكمال (رقص الباليه مثلا) ، وهو ما يمكن ان يعبر عنه بالموجودات في المجال حيث تعمل على الجسم . وتكون اعضاء الحس والعضلات والمخ في حالة عمل ، ويعني هذا ان هناك استثارة مخزونة في الطبيعة البشرية ، اي أن هناك حساسية وحالة من الجوع في الانسجة تتطلع دائماً إلى الاشباع . والانسان يريد ما هو موجود حقيقة وليس الامثل غير الحقيقي ، اي انه يتعامل مع الواقع . كما ان الانسان يسعى نحو الصدق في تعامله مع المثيرات الحقيقية . وتولد فيه هذه المثيرات المتحركة طرقاً جديدة للاتصال ، فيكتسب خبرات جديدة ، وهذه الخبرات كامنة في الطبيعة الانسانية ، كما ان الدافع نحو الخبرة الجديدة كامن ايضاً في الطبيعة البشرية .

بناء ونمو الشخصية :

هناك اربعة مكونات في هذا البناء تتدرج متطورة وتعمل من خلال التفاعل المتبادل بين هذه المكونات والبيئة الفيزيقية والأجتماعية وهي :

١ ــ مكونات فسيولوجية : Physiological components

وتتمثل في عمليات البناء والهدم « الأيض» كذلك كيمياء الدم ، والأستعدادات الخاصة بالانسجة الموجودة في العضلات ، بالاضافة الى استعدادات مصاحبة concomitant تنشأ من تنظيم الأنسجة المتمايزة في حالات الدفع كما يحدث مثلا في المعدة حين يكون الأنسان في حالة جوع .

٢ ــ مكونات للتصريف خلال شبكة قنوات canalization هذه الشبكة من القنوات يمكن عن طريقها تحقيق الدافع البايولوجي الأجتماعي حتى يشبع ، واذا لم يتم الأشباع فهناك قناة اخرى تحول الطاقة لكي تشبع الدافع بطريقة اوفي مجال اخر ، واذا لم يحدث ذلك فان طاقة الدافع تتحول الى قناة ثالثة سعيا وراء الأشباع ، وهكذا حتى يتم تفريغ هذه الطاقة

ويتحقق الأشباع . وقد اثبت كل من « هارتلي » و « بيرلمان » ان Hartly and Perlman الأشخاص في حالة الجوع يتعرضون الى انواع غريبة من الأطعمة وانهم اصبحوا يحبونها اكثر من غيرها من الأطعمة التي أعتادوا عليها مما يعبّر عن شق قناة جديدة للاشباع تعد بمثابة متنفساً لطاقة دافع الجوع الذي لم يشبع نتيجة الحرمان من الأطعمة المعتاد عليها .

٣ – مكونات للاستجابات الشرطية Conditioned responses

ويتم تعلم هذه الأستجابات بفعل التعزيز الموجب ، اذا ماتكرر وفي هذه الحالة تتحول المكونات الفسيولوجية بفعل عملية الأشتراط ، تتحول الى مكونات رمزية فيصبح الفرد قادراً على الأستجابة للرمز وكأنه مثير اصلي يؤدي الى التوتر ويعمل في الانسجة العضوية .فكلمة جوع تعد رمزاً لحالة الدافع الفسيولوجي اولحالة التوتر الذي تعاني منه الأنسجة الخاصة بالجهاز الهضمي . وينسحب الكلام نفسه على كل الكلمات او الرموز او الأفكار التي تستثير سلوك الفرد ، والخلاف الوحيد بين المكونات الرمزية والمكونات العضوية الفسيولوجية ، هو ان الأولى قد تنطفيء اذا لم تعزز في صورة اشباع في اوقات مختلفة في حين لايمكن للمكونات العضوية الفسيولوجية ان تنطفيء حتى اذا لم تعزز . ويرى «ميرفي » ان كل سمات الشخصية ، ومكوناتها في التحليل الأخير هي سمات او مكونات عضوية ارتبطت شرطيا بمثيرات بديلة ، او وجهت الى انماط خاصة من السلوك ، تتوافق مع مطالب المجتمع .

٤ – مكونات تتمثل في صورة عادات معرفية ادراكية Cognitive & Perceptual habits : تعد هذه المكونات ثابتة نوعاما وهي التي يحكم في ضوئها ثبات الشخصية اوتغيرها لانها تتكون من نسق من العادات التي

تكونت بدورها من الأستجابات الشرطية المعززة نتيجة التكرار وكذلك من قنوات التصريف التي انشئت نتيجة تحول الطاقة الدافعية الى القنوات،البديلة. وبسبب التكرارات في كل من الأشتراطات والتعزيزات والقنوات البديلة يتم في ضوء هذا كله نمط الشخصية الذي يتسم بالثبات اذا ماكان المجال او البيئة بمعناها الواسع في حالة استقرار نسبي .

اهم المفاهيم التي طرحها « ميرفي » :

١ ـ التوتر ـ الدافع ـ الحاجة Tension-Motive-Need

يستخدم « ميرفي » هذه المصطلحات الثلاثة بمعنى واحد ، ويعدّ التوتر تركيزاً للطاقة في انسجة خاصة، ويمكن ان ينتقل التوتر من نسيج الى اخر اذ ان الأرتباط بين الأنسجة ارتباط وظيفي وهناك شبكة من التوترات ، وهي التي تدفع الكائن ليبذل نشاطا وهذا الدفع هو نفسه التوتر، ولما كان الدافع اوالتوتر يتطلب الأشباع كانت هناك ثمة حاجة اليه ، وعليه تعدّ الحاجة هي الدافع وهي التوتر في الوقت نفسه ، وهذا مادعاه الى اعتبار المصطلحات الثلاثة شيئاً واحداً .

٢ ـ الدور Role

يعد الدور بمثابة الأسلوب المتميز المتكرر الذي يواجه بموجبه الفرد . اسلوب خفض توتراته، اي اشباع حاجاته او دوافعه. وهذا الأسلوب . مكتسب بالضرورة من الحضارة التي انخرط فيها الفرد، ومن الثقافة التي أكتسبها في اثناء عملية تطبيعه اجتماعياً. وكذلك من خلال الوسائل التعليمية والتربوية التي احاطت به،واخيراً نتيجة خبراته الشخصية المتميزة والفريدة .

٣ ـ الأنا Ego

يعد« ميرفي» الأنا جهازاً بنائياً وظيفته حماية الفرد، وقد تعمل الأنا لحمايتها بميكانيزمات دفاعية مثل التبرير والأسقاط والتعويض ..... الخ.

وقد تؤدي هذه الميكانيزمات الى خلل في بناء الشخصية لأنه قد تتكون اكثر من انا للشخص الواحد، وكل منها مستقل عن الاخر، ويؤدي هذا بالفرد الى تجمع أكثر من شخصية فيه، وهي حالات مرضية تدل على الأفتقار الى التناغم في انشطته .

٤ ـ السمة العضوية Organic trait

تعد من وجهة نظر« ميرفي» الوحدة الأساسية في بناء الشخصية حتى ان بناء الشخصية كله يمكن ان يختزل الى هذه الوحدة او الوحدات العضوية. وهي تتحول الى رموز بالتعلم الشرطي، وهي تتحول الى عادات ايضاً، بالتعلم وبالأشتراط، وبتصريف القنوات، وتعد السمة العضوية حجر الزاوية في بناء شخصية الإنسان .

مراحل تنظيم الشخصية :

يتصور « ميرفي» ثلاث مراحل متكاملة تنمو بطريقة طولية وفق المنهج الدينامي الذي تبناه، وهذه المراحل هي :

١ ـ المرحلة الكلية العامة : The Global stage

تتسم هذه المرحلة باللاتمايز ،حيث تكون الطاقة عامة وموزعة في كل جنبات الكائن، وتكون الأستجابات من كل الجسم ، كما يحدث في حالة الطفولة المبكرة، فاذا بكى الطفل مثلا نجد ان يديه ورجليه وكل اجزاء وجهه تبكي معه، وهي في حالة تحرك عام، بينما البكاء في حالة الراشد قد لايلاحظ الا من خلال قطرات الدموع .

٢ ـ المرحلة المتميزة The differentiated stage

مع نمو الطفل تبدأ استجاباته في التخصص، وبمعنى آخر تستقل الأستجابات نتيجة التنشئة الأجتماعية ، ونتيجة نمو عملية الإدراك لديه . وعملية الإدراك ينتقل فيها المجتمع الخارجي بما فيه من تعليمات وتعزيزات واحباطات

الى مدارك الطفل، فينمو الطفل قادراً على التمييز بين الصواب والخطأ في ضوء عملية التطبيع الأجتماعي التي انخرط فيها. ومع المزيد من النمو تتكون لديه استجابات مشروطة في ضوء عمليات التعزيز المصاحبة لسلوكه اثناء تعلمه. ويتم التعلم الشرطي عادة في ضوء مجموعة من الأدلة يعرفها الطفل يستجيب لها احياناً وقد يرفضها في أحيان اخرى. ولكنه يعرف مسبقاً انه في حالة الأستجابة الموجهة. (كما يتطلب الموقف) سيستقبل تعزيزاً موجهاً (اثابة)، وفي حالة استجابته السالبة او رفضه، يعرف ايضاً انه سيتلقى تعزيزاً سالباً (عقاباً) ومع التكرار ومع المزيد من النمو تتشكل شخصيته، وتنمو لديه مجموعة من العادات واسلوب خاص للاستجابة يميزه عن غيره .

٣ـ المرحلة المتكاملة The integrated Stage

في هذه المرحلة يتم توافق وتآزر وتنظيم الأستجابات المتخصصة النوعية في كل موحد ومنتظم ،بحيث يمكن التنبؤ مسبقاً بسلوك هذا الشخص في ذلك الموقف، اذ يكون له نسق متكامل من العادات تميزه عن غيره ، وتتضح من خلال استجابات الفرد الطريقة الظاهرياتية في ادراكه اذ تكون محكومة بالخبرات الماضية، وهنا يختلف «ميرفي» عن مدرسة «الجشطالت» في ابرازه لأهمية الخبرات المتراكمة منذ الطفولة ، التي تجعل عملية الإدراك عملية انتقائية تدخل فيها ذات الفرد . كما ان العمليات المعرفية عامة ومنها الادراك تكون مشبعة بدافعية الفرد، بينما ترى مدرسة الجشطالت ان الإدراك يتم في لحظة آتية عن طريق تنظيم عناصر الموقف ، فينشأ ادراك الموقف بما يسمى الاستبصار insight ويحدث هذا التنظيم في المجال الإدراكي فجأة ، اذ ينبثق الحل، مع اهمال واضح للخبرة الماضية ، ولذلك يكون الإدراك معطى a given آنيا (هنا والان) ولكي يتم لابد ان تكون

عناصر الموقف في حدود امكانات الفرد او الكائن بصفة عامة .

اضافات للشخصية خاصة «بميرفي» .

يعد «ميرفي» من علماء النفس القلائل الذين اظهروا اهتماماً بالغا في البحث عن الظواهر الخارقة للطبيعة (الباراسيكولوجي Parapsychology) بما يتضمنه من ابحاث خاصة بظاهرتي الأستشفاف Clairvoyance والتخاطر telepathy ، ويعتقد ان هناك مايدل على ان كـل الشخصيات قادرة على القيام بعمليات غير عادية اي يمكنها ادراك مـاوراء الأمكانات العادية للشخص Extra sensory perception (E.S.P.) ولكن هذه المقدرة قد لاتستثمر بحكم ظروف اجتماعية وتعليمية خاصة، اذان الحضارة المعاصرة تركز علىسيطرة ما هو خاضع تحت الحواس ، كما انها تركز على ان من خصائص الحضارة المعاصرة العلم الموضوعي والتكنولوجيا التي تخضع بدورهـــا للسيطرة الموضوعية لحواس الأفراد، وعليه فإن الجو الأجتماعي هو المؤثر في ظهور اوكف هذه الظواهر او هذه الإدراكات فوق العادية.وقد اثبت «ميرفي» بتجاربه ان هناك فروقاً فردية حتى في الحيوانات فالأغنام مثلا لديها هذه القدرة أكثر من الماعز. وبالنسبة للإنسان يمكنه ان ينمي هذه القدرة على الإدراكات فوق العادية اذا ما اتيحت له الفرص المناسبة في المجـــال الأجتماعي الذي يعيش فيه .

تقويم النظرية :

ككل نظرية من نظريات الشخصية نلحظ اضافات واعية من جانب المنظر تعد بمثابة ايجابيات لها ، خصوصاً اذا ما واكبها دراسات اوتجارب تؤيد هذه التصورات وقد نلحظ بعض المآخذ حين تعجز النظرية عن اقناع السيكولوجي ببعض المفاهيم اوعدم قدرة المنظر على اثبات مايطرحه من تصورات في مواقف تجريبية .

ومن ايجابيات هذه النظرية مايأتي : —

١ — يعد المنهج الذي اتبعه « ميرفي » (الأجتماعي الحيوي) من احدث التيارات الواقعية في علم النفس المعاصر ، فهو منهج متكامل ، وقد وفق في استخدامه — بطريقة توفيقية — الكثير من المفاهيم المطروحة في علم النفس المعاصر دون اي تعسف ، ودون ان يضع هذه المفاهيم في غير سياقاتها ،لذا تفوق على « ليفين » في هذا المضمار .

٢ — تتسم نظريته بالشمول على المستويين الأفقي والرأسي : فعلى المستوى الأفقي ادخل المجال الفسيولوجي ،والمجال الأجتماعي بكل مايتضمنه من ثقافة وبيئة مادية وبشرية ،وكذلك أدخل الأنثروبولوجيا الأجتماعية وعلى المستوى الرأسي أدخل الطفولة والمراهقة والرشد ، والمجال الكلينيكي والمجال التجريبي ، والحتمية البايكوكيميائية .

٣ — ابرز الأتجاه الوظيفي في النظرية ، كذلك الأتجاه الكلي الدينامي ، كما اعطى اهتماما بالغا لمفهوم الأدراك العادي ، ومافوق العادي ، بالمعنى الأنساني الشامل . لذا تجاوز هذا المفهوم مجرد نقل ماهو موجود في العالم الخارجي الى الأنسان من خلال الحواس (كما تطرحه نظرية الجشطالت) ، ولكن اضافته تتميز بفكرة التفاعلية بين المدرك والمدرك في وحدة واحدة ، مؤكداً الخبرات الباكرة في حياة الطفل.

بعض المآخذ على هذه النظرية :

١ — لما كان المجال متغيراً بالضرورة (الظروف البيئية والمادية والأجتماعية) فيكون من المتوقع ان الشخصية تصبح دائمة التغير بصفة مستمرة ، ومن ثم لاتتحدد لها ملامح ثابتة نسبيا ، الا ان « ميرفي » يرد على ذلك بقوله : ان المجال ليس متغيراً بصفة دائمة بل انه في المجتمعات

المستقرة يكون ثابتا الى حد كبير في معظم الوقت ، ثم ان التكوين البايولوجي والخلايا والأنسجة تسير في تتابع معروف ، وان التغيرات الحادثة قليلة جداً ، وبمعنى آخر ان الشخص لايوجد في بحر هائج مستمر من التغيير بل ان نمو الظروف التي يعيش من خلالها والأشتراطات التي تكونت له في ضوء التعزيزات الموجهة اوالسالبة لذلك كانت العادات ونسقها والأسلوب والقنوات التي تصرف الطاقة قد كونت للشخص نمطا ثابتاً ، ومع تكرار انماط استجاباته،تستمر الشخصية في حالة من الثبات النسبي والأستمرارية . ولكن مع التقدير المستمر لاحتمالات التغير واللااستمرارية ولكن بدون صدمات .

٢ ـ يرى بعض علماء النفس ان النظرية التي قدمها « ميرفي » تعد منهجاً لدراسة الشخصية اكثر من عدّها نظرية للشخصية ، اذ ان مفهوم النظرية يتضمن النظرة الشمولية ، والقوانين التي يمكن بها ان تفسر المقولات التي تطرحها النظرية . ويوافق « ميرفي » على هذا النقد ويضيف الى ذلك قوله نتيجة لكثرة ماكتب وقيل عن الشخصية في بنائها وتنظيمها ونموها ....الخ . فقد يظن البعض اننا نعرف كل شيء عن الأنسان، والواقع اننا وغيرنا ممن سبقونا ،نحاول دائما استقراء الأخطاء التي نراها ، ومن ثم تتعدل تصوراتنا ، وبمعنى آخر نهدم اشياء ثبت عدم صلاحيتها ، ونبني بدلها اشياء جديدة ، اي نضيف معرفة جديدة وهذا منحى البحث المفروض تبنيه في اي فرع من فروع المعرفة .

الفصل الخامس

الشخصية والصحة النفسية

اولاً : المنطلقات النظرية

الصراع والقلق ـ الحضارة المعاصرة ـ

اساليب التنشئة الاجتماعية ـ التربية والدعاية

ثانياً : تكامل الشخصية

المنظومة الجسمية والفسيولوجية ، المنظومة العقلية ،

المنظومة الانفعالية ، المنظومة الاجتماعية الثقافية .

ثالثاً : الصحة النفسية

المفهوم

التوافق وسوء التوافق

السواء والمرض .

الفصل الخامس

الشخصية والصحة النفسية

اولا : المنطلقات النظرية

١ ـ الصراع والقلق Conflict & Anxiety

يعد الصراع قانوناً للحياة، فمنذ ظهور الإنسان على سطح الكرة الأرضية وهو يعيش سلسلة من الصراعات مفروضة عليه من الخارج. فالإنسان بالميلاد يكون محايداً neutral بافتراض سلامة بنائه او تكوينه البايواوجي، وبأفتراض سلامة وظائف اعضائه (فسيولوجيا أجهزته) .

في بداية حياة الإنسان فرض عليه ان يصارع الطبيعة بكل مافيها من مسببات ومؤثرات، فهي مصدر حياته، وفي الوقت نفسه مصدر مخاوفه (من خلال العواصف، والبراكين، والزلازل، والأمطار الغزيرة ، والشمس المحرقة ، والرعد ، والليل ..... الخ) وفي كل الأحيان لم يكن يعرف من هذه المؤثرات الا الشيء القليل،وقد ادى هذا الى ان يقلق، ثمة صراع اخر وجده مفروضاً عليه في تعامله مع الكائنات الحية الأخرى فهناك الحيوانات المفترسة، الأفاعي، ثم هناك ، الحيوانات الأليفة التي استطاع في حقبة تالية ان يسخرها عند انبثاق مفهوم الزراعة .

ومع تطور الإنسان بدأ صراع آخر يفرض نفسه ايضاً وتمثل هذا الصراع بين الإنسان والاخر وذلك في ضوء علاقات الأنتاج التي بدأت تشكل حياة البشر في العصور المتتالية. ثم تطورت الصراعات وتولدت صراعات جديدة حين تطور الإنسان واصبح هناك صراع بين الأنظمة وتطورت الصراعات واصبحت تسمى بمسميات متعددة منها الصراع الأجتماعي ، والصراع السياسي، الأقتصادي واحياناً يتطور الصراع الى المواجهة العسكرية (الحروب).

والطبيعي ان يولد الصراع الذي يعانيه الفرد او الجماعة او الدولة صوراً من الخوف يصاحبها القلق والنظرة المتشائمة للحياة وكثيراً مايؤدي هذا الى ظاهرة الأغتراب alienation .

٢ ـ الحضارة المعاصرة Contemporary civilization

ترتكز الحضارة المعاصرة على الأنفجار المعرفي المذهل، وما يتبع ذلك من تطبيقات لهذه المعرفة تكنولوجياً. واصبح العصر الحالي يسمى وبصدق عصر العلم والتكنولوجياً. والأنفجار المعرفي explosion of knowledge يواكبه في الوقت نفسه انفجار داخلي (ضمني) للقيم implosion of values

وقد اتاح هذا الوضع المزيد من فرص استغلال الإنسان للاخر ، او سيطرة نظام على آخر. ويكون المسيطر بأستمرار هو المالك للعلم وللتكنولوجيا،وتتمثل الوان السيطرة او الهيمنة في كل المجالات ، كالمجال السياسي والمجال الأقتصادي ، والمجال الثقافي ، فهناك دوماً المستغِل والمستغَل (الا ولى بكسر الغاء والثانية بفتحها) ويتولد عن هذا ايضاً الخوف ومايصاحبه من قلق سواء بالنسبة للقاهر او المقهور، ويولد ايضاً هذا الوضع النظرة المتشائمة للحياة وكثيراً ما يصاحبها الأغتراب .

٣ ـ اساليب التنشئة الاجتماعية Means of Socialization

تتباين اساليب او وسائل التنشئة او التطبيع الأجتماعي من مجتمع لاخر وفق الثقافة السائدة، او وفق الثقافات الفرعية(انظر الفصل الأول من هذا الكتاب محددات الشخصية) .

ولما كانت الثقافة في اي مجتمع تتحدد ملامحها وبصماتها في ضوء الفلسفة السائدة في هذا المجتمع او ذاك ، كان طبيعياً ان تنشأ الأجيال generations متطبعة بما هو سائد في مجتمعاتها من فلسفات .

التربية والدعاية : Education and Propaganda

التربية عامة هي مجموع الأجراءات المقصودة وغير المقصودة التي تحيط بالفرد منذ ميلاده وحتى وفاته (من المهد الي اللحد) .وتبدأ الأجراءات المقصودة بعملية التنشئة الأجتماعية، يلي ذلك نوع التعليم الذي يتعرض له الفرد منذ دخوله رياض الأطفال او الحضانة وحتى يتخرج في الجامعة وسمي هـذا بالتربية النظامية او الشكلية Formal Education . ويواكب ذلك مجموعة اخرى من اجراءات ومؤثرات كثيرة فاعلة من خلال وسائل الأتصـال الجماهيري Mass communication كما تتمثل في الإذاعة المرئية والمسموعة في السينما والمسرح، وفي سبيل المطبوعات ،وفي المعـارض والمتاحف ، وفي السياحة .... الخ ويشكل كل ذلك مايمكن تسميته بالتربية غير النظامية او غير الشكلية Informal Education .

هذه هي مجموعة المنطلقات التي تشكل شخصيته ومن ثم يصبح الشخص نتاجاً مشوهاً للإنسان بالمفهوم الإنساني المتحضر ويؤدي به هذا الوضع الى الدوران حول النفس والى تفتيت الشخصية وعجزها عن الأنتاج ناهيك عن الإبداع .

ثانياً ـ تكامل الشخصية :

مفهوم التكامل يعني وجود منظومة تتكون من مجموعة منظومات فرعية وهذه الأخيرة بدورها تتكون من منظومات اخرى اصغر وهكذا والتكامل في هذه الحالة يعني ان تعمل جميع هذه العناصر في تناغم واتساق، واذا ما شذ احد هذه العناصر او المكونات، او اذا ماشذت مجموعة من هـذه العناصر او المكونات حدث، «اللاتكامل» (التفسخ) وتصبح الشخصية في هذه الحالة« نشازاً» واذا اردنا المقارنة بهذا المفهوم« التكامل» فإن افضـل

وجه للمقارنة هو اللحن الموسيقي المدروس جيداً في اي نوتة موسيقية فالمستمع ذو الأذن المرهفة والمثقف في حواسه يلحظ التناغم والأتساق بين جميع الالات الموسيقية التي تعمل كمنظومة متناغمة منسقة لأخراج هذا اللحن المبدع واذا ماشذت احدى الالات وخرجت عن« الرتم» حدث تخلخل في اللحن وتحس الأذن المثقفة بهذا «النشاز» disonnance وبمعنى هذا اللاتكامل وهذا بالتحديد مايحدث في الشخصية اذا لم تكن في صورة منظومة متكاملة .

ويتضمن التكامل في الشخصية تكامل اربع منظومات هي :

١ ــ المنظومة البايولوجية والفسيولوجية Biological and physiological system

٢ ــ المنظومة العقلية Mental system

٣ ــ المنظومة الأنفعالية Emotional system

٤ ــ المنظومة الأجتماعية Social system

وتعمل كل منظومة من المنظومات الأربع بطريقة تكاملية وتتعامل معاً بطريقة تكاملية ايضاً هذا في حالة السواء وإذا ماحدث خلل مافي اي من المنظومات الأربع فإن المرض او اللاسوية يكون هو النتاج الطبيعي لهذا الخلل فالخلل في المنظومة البايولوجية والفسيولوجية يؤدي الى المرض العضوي (كأمراض القلب والكبد والأجهزة الأخرى). والخلل في المنظومة العقلية يؤدي الى الأمراض النفسية والعقلية ، والخلل في المنظومة الأنفعالية يؤدي الى بعض الأمراض النفسية والسلوكية ، كما ان الخلل في المنظومة الأجتماعية يؤدي الى الأضطراب العام في السلوك. والمهم ان نشير ان الخلل في اية منظومة يؤثر ويتأثر بالمنظومات الثلاث الأخرى فقد تساعده هذه المنظومات على المقاومة وقد يؤثر الخلل في منظومة ما من المنظومات الأخرى اذ كان

الخلل قوياً. وكل هذا يشير الى التفاعل المستمر والمتبادل بين اجزاء المنظومات الفرعية داخل المنظومة الكبرى وهي الشخصية .

١ – المنظومة البايولوجية والفسيولوجية :

سبق ان ذكرنا في الفصل الثاني من الكتاب (بناء الشخصية) ان هـذه المنظومة تتكون اساساً من الأجهزة المختلفة لجسم الأنسان بأنسجته وخلاياه وكذلك المنظومة الفرعية الخاصة بالغدد الصماء وبتكامل كل من المنظومتين التكوينية والفسيولوجية (وظائف الأعضاء والغدد) وكما ذكرنا يؤدي عدم التكامل . الى خلل ما يتمثل اساساً في المرض العضوي وقد يؤدي المرض العضوي بدوره الى خلل في السلوك يشكل اضطراباً في الشخصية. والمرض لايحدث فجأة كما يظن البعض ولكنه ينمو ويتكاثر اذا اصاب العضـو او النسيج او الخلية طاريء غريب (ميكروب مثلا او فيروس) اذ يقاوم الجسم كل في ضوء المناعة التي تحميه ويبدأ الجسم بمنظومته (البايولـوجـية والفسيولوجية) في المعركة ضد عدوان هذا الميكروب وبأستمرار المعركـة وبتكاثر الميكروب وبزيادة افرازاته السامـة او الضارة تضعف مقاومة الجسم ويضعف الجهاز المناعي له ويحدث التغير الكيفي وهو المرض. لذلك يصبح المرض خاضعاً للقانون المعروف: « التراكم الكمي يؤدي الى تغيـر كيفي» والمقصود بالتراكم الكمي هنا زيادة الميكروب بالتكاثر وزيادة سمومه.

٢ – المنظومة العقلية :

العقل كلمة او مصطلح أو لافتة تخلع على وظائف اوانشطة المخ، وبمعنى آخر ان كلمة عقل مفهوم وليست شيئاً ذا كيان مادي كما تقول مثلا المخ القلب ، الغدة الدرقية .....الخ هذه الأشياء كيانات مادية يمكن ان نلمسها ونراها ونحللها ولها وظائف محددة، اما كلمة عقل وكلمة شخصية وكلمة

ذكاء او قدرة او سمة اوجنون لافتات تعبر عن مفاهيم تتضح من خلال اداءات الفرد ، اي ان سلوك الفرد في مجالات مختلفة يوصف بهذه الأوصاف وفق المعايير التي نحددها نحن .

يذكر بعض علماء النفس احياناً ان هذه المفاهيم تكوينات فرضية، اي يفترض وجودها لمجرد تسهيل فهم القاريء والدارس. والواقع انها مجموعة من الوظائف او الأنشطة التي يقوم بها الجهاز العصبي المركزي الذي يتكون اساساً من المخ والنخاع الشوكي. ويعد المخ (خصوصاً طبقة اللحاء او القشرة المخية) المسؤول عن جميع هذه الوظائف او الأنشطة .

والمقصود بالمنظومة العقلية جميع هذه الوظائف والأنشطة التي يمكن ان تنظم في مجالات او منظومات فرعية وكل مجموعة متقاربة في نوعية النشاط او الوظيفة تدخل تحت منظومة فرعية محددة. فهناك مايعرف تحت لافتة العمليات المعرفية Cognitive processes والمقصود بها مجموعة وظائف اوعمليات او انشطة ذات طبيعة متقاربة يمكن تصنيفها تحت منظومة فرعية مثل: الذكاء والإدراك ، والتذكر ، والتخيل والتفكير ...

وتوجد بعض الأنشطة او الوظائف ذات طبيعة متقاربة يمكن تصنيفها تحت منظومة فرعية اخرى في داخل المنظومة العقلية تحت اسم العمليات الوجدانية Affective Processes . كالميول والأتجاهات والقيم .

كذلك توجد بعض الأنشطة والوظائف العقلية متمثلة في مهارات الفرد كالكتابة والرسم والعزف على آلة موسيقية وفك محرك سيارة واعادة تركيبه وفتح صدر او بطن مريض لأجراء عملية جراحية، وقياس زاوية بالمنقلة ،

وتحديد درجة الحرارة بالترمومتر، وحفر بئر للبترول، وتشغيل الحاسوب (الكمبيوتر) .....الخ كل هذه الأنشطة او الوظائف التي يقوم بها الفرد ذات طبيعة متقاربة رغماً عن الأختلافات الكبيرة بينها من حيث الصعوبة او التعقيد، فبعض هذه المهارات Skills تتطلب ممارسة او تمريناً بسيطاً، وبعضها الاخر يتطلب دراسة عميقة وممارسات مضنية وزمناً طويلا حتى يتمكن الفرد من اداء هذا النوع من المهارات وكلها يمكن ان تدخل تحت منظومة فرعية تسمى بالعمليات النفسحركية Psycho-motor processes

آ ـ المنظومة المعرفية **Cognitive system**

تتضمن هذه المنظومة كما ذكرنا العمليات المعرفية :

١ ـ الذكاء : Intelligence

يخلع هذا المصطلح او تلك اللافتة على نشاط الفرد او سلوكه في مواقف حياتية متنوعة حين يواجه هذا الفرد تلك المواقف او القضايا او المشكلات . وفي ضوء مايقوم به من سلوك او اداء يخلع عليه هذا اللفظ او ذاك المصطلح اي اننا في الواقع نصف سلوك الفرد في الموقف بالذكاء او الغباء، وبمعنى آخر لايوجد «ذكاء» ولكن يوجد «سلوك ذكي» او« اداء ذكي» .

والمعروف ان العلوم حين تتطور تصل الى التحديد الكمي او التقنين في دراسة ظواهرها. ولذلك لايكتفي العلم المتطور بوصف السلوك ولكنه يرتقي به ويحدد كم هذا السلوك . وبالنسبة للسلوك الذكي هناك مايعرف بأسم اختبارات الذكاء، والمقصود بها مجموعة من المواقف المستخلصة من ثقافة الفرد ، روعي في تجميعها شروط خاصة(ليس هنا مجال لطرحها بسبب وفرة ماهو مطروح منها في التراث السيكولوجي). هذه المواقف

تحدد بالدقة نسبة ذكاء الفرد مقارنة بغيره اذا توحدت ظروف تطبيق الأختبار وظروف الأفراد. والمهم هنا اننا نقيس سلوك الفرد في مواقف اختبارية ويعني هذا اننا نقيس سلوك الفرد« هنا والان» وقد يتغير هذا السلوك في مرحلة تالية او في مواقف متباينة لأن سلوك الفرد هو نتاج ماخبره في حياته بسبب كم ونوع المدخلات inputs التي استقبلها من بيئته وثقافته، ويحدث لكل هذه المدخلات عمليات« تعميل» في داخل مخ الفرد فيتولد منها المخرجات out puts اي السلوك. والمخ ليس جهازاً سلبياً ولكنه ايجابي فعّال، ولكنه لن يكون فعالا وايجابياً الا اذا استثير من الخارج بالمدخلات المذكورة سلفاً. ويثار هنا سؤال، لماذا تختلف المخرجات (السلوك) من فرد لاخر مع ان المدخلات قد تكون واحدة او متشابهة في كل حالة ؟ وبهذا السؤال اغلوطة fallacy ويستحيل ان تكون المدخلات لفردين بالقدر نفسه وبالنظام نفسه وبالكم والكيف على مدار سني حياة هذا الفرد وذاك ، حتى اذا كانا توأمان متشابهين (من بويضة واحدة) (انظر الفصل الثاني من الكتاب) .

(انظر ايضاً : عزيز حنا داود ، ١٩٨٤، دراسات وقراءات نفسية وتربوية) .

٢ ــ الادراك : perception

المقصود بهذا المصطلح انتقال ماهو موجود في العالم الخارجي (البيئة) الى داخل مخ الفرد، ثم تأويل (تفسير) هذا الداخل .

وانتقال ماهو موجود في العالم الخارجي يتم عن طريق الحواس فنحن ننظر لنرى، وننصت لنسمع، ونلامس لنحس، ونتناول اشياء عن طريق الفم لنتذوق ، ونقرب انوفنا من المصدر الخارجي لنشم. فحواس الإنسان

تنتقل له ماهو موجود في العالم الخارجي او البيئة الخارجية وهذه هي المرحلة الأولى من عملية الإدراك .

ثم ماذا بعد ذلك؟ بعد ذلك تنقل الأعصاب المستقبلة لهذه المثيرات البيئية هذا الإحساس الى المخ كي يقوم بدوره بالتأويل او التفسير او الترجمة. وهذه المرحلة الثانية من عملية الإدراك.ويمكن ان نطلق على المرحلة الأولى ادراكاً حسياً وعلى المرحلة الثانية ادراكاً عقلياً. ولكن ينبغي ان يقر في الأذهان ان العمليتين متلازمتان كوجهي العملة وتتمان انياً بدون فاصل زمني يحس فرؤية سيارة مثلا تتم عن طريق جهاز العين المبصرة وينقل هذا الجهاز صورة السيارة مقلوبة ، ثم يقوم المخ بالتعديل والتأويل. وسماع كلام فرد يتم عن طريق جهاز الأذن السليمة وينقل هذا الجهاز الصوت ثم يقوم المخ بتأويل ماسُمع ولابد من ان نشير هنا الى ان الإدراك البصري لايتم الا من خلال وسط ضوئي كما ان الإدراك السمعي لايتم الا من خلال وسط هوائي .

وللادراك مجموعة من القوانين يخضع لها وهي متوافرة في التراث العربي السيكولوجي ولاداعي لذكرها هنا .

٣ ـ التذكر (الاستدعاء) Remembering (retention)

اذا كان الإدراك هو دخول المثيرات الموجودة في البيئة الى داخل الفرد من خلال الحواس ثم تأويلها عن طريق المخ، فإن التذكر هو استرجاع ماسبق ان دخل الى الفرد من خلال الحواس، وماتم تأويله. ويعد المخ في هذه الحالة وكأنه ذاكرة الحاسوب الألكتروني تدخل فيه المعلومات (المدخلات) وتبقى في الداخل لحين طلب استرجاعها، اذاً التذكر عملية استرجاع ماسبق ان تم ادراكه حسياً وعقلياً. ولكن هذه العملية لاتتم بهذه البساطة، فأحياناً نتذكر بدقة حدثاً، تم في الماضي البعيد، ونعجز عن تذكر

حدث اخر تم في الماضي القريب، وقد يحدث احياناً تشتت لما نتذكر فتاتي الذاكرة بصور مشوهة لادراكات سابقة وهنا يحدث مايسمى بالكف inhibition وثمة نوعان من الكف :

آ ـ الكف التصعيدي proactive inhibition

والمقصود به تأثر الموضوع او المعلومة المراد استرجاعها بالمدركات التي سبقتها زمنياً ، وبمعنى آخر يتأثر استرجاع موضوع ماتم ادراكه مثلا في عام ١٩٧٠ بما سبق وادركه الشخص من موضوعات مشابهة او مختلفة حدثت قبل عام ١٩٧٠ اي في الستينات او الخمسينات على سبيل المثال .

ب ـ الكف الترجيعي Retroactive inhibition

والمقصود به تأثر الموضوع او المعلومة المراد استرجاعها بالمدركات التي تلتها زمنياً، وبمعنى آخر يتأثر استرجاع موضوع ماتم ادراكه مثلا في عام ١٩٧٠ بما تلى ذلك من ادراكات للشخص في موضوعات مشابهة او مختلفة حدثت في الثمانينات على سبيل المثال .

٤ ـ التخيل : imagination

يدخل هذا المفهوم ايضاً ضمن مجموعة العمليات المعرفية ، وبمعنى آخر تعد هذه العملية ضمن الأنشطة او الوظائف التي يؤديها مخ الإنسان . والمقصود بها تداعي صور ذهنية بعضها واقعي(انعكاسي للواقع) ولكنه لايكون انعكاساً كالذي يحدث في المرآة لأن هذا الأنعكاس يشمله الحل او التركيب كما يشمله الحذف او الإضافة ،والسبب في ذلك يرجع لحيوية مخ الإنسان واستقلاليته. ولذلك يختلف من هذه الوجهه عن الحاسوب واذا كانت خبرات الإنسان ـ في كل مراحل حياته ـ مختلفة من فرد لاخر ولايمكن

التحكم فيها بحكم ملايين المثيرات التي يدركها والتي تختلف بالضرورة من فرد لاخر حتى اذا عاش فردان تحت سقف واحد . فالتخيل كعملية معرفية مختلفة من فرد لاخر وعليه وقد نجد الخيال المبدع في بعض الأفراد قد يترجم في صورة اعمال فنية كما يحدث عند الفنانين وكذلك العلماء والفلاسفة، وبالقدر الذي تكون فيه بيئة للفرد مثيرة(مشحونة بالمثيرات) تزدهر عملية التخيل لديه ولنضرب مثلا بسيطاً: فقد نلحظ ان طفلا تحكي له مجموعة من القصص، يشاهد بعضها مصوراً في كتب لقصص الأطفال وقد نلحظ ان هذا الطفل في موقف مايحكي لنا قصة (يتخيلها) ويعدهـا حقيقة قد حدثت له وفي الأغلب هي« تركيبه» لما سبق وسمعه مع الحذف والإضافة والحل والتركيب وتغير الإدوار والمشاهد والأحداث بحيث تبدو قصة خيالية، وقد يتهم الطفل بالكذب من جانب الكبار عند سماعهم لـه وقد يقال عنه ان« خياله واسع» .....الخ من تعليقات تظهر هذه العمليـة التي قام بها نشاط مخ الطفل .

٥ ـ التفكير Thinking

التفكير ضمن العمليات المعرفية كنشاط للمخ اواحد وظائف المخ كالإدراك والتذكر والتخيل والذكاء. والتفكير لفظ شائع في التراث السيكولوجـي وهو شائع بين العامة ايضاً. فقد تسمع من يقول ان تفكير هذا الفرد ميتافيزيقي او خرافي ، وقد نشير الى فرد مابأن تفكيره علمي او نقدي ....الخ مـن اوصاف او نعوت. ويرتبط التفكير اساساً بحل المشكلات، فاذا ماواجـه الفرد مشكلة ما(حياتية كانت اودراسية اووظيفية .....الخ)فإنه يفكر من اجل الخروج بحل معقول لها ، وهنا يبرز للملاحظ نمط التفكير الذي يمارسه الفرد.فالجاهل او الأمي قد يتصرف برعونه لحل المشكلة لأن معطيات

الحل بالنسبة اليه غير متاحة بالقدر الكافي (قلة التعليم او الخبرة) تماماً كما يفعل طفل حين يحاول حل «لعبة» مثلا او التصرف في مشكلة تواجهه ويعجز عن ذلك، فإنه قد يصرخ او يلقي« باللعبة» على الأرض لأنه عجز عن ايجاد حل مبني على التفكير اما لنقص الدراية والخبرة اولصعوبة الموضوع او الأشكال. والمتعلم يتناول المشاكل التي تعرض له ويفكر فيها بالقدر الذي يتسم فيه تفكيره بالعملية او المنهجية وبهذا القدر يقترب من الحل .

ولذلك تكون عملية التفكير عملية معرفية محكومة بالمعلومات المتوافرة لدى الفرد، وبالأسلوب الذي اعتاد عليه وتعلمه، وبالممارسة والخبرة التي أكتسبها والتي تتضح في تناوله لمواجهة المشاكل التي تعرض له ويقسم التفكير على : —

آ— التفكير التقاربي Convergent thinking

والمقصود به التفكير في داخل حدود المجال الموجودة فيه المشكلة ويتسم عادة بالنمطية اذ ان المشكلات التي يتناولها تتسم عادة بالوضوح وامكانية الحل واذا ماتعرض الشخص لمشكلة أكثر تعقيداً ويكون نمط تفكيره هو التفكير التقاربي فإنه عادة مايعجز عن حل المشكلة اذ ان نمط تفكيره لايساعده

ب — التفكير التباعدي divergent thinking

والمقصود به التفكير فيخارج حدود المجال الموجودة فيه المشكلة ويتسم عادة بالإبداع وقد يطلق عليه التفكير الأبتكاري creative thinking ويتسم هذا النمط من التفكير بالمرونة واتساع افق الفرد ونظرته الشمولية وتوظيفه لخبراته وممارسته توظيفاً جيداً، بحيث يستطيع مواجهة المشكلة وقد يجد لها أكثر من حل .

والمهم هنا ان نؤكد ان للمعلم دوراً في تدريب تلاميذه على التفكير العلمي التباعدي اذ ان التدريب منذ بداية التعليم يكسب الفرد اتجاهاً علمياً، فالتلميذ في المدرسة الأبتدائية مثلا اذا ماتعلم ان لكل مشكلة مجموعة من الأسباب الموضوعية المسؤولة عنها فإنه في هذه الحالة سيبتعد عن التفكير الخرافي لأنه اعتاد من خلال تعليمه على ان يبحث عن مسببات المشكلات او الظواهر التي تعرض له وكلها وسائل لن تقود الى مواجهة المشكلات وايجاد حلول .

ب – المنظومة الوجدانية **Affective system**

تتضمن هذه المنظومة الميول interests والأتجاهات attitudes والقيم values .

تعد هذه المصطلحات الثلاث بمثابة نشاطات او وظائف يؤديها مخ الأنسان ويمكن ايضاً ان تسمى بانشطة عقلية او وظائف عقلية وقد جمعت معا لتقارب مضامينها وطرق تكوينها لانها مكتسبة (متعلمة) بالضرورة .

الميول :

بداية لا تكون للطفل الرضيع سوى اهتمامات خاصة باشباعاته البايولوجية والأهتمام بالام كمصدر عطاء وتغذية وحنان ، ثم الأهتمام « بالبزازه ، او «الملهية » و « بالحلوى» ، ومع مزيد من النمو تصاحب هذه الأشباعات اهتمامات اوميول مكتسبة من خلال اللعب الموجودة في محيط الطفل ولاسيما تلك التي تثير الحواس (كالاصوات والألوان) . الا ان هذه الأهتمامات تتضاءل مع المزيد من النمو حتى تتلاشى بعد ان يكبر الطفل ويستقل . ومن ثم لايشير الكثير من علماء النفس الى مثل هذه الأهتمامات باعتبار أنها موقوته

بمرحلة نمو معينة ، ولكن مايعنينا هنا هو ميول الكبار او اهتماماتهم التي تتجاوز مرحلة الأشباع الأولي في حياة الطفل .

وبالنسبة للكبار الراشدين يكون الأهتمام بشيء ماأو وجود ميل بشيء ما محكوما بمدى تحقيق هذا الشيء لحاجة مهمة في حياة الفرد ..... ولذلك ، تتحدد ميول الأنسان بالرغبة في اشباع حاجاته . حيث ان حاجات الفرد الأساسية — بغض النظر عن الحاجات الفسيولوجية — هي حاجات نفسية واجتماعية كالحاجة الى الأمن والنجاح والأنجاز والحرية والأنتماء والتقبل الأجتماعي والتقدير والضبط ...الخ .

ولذلك تصبح اهتمامات الفرد او ميوله كثيرة وتزداد في الشدة كلما اسهمت في تحقيق واشباع هذه الحاجات . وقد تكون لدى الأنسان حاجات منحرفة اوبعيدة عن السواء وهنا تنمو له ميول منحرفة غير سوية ... فالحاجة الى الأمن قد تصل الى درجة مرضية (غير سوية) من هنا ينشأ الميل لجمع المال بشراهة لتحقيق الأمن ، ولما كانت الحاجة اليه مرضية (غير سوية) كان المزيد من الميل ينمو بوصفه ميلا مرضيا ولايشبع الحاجة المرضية فتزداد الشراهة في جمع المال وهكذا . والحاجة الى القبول الأجتماعي المرضي (غير السوي) قد تنمي في الفرد ميلا نحو نفاق الرؤساء اوذوي السلطة لاشباع حاجاته الى القبول الأجتماعي . والحاجة المرضية الى الحب — التي لاتشبع قد تولد شرها في تناول الطعام اوشرها في الأشباع الجنس ... الخ من ميول مرضية تكتسب وتتكون لاشباع حاجات الفرد .

الاتجاهات :

اذ ان الأنسان يولد محايداً فهو يكتسب اتجاهاته بالضرورة من الظروف البيئية والثقافية التي ينخرط فيها ، ومن الدعاية التي يتعرض لها ، ومن خبراته

الحياتية ... وتزدحم كتب علم النفس وبخاصة علم النفس الإجتماعي بتعاريف كثيرة ومتنوعة عن الأتجاهات (انظر نظرية السمات عند « اولبورت »في الفصل الثالث من هذا الكتاب) ولكننا هنا سنشرح معنى الأتجاه ببساطة ،فحين يواجه فرد مابقضيه خلافية debatable اوبقضايا جدلية Controversial issues فانه قد يستجيب ازاءها بطريقة تختلف من فرد لاخر . فعبارة « الأرض لمن يفلحها » . يختلف الناس ازاءها فمنهم من يوافق عليها ومنهم من يعترض عليها ، فالذي يوافق عليها غالبا مانقول فيه ان لديه اتجاها اشتراكيا ، ومن يعترض اويرفضها يمكن ان نقول فيه بان لديه اتجاها رأسماليا اواقطاعيا . وفي كل الأحوال لم يولد الفرد الأول ولديه هذا الأتجاه الأشتراكي كما ان الثاني لم يولد ايضاً ولديه اتجاه اقطاعي .... انما اكتسب كل منهما هذا الأتجاه في اثناء رحلة حياته ، فاذا نما فرد في بيئة وثقافة معينة تؤيد حقوق الفلاح والعامل وتحارب مفاهيم الأستغلال والعبودية ، وتحترم العمل اليدوي ، وتنادي بمحاربة الطبقية .. الخ من افكار ومفاهيم ، فان احتمال تكوين اتجاه اشتراكي لدى هذا الفرد في هذه البيئة يكون وارداً . وعلى العكس من ذلك اذا ماكانت بيئة الفرد تنمي لديه مفاهيم الأستغلال والطبقية والملكية الخاصة المستغلة . واحترام العمل الذي يدر ربحاً اكبر بغض النظر عن نوعيته حتى لو كان في مجال التهريب ... ان مثل هذه البيئة قد تكسب اتجاها معاكسا لاتجاه الفرد الأول .

وقد نجد ان الأفراد يختلفون ازاء قضية مثل قضية تحرير المرأة ومساواتها بالرجل . فمنهم من يوافق بشدة على ذلك باعتبار انه لافرق بين رجل وامرأة والمهم كفاءة كل منهما وانتاج كل منهما ، ومن ثم تتاح لهما الفرص المتكافئة في التعليم والعمل ... في الوقت الذي يرى فيه فرد آخر ان هناك فروقاً

بينهما ، ومن ثم للرجل مكانة مغايرة وله ان يتبوأ مركزاً قيادياً في التعليم وفي العمل ، بينما تبقى المرأة على هامش الحياة تابعة غير مستقلة . وان كلا الأتجاهين لم يتكونا من فراغ بل من خلال بيئة الشخص والثقافة التي تعرض لها في اثناء رحلة حياته. وليس من شك في ان اول الاتجاهات التي يكتسبها الفرد تكون عادة انعكاسا لما هو سائد في اسرته، ثم قد تتغير اتجاهات الفرد بعد ذلك اثناء نموه واحتكاكه واثناء تفاعله مع الجماعات التي ينخرط فيها وكذلك في ظل الرعاية التي يواجهها بحيث قد تتشكل له اتجاهات جديدة وقد تتغير عنده اتجاهات سابقة .

القيم :

يكتسب الأنسان ايضاً قيمه من خلال رحلة حياته ، وبمعنى آخر لايولد الفرد ولديه قيم معينة ... فحين نقول ان لدى هذا الفرد قيما دينية او جمالية او اقتصادية ، فانما يعني ذلك ان هذا الفرد يسير حياته نسق من القيم ففي حالة القيم الدينية نجد ان الفرد يتصرف في حياته ويحكم على الأمور والموضوعات التي تعرض من منظور ديني ، فهذا خير وذاك شر ، ويكون الفرد قد اكتسب هذا النسق القيمي من خلال اسرته او من خلال المؤسسات الدينية التي انخرط فيها ، او من خلال قراءاته وتمثله سير الأنبياء والمصلحين واتباعه القدوة الصالحة ،وفي حالة القيم الجمالية نجد ان الفرد يتصرف في حياته ويحكم على الأمور والموضوعات التي تعن له من منظور جمالي ، فهذا جميل ، وذاك قبيح وترتاح عينه لانسجام الألوان في الطبيعة او في الملابس ، كما ترتاح أذنه للنغمة الحلوة وتتضايق من النغمة النشاز ويسعد بالصوت الجميل. كما نجد ان هذا الفرد يحكم على الأمور التي تعرض له من هذا المنطلق (الجمال) .

وفي حالة القيم الأقتصادية ، نجد ان الفرد يحكم على الموضوعات والقضايا التي تعرض له من وجهة نظر الربح والخسارة ، ومدى الفائدة التي تعود عليه منها ويسير امور هذا الفرد النسق الأقتصادي من القيم . وقد يسيّر الفرد مجموعة من القيم المترابطة وليست من داخل نسق واحد ، فقد تسيّره قيم دينية وقيم جمالية معاً . وقد تسيره قيم دينية وقيم اقتصادية معاً وهكذا .

والمهم في كل حالة ان نمط حياة هذا الفرد قد تأثر خلال رحلة حياته بالمناخ البيئي والثقافي والأجتماعي في المنزل والمدرسة ومن خلال وسائل الأعلام ومن خلال النظام السياسي والأقتصادي السائد .

جـ ـ المنظومة النفس حركية : Psychomotor system

المقصود بهذه المنظومة مجموعة المهارات التي يكتسبها الفرد في اثناء نموه والمقصود بالمهارات Skills اتقان ممارسة سلوك مايتطلب معرفة وتدريبا، وتختلف المهارات وفق نوعها ووفق بساطتها اوتعقيدها كما تختلف الخلفية التعليمية التي تكمن وراءها، ومدة التدريب اللازمة لاكتسابها واتقانها واخيراً كم وكيف التآزر المطلوب لها في الحواس والعضلات . فمهارة الكتابة مثلا على الورق تختلف عن مهارة الكتابة على الألة الكاتبة في ضوء الظروف السابقة . ومهارة تشريح ضفدعة او عمل قطاع عرضي في ورقة نبات ماتختلف عن المهارة التي يمارس بها جراح ماعملية ازالة ورم في المخ اولحام في شبكية العين. وقس على هذا ملايين المهارات التي يمارسها الأفراد المختلفون ومدى التدريب والدراسة اللازمين في كل حالة.

ويمكن لحواس الأنسان ان تتدرب لتكتسب مهارة التمييز اللوني اوالصوتي او اللمسي اوالشمي اوالذوقي ، يقال عن شخص مرهف الحاسة انما يعني

قدرته التمييزية المرتفعة في مجال الأدراك الخاص بهذه الحاسة المعينة (العتبة الفارقة) Threshold .

وينسحب على تدريب العضلات الصغرى والعضلات الكبرى ، فتدريب عضلات الأصابع عند العزف على البيانو لاكتساب هذه المهارة تختلف عن تدريب عضلات الجسم الكبيرة في الذراعين والساقين مثلا لاكتساب مهارة السباحة اولعب الجمباز (العاب القوى) .

وكل مهارة من المهارات تتطلب دراسة للانسجة اوالأعضاء التي يقع عليها عبء التدريب ومدته ،ومداه، ونظام التدريب ، وفترات الراحة ، ونوع الغذاء كل ذلك وفق برنامج زمني وفي سن معين حتى يصل الفرد الى مستوى الأتقان Mastery وتعد المهارات في مجملها انشطة يقوم بها العقل باعتباره نشاطا عاما لمخ الأنسان .

٣ ـ المنظومة الانفعالية :

اذا كانت المنظومة البايولوجية تتحدد عناصرها اومكوناتها في اثناء بناء انسجة الجنين واعضائه (خلال ٢٨٠يوماً) وقد يتعرض الجنين بعد الميلاد لخلل مافي هذه المكونات نتيجة عوامل يصعب حصرها منها على سبيل المثال نقص التغذية ، وضعف الصحة العامة ، والتعرض للامراض ، والاصابة بحوادث قد تسبب عاهات وقد يستمر عمل المنظومة بتناغم اوقد يصيبها الخلل نتيجة المؤثرات السالفة .

واذا كانت المنظومة العقلية تبدأ في سلسلة متعاقبة متلاحقة ومتفاعلة بمنظوماتها الفرعية اذا تنمو العمليات المعرفية في ضوء الاستثارات الخارجية من البيئة

والثقافة لا سيما في اثناء عملية التطبيع الأجتماعي ، فتنمو لديه عمليات الأدراك والتذكر ...الخ (انظر النمو المعرفي عند بياجيه الفصل الثاني من هذا الكتاب) . ويواكب هذا الجانب المعرفي جانبا اخر هو الجانب الوجداني الذي يتكون ايضاً لمنظومة فرعية في ضوء عوامل التربية والدعاية التي يتعرض لها الفرد في اثناء حياته وكذا الحال في مهارات الفرد التي تنمو نتيجة التعليم والتدريب والممارسة ، اذا كان هذا هكذا فان المنظومة الأنفعالية تبدأ هي الأخرى نشاطها وتكوينها اثناء العام الثاني من حياة الطفل . ففي العام الأول يكون الرضيع مستقبلا للتغذية والراحة معظم الوقت الا ان النقلة الكبرى تحدث له اثناء العام الثاني اذ تحدث في هذا العام عدة مواقف مهمة (يختلف الأطفال فيما بينهم ازاء السن اوالعمر الزمني الذي يواجه فيه هذه المواقف) من هذه المواقف المهمة يصبح « الفطام » Weaning والتدريب على النظافة Toilet training من اهم المواقف التي تسهم في بناء المنظومة الأنفعالية فهذان الموقفان يسببان احباطات متلاحقة للطفل ، هذا بالاضافة الى مواقف اخرى تنجم عن قدرة الطفل على « المشي» كذلك وقدرته على « التعبير» ونتيجة لحركة الطفل في داخل المنزل وتخوّف افراد الأسرة من الأضرار التي قد تلحق به نتيجة لمحاولاته الحركية المستمرة ، تكثر النواهي ويحس الطفل ايضاً بالمزيد من الأحباطات ، يواكب هذا بعض الوان العقاب الذي قد يؤديه الكبار ازاء الطفل في مواقف متباينة . ويعيش الطفل الوانا من الصراع بين الأشباعات والأحباطات وتتولد الأشباعات حين تتحقق رغباته في التغذية والملاطفة وتدفق الحنان ، وبمعنى اخر اشباع جميع الحاجات الفسيولوجية والنفسية وتتولد الأحباطات حين يحاول الكبار اخضاع الطفل لتعليماتهم واوامرهم

ونواهيهم اي حين يكثر المنع ، وهنا تبدأ انفعالات الطفل في التعبير عن نفسها في اشكال متباينة منها :

الغضب anger ، الخوف fear ، الغيرة Jealousy ، الحب love الكراهية hate على سبيل المثال .

(والأنفعال عبارة عن استجابة غير مسيطر عليها من جانب الفرد كرد فعل لعائق أومجموعة عوائق تواجهه وتمنعه من اشباع حاجاته الفسيولوجية او النفسية او الأجتماعية) .

(عزيز حنا داود ١٩٨٥ ، دراسات في القلق) .

وينظر « جيمس ولانج » Jemes & lang الى الأنفعال يعدّه شعور بتغير مايحدث في جسم الأنسان نتيجة لبعض المؤثرات الخارجية وهي وجهة نظر فسيولوجية تعد من وجهة نظرنا قاصرة عن اعطاء تصور شامل عن الانفعال .

ويقدم « هربارت » Herbart مفهوماً للانفعال يعتمد على التصورات العقلية اذ يعد هذه التصورات العقلية مؤدية الى الأنفعال ويعد هذا التصور تصوراً عقليا صرفا مبنيا على التصورات Conceptualizations ويذكر بيبرجانيه . Gagne p. ان السلوك الأنفعالي هو سلوك فاشل ويحدث خللا للوظائف البايولوجية والنفسية وهو يختلف كيفياً عن السلوك العاطفي Sentimental behaviour

ويقول سارتر Sartre : « ليس جسدي هو الذي ينفعل وانما الذي ينفعل هو الانا "me" اذ يؤلف الانا كلا موحداً فيه الجسد والشعور معاً . فالانفعال هو شعوري بالعائق الذي عن طريقه اتعرف على امكاناتي وقدراتي ويتضح من هذا ان « سارتر» يتناول الأنفعال من وجهة نظر « فينومونولوجية» (انظر مصطفى فهمي — ١٩٧٦ دراسات في سيكولوجية التكيف) .

وينبغي ان نبين ان ثمة تباينات بين مفهومي الأنفعال emotion والعاطفة sentiment .

فالانفعال يعد بمثابة حالة تغير مفاجيء تشمل الفرد كله دون ان يختص بها جزء معين من جسمه ، ثم ان هذه الحالة الأنفعالية تزول بزوال المثير او المسبب .

فقد يستثير الفرد غضبا اذا ماكان هناك « مثير الغضب » واذا زال هذا المثير يعود الشخص مرة اخرى الى حالة ماقبل الغضب. (يختلف الأفراد في مدة بقاء اثر المثير) .ونعني بهذا ان الأفراد يختلفون بعد ازالة مثير الغضب فقد يعود البعض منهم بسرعة الى حالة ماقبل الغضب وقد يظل البعض فترة زمنية اطول وهم غضبى وقد ازيل المثير . وينسحب الكلام نفسه على مثير الفرح، مثير الخوف ، مثير الغيرة ... الخ .

والعاطفة تتركب عادة من مجموعة انفعالات منظمة تنمو بطريقة تراكمية نتيجة التكرار المستمر لنوع خاص من الخبرات. فعاطفة الحب مثلا لاتنمو في لحظة ما ولكن نتيجة لتكرار وتراكم خبرات سارة مستمرة بين شخصين في مواقف متعددة وفي مدة طويلة نسبيا، تنمو عاطفة الحب ، وهي تختلف عن انفعال الحب اللحظي الذي يكون عادة رد فعل لمثير حب. ويمكن ان ينسحب التحليل نفسه على عاطفة الكراهية،فالكراهية لاتنمو فجأة ولكنها تنمو بتكرار وتراكم خبرات غير سارة ومؤلمة بين فرد واخر وهكذا الأمر بالنسبة لباقي العواطف .

بعض انواع الانفعالات المهمة التي تشكل المنظومة الانفعالية : —

الغضب :

لايوجد غضب في داخل الأنسان ولكن يستثار انفعال الغضب حين يعترض حاجات الفرد عائق ما . ويبدأ هذا الأنفعال في سن مبكرة حين

يبدأ الطفل احساسه بذاته وبمطالبه وحين يحس في الوقت نفسه بـان مصدر اشباع حاجاته اوعدم اشباعها موجود في بيئته(تبدأ البيئة الأولى وهي الأسرة.)

وكما ذكرنا فانه بداية من منتصف العام الثاني على وجه التقريب يبـدأ احساس الطفل بهذه الأشباعات التي تؤدي الى السرور والراحـة والطمأنينة وعدم الأشباعات (الحرمانات) التي تؤدي الى الغضب والقلق والاحباط. والاحباط مفهوم يتضمن ادراك الفرد لوجود عائق يحول دون اشباع حاجاته.

طفل ماقبل المدرسة تفرض عليه مجموعة حدود وقيود متمثلة في مواعيد الأكل ، والنوم ، واللعب ، وضبط عمليتي التبرز والتبول ، وحين يلتحق الطفل بالمدرسة تزداد عليه الحدود والقيود ، فلابد من ان ينضبط ويتعـاون هو والأخرون ويستمع الى التعليمات وينفذها ويضطر للجلوس ساكنا فـي الصف اي لابد وان يلتزم بالزمان والمكان المفروضين (تزداد هذه الضغـوط والقيود مع التربية التقليدية وتقل مع التربية التقدمية والعصرية) .

ويتعرض الراشد ايضاً لمواقف احباطية كثيرة تقف امام تحقيق الكثيـر من اهدافه في صور شتى ، فقد يحول عدم توافر المال الى العجز عن امتلاك مايريده الشخص اويحول دون قيامه برحلة يرغب فيها أوبتحقيق امنية كالزواج مثلا . وكي لايحدث هذا الأحباط لابد من ان يدرك الفرد الظروف والمواقف التي تحيط به . ويختلف الأفراد في مواجهة المواقـف المحيطـة frustrating situations فبعضهم قد يستثار غضبا والبعض الأخر قد لايستثـار بالقـدر نفسه وبعض ثالث قد لايعنيه الأمر (وهو مانقول عنه انه بـارد) . فرسوب طالب في الأمتحـان قـد يسبب له احباطـا كبيراً ويستثيـر هذا الموقـف غضبه وقد يطعن في اللجنة الأمتحانية اوفي المصحح، في الوقت الذي لايواجه فيه طالب راسب أخر هذا الموقف بهذه الحده من انفعـال الغضب ، وقـد

يكون عدم وجود جهاز مركزي للتكيف في عمارة مامثيراً للغضب لبعض السكان ولايعني هذا الموقف شيئا بالنسبة لسكان اخرين في العمارة نفسها ولذلك يتوقف انفعال الغضب على عدة عوامل : حاجات الفرد ، خبراته دوافعه ، اشباعاته السابقة ،ثقته بامكاناته، واخيراً نظرة الفرد الى الموقف . والطبيعي ان هذه العوامل مجتمعة تحكم انفعال الغضب ودرجته كلما زاد الفرد في العمر ، ولكنها لاتوجد بالقدر نفسه بالنسبة للطفل الصغير . ونحن نلحظ بوضوح ان الطفل الصغير حين يغضب يصرخ ويضرب الأشياء، اما الراشد فعادة مايكبت غضبه اوقد يعبر عنه بكلمة صريحة اوملتوية الا في حالات مرضى العصاب الذين يتصرفون في المواقف المحبطة بغضب شديد كالاطفال

الخوف :

يعد الخوف من الأنفعالات المهمة التي تنمو مع الفرد في اثناء عملية التطبيع الأجتماعي . والمهم ان نفرق بين الخوف fear والخوف المرضي (الخواف ــ الرهاب) phobia فالاول : يتسم بالموضوعية ويسمى عند بعض علماء النفس « بالقلق الموضوعي » objective anxiety وقد اشارت الى هذا المفهوم « كارين هورني » بعدها القلق الموضوعي » مثل الخوف من سيارة مسرعة تقترب من شخص يعبر الشارع ، اوالخوف من رؤية حيوان مفترس هائج ، كل ذلك يعد خوفاً طبيعياً اوقلقاً موضوعيا . اما النوع الثاني من الخوف : (الفوبيا) فهو خوف مرضي ، «القلق العصابي» neurotic anxiety ويظهر في صورة مخاوف عامة غير مرتبطة بموضوع محدد يشيع قلقاً في الفرد غامضاً لايوجد سبب خارجي واضح له ، ويكون في هذه الحالة « خوفاً هائما Pervasive كما قد يتمثل في انواع من المخاوف المرضية كرؤية حشرة مثلا اوبقع دم وهنا يكون حجم الخوف (القلق) اكبر كثيراً من المثيرات المسببة له : كما

ان هناك نوعاً ثالثاً من المخاوف المرضية: هو الخوف من توقع حدوث شيء فيحس المريض العصابي بالتهديد والخوف من الهجر بالنسبة للمحبوب مثلا .

يؤدي الخوف ومايصاحبه من قلق اويؤدي الخوف الذي يساوي القلق مجموعة من الأعراض بعضها جسمي وفسيولوجي تتمثل عادة في برودة الأطراف تصبب العرق ، اضطرابات في المعدة ، اضطرابات في النوم ، صداع ، سرعة ضربات القلب . كذلك بعض الأعراض النفسية المصاحبة للخوف منها توقع الأذى، الشك ، عدم القدرة على تركيز الأنتباه،والأحساس بتوقع الهزيمة والأحساس بالعجز ، وعدم الثقة بالنفس ، والأحساس احيانا بالاكتئاب .

الغيرة :

تعد الغيرة من الأنفعالات المركبة التي تدخل في التنظيم الأنفعالي ويتركب هذا الأنفعال من الأحساس بالخوف مع الأحساس المستمر بعدم الثقة بالذات وتتكون هذه المشاعر المركبة من سلسلة احباطات تلاحق الفرد منذ نعومة اظفاره وتبدأ المظاهر الأولى للغيرة في الطفل حين يواجه عادة بزائر جديد (الطفل الثاني عادة في الأسرة) ويتم عادة في الأسر العربية حين يأتي الطفل الثاني عقب الأول بعد عامين ، ويكون الطفل الأول في هذه الحالة قد اصبح مستقلا الى حد ما ، فهو يستطيع ان يأكل بنفسه اوبمساعدة قليلة ، كما انه يستطيع الحركة (المشي) ويستطيع ان يعبر عن نفسه تقريباً ،وحين يصل المولود الجديد تتركز عادة عناية الأم بهذا الضيف لانه في مزيد الحاجة لرعايتها هنا يحس الطفل الأول اوالأكبر بان عرشه قد اهتز بسبب الرعاية التي سحبت منه ووجهت نحو المولود الجديد وهنا يبدأ ظهور مشاعر الغيرة ،واذا

كان الطفل في مرحلة الأعتمادية فانه ينكص (الأرتداد الى مرحلة سابقة) فيمتنع عن الأكل الا اذا اطعم . وقد يعود مرة اخرى للتبرز على نفسه بعد ان كان قد ضبط — في احوال كثيرة — عملية الأخراج . وقد يمتنع عن الكلام بعد ان كان قد استطاع ان يتكلم ببعض الألفاظ وكل هذا يعني ان الطفل يريد ان يعود مرة اخرى الى المرحلة التي كان يجد نفسه فيها محاطا بكل الوان الرعاية والحماية والحب والحنان، ويظن انها قد انتزعت منه من خلال هذا الدخيل . اي ان مشاعر الغيرة (انفعال الغيرة) يعبر بها عن نفسه من خلال هذه المظاهر .

يحدث احيانا ان ينمو انفعال الغيرة حين يقارن الوالدان اولادهما بعضهم ببعض اوحين يقارن الأباء اولادهم باولاد الأقارب اوالجيران اذا كانوا في سن واحدة .

فابن الجيران اكثر طاعة او اكثر ذكاء ، وبنت العم اكثر جمالا وشعرها اكثر نعومة وانفها اصغر ... الخ من تعليقات لايحس الآباء ازاءها بمدى الأيذاء الشديد الذي تسببه هذه التعليقات بالنسبة للولد اوالبنت الذين يقارنون الآخر به ، ويتدعم انفعال الغيرة مع المزيد من هذه التكرارات .

ويزداد تعمق هذا الأنفعال في الطفل حين يذهب الى المدرسة وتبدأ هذه المقارنات بينه وبين اقرانه في الصف ، هذا اشطر ، هذا اكثر نظافة ، هذا اذكى ، هذه اجمل ، وغيرها من عبارات قد يطرحها المعلمون بجانب الأباء وتزداد مشاعر الغيرة بين الخاسرين في المقارنة .

فانفعال الغيرة ليس انفعالا موروثا بل هو مكتسب بالضرورة ويؤدي الى احساس المقارن به بالمشاعر الدونية inferiority اذا ماتكرر الخطأ من جانب الكبار ازاء الطفل اوالراشد ، وتتكون في الأخر المقارن به مشاعر العظمة superiority خصوصاً اذا ماتكرر ذلك .

وتزداد ايضاً مشاعر الغيرة بين الكبار خصوصاً في النظم التي تتسم بالفردية والطبقية فالمنافسة الفردية في اي مجال من المجالات العلمي،الرياضي ،مسابقات الجمال ، الثراء ...الخ كلها تؤدي الى الأحسن والأردىء،الأعلى والأدنى . وينسحب نفس الكلام حين يرتب المدرس تلاميذ الصف فهناك الأول وهناك الأخير بل وتخطيء بعض المدارس حين تجعل بعض الصفوف خاصة بالمتفوقين واخرى خاصة بالمتخلفين ويستمر « الديالوج » وقد وعت الدول المتقدمة هذا الأمر وبدأت تعني بالعمل الجمعي والتدريس الجمعي والمنافسة الجمعية حتى في المجال الرياضي فدخول الفرد في اي مستوى عمري داخل فريق ضد فريق اخر لايولد لديه هذه المشاعر (الأحساس بالنقص او العظمة) لان الفشل اوالنجاح لايعزي الى فرد في الفريق الأول او فرد في الفريق الثاني فيتوزع الفشل والنجاح ،والتفوق والتخلف على المجموعة فتخف حدة انفعال الغيرة وكذلك تخف حدة مشاعر الدونية او مشاعر العظمة .

وينسحب الكلام نفسه على الأفراد في داخل الأسرة الواحدة حين تقارن الأسر بعضها بالبعض الآخر اذ قد تغار الزوجة من زوجة اخرى لها نصيب افضل من الجمال اوالثراء اومركز الزوج ...الخ من تباينات ويرجع كل ذلك الى اسلوب التربية الخاطيء الذي يغرسه الاباء عادة ثم المعلمون فالمدرسون بعد ذلك حين يقارنون الأفراد بعضهم ببعض .

الحب

يشيع خلط مابين مصطلحين « حب » Love وتواد Affection اذ ان المقصود بالتواد نوع من العلاقة الأجتماعية تنشأ بين فردين اواكثر وتبدأ عادة في بداية حياة الأنسان في علاقته بالام ثم بالاب والأخوة ثم الأصدقاء وهكذا وتتسم العلاقة هنا بالتبادلية وتتم بين افراد من الجنس نفسه

او من جنس مغاير وافضل وصف لها هو الصداقة بين الأقران ويكون اهم مظهر لهذه العلاقة الأهتمام المشترك والمودة والدفاع المشترك ضد من يهاجم احد الطرفين . وهي علاقة تتسم بالاجتماعية بافتراض ان الأنسان كائن اجتماعي يعيش وسط الأخرين . اما « الحب» وهو على مستويين الأول منهما قد يكون لحفليا لاشباع حاجة الجنس وقد ينمو ويتطور ويتحول الى عاطفة وهو مايحدث عقب رضاعة الطفل من امه وعقب نشوء عاطفة الأمومة (وهي محكومة بالرضاعة) ، ونتيجة للاشباعات التي يتلقاها الرضيع من الأم ونتيجة للرعاية والعمليات المصاحبة لها من (تقبيل ، ودغدغة،وتلامس جسدي ، وحنان ...الخ) تنمو لدى الطفل ولدى الأم عاطفة الحب .

كما قد تنمو هذه العاطفة ايضاً بين الراشدين ولابد من ان يواكبها تكرارات لخبرات سارة مريحة ومشبعة بين الطرفين ويترجم ذلك عن نفسه من خلال الدفء العاطفي والحنان المتبادل والتعاطف والأرشاد وقد يصل الى الأشباع الجنسي المشروع (الزواج) . ويختلف مفهوم « الحب» عن مفهوم « الشهوة Passion التي تتسم اساساً وفقط بالرغبة الجنسية العارمه والتي تنتهي بمجرد الأشباع . ويختلف عن مفهوم « الشهوة » lust اذ ان هذا المفهوم الأخير يتضمن الرغبة العارمة في الأستحواذ على اشياء متنوعة احدها الجنس ، وقد تكون هناك شهوة جمع المال او جمع للتحف مثلا او حتى لبعض انواع الملابس وهي مفهوم مرضي لانه يعبر وبالدقة عن أنواع متباينة من القلق والخوف وعدم الأمن ، ويعد الأستحواذ هنا على الأشياء كممتلكات بمثابة تأمين للشخص .

والحب بالمعنى المطروح في الأسطر السابقة هو المقصود بالنسبة للاسوياء اذ يدخل ضمن نسيج المنظومة الأنفعالية .

الكراهيـــة :

هناك خلط ايضاً بين مفهوم الكراهية hate ومفهوم العدائية hostility فالكراهية ممكن ايضاً ان تكون لحظية نتيجة احباط في موقف ماللفرد وقد تزول بزوال العائق المحبط . وقد يكون العائق المحيط فرداً ما او مايمكن ان نخلع عليه لفظ الحظ العاثر او القدر مما يكسب الشخص مفهوم التشاؤم pessimism واذا ماتكررت مواقف الإحباط التي تمنع او تعوق الأشباعات بكل صورها، فإن مصدر الإعاقة والإحباط تتولد ازاءه عاطفة الكراهية. ومن ثم تعد عاطفة الحب وعاطفة الكراهية بمثابة مفهوم واحد له أكثر من مظهر ويتكون من تكرار الخبرات السارة وغير السارة وذلك لأن المفهوم يعد سياقاً وليس فئة. اما« العدائية» فهي مفهوم أكثر تركيباً من الكراهية لأنه يتضمن الرغبة في الإيذاء ، ولو ان هذه الرغبة قد تكون كامنة وقد تظهر في الأحلام ويمكن قياسها في الشخص بالطرق الأسقاطية ومن اهم صورها التي تلاحظ كلينيكيا العدائية ضد الصور الوالديه ممايعكس عدائية الفرد نحو الأب او الأم وقد تزاح هذه العدائية نحو اخرين يمثلون الأب او الأم كما تكشف عن ذلك الدراسات الكلينيكية .

ولكن مفهوم الكراهية كما هو الحال مع مفهوم الحب بأعتبار ان كل منهما يصبح عاطفه، اذ انها مكتسبة بتكرارات الخبرات كما ذكرنا السار منها او الضار فأنهما قد يتضادان اذا ماتغيرت مجموعة الظروف التي سببت كل منهما ويتطلب الوضع فترة زمنية طويلة نسبياً يعاد فيها تنظيم المنظومة الأنفعالية للفرد .

وجميع مكونات المنظومة الأنفعالية يمكن الكشف عنها بتعريض الشخص لمواقف مثيرة اما من خلال المواقف الأسقاطية (كأختبار الرورشاخ والتات) (TAT) . وكذلك من خلال مواقف اللعب بالنسبة للاطفال ومن خلال التمثيليات التي يقوم الأفراد بأدوار ينتقونها بأنفسهم من خلال الجلسات العلاجية تتضح مظاهر هذه المنظومة في الأحلام، فلتات اللسان، تعابير الوجه حين يسأل الشخص اسئلة محددة بهدف الكشف عن انفعالاته. واحياناً مايكون العجز عن التعبير له دلالة سيكولوجية بنفس القدر الذي تكون له الدلالة حين يعبر الشخص عن هذه الأنفعالات والعواطف .

٤ ـ المنظومة الاجتماعية الثقافية :

المقصود بهذه المنظومة جميع العوامل والمؤثرات التي تحيط بالفرد منذ ميلاده والتي تتمثل اساساً في محاولات الأسرة تطبيع افرادها. وعملية التطبيع هذه محكومة بنوع الثقافة السائدة في المجتمع الذي تنخرط فيه الأسرة . ويشارك في عملية التطبيع الاسري اجهزة ووسائل كثيرة في نفس المجتمع فيها التربية النظامية او الشكلية Formal Education كما تتمثل في المدرسة والمعهد والجامعة والتربية غير النظامية او غير الشكلية Informal education كما تتمثل في ادوات الثقافة وادوات الإعلام وعمليات التدريب المهني والفني والجمعيات والنوادي والأحزاب ودور العبادة والأتحادات والنقابات ..... الخ من مؤسسات اجتماعية وثقافية. واذ ان هذه المؤسسات الأجتماعية تتباين من مجتمع لاخر ومن ثقافة لأخرى فإن الطابع المميز للشخصية يرجع في الأساس الى هذه المنظومة بالتحديد. فالمنظومة البايولوجية على سبيل المثال تكاد ان تكون موحدة بين افراد الجنس البشري ، والمنظومة العقلية هي في الأساس نشاط

للمخ بأعتباره مكوناً اساسياً في المنظومة البايولوجية، والخلاف يكمن في المنظومة العقلية في المثيرات والمؤثرات الثقافية والأجتماعية. وينسحب نفس الكلام على المنظومة الأنفعالية التي تعد بدورها مجموعة انفعالات وعواطف تشكل من خلال المنظومة الثقافية الأجتماعية .

وعليه تعد هذه المنظومة المحور الأساس لبناء الشخصية (راجع محددات الشخصية في الفصل الأول، وأبعاد بناء الشخصية في الثاني من الكتاب) .

واذ ان وسائط التطبيع الأجتماعي– كما ذكرنا– محكومة بدورها بالتأريخ الحضاري وبالتراث المكتسب عبر حضارة المجتمع، فيكون من الطبيعي ان تتأصل في شخصية المجتمع وشخصية افراده هذه العناصر ذات البعد التأريخي. والشخصية العربية بعامة ضاربة في اعماق التأريخ منذ مايزيد عن سبعة الاف عام . وهناك مايثبت من خلال الآثار الفرعونية والبابلية والأشورية مايؤيد وجود تراث حضاري ثري في كل من مصر والعراق على وجه التحديد. ولابد وان تتأثر الشخصية العربية بهذا الكم المتراكم من التراث الحضاري والذي تحاول قوى البغي والعدوان التقليل من فعاليته وتأثيره كما يتضح ذلك من خلال العدوان الإيراني الصهيوني على العراق بهدف تحطيم التأريخ الحضاري والثقافة العربية. وتتفاعل المنظومات الأربعة السابقة تحت منظومة واحدة يمكن ان تسمى بمنظومة الشخصية العربية اذ تتمثل فيها كل مكونات المنظومات الأربع بتفاعلاتها وتناسقها وتناغمها. بيد أننا لانريد ان نسرف في التفاؤل فاذ ان الشخصية العربية ليست منعزلة عن غيرها من الشخصيات خارج الوطن العربي كما انها تواجه سيلا من التحديات المفروضة عليها من الخارج وجزء منها(من التحديات) موجود في نسيج منظومة الشخصية،العربية، ومع الثورة العلمية والتكنولوجية والثورة في وسائل الأتصال

الجماهيري التي تجعل الشخصية العربية غير معزولة ومتفاعلة ومعرضة للتأثير والتأثر . كان من الطبيعي ان نجد بعض الخلل في بناء بعض الشخصيات في عالمنا العربي المعاصر مما قد يؤدي الى عدم تكامل المنظومات الأربع ومن ثم عدم تكامل منظومة الشخصية العربية في بعض اجزاء الوطن العربي .

ثالثاً : الصحة النفسية .

تهدف الصحة النفسية اساساً الى بناء الشخصية السوية Wholesome Personalityويذكر شوبين shoben ١٩٥٧ في كتابه :«نحو مفهوم الشخصية العادية» ان الكثير من الدراسات والممارسات الكلينيكية تركز على الجوانب المرضية في الشخصية اي على حالات « سوء التوافق» وهي تقوم بدراسة ديناميات الشخصية.واصبح متاحاً للدارس ادبيات كثيرة ومعلومات وافرة معظمها تجربي empirical عن المرض،اللاسواء،سوء التوافق، الأنحراف العصاب ، الذهان ...الخ بيد ان المعلومات المتاحة من الشخصية السوية قليلة الى حد يثير العجب. وقد ترك هذا القصور انطباعاً لدى الكثيرين من علماء النفس بأن السوية خرافة وان الطبيعي هو القرب او البعد عن المرض النفسي اوالعقلي« الكل مرضى» ولكن البعض لايؤهله مرضه وماينجم من سلوك غير سوي اوسلوك غير متوافق للدفع به في مصحة عقلية اونفسية اوحجزه بأي صورة من الصور . وعليه يوجد الكثير من الناس يعملون ويعيشون وربما بنجاح. داخل اسرهم واعمالهم وحياتهم بصفة عامة ، وفي ميادين كثيرة ولكنهم ليسو بالأسوياء تماماً . اذ يوجد فيهم قدر من اللاسواء او اللاتوافق ولكن بدرجة لاتعجزهم عن ممارسة الاداءات المطلوبة في الحياة سواء داخل الأسرة او فيالعمل . ومن ثم فالسواء والمرض يوجدان على « متصل» Continuum

(الأمراض النفسية والعقلية)

العصاب

السواء×← ——————————————————— ←الذهان

متصـــل

ويعد السواء الكامل تجريد غير واقعي كما ان اللاسواء الكامل يعد ايضاً تجريداً غير واقعي .

مفهوم الصحة النفسية :

لايستقيم مفهوم الصحة النفسية الابمفهوم اضطراب الصحة النفسيـة تماماً كما نقول ان مفهوم الصحة البدنية لايستقيم الابمفهوم اضطراب الصحة البدنية كذلك الحال مع مفهوم الصحة العقلية اذ لايستقيم تصوره الا اذا علمنا باضطراب الصحة العقلية . فاللون الأبيض يدرك جيداً على ارضية سوداء (الشكل والأرضية) ومعنى ذلك انهما شيء واحد ولكنهما متباينان .

عادة مايصف الفرد نفسه بانه في احسن حالة صحية اي انه لايعاني مـن أية اضطرابات ويعني هذا ان اجهزته تعمل بانتظام وكفـاءة (الجهاز الهضمي الدوري ، التنفسي ، البولي .... الخ) وينعكس ذلك عليه في صورة نشاط وحيوية وتفاؤل واقبال على الحياة في الوقت الذي نجد فية فرداً اخر يشكو ويئن فهو يعاني من تقلصات في المعدة واضطراب في سوء الهضم زيادة في ضغط الدم ، زيادة في نسبة السكر ، صداع ، رعشة ، قلق في النوم .. الخ ومن ثم يؤدي ذلك الى ضعف الحيوية وقلة النشاط والتشاؤم .

وينسحب هذا الكلام على مفهوم الصحة النفسية ويتردد بين بعض العاملين في ميدان الأستشارات النفسية والعلاج النفسي مقولة : بان المقصود بالصحـة هي الخلو من الأضطرابات النفسية او المرض النفسي ، كما يقال ان الصحـة البدنية تعني الخلو من الأضطرابات الجسمية والأمراض البدنية . ويعد هـذا التعريف للمفهوم تعريفاً سلبيا ، اذ ان الخلو من الأضطرابات(ايا كانت)

لايعني الصحة سواء كانت بدنية اونفسية . فالمعروف ان المرض الجسمي او النفسي لايأتي فجأة كما يتوهم البعض ، ولكنه ينمو وقد لايحس الفرد به ويزداد نمو الخلل اوالأضطرابات من الناحية الكمية حتى يصل الى مرحلة التغير الكيفي (المرض) وهنا فقط يتضح الخلل اوالأضطراب في الجسم اوالنفس وذلك وفقاً لقانون معروف مفاده « ان التراكم الكمي يؤدي الى تغير كيفي » .

فحين يهاجم فيروس الأيدز Aids (وهو مرض نقص المناعة المكتسبة الذي يؤدي الى الوفاة بالضرورة Acquired immunity deficiency syndrome قد يظل كامنا في جسم الإنسان مدة قد تصل الى خمس سنوات دون ان يظهر عليه المرض ويبدو سليماً مع انه حاملا للفيروس وكذا الحال مع جرثومة اي مرض اذ تبقى كامنة مدداً تتباين داخل جسم الإنسان ثم تنشط وتتكاثر وتفرز سمومها ويضعف الجسم ويظهر المرض(يحدث التغير الكيفي) .

اذاً اللاسواء (المرض) هو تغير كيفي لحالة السواء او الصحة ، وسوء التوافق هو تغير كيفي لحالة التوافق. ومن ثم لايمكن فهم الصحة النفسية الا على ارضية من المرض النفسي، اي بالرجوع الى حالات مرضية. كما لايمكن فهم المرض النفسي الابالرجوع الى حالات صحية فكل منهما الصحة والمرض نوع من السلوك في سياق واحد من حيث المبدأ ، ويكمن الخلاف في انتظام هذا السلوك . ويشير منجر Meninger الي ان الأختلاف بين الصحة والمرض، مجرد اختلاف في الدرجة كما هو الحال بين السوية واللاسوية، وبمعنى اخر فهما مفهومان لسببان لايفهم احدهما الا بالرجوع للاخر ومن ثم تهدف الصحة النفسية الى دراسة حالات الأختلال في السلوك واضطرابات الشخصية .

التوافق وسوء التوافق :

يشيع خلط بين مفهوم التوافق adjustment ومفهوم التكيف adaptation . الأول مفهوم خاص بالإنسان في سعيه لتنظيم حياته وحل صراعاته ، ومواجهة مشكلات حياته من اشباعات واحباطات وصولا الى مايسمى بالصحة النفسية او السواء او الأنسجام والتناغم مع الذات ومع الاخر، في الأسرة، في العمل، في التنظيمات التي ينخرط فيها وعليه فالتوافق مفهوم« انساني » ويكون سوء التوافق Mal adjustment هو فشل الشخص في تحقيق انجازاته واشباع حاجاته، ومواجهة صراعاته ومن ثم يعيش الفرد في الأسرة، في العمل ، في التنظيمات التي ينخرط فيها في حالة عدم الأنسجام وعدم التناغم، واذا مازاد هذا القدر من سوء التوافق اقترب الفرد من العصاب .....

اما المفهوم الثاني فهو يشمل تكيف الإنسان والحيوان والنبات ازاء البيئة الفيزيقية التي يعيشون فيها. فالإنسان او الحيوان او النبات(الكائن الحي) The organism حتى يستطيع ان يعيش في البيئة عليه ان يكيف نفسه لها وقد يحدث تحويرات في كيانه لمواجهة مشكلات وصعوبات مفروضة عليه في البيئة . فالنبات مثلا في بيئة صحراوية يتعدل ويجعل من مسطحه اما اوراقاً سميكة تحتفظ بالماء كالصبار او اوراقا رفيعة حرشفية لتقليل عملية النتح. والحيوان بدوره يتكيف عن طريق احداث تعديلات في كيانه كي يستطيع الحفاظ على الحياة . فالطائر الذي يعيش على اقتناص الفريسة(النسر مثلا) لابد وان يكون له منقار قوي مقوس واظافر قوية مقوسة للقبض والتمزيق، والبجعة يتشكل منقارها لتتغذى على الأسماك والإنسان في المنطقة الأستوائية يكون لون بشرته اسود لمقاومة حرارة الشمس الملتهبة ويكون انفه

افطساً بمعنى ان المسطح الداخلي للانف يكون قليلا بما فيه من شعيرات دموية لانه ليس في حاجة لتدفئة الهواء عكس الأنف في شمال اوربا اذ يكون طويلا مدبباً ذا سطح عريض بما فيه من شعيرات دموية لتدفئة الهواء البارد . هذا هو التكيف في كل من الكائنات الحية بما فيها الإنسان واذا لم يستطع الكائن التكيف فإنه ينقرض. وتشير دراسات الجيولوجيا الي هذه الحقيقة فقد انقرض« الديناصور» لانه لم يستطع التكيف مع ظروف البيئة ومتغيراتها .

ويمكن ان نقابل مابين الصحة النفسية والتوافق، كذلك مابين اعتلال الصحة النفسية وسوء التوافق .

فالصحة النفسية تقود الى التوافق ، واذا اعتبرنا الصحة النفسية هي المتغير المستقل فإن التوافق الشخصي والأجتماعي للفرد يعد بمثابة المتغير التابع. كما يمكن ان نعتبر عملية التوافق الناجحة تؤدي بالضرورة الى الصحة النفسية وهنا يعد التوافق العامل المستقل (بلغة علم النفس التجريبي) وتصبح الصحة النفسية متغيراً تابعاً. ولكن ينبغي ان يقر في الأذهان ان العلاقة ليست سببية او تفسيرية ولكنها علاقة جدلية تؤدي الى الفهم وتشير الى التفاعل المتبادل . اذ ان درجة عالية من الصحة النفسية ترفع من حالة التوافق للشخص مع الذات ومع الاخر، كما ان زيادة درجة التوافق مع الذات ومع الاخر تزيد من رصيد الفرد في الصحة النفسية .

والصحة النفسية للفرد مفهوم طولي فهي تبدأ منذ الصغرمن حالات الأشباع الأحباط وتستمر بعمليات التطبيع الأجتماعي وبالخبرات السارة وغير السارة وتحقيق التوازن (مبدأ الثبات) او عدم تحقيق التوازن .....الخ من مثيرات في بيئة الفرد وثقافته .

بيد انه لابد وان نشير ان مفهوم التوافق بدوره مفهوم نسبي ومحكـوم بالثقافة التي ينخرط فيها الفرد. فقد يعاني فرد ما من سوء التوافق في مجتمع ما ويحس بالإغتراب، وحين ينتقل لمجتمع آخر يتوافق بسرعة ويحس بالانتماء اذا التوافق او سوء التوافق محكوم بنوع الثقافة التي يعايشها الفرد . كذلك ينسحب المفهوم الزمني على حالات التوافق وسوء التوافق ففي الثلاثينيات من هذا القرن كان دخول الفتاة العربية الجامعة محط انتقاد من معظم افراد المجتمع العربي في الوقت الذي لايعد فيه دخول الفتاة العربية الجامعة في الثمانينيات بالأمر المستغرب. وقد عانت في مصر سيدات فضليات الان(السيدة امينة السعيد ، والدكتورة سهير القلماوي) حين دخلتا الجامعة اثناء الحجاب المفروض على المرأة المصرية انذاك ، كذلك ماحدث في العراق لأول فتاة عراقية التحقت بكلية القانون وهي (صبيحة الشيخ داود) .

بعض المؤشرات التي تشير إلى التوافق ـ الصحة النفسية :

١ ـ النظرة الواقعية للحياة :

كثيرة مانلحظ حالات تعاني من عدم قدرتها على تقبل الواقع المعاشـي وتجد الفرد الذي يعاني متشائما رافضاً تعسا ،وكل ذلك يشير الى سوء التوافق اواعتلال الصحة النفسية له .وفي المقابل تجد فرد اخر مقبلا على الحياة بكل مافيها من افراح واتراح واقعيا في تعامله متفائلا مقبلا سعيداً ويشير هذا الى توافق هذا الشخص في هذا المجال الأجتماعي الذي ينخرط فيه .وينبغي ان نلاحظ ان هناك درجات من التوافق اوسوء التوافق وكما سبق وان ذكرنا منهما على متصل واحد وليس بفئات متباينة .

٢ ـ مستوى طموح الفرد :

لكل فرد مطامح وآمال وبالنسبة للمتوافق تكون طموحات الفرد عادة في

مستوى امكانات تحقيقها ويسعى من خلال دافع الأنجاز ليحقق مطامحه المشروعة في ضوء امكاناته ويشير هذا الي توافق هذا الفرد بينما نجد الأخر والذي يطمح في ان يصل ويحلق ويحقق مطامح وامال بعيدة تماما عن امكاناته ويلجأ فيها الى المضاربة اوالمقامرة ربما باسرته اوبعمله اوماله واذا لم يحقق شيئا يحدث له الأنهيار ، اويعاني من عدائية الحياة له وسوء الحظ والقدر ويظل ناقما حقودا وكلها تشير الي سوء توافقه مع المجتمع الذي ينخرط فيه.

٣ــ الاحساس باشباع الحاجات النفسية :

حتى يتوافق الفرد مع نفسه ومع الأخر فان احد مؤثرات ذلك ان يحس بان حاجاته النفسية مشبعة ،ويتمثل ذلك في احساسه بالامن وهي حاجة نفسية ضرورية ، واحساسه بالتواد وبمعنى آخر احساسه بانه محبوب من الأخرين و ان لديه القدرة على الحب ، كذلك يحس بان لديه القدره على الأنجاز ويتمثل ذلك من نجاحاته في العمل وفي معظم المشروعات التي تعن له . كما ان الأنسان نفسه في حاجة ايضاً الي التقدير والى الحرية والى الأنتماء ، واذا ماأحس الفرد بان كل هذه الحاجات مشبعة لديه فان هذا يعد بمثابة احد المؤثرات المهمة لتوافقه ويحدث العكس اذا ما احس بانه غير مشبع وان حاجاته محبطة (حتى ولو كان هذا وهما) فانه يقترب من سوء التوافق الذي يؤدي الى العصاب .

٤ــ توافر مجموعة من سمات الشخصية :

مع نمو الأنسان خلال مراحل النمو المختلفة تتشكل له مجموعة من السمات ذات الثبات النسبي ويمكن ان نلاحظ من خلال مواقف حياتية كما يمكن قياس هذه السمات (راجع الفصل الثالث ــ نظرية السمات لاوليورت) ومن اهم سمات الشخصية التي تشير الى التوافق مايلي : ــ

(انظر : الشخصية بين السواء والمرض ، عزيز حنا وآخرون)

آ ـ الثبوت الانفعالي : emotional stability

من اهم السمات التي تميز الشخص المتوافق هذه السمة والتي تتمثل في قدرته على تناول الأمور باناة وصبر ولايستفز اويستثار من الأحداث التافهة ، ويتسم بالهدوء والرزانة ، يثق به الناس ، عقلاني فيمواجهة الأمور يتحكم في انفعالاته خصوصاً انفعال الغضب ، الخوف ، الغيرة ... الخ ولا يولد الشخص لهذه السمة ولكن تنمو معه (تكتسب) في ظل بيئة اسرية هادئة فيها التعاطف والثقة بالنفس بين الأفراد داخلها، وكذا الحال في مواقف الحياة التي واجهها الفرد ، وقد ثبت ان الأباء العصابيين مثلا تتكون لدى ابنائهم صفة القلق الأنفعالي مما يدل على ان البيئة العصابية المشحونة بالتوتر تولد قلقاً.

ب ـ اتساع الافق : broad-mindedness

تعد هذه السمة من السمات التي تسهم في توافق الفرد مع نفسه ومع الأخر ويتسم الفرد الذي يو صف بهذه الصفة بقدرته الفائقة على تحليل الأمور وفرز الأيجابيات من السلبيات ، كذلك يتسم بالمرونة واللانمطية ، يميل الى القراءة ويتابع المستحدثات innovations في المجالات المختلفة ، وهو نقيض للشخص ضيق الافق narrow minded المنغلق على نفسه والذي لايرى الا ماتحت انفه ويصعب التعامل معه ومن ثم يعاني من سوء التوافق .

جـ ـ التفكير العلمي : Scientific thinking

يتسم الشخص الحامل لهذه السمة بالتوافق مع النفس ومع الأخر ويتمثل في سلوكه القدرة على تفسير الظواهر والأحداث تفسيراً علميا مبني على فهم المسببات وفهم القوانين التي تحكم هذه الظواهر . ومن ثم يستطيع ان يتنبأ وان يضبط المواقف وبذا يبتعد عن التفكير الخرافي ، والميتافيزيقي ، ومن ثم تتسم انفعالاته بالتوازن وتتسم شخصيته بالهدوء والتوافق .

د – مفهوم الذات : Self concept

تعد هذه السمة من السمات التي تشير الى توافق الفرد من عدم توافقه فاذا كان مفهوم الذات عنده يتطابق مع واقعه اوكما يدركه الأخر يكون متوافقاً واذا كان مفهوم الذات لديه متضخماً أدى به هذا الى الغرور والتعالي مما يفقده التوافق مع الأخر ، كما قد يتسم فر د ما بمفهوم ذات متدني عن الواقع اوعن ادراك الأخرين له وهنا يتسم سلوكه بالدونيه (الأحساس بالنقص)، وبتضخيم ذوات الأخرين ويؤدي به هذا ايضاً الى سوء التوافق .

هـ – المسؤولية الاجتماعية Social responsibility

المقصود بهذه السمة ان يحس الفرد بمسؤوليته ازاء الأخرين وازاء المجتمع بقيمه ومفاهيمه . وفي هذه الحالة يكون الشخص غيريا (اي يهتم بالغير) ومن ثم يبتعد عن الأنانية . ويتمثل في سلوك الفرد الأهتمام بمجتمعه والدفاع عنه وحماية منجزات هذا المجتمع وعدم التفريط في مصادر الثروة ... الخ.

و – المرونة : Flexability

المقصود بهذه السمة – وهي نقيض التصلب – rigidity ان يكون الشخص متوازناً في تصرفاته اي بعيداً عن التطرف في اتخاذ قراراته وفي الحكم على الأمور . وللبعد عن التطرف يجعل الشخص مسايراً ، ومغايراً اي يساير الأخرين في بعض المواقف التي تتطلب ذلك وهو نهج ديمقراطي وان يغايرهم اذا رأى وجهة نظر اخرى مقتنع بها ، وبمعنى اخر ان لايكون مسايراً على طول الخط اومغايراً على طول الخط ، كذلك يتمثل في سلوك الشخص المتوافق بعدي الأعتمادية / الأستقلالية اذ تتطلب بعض المواقف في الحياة ان يعتمد الشخص على الأخر وفي الوقت نفسه تتطلب مواقف اخرى ان يكون للفرد استقلاليته ويبعده هذا عن التطرف وهي سمة ملازمة لسوء

التوافق ، كذلك يتسم في سلوك المتوافق بعدي القيادة والتبعية اذتتطلب بعض المواقف ان يكون الشخص قائدا خصوصاً اذا تطلب الموقف خبرته المناسبة في هذا المجال كما تتطلب مواقف اخرى ان يكون تابعا اذا ماوجد داخل الجماعة شخص اخر اكثر خبرة وحنكة في هذا المجال فتكون له القيادة .

٥ – توافر مجموعة من الأتجاهات الأجتماعية الأيجابية :

يتمثل في الشخص المتوافق مجموعة مكتسبة من الأتجاهات التي تسير حياة الفرد ، فالتوافق يتلازم مع الأتجاهات التي تبنى المجتمع وهي الأتجاهات التي تتمثل في احترام العمل – بغض النظر عن نوعيته – وتقدير المسؤولية وأداء الواجب ، والولاء للقيم والأعراف والتقاليد السائدة في ثقافته والأتجاه نحو تقدير التراث وحمايته ، وتقدير الأنجازات ومن ساهم في هذه الأنجازات بغض النظر عن التخصص (سياسية ، عسكرية ، اقتصادية ، علمية فنية ...الخ) كل هذه الأتجاهات تشير الي الشخص الموافق بطريقة بناءه .

٦ – توافر مجموعة من القيم : (نسق قيمي)

يتمثل ايضاً في الشخص المتوافق نسق للقيم منها على سبيل المثال القيم الأنسانية) حب الناس ، التعاطف ، الأيثار ، الرحمة ، الشجاعة ، في مواجهة الحق ...الخ (كذلك نسق من القيم الجمالية (تثقيف الحواس فالعين المثقفة تستطيع ان ترى جمال اللون ، والأذن المثقفة تستطيع ان تسمع جمال الصوت او اللحن ، وكذا الحال مع باقي الحواس) كذلك نسق من القيم الفلسفية (النظرة الشاملة للكون ، الألتزام بفلسفة معينة يسير وفق نهجها) . وهذه المجموعة من القيم تشكل ركيزة للشخصية المتوافقة .

السواء والمرض :

مفهومان متباينان لمبدأ واحد هو السلوك الناتج من الشخصية تتباين انماط السلوك مابين السلوك السوي والسلوك المرضي اي ان الخلاف يكمن في درجة توافق السلوك مع الموقف المثير وليس في نوعه . ويكون السلوك في حالة تقويمه محكوماً بالثقافة التي ينخرط فيها الفرد .وحتى يمكن ان تميز السلوك السوي من السلوك المرضي لابد وان نعي ثلاث مباديء اومسلمات اساسية .

١ — لابد وان ينظر الى الشخصية بتصور دينامي ،اي ان سلوك الشخص او ماينتج عن الشخص من اداءات ظاهرة overt performances اومضمرة covert performances ماهي الا نتاج لتفاعل او صراع بين منظومات الشخصية وفق الأطار النظري الذي يتبناه المنظر ، فعند « فرويد » مثلا هناك صراع بين الهو والانا الهو تعمل من منطلق مبدأ اللذة ، والانا تعمل من منطلق مبدأ الواقع كما ان هناك صراعاً آخر بين الهو من جانب والانا العليا من جانب آخر حيث تعمل الانا العليا من منطلق المبدأ الأخلاقي .واذا ان التوافق يعني خفض للتوترات الناجمة عن الصراع فيكون الأشباع سوياً يؤدي الى حالة السواء بينما عدم الأشباع المتكرر والمحيط يؤدي الى سوء التوافق فيقترب الشخص من المرض النفسي (العصاب) .

٢ — لابد وان ينظر الى الشخصية نظرة كلية بعدها وحدة ذات نظام خاص (منظومة) تتضمن الكثير من المنظومات الفرعية Sub-systems ولايمكن فهم السلوك السوي اوالمرضي الابفهم الشخصية ككل ،اذ ان اللجوء الى جزء من الشخصية اوموقف سلوكي محدد اوتصرف معلن اومضمر خاص ، كل ذلك لن يسهم في فهم السلوك ، فالجزء

تتحدد قيمته بالكل وفق نظرية « الجشطالت » .والمهم هو البحث عن دلالة لكافة الأستجابات التي تنتج عن الشخص سواء الملاحظ منها او المضمر ، سواء كانت فلتات لسان اواحلام ، بالاضافة الى التصرفات كافة في اكثر من موقف .

٣ــ لابد وان ينظر الى الشخصية بعدها مفهوماً «زمكانيا» اي محكوم بزمن معين ومكان معين ، فاستجابة الشخصية ازاء موقف مشكل يتم في زمان وفي مكان ما (موقف مشكل) ، ولايمكن فهم هذا الأمر دون الرجوع الى تاريخ الشخص حامل المشكلة. فالغوص في ماضي الشخص يمكنّ السيكولوجي من التعرف على لحظة مافي حياة الشخصية كانت المعين في تشخيص الحالة . وتعد المقابلة الأكلينيكية احد الوسائل المهمة لتفهم السلوك السوي من السلوك المرضي .

التشخيص Diagnosis

التشخيص هو الأسلوب العلمي الذي يمكن السيكولوجي اوالمعالج من التمييز مابين السواء والمرض ،والمفهوم نفسه مستعار من الطب البشريحيث يحاول الطبيب تشخيص الأضطراب البدني لمعرفة الأسباب الكامنة وراء المرض والأضطراب وبذا فالتشخيص للسلوك لايهدف كما يظن البعض الي وضع الفرد المشخص في فئة كلينيكية معينة كأن تقول مثلا ان هذا الشخص هستيري او وسواسي اوسيكوباتي ، وانمّا يعني التشخيص وصف كلي لدينامية الشخص ومحاولة فهم صراعاته كذلك مستوى ذكائه والقدرات التي تميزه وسماته الواضحة وميكانيزمات دفاعه ... الخ اي ان التشخيص هو بمثابة تحديد صورة كلية شاملة عن الشخص اذ ان تفاعل كل المعطيات السابقة تعطي السيكولوجي تصوراً يساعده في فهم الشخصية الموجودة امامه ، اما

تصنيف السلوك ووضع الحالة داخل فئة ثم وضع لافتة عليها فلـن يفيد في شيء .

يقول مننجر Meninger حين اطلب فحصا لمريض نفسي فأني بالقطع لااريد ان اعرف نسبة ذكائه اونسبة الأستجابات الكلية اوالجـزئيـة فـي اختبار الرورشاخ . وانما مااريده هو وصفاً تشخيصيا للشخصية كي نحـدد طبيعة السلوك وماوراءه من ميكانزمات دفاع ، وطريقة هذا الفرد فـي التوافق في المواقف التي يتعرض لها ، اذ يساعد هذا كله في التنبؤ بالسلـوك في المستقبل كما يساعد في تخطيط وتنفيذ امكانات العلاج ، ويمكن ان نحدد هـدفين للتشخيص متكـاملين :

اولهما : — هدف علمي يتمثل في تكامل وتناسق المعطيات المتحصل عليها والتي تكون مفهوماً كليا عن الحالة ، وقد تصل من خـلال ذلك الى القانون العلمي الخاص الذي يساعد في فهم وتفسير السلوك بشقيه السوي والمرضي وثانيهما : هدف علمي يتمثل اساسا في تحديد خطوات العلاج ورسم مساره.

وحيث ان السلوك المرضي دالة لتفاعل هذا الشخص مع بيئتـه ، يكون لزاماً على السيكولوجي ان يدرس هذه البيئة بكل معطياتها المادية والأجتمـاعية كذلك فان الشخص في حالة دائمة من التغير كذلك البيئة بكل معطياتها المادية والأجتماعية في حالة تغير ايضاً ، ومن ثم لابد وان يكون التشخيص ديـناميا وليس استاتيكيا . والمقصود بالدينامية ان التشخيص « هنا والأن » قد يغـايـر التشخيص لنفس الحالة « غدا وفي مكان اخر » . فتفاعل الشخص مـع بيئته لايكون ثابتاً . بل ان انخراط الفرد في مجالات ومواقف متباينة يؤدي بالضـرورة الى ضروب متباينة من السلوك .

فنيات التشخيص: (تكنيكات التشخيص):

اولا: تاريخ الحالة Case history

يساعد هذا التكنيك (هذه الفنية) في تجميع اكبر قدر ممكن من المعلومات عن الحالة المراد دراستها . وعادة مايستخدم مصطلح « عميل » client ونعني به « المريض » المطلوب دراسة تاريخه لنتعرف على موقعه على متصل السواء / المرض . واحيانا يطلق على تاريخ الحالة تاريخ الحياة life history . قد تكون بعض المعلومات عن تاريخ الحالة موثقة في سجلات كالبطاقة المدرسية ، وقد تكون هناك معلومات يتحصل عليها من شهود كافراد الأسرة ، الأصدقاء ، الأقران ، الأقارب .... الخ والمهم انه كلما كثرت مصادر تجميع هذه المعلومات كلما افاد ذلك في عملية التشخيص ويزاوج بعض السيكلولوجيين بين «تاريخ الحالة » « ودراسة الحالة » case study ومنهم على سبيل المثال « موراي « Murray » وثورن Thorne ، وشافر Schafer بينما يرى البعض الأخر ان هناك فرق بينهما مثل سترانج strang وتراكسلر Traxler « وزيور »ومخيمر ويكمن الفرق في ان تاريخ الحالة تقتصر على جمع المعلومات مهما تعددت الطرق والوسائل ، بينما دراسة الحالة تشتمل على كل المعلومات التي تجمعها من العميل ويتضمن المعلومات المستقاة من تاريخ الحالة مضافا اليها معلومات اخرى قد تتم من خلال المقابلات الشخصية الكلينيكية مع العميل،وكذا المعلومات المتحصل عليها نتيجة تطبيق مجموعة من الأختبارات والمقاييس عليه ، بالاضافة الى الملاحظة المنظمة لسلوك الشخص وغير ذلك من التكنيكات .

وتساعد دراسة « تاريخ الحالة » في فهم سلوك الشخص وتطور هذا السلوك اذ ان الخلل اوالأضطراب في السلوك الحالي لايمكن فهمه الابالرجوع

الى خبرات المريض السابقة . وقد اشار « فرويد » في اكثر من موضع الى ان العصاب ينشأ كفرع من سوء التوافق اثناء مرحلة الطفولة ، اثناء صراع الطفل بين مايحبه ويشبع حاجاته ومالا يحبه ويسبب له الأحباط كما اشارت «هورني » الى حاجات العصابي وتوصلت من دراستها الكلينيكية الى وجود ثلاثة انماط (حاجات عصابية) هي : —

١— الحاجة الى الحب والأستحسان والحماية وتتمثل في التقرب من الناس بهدف اشباع هذه الحاجة .

٢ — الحاجة الى الأستقلال والسيطرة والتشكك في الآخرين : وتتمثل في البعد عن الناس وعدم الأهتمام بهم .

٣ — الحاجة الى العدوان والمنافسة والشراسة وتتمثل في اتخاذ موقف عدائي من الآخرين .

وترجع «هورني» كل نوع الى مراحل باكرة في نمو الطفل .

ومع ميل معظم السيكولوجيين الكلينيكيين الى عد دراسة تاريخ الحالة مهمة في التشخيص ، الا ان هناك فريق منهم يضع بدائل لهذه الفنية ،اذ يعتبر هذا البعض ان الحصول على معلومات وافية عن تاريخ الحالة من الصعوبة بمكان وستكون هناك فراغات يصعب ملئها ، في الوقت الذي يمكن تخطي هذا العيب من خلال المقابلات العلاجية.من هذا الفريق يبرز «كارل روجرز» Carl Rogers مؤسس مدرسة العلاج غير الموجه او العلاج المتمركز حول العميل Client centered therapy . يقول « روجرز» ان المريض يمكنه اثناء المقابلات العلاجية ان يذكر كل خبراته السابقة وسيكون بالضرورة اكثر صدقاً وامانة مما لوادلى بها مسبقاً في المقابلة الأولى لتجميع بيانات عن تاريخه . والمعروف عن طريقة « روجرز » انه يلقي بمسؤولية

العلاج والشفاء على المريض نفسه ، وعلى المعالج توضيح مااستغلق فهمه على المريض . وحين يستعيد المريض جذور هذه المشكلات – بمساعدة المعالج – يحاول جاهدا تغير شخصيته وحل مشكلاته بطرق اكثر نضجاً وفعالية .وفي كل الأحوال فان دراسة تاريخ الحالة مع كل المميزات الخاصة بتوافر المعلومات الا ان هناك بعض المآخذ على هذه الفنية منها ، ضيق الوقت بحيث يصعب استيفاء كل مانود الحصول عليه في فترة زمنية محدودة كذلك عدم صدق المعلومات ، فقد نحصل على معلومات عن تاريخ الحالة من افراد ، والمعروف ان استرجاع خبرات اومعلومات او مواقف سابقة يكون محكوما عادة بنوعين من الكف : الكف التصيعيدي Proactive inhibition ونعني به ان المعلومات الأسبق زمنياً تؤثر في المعلومات ، الأحدث وثانيهما: الكف التراجيعي Retroactive inhibition ونعني به ان المعلومات الأحدث زمنيا تؤثر في المعلومات الأقدم زمنياً وقد سبق الحديث عنهما في هذا الفصل من الكتاب .

ثانياً: المقابلة الكلينيكية : – Clinical interview

يقول « روس » Ross في كتابه «الطفل غير العادي في الأسرة » The abnormal child in the family

ان الأساس المبدئي الذي تقوم عليه المقابلة هو الأمانة والصدق .

والمقابلة عملية تتم من خلال « ديالوج» بين شخصين عادة وتتسم العلاقة بينهما بالدينامية وتعد المقابلة الكلينيكية احد الأدوات المهمة في التشخيص وتهدف لفهم المعالج لديناميات سلوك المريض ، وبالنتيجة فهم المؤثرات التي كونت الصورة التي يظهر عليها سلوك المريض في حياته ، وحتى تتم المقابلة بنجاح لابد من توافر مجموعة شروط .

١ ــ ان يكون المعالج ودوداً « أمبائيا» empathetic (يستطيع ان يتعاطف مع مشاعر المريض ويحس بها ويشاركه فيها اي يغوص في اعماقه ويحس بمشاعره ويتعاطف معها) ومن هنا يطمئن المريض اليه ويثق فيه .

٢ ــ ان يكون المعالج قد تعرض هو نفسه للتحليل حتى يكون مستبصراً بمشكلاته الخاصة (الشخصية) التي قد تعوق عمله كمعالج ، لانه ربما يسقطها لاشعورياً على مريضه ، اوحتى في تفسير نتائج بعض الفنيات التي طبقها على المريض وبذا يبتعد عن الحيادية والموضوعية.

٣ ــ ان يكون المعالج مستيقظا ومنصتا جيداً alert and good listener بحيث لايكتب مايقوله المريض امامه حتى لايسبب له الشك ، كما ينبغي ان لايطرح اسئلة سبق وان طرحها واجاب عنها المريض في مقابلة سابقة .

٤ ــ ان يكون المعالج ملاحظاً جيداً good observer ازاء استجابات المريض خلال المقابلة . فقد يكون المريض قلقاً اومكتئبا اوبائسا او مضطربا وعلى المعالج ان يلاحظ كل ذلك كما يلاحظ حركات المريض ونظرات عينه وحركة يديه ، ويتابع ايضاً معدل سرعة الكلام لديه كذلك مدى ترابط افكاره ومدى انتباه المريض للمثيرات من حوله بما فيها المعالج ، وما اذا كان انتباهه مشتتا شاردا او مركزاً .

ثالثاً: الاختبارات والمقاييس Tests & measurements

تكمل الأختبارات والمقاييس عملية التشخيص فهي تضيف الي المعلومات المتحصل عليها من تاريخ الحالة ، ومن المقابلة الأكلينيكية ابعاداً أخرى اكثر تفصيلا وثراء . فهناك اختبارات متعددة لقياس ذكاء الفرد ، اوالعمر العقلي

كذلك هناك اختبارات لقياس القدرات العقلية وبطارية اختبارات لقياس الشخصية وتكنيكات اخرى مختلفة لقياس الكثير من جوانب الشخصية الشعوري منها وغير الشعوري وسنتطرق لها في الفصل السابع من هذا الكتاب (تقويم الشخصية) .

وتساعد كل تلك الفنيات في اعطاء صورة عن سلوك المريض ويتوقف التفسير على مهارة المعالج الذي يطبق هذه الفنيات ، والتشخيص الجيد للحالة يتضمن اربعة مسلمات :

١ — مسلم الوفرة في المعطيات : والمقصود به ان ثمة علاقة طردية بين وفرة المعطيات اوالمعلومات وامكانية الدقة في التشخيص ، فكلما زادت المعطيات زادت الدقة في تشخيص الحالة بافتراض تساوي جميع الظروف الأخرى كخبرة المعالج ومهارته، وصدق المعلومات...الخ.

٢ — مسلم التكامل في المعطيات: ويعني به مدى ارتباط المعطيات والمعلومات ببعضها بالبعض الأخر بحيث تكون كلا متكاملا اوصيغة كلية وليس اشتاتا من المعلومات قد لايمكن ايجاد ماهو مشترك بينهما اوماهو عام فيها ، فتكامل المعلومات يسهم في فهم دينامية الشخصية عبر تطورها التاريخي في علاقاتها بالظروف الراهنة .

٣ — مسلم الصدق في المعطيات : ويعني به مدى ارتباط المعطيات والمعلومات المتحصل عليها بسلوك المريض بشقيه الواضح والمضمر ، فقد تتجمع وقائع كثيرة ومعطيات وافرة ولكنها لاتمس من قريب اوبعيد بواقع الحالة التي تدرس ويحدث هذا كثيراً في بداية التشخيص خصوصاً مع الممارس غير المدرب بدرجة كافية والمفتقر الى الخبرة والحس السيكولوجي والحدس الكلينيكي .

٤ ـ مسلم استقراء المعطيات : وهو مبدأ اقتصادي اذ يرد الكثرة من الأحداث الى قانون واحد يجمعها ، وينسحب على الأحداث المماثلة ومن الوجهة الكلينيكية فالتفسير اوالتأويل الذي يرد الكثرة من الوقائع والأحداث الى اقل عدد ممكن من القوانين يكون هو الأسلم والأشمل في عملية التشخيص للسواء والمرض .

الفصل السادس

الشخصية بين السواء والمرض

* مقدمـــة
* مفهوم السواء
* مفهوم المرض
* الامراض النفسية (العصاب) Neurosis

* مقدمـــة
* اهم انواع الاعصبة
١ النيورستانيا ٢ ــ الهستيريا ٣ ــ السيكاستينيا
* الامراض العقلية (الذهان) Psychosis

* مقدمـــة
* اعراض الامراض العقلية Psychosis
١ ــ اضطرابات ادراكية ٢ ــ اضطرابات الذاكرة
٣ ــ اضطرابات التفكير
* الاضطرابات الذهانية
- الشيزوفرانيا
الهوس / اكتئاب
الانكفاء على الذات

اولا : المقدمة :

عرفنا في الفصل السابق ان الصحة النفسية هي سيكولوجية التوافق ، وفي هذا الفصل يعد التوافق هو حالة السواء بمفهومه الأيجابي اذ ان مجرد كلمة سواء قد تعني لدى البعض الخلو من الأضطرابات النفسية والعقلية ولكن يتضمن المفهوم الإيجابي للسواء ان تكون الشخصية منتجة وفاعلة في الوسط الذي تتعامل فيه . وقد يمتد هذا التعامل بالإيجابية داخل دائرة صغيرة كالأسرة مثلا، وقد يمتد هذا التعامل ليشمل العمل بكل ضروبه، وقد يزداد ويتسع هذا التعامل بحيث يتجاوز الاوضاع المحلية القطرية الى التأثيرات في مجالات قومية وعالمية . اذاً ايجابية الشخصية تتحدد داخل مجموعات من الدوائر تبدأ بالأسرة والأقران وتنتهي بالمحيط العالمي مروراً بالعمل والفعالية بأكثر من مجال .

بيد ان هناك شخصيات مريضة وكانت مؤثرة وايجابية وذات فعالية عالية، ويمدنا التأريخ بالعديد من الأسماء التي أثرت وكانت فعاليتها وايجابيتها سلبية من وجهة نظر الفكر الإنساني، والتقدم الحضاري ، ومن امثال هؤلاء شخصيات كهتلر وموسوليني وهولاكو ..... وخميني !.

اذاً التوافق الإيجابي لابد وان يعني به التوافق الإيجابي الذي يؤثر في اتجاه التقدم في الفكر الإنساني وفي الحضارة المعاصرة . اما مجرد التوافق الإيجابي فقط يعني به ايجابية مدمرة تؤدي الى الخراب وتعوق التطور والتقدم .

والسواء والمرض هما ببساطة التوافق الإيجابي الذي يدفع نحو التقدم الانساني بينما المرض قد يكون توافقاً ايجابياً يدفع نحو التدمير وتعطيل

حركة التأريخ وتعويق التقدم ، كما قد يكون عدم الفعالية على الذات والأنكفاء ومن ثم عدم الإنتاج .

ثانياً — مفهوم السواء :

تأسيسا لما طرح في هذه المقدمة فان السواء لايتم في الشخصية بين ليلة وضحاها ولكنه عملية طويلة معقدة تبدأ منذ المهد وتتراكم فيها خبرات الفرد مابين اشباعات واحباطات مستمرة ومتلاحقة ،وفي ضوء شبكة من العلاقات الطولية والعرضية. والعلاقات الطولية يعني بها اساسا مراحل نمو الفرد من الوجهة العمرية ، وتتعدد المراحل مابين المهد، الحضانة،(وتعدان مرحلة الطفولة الباكرة) والتي تستغرق عادة حوالي الخمس سنوات ، ثم ينتقل الفرد الي مرحلة الطفولة المتأخرة والتي تشمل حوالي خمس اوست سنوات اخرى والتي توصل الفرد الي مشارف المراهقة ، ثم المراهقة نفسها والتي تشغل مابين سبع الي ثمان سنوات والتي تعرف بسن (Teen agers) المراهقون adolescents ثم مرحلة الشباب فاكتمال الرجولة او الأنوثة ثم مرحلة التقاعد فالشيخوخة اوالكهولة . في كل من هذه المراحل تتراكم الخبرات وتتنوع ايضاً مابين الأشباعات — الأحباطات . يواكب هذه العلاقات الطولية ، علاقات مستعرضة وتتمثل اساساً في كل المؤسسات الأجتماعية التي ينخرط فيها الفرد والتي تشكله، بدأ بالأسرة كمؤسسة اجتماعية وانتهاءاً بالدولة التي ينتمي اليها ، وبدستورها وقوانينها وفلسفتها والتي يمكن ان تسمى بالمؤسسة القانونية ، مروراً بالتعليم كمؤسسة اجتماعية ، الأعلام بفروعه المختلفة كمؤسسة اجتماعية ايضاً ، وكذلك المؤسسات الأخرى التي ينخرط فيها الفرد كالمؤسسة الدينية ، والمؤسسة السياسية ، والمؤسسة الترفيهية ، وفيما يلي بعض المؤسسات المهمة التي تسهم في بناء « السواء » داخل الفرد :

١ ـ الأسرة :

تعد هذه المؤسسة من اهم المؤسسات التي تزرع البذور الأولي للسواء او للمرض ويتوقف التأثير في كل مرحلة على مجموعة من المتغيرات المتفاعلة منها عدد افراد الأسرة ومستوى تعليم الوالدين ، ترتيب الفرد بين اخوته، نسق عملية التنشئة الأجتماعية التي تتبعها الأسرة، كما يتمثل ذلك في الأتجاهات الوالدية مابين السيطرة الزائدة او الحماية الزائدة او الأهمال..الخ كذلك يلعب الوضع الأقتصادي داخل الأسرة دوراً فاعلا بالسلب اوبالإيجاب ولايعني هذا أن الثراء يؤدي الي السواء وان الفقريؤدي الى المرض بل قد يحدث العكس في احوال كثيرة. فالمتغيرات لاتلعب دورها بطريقة مجردة ولكنها تعمل وفق منظومة العوامل التي تشكل كل الأبعاد المؤثرة في تشكيل شخصية الفرد .

٢ ـ المدرسة :

عادة ماتكمل المدرسة ماتم من بناء للفرد داخل الأسرة اذ تؤدي المدرسة عادة الي اضافة عناصر اخرى للفرد تسهم ايضاً في تشكيل شخصيته وذلك من خلال البرامج المدرسية والمقررات التثقيفية والعلاقات مع المدرسين، والمناخ المدرسي السائد والذي قد يكون ديمقراطياً، اوفوضوياً، أوأتوقراطيا . . . الخ مما يؤثر بدوره سلباً أو ايجاباً في ترسيخ السواء اوبذر بذور المرض والملاحظ في احيان كثيرة ان تطور المدرسة من شخصية الطفل وتعدل من اتجاهاته وتغرس فيه نسقاً من القيم تدفع به نحو السواء. وقد يحدث العكس بحيث تؤثر المدرسة بالسالب اذا ما افتقرت الي الرؤية التربوية السليمة، وكذا اذا افتقرت الي العناصر البشرية الواعية المعدة والمدربة جيداً، وكذلك اذا ما افتقرت الى النقص البين في الأمكانات والوسائل .

٣ـ الاعـــلام :

يعد الإعلام بدوره من المؤسسات الأجتماعية المهمة في بناء السواء اوبذر بذور المرض. ويدرك المربون جيداً الأثار البناءة او المدمرة للبرامج التلفزيونية على وجه التخصيص، وكذا الحال مع الأفلام والمسرحيات وكل ماهـو مسموع او مرئي، ناهيك عن سيل المطبوعات المحلية والقومية والعالمية ، والتي قد تشكل غزواً ثقافياً، وتقتحم على الفرد ثقافته، وقد تعدل فيها وقد تنمي لديه تطلعات استهلاكية كما يفعل الإعلام الأمريكي على سبيل المثال.

وينسحب نفس الكلام على المؤسسات الأخرى السياسية او الـدينيـة او الترفيهية ...الخ ومن ثم يكون الشخص اثناء رحلة حياته داخل خضم من كم هائل من المتغيرات المتنوعة والمتعارضة احياناً مما يؤثر بالضرورة في حالة السواء لديه . وقد يقف الإنسان عاجزاً غير قادر على الأختيار ، كما قد ينحرف وفق انواع من الدعايات المفروضة عليه، والتي تقوم بمثابة« غسل مخ» لمعتقدات واتجاهات سابقة يكون الفرد قد كونها في نسق معين وتلعب الأحزاب السياسية المغطاة بالدين دوراً فاعلا في هذا المجال(انظر حـالات التطرف الديني والأغتيالات التي تقوم بها بعض الجماعات المدفوعة لممارسة هذا العنف والعدوان كما هو حادث في لبنان وايران) .

ثالثاً :مفهوم المرض :

المرض نقيض السواء، الا ان هناك درجات من المرض، ودرجات اخرى من السواء .والنظرة العلمية لكليهما تضعهما في سياق واحد Context وبمعنى آخر ينوجدان على متصل Continuum طرفـاه تجزيد مخل اي لايوجد في احد القطبين سواء ١٠٠٪ وفي القطب الاخـر مرض ١٠٠٪ ولكن هناك درجات من السواء ودرجات من المرض،وينسحب

هذا الكلام على الأمراض الجسمية، كما ينسحب على الأمراض النفسية والعقلية (انظر الفصل الخامس من الكتاب) اي ان الشخصية السوية تماماً غير موجودة كما ان الشخصية المريضة تماماً غير موجودة ايضاً .

تبدأ البذور الأولى لأنبات المرض منذ مراحل الطفولة الباكرة. وربما كانت اول اعاقة (احباط يواجهه الطفل هو عملية الفطام) Weaning اذا لم تتم تدريجياً وبالأسلوب السليم، كذا تعد عملية التدريب على ضبط عمليتي التبرز والتبول Toilet training اذ تتوقف هاتين العمليتين على علاقة الطفل بالأم، ففي حالة الحب يقدم الطفل هذا العطاء كأستجابة طبيعية للدفء العاطفي والحنان من جانب الأم، وقد تتعقد العملية ويقدم الطفل هذا العطاء في اوقات واماكن غير مرغوب فيها، مما يشير الى ان ثمة اضطراب ما في علاقة الطفل بأمه،وكذا الحال في حالة التبول اللاارادي(البوال)eneuresis

وتزداد عملية انبات المرض وتتضح من خلال عادات يكتسبها الطفل خصوصاً في مرحلة الحضانة (في الأعوام ٣و٤و٥) فتزداد ظاهرة العناد الذي قد يؤدي بدوره الى عقاب الطفل، كذلك يكتسب الطفل (كعرض) عادة مص الأصابع habit of sucking fingers وعادة قضم الأظافر habit of biting nails ويزداد نمو المرض او الأضطراب، فقد يظهر في الطفل رغبة عارمة في تحطيم الأشياء وتحطيم اللعب ويسمى هذا بالعدوان aggression وحين يلتحق الطفل بالمدرسة في مرحلة الطفولة المتأخرة (من٦—١٢سنة) تتضح في بعض الأطفال عادات سلوكية غير مرغوب فيها، تشير الى اضطراب في بناء الشخصية من ذلك مثلا ظاهرة الأنطواء introversion التي تخدع احياناً الأباء والمدرسين لأن الطفل يبدو هادئاً وديعاً على السطح والواقع انه يعاني من الداخل ، كما يشيع احياناً بين بعض الأطفال والمراهقين ظاهرة

الجنوح delinquency . والجنوح ظاهرة تتضمن مجموعة من انواع السلوك المرفوض اجتماعياً والذي يشير الى خلل في بناء الشخصية . كما يتمثل في السرقة ، العدوان على الغير ، الهروب من المدرسة،العدائية hostility ،كذلك يكثر شيوع ظاهرة احلام اليقظة day dreams والتي يمكن من خلالها تشخيص حالة الفرد ومعرفة ميكانزم الهروب الذي تمثله هذه الأحلام . واذا لم يواجه المربي او المرشد النفسي او المعالج هذه الحالات قد تستمر وتزداد الصراعات والوان المعاناة ، والرفض من جانب الاسرة او المدرسة او المجتمع لهذه الانماط من السلوك ، ويزداد بالتالي ويترعرع المرض في الشخصية . واذا لم يتم التوجيه المناسب في الوقت المناسب فقد تتأزم الحالة وقد تصبح مزمنة Cronic كما هو الحال في الامراض البدنية بعامة .

رابعاً : الامراض النفسية (العصاب) Neurosis

مقدمة :

تسمى الأمراض النفسية بالعصاب Neurosis . ويعد العصاب مرضاً وظيفياً Functional disease للجهاز العصبي المركزي Central nervous system"C.N.S" من وجهة نظر المدرسة السوفيتية ،(بافلوف) بينما تنظر مدرسة التحليل النفسي للعصاب بعدة خللا فيالجهاز النفسي (صراعات مابين الهو من جانب والأنا اوالأنا والأنا العليا من جانب آخر) وتعد النظرة هنا نظرة دينامية .

وعادة مايصاحب تطور العصاب ضغوطاً انفعالية لمدد طويلة، وتعد هذه الضغوط بمثابة مطالب متزايدة للعمليات العصبية الأساسية (الأستثارة stimulation والكف inhibition) اوفي درجة مرونتها ويؤدي هذا لزيادة التوتر tension (الضغط press) على الجهاز العصبي المركزي ، كما يضعف من النشاط العصبي الراقي،وتساهم الأمراض الجسمية في تطور ونمو الأعصبة .

يقول اوتوفينخل Otto Fenichel في كتابه « نظرية التحليل النفسي في العصاب » The psychoanalytic theory of neurosis (ترجمة صلاح مخيمر ١٩٦٩) .

«في العصاب ثمة شيء يحدث يعيشه المريض غرابة ولامعقولية، هـذا الشيء يمكن ان يكون حركات لاارادية، وتغيرات في الوظائف البدنيـة ، احاسيس متنوعة كما في الهستريا ، وقد يكون حالة انفعالية اومزاجيـة غامرة وليس لها مايبررها ، كما في نوبات القلق او الأكتئاب ، وقد يكون اندفاعات او افكاراً غريبة كما في الوساوس والقهور. كل الأعراض توحي بأن شيئاً ما اقحم على الشخصية من مصدر غير معروف ،شيئاً ما يضطرب بـه استمرار الشخصية ويخرج عن نطاق الإرادة الشعورية» .

والمعروف ان القشرة المخية Cortex هي المسؤولة عن النشـاط الإرادي للفرد اي الأفعال الإرادية voluntary deeds بينما المسؤول عن الأفعال اللاارادية involuntary deeds المنطقة تحت القشرة sub-cortex ، ومن ثم تعد القشرة المخية بمثابة جهاز ضبط للاتصال اذ تسمح بالأفعال المقبولة – في ضوء عمليـة التعلم والتطبيع الأجتماعي – وفي الوقت نفسه جهاز كف للافعال الغريزية او غير المقبولة اجتماعياً . وعليه يمكـن عد العصاب اضطراباً اوضعفاً فـي القشرة المخية ، ويصاحب ذلك ضعفاً مماثلا في منظومة الجهاز الأشاري الثاني مما يتيح للمنطقة تحت القشرة ان تتحكـم في الإداء فتنتج الأفعال دون رقابة او سيطرة .

ويمكن التمييز بين بعض الأعصبة :

١ – النيروستانيا neurasthania

٢ – السيكاستينا Psychasthenia

٣ ــ الهستريا hysteria

٤ ــ حالات الوساوس القهرية obsessive-compulsive states

ويرى بعض علمـــاء الطب النفســي psychiatrists مثـــل جون نيميـا JohnC. Nemiah ونانسي اندريسين Nancy C. Andreasen انه يمكن تقسيم العصاب الي :

١ ــ القلق كحالة Anxiety state اوالقلق العصابي Anxiety neurosis

٢ ــ الأضطراب المخاوفي Phobic disorder او عصاب الخوف المرضي Phobic neurosis

٣ ــ الأضطراب الوسواسي القهري obsessive-compulsive disorder اوالوسواس القهري العصابي obsessive-compulsive neurosis

٤ ــ الأضطراب الصدمي Traumatic disorder اوالعصاب الصدمي Traumatic neurosis

٥ ــ الأضطراب ذو الصيغة الجسمية Somatoform disorder

٦ ــ الأضطرابات التفكيكية Dissociative disorders اوالعصاب الهستيري Hysterical neurosis

(انظر هارولد كابلان) الفرد فريدمان، بنيامين سادوك. في «المرجع الشامل في الطب النفسي» الطبعة الثالثة مجلد ٢

Haroid, I. Kaplan, Alfreed M. Freedman, Benjamin J. Sadock. in"Comprehensive Textbook of Psychiatry III ed vol2

بالنسبة لعصاب القلق يكون المظهر الأساس له تكرار حالة القلق وازمات مستمرة مزمنة، وقد يحدث في صورة نوبات شديدة attacks اوفي صورة هائمة pervasive anxiety وقد يصاحب حسالات

القلق ازمات قلبية اوصعوبة في التنفس اوزيادة في افراز العرق اوالجوع الشديد منفردة اومجتمعة .

والقلق يتصف بخوف من شيء مجهول متوقع ، اي الخوف من حدث غير سار يتوقع حدوثه في المستقبل. وبالنسبة لنظرية التحليل النفسي هناك خلاف بين الخوف fear والقلق anxiety ، اذ يعد القلق « استجابة » لمخاطر داخلية حين يحاول دافع غريزي غير مرغوب فيه الهروب من الرقابة الداخلية (الانا اوالانا العليا) ، بينما الخوف يعد كرد فعل لخطر حقيقي موجود في الخارج يهدده اما بالموت اوبالإصابة (حريق، حيوان مفترس .....الخ) .

ولكن المخاوف المرضية Phoblas تعد بالنسبة للعصابي وكأنها اخطار خارجية ،وربما لاتكون كذلك بالنسبة للشخص السوي، وعلى العموم يصعب وجود قلق بدون خوف او خوف بدون قلق . ويرى علماء نفس المدرسة السلوكية(اصحاب مدرسة التعلم) ان القلق يكون مشروطاً بمثير يؤدي الى الخوف، وانه يمكن ربط المثير بحالات الخوف اوالفزع (ارجع الى نظرية التعلم بالأشتراط لبافلوف، واطسن، دولارد وميللر في مرجع المتعلم) .

الا ان الأتجاه المعاصر يعد القلق نتاجاً كلياً من جانب الفرد ازاء مجموعة مثيرات تؤدي الي مجموعة استجابات، وقد يسهل وصف بعض هذه الأستجابات بلغة نفسية، كما قد يسهل وصف بعضها الاخر بلغة فسيولوجية.

وقد اشار« ايفان بافلوف» Pavlov الى انه بالإضافة الي المنظومة الإشارية الأولي First signal system الموجودة في كل من الإنسان والحيوان ، فإن الإنسان له منظومة اشارية ثانية Second signal system

والمقصود بالمنظومة الإشارية الأولى هي الأستجابة « العيانية » concrete للمثيرات الموجودة في البيئة من حول الكائن. والمقصود بالمنظومة الإشارية الثانية هي الإستجابة «المجردة» abstract للمثيرات الموجودة في البيئة اي الأستجابة للرموز (الكلمات) بدلا من الأشياء العيانية» ومن ثم فقد أظهر بدقة ان بعض الأعصبة في الإنسان وبالتحديد السيكاستينيا والهستريا تكون متأثرة على وجه الخصوص في نشاط المنظومة الإشارية الثانية، وكذلك في تفاعلها مع المنظومة الإشارية الأولى. وقد قسم بافلوف الأفراد في ضوء العلاقات من المنظومتين الأشاريتين الي ثلاث انماط:

النمط العقلي : intellectual، والنمط الفني artistic والنمط الوسيط بينهما intermediate. وقد اثبتت الملاحظات الكلينيكية انه اذا ماواجهت الأنماط الثلاثة من الناس الواناً من الصعوبات (حالات تؤدي الى اضعاف النشاط العقلي الراقي للجهاز العصبي المركزي) فإنه يمكن ان ينمو في ضوء ذلك ثلاثة انماط من الأعصبة: فالأفراد من النوع الوسط الذي لاتوجد الغلبة فيه لأحد المنظومتين الأشاريتين ، فغالباً مايتولد لديهم « النيروستينيا » والأفراد ذو النمط الفني غالباً مايتولد لديهم «الهستريا» ، والأفراد ذو النمط العقلي يتولد لديهم « السيكاستينيا » وغالباً ماتنشأ الأستجابات الوسواسية القهرية مع النمط العقلي، كما قد يحدث احياناً ان تنشأ مع الأنماط الأخرى .

وفي ضوء الأنماط العامة للجهاز العصبي في كل من الإنسان والحيوان ، فإن الأعصبة تنمو بسهولة أكثر في الأفراد الذين يتميزون بنشاط عقلي راقي ضعيف وغير متزن. وفي ظل ظروف وشروط معينة، قد ينمو العصاب في اشخاص من ذوي النشاط العقلي الراقي القوي والمتزن. وقد أمكن احداث

بعض الأعصبة تجريبياً في الحيوانات (انظر تجارب بتروفا M.Petrova) في كتاب«الأمراض العصبية والنفسية » Nervous and psychic diseases ١٩٦٨« موسكو»

وفيما يلي عرض لأهم انواع الأعصبة :

– النيورستانيا Neurasthania

لعل اهم عرض يشير الي هذا العصاب من الوجهة الكلينيكية هو ضعف البنية الأنفعالية ازاء الأستجابة المناسبة للاستثارة Stimulatory weakness حيث يظهر المرضى بهذا العصاب المزيد من الأضطراب في السلوك والمزيد من الأرهاق عقب اي مجهود بسيط، كما يصعب التحكم في انفعالاتهم ، وربما يستجيبون بعنف لمثيرات غير مهمة، وليست بذي دلالة ، ويستخدمون عبارات حادة وعادة مايعودون للحالة الهادئة تماماً عقب هذه الثورة بسرعة ويصعب عليهم المعيشة تحت ضغط اياكان ، كذلك يصعب عليهم الأنتظار (لايستطيع المريض مثلا ان ينتظر ولو لدقيقة واحدة اذا ماجاء دوره في العلاج). كما يلاحظ عليهم القلق بصفة مستمرة ودائمة ، حتى اثناء النوم . ويطلق على المرضى بهذا العصاب «ان نومهم خفيف» . كما يستغرقون وقتاً طويلا للدخول في النوم ،ويستيقظون مبكراً في الصباح ، ولايمكنهم النوم مرة اخرى ، وغالباً مايسمعون اثناء نومهم كل شيء يدور حولهم ، وعادة مايحلمون احلاماً غير سارة، وفي الصباح لايحسون بنشاط كما يحدث للاصحاء، وخلال النهار يكونون شبه مخدرين drowsy ويبدو عليهم الأنهاك ، وكثيراً مايشتكون من انهم غير قادرين على العمل، كما يشتكون احياناً من احاسيس غير سارة Unpleasant sensations في اجزاء مختلفة من اجسامهم . وبعض المرضى بهذا العصاب يظنون ان ذاكرتهم

قد« شقت» والواقع ان« الذاكرة» ليست هي الموضوع ، ولكن« الأنتبـاه» هو موضوع هذا الشق. فالقدرة على تركيز الذهن او «بأورة» الأنتباه تضعف جداً بسبب كون المرضى في حالة من التشتت (يتشتت الأنتباه بسبب اي شيء يجرى من حولهم) . وهم شديدو الحساسيـة لأي الم ناجم عـن مثير خارجي. وفي ضوء هذا يمنعون عن اخذ اية امصال اوعلاج عن طريق الحقن. ويرفضون الخضوع للاختبارات الخاصة بأخذ عينات من الدم . كذلك تكون الأفعال المنعكسة لديهم في تزايد، ولديهم اضطرابات جنسية ومعظمها يتركز حول« القذف المبكـر » Premature ejaculation

الوظائف المرضية للنيروستانيا (فسيولوجيا المرض) :

كشفت دراسات« بافلوف» عن ان هذه الأعراض السابقة تعد بمثـابـة تعبير عن ضعف عمليتي «الأستثارة» و «الكف» في القشرة المخية . والمعروف ان عملية الكف تقلل او تحددكم الأستثارة اذ ان خلايا القشرة المخية تحتفظ (تخزن) restore مصادر طاقتها فقط عندما تكون في حالة الكف .

وظاهرة النوم ترتكز اساساً على الكف الداخلي ، واذ ان الكف الداخلـي يكون ضعيفاً (مضطرباً) في النيروستانيا ، يكون حينذاك واضحاً سبب كون المرضى خفيفي النوم ، مما يشير الى نقص أكتمال كفاءة الخلايا العصبية، وهذا السبب يؤدي ايضاً الى سرعة التعب لدى المرضى . والأضطرابـات الخاصة بالأنتباه تعزى ايضاً الى ضعف عملية« الكف» فحين يريد المريـض عمل شيء تتبأور صيغة الأستثارة في القشرة المخية، وينمو« الكف» حول هذه البؤرة المستثاره،وضعف الكف يجعل من الممكن لبؤرة مستثارة جديدة تجعل اي ضجة اوصوت ضعيف مؤثراً لانتباه المريض .

اسباب المرض :

تنتج النيروستانيا بسبب العمل الدؤوب ونقص الراحة، واستمرار الضغوط الأنفعالية غير السارة (المقلقات) لمدة طويلة ، كذلك قلة اوعدم كفاية النوم.

العلاج :

بداية ينبغي ان يعطي للمريض قدراً كافياً من الراحة، وان يتبع بصراحة نظاماً خاصاً ، وتفيد انواع البروميدات bromides المرضى اذ انها تكثف (تركز) عمليات الكف التي تؤدي الى تخزين (حفظ) الكفاية للخلايا العصبية فيستطيع المريض النوم العادي .

٢ – الهستريا Hysteria

سمي هذا المرض بهذا الأسم المستعار من الكلمة الأغريقية hystera التي تعني الرحم uterus . فالأطباء الأغريق القدامى كانوا يظنون ان المرض يعزى الى تجوال الرحم داخل الإنسان(الأنثى). وقد اصبح مفهوم الهستريا ممكناً بدراسات وابحاث« بافلوف» والصورة الكلينيكية للهستريا تختلف من حالة لاخرى، كما ان اعراضها احياناً ماتشترك مع امراض اخرى حتى انها تسمى احياناً« المحاكي الكبير» great simulator والأعراض الرئيسية للهستريا يمكن تقسيمها الي اربعة اقسام :

آ– النوبة الهسترية Hysterical attack

تعزى هذه النوبة عادة الى ظروف خارجية، خصوصاً اذا ماتضمنت هذه الظروف عناصر اوعوامل تصدم المريض عقلياً، او اذا كان الموقف في بعض وجوهه مشابهاً لخبرات غير سارة حدثت في الماضي. والنوبة الهستيرية يستحيل تحديد تسلسل حركات المريض فيها . وسبب ذلك يرجع الي ان

طابع الحركات عادة مايعكس خبرات المريض الخاصة، ولايكون وعي المريض اثناء النوبة غائباً تماماً. ولكن تضيق منطقة الوعي ويحتجز المريض استجابته في البيئة الخارجية، وقد تستمر النوبة بضع دقائق اوعدة ساعات وتطول المدة خصوصاً اذا تواجد المريض بين الناس، وكقاعدة تحدث هذه النوبات اثناء النهار ولايصاب المريض فيها بأذى كما يحدث في حالة الصرع أو النوبات الصرعية epileptic attacks ففي النوبة الهستيرية تضيق حدقة العين ويمكن ان تستنفر انعكاسات حركية من جانب المريض وعقب انتهاء النوبة يكون المريض مسالماً وتابعاً ، بينما تتم نوبة الصرع ويغيب فيها الوعي تماماً وقد يؤذي فيها المريض ، وقد تحدث امام الناس او يكون المريض فيها منفرداً بنفسه .

ب ـ اضطرابات الوعي في الهستريا :

تتميز الهستريا ايضاً بالأزدواجية في حالة الوعي،فالمريض يدرك مايحيط به من وجهة نظر معينة . فكل مايحدث يقوم من جانبه وليس من وجهة نظر الواقع ،ولكن من وجهة نظر خبراته السابقة.فإذا كان المريض تحت تأثير بأنه في المسرح مثلا ، فإن كل الموجودين حوله اما ممثلين اومتفرجين وتسطبغ كل الموضوعات بهذه الصبغة ، ويتضمن الأضطرابات في الوعي الأحساس الطفولي Puellism اذ يحس المريض او يظن بأنه طفل صغير ، ومن ثم يبدأ اللعب وقد يقلد في الكلام اوالسلوك الأطفال الصغار ، كما يتضمن المرض ايضاً صورة ضعف عقلي كاذب (False feeble-mindedness) pseudomentia .

وتتناوب هذه الأزدواجية في الوعي مابين الأحساس الطفولي، ومابين الضعف العقلي الكاذب. ففي هذه الحالة الأخيرة نجد ان المرضى احياناً

مايعطون اجابات غريبة، وبعيدة تماماً عن المطلوب ، ازاء اسئلة في غاية البساطة ، وكلما زادت بساطة السؤال تزداد الإجابة بعدا ، بحيث يبدو الغباء واضحاً تماماً في الإجابة البعيدة عن المطلوب absurd وتجد المريض مبحلقاً كما يقطب حاجبيه Knit his brows

ج ـ الاضطرابات الجسمية في الهستريا :

تتعدد الأضطرابات في مجال الجسم وتكون ذات أصل هستيري، والطابع الخاص لهذه الأضطرابات يكون مرتبطاً بمفاهيم المريض عن امراض معينة وعادة ماتعكس الأعراض المرضية افكار المريض عن المرض.

ويتضح من الأعراض الأضطرابات الحركية والحسية . فبالنسبة للاضطرابات الحركية قد يحدث شلل كامل اوجزئي في اماكن خاصة من الجسم ، ولايؤثر هذا الشلل في العضلات ، اذ لايوجد بها اي خلل عضوي من ناحية الأنعكاسات اوحالات الضمور . وبمعنى آخر لاتظهر اللوحة الكلينيكية أى خلل عضوي في الجزء المصاب ، وكذلك في الجهاز العصبي المركزي والأوتونومي(الطرفي). ويسمى هذا الأضطراب الحركي الخاص والمصاحب للهستريا « استازيا ابازيا» astasia-abasia وتتضح في عدم القدرة الواضحة على الوقوف او المشي ولو ان المريض يكون محتفظاً بكل الحركات والتناسقات في ساقيه أثناء فحصه السريري، وقد تزداد حركة المريض وتسمى في هذه الحالة «الهيبركانسياس» Hyper Kinesias وقد يظهر في صورة رعشة tremor في الأيدي او الأرجل وربما الجسم كله .

والخاصية المميزة للاضطرابات الحسية هي فقد الإحساس الجسدي في بعض المناطق(انستيزيا) anesthesia وهذه الأضطرابات الحسية لاتكون مرتبطة بالأماكن التشريحية للموصلات الحسية ، كما يتضمن فقد الإحساس ايضاً

اضطرابات في الكلام وفي السمع والبكم mutism والتهتهه stammering، انحباس الصوت aphonia ، الصم والبكم Surdimutism .

واحياناً ماتتضمن الأضطرابات الجانب المعدي كما يحدث في حالات القيء ،وتقلص الأمعاء intestinal paresis كذلك قد يحدث تقلص في الجهاز التنفسي (ضيق تنفس) hiccup كذلك قد يحدث حالات من العمى الهستيري amaurosis

د — الطابع الهستيري :

تكون انفعالات المريض زائدة عن الحد ، ويكون سلوك المريض محكوماً الى درجة كبيرة بأنفعالاته، كذلك تكون مفاهيمه متأثرة بهذه الأنفعالات ويميل الهستيري نحو الخيال وتكثر لديه احلام اليقظة ويحاول المريض عمل اشياء متنوعة كثيرة حتى يكون دائماً في الصورة الأمامية (البحث عن النجومية) Limelight كذلك يكون المريض مولعاً بالأكاذيب ، كما يهتم بالألوان الزاهية في ملابسه ، ويفضل الملابس التي تلفت نظر الاخرين .

الوظائف المرضية للهستيريا (فسيولوجيا الهستيريا) :

اشار« بافلوف» الى ان الأفراد الذين يعانون من الهستيريا لديهم قشرة مخية ضعيفة، وكذلك ضعف دائم في منظومة الجهاز الاشاري الثاني ، الذي يؤدي على عدم الكف disinhibition في منطقة تحت القشرة، وكذلك في منظومة الجهاز الإشاري الأول. وبذا تكثر لدى المرضى في الأفعال والأقوال الجوانب الغريزية، والتي تبرز احياناً في شكل دفاع سلبي وتقلصات في الأطراف اوالجسم كما يحدث احياناً كف حركي Motor inhibition واحياناً يحدث له عجزاً كاملا عن الحركة Stupor

والطابع الخاص بالهستريين له سمات مشتركة مع الأطفال ، فالقشرة المخية للطفل غير تامة النضج، وتلعب طبقة ماتحت القشرة الجزء المهم في سلوك الطفل .وفي الهستيري تتخلص طبقة تحت القشرة بسهولة من سيطرة القشرة المخية، في ضوء ضعف هذه الأخيرة، ومن ثم ينتج عن ذلك تميز الهستيري بالأنفعالية الزائدة. والأنفعالات لديه لها تأثير معين على افكاره فالمنطق الأنفعالي هو السائد، .والوصول الى نتائج لاتكون عن طريق العقل ولكن عن طريق المشاعر (الحب والكره) .

اسباب المرض :

تصيب الهستيريا كل من الرجال والنساء وغالباً مايهاجم المرض الأشخاص ذوي الجهاز العصبي الضعيف. ويكون السبب في ذلك المواقف الصدمية التي قابلها الشخص اثناء طفولته. كما قد تظهر الهستيريا لدى افراد لديهم جهاز عصبي غير ضعيف، ولكن هناك الكثير من العوامل التي تتسبب في اضعاف القشرة المخية ، كذلك في اضعاف الجهاز الإشاري الثاني،ومنها صدمات الطفولة وكثرة الأحباطات والقسوة في المعاملة .

العلاج :

ثبت ان العلاج الطبيعي ، والعلاج النفسي، والعلاج التدعيمي ، يمكن ان يفيد بدرجة كبيرة ، كما يفيد علاقة المريض بشخص امبائي– له قدرة على الأستشفاف– يتفهمه ويشاركه وجدانياً ويتعاطف معه ويحبه .

٣ – السيكاستينيا Psychasthenia

عادة ماينمو هذا المرض في الأشخاص من النمط العقلي ، وهم الأفراد الذي يسيطر عليهم منظومة الجهاز الأشاري الثاني . ولعل اهم مظاهر هذا المرض ، تكمن في القلق الزائد والأحساس بالدونية (عقدة النقص) ،وحالات الوساوس القهرية Compulsive obsessive.

ويعيش هؤلاء المرضى « السيكاستينيون » Psychastheniacs في عالم مملوء بالشكوك الدائمة . وتزداد مع زيادة تعقد المشاكل التي تواجههم وتتطلب مشكلة تافهة يمكن ان تحل لحظيا عدة ساعات تستغرق في الشك والتردد ، ويظل المريض في حالة من عدم النشاط (الكسل) ويفشل في اتخاذ اي قرار . واحيانا بعد ان يصل الى رأي او قرار يتردد في تنفيذ هذا القرار الذي سبق واتخذه ، وذلك بسبب عدم قدرته على التخلص من الشكوك المضنية . والمرضى في هذا العصاب لايثقون في امكاناتهم ، ويقللون من قدراتهم . وكل صعوبة تواجههم تثير لديهم خوفاً مزعجاً واحساسا بعدم الكفاءة في المواجهة .

ويجربون الشيء عدة مرات في كل عمل يقومون به خوفاً من ان يكون قد تم هذا العمل بطريقة خاطئة . فالكيميائي السيكاستيني مثلا سوف يكرر فحص التركيبة الكيمياوية التي يقوم بعملها عدة مرات ، ويكون دائما في حالة تشكك من عدم صحتها حتى بعد ان ينتهي منها .وقد يؤدي به هذا الشك وهذا التردد القاتل الى ترك العمل اوالهروب منه الى عمل آخر . وتزداد سمات هذا المرض اذا ما كان هناك ثمة ضعف في الجهاز العصبي . ويقلق المرضى بالنسبة لصحتهم ، ومن ثم تكثر استشاراتهم للاطباء ويستمعون لكل كلمة تقال ، ويدركون المعاني المضمرة اوالمغطاة . وتستطيع المواقف شديدة التعقيد ، وكذا المواقف الخطرة ان تحرر هؤلاء المرضى من انواع القلق التي تساورهم ، ومن حالات الوساوس القهرية التي تهاجمهم لفترة ثم يعودون كما كانوا .

الوظائف المرضية للسيكاستينيا (فسيولوجيا السيكاستينيا) :

ترتكز السيكاستينيا على اضطراب العلاقة بين منظومة الجهاز الأشاري الأول ، ومنظومة الجهاز الأشاري الثاني مع سيطرة الأخير ، كما يشير الى

ذلك « بوبوف» Y. popov . في كتاب الأمراض العصبية والنفسية ١٩٦٨ السابق ذكره .

حالات الوساوس في السيكاستينيا Obsessive states

يشيع في هذا العصاب الكثير من حالات الوساوس ،وقد توجد الوساوس في حالات اخرى من العصاب ، ولكنها هنا تكون حادة وكثيرة . وعادة ما يحاول المرضى اخفاء وساوسهم عن المحيطين بهم ، كذلك قد يصاحب الوساوس انواع من القهور Compulsions . والقهور تجبر المريض على اتيان افعال يعرف انها غريبة وليست بذات قيمة، ولكنه لايقوى او لا يقدر على عدم فعلها . (قهر غسل الأيدي كلما لمس شيئا ، قهر تعداد ارقام معينة ، قهر زيارة اماكن محددة وبصفة مستمرة ، قهر تعداد مايملكه الشخص) .

اسباب المرض :

تنشأ حالات السيكاستينيا في الطفولة من زيادة التوتر ، ومن التناقض في المعاملة من جانب الأبوين مع الطفل ، كذلك تنشأ بسبب الظروف الأجتماعية التي تتضمن قبول اورفض الشيء ونقيضه ، مما يولد في الفرد انواعا من التناقض وعدم القدرة على التمييز مابين ماهو مقبول وماهو مرفوض . ومن ثم يكمن الخلل في علاقات الأستقراء ، وكما يذكر « بوبوف » فان نمو بؤرة الأستثارة لاتؤدي الى توليد كف مستقر اي ان الأستثارة تستمر وتتشعب ولاتصل الى قرار يسبب ضعف عملية الكف ، ويؤدي هذا الى ميل المريض لمحاولة تعقيد الأمور وزيادة الشكوك لديه . كما يشير « بوبوف » الى أن التفاعل بين القشرة المخية والمنطقة تحت القشرية تكون بدورها مضطربة .

العلاج :

يتلخص العلاج في نوع من الألتزام بحياة مخططة (مبرمجة) ، والمزيد من العمل يساعد المريض في التخلص من وساوسه وقهوره ، خصوصاً الأعمال التي تتطلب انجازا والتي يشرف عليها مشرف واع ، ويستطيع المحاسبة ، كما يفيد العلاج النفسي لازالة الأثار التراكمية لما خبره الفرد في طفولته .

خامساً : الامراض العقلية (الذهان) Psychosis

مقدمة :

يعد التفكير العلمي «المخ» بمثابة العضو المادي material organ للتفكير ، بينما يعد التفكير الغيبي الروح Soul وهي مستقلة عن البيئة وعن جسد الكائن الحي ، ولكنها تحكم افكار الأنسان ومشاعره وارادته .

وحتى يتعرف الفرد علميا على الأضطرابات العقلية ، فلابد من معرفة العمليات العقلية الأساسية basic mental Processes

يمكن تقسيم تلك العمليات الى ثلاث مجموعات مترابطة ومتفاعلة وتؤدي الى النشاط العقلي وهي :

١ ــ عمليات عقلية معرفية تؤدي الى النشاط المعرفي .

٢ ــ عمليات مز اجية تتضمن اتجاهات الفرد نحو الظواهر المحيطة به .

٣ ــ عمليات ارادية تقرر (تحدد) افعال الأنسان الأرادية .

يبدأ النشاط المعرفي للفرد بالاحساس sensation (من خلال الحواس الخمس) التي تعد كنوافذ تستقبل المثيرات البيئية ، وتنعكس في المخ.والخطوة التالية هي الأدراك Perception الذي يترجم أويقوم بتأويل (تفسير)ماسبق وان تلقفته الحواس ، وذلك بعملية تجميع لخصائص المثيرات المتعددة ، فادراك سيارة اومنزل يأتي من تجميع خصائص كل منهما مثل الخصائص

اللونية ، الحجمية ، الشكل ... الخ ،واثار الأدراك يحتفظ بها في المخ ويطلق على هذه الأثار التي تركت بصماتها على المخ بالمفاهيم Concepts وعليه فالمفهوم هو صورة شيء اوظاهرة في المخ ، ومع المزيد من الخبرة والتعلم تزداد المفاهيم لدى الفرد . وقدرة الشخص على الأحتفاظ بهذه الأثار للمدركات السابقة والأحساسات وانتاجها كمفاهيم لصور واشياء وافكار ، كل ذلك يسمى بالذاكرة memory ويعد التفكير Thinking أرقى شكل للنشاط المعرفي للانسان ، اذ تتيح عملية التفكير للانسان التعميم والتحليل والمقارنة بين ماسبق ان اكتسب من مدركات ومفاهيم .ويؤدي التفكير الى بناء تصورات conceptions واحكام Judgments واستنتاجات Conclusions . ويرتبط التفكير باللغة .

مثال : يرى الانسان صورة لشيء ما ،يتم الأدراك من خلال الحواس الشكل ، اللون،الحجم،...الخ)يكون كل ذلك صورة ذهنية mental imag^e وبمقارنة هذه المدركات بما سبق وادركه الفرد يتم التأويل والمقارنة والأستنتاج ... والأستنتاج لايمكن ان يتم الأ عن طريق اعمال التفكير .

والأنفعالات التي تعبر عن اتجاه الفرد لما يحيط به من ظواهر ، يعد الخطوة الثانية في العملية العقلية اللانهائية ، فاذ ترى الصورة ، يمارس حينذاك الفرد انفعالات معينة ويكشف عن اتجاهه لما يدركه ، فقد يمكن ان تكون هذه الأنفعالات سروراً اونشوة او ...الخ . والصورة الرديئة قد تولد نوعاً من الملل اوالضيق ، وعادة لايدرك الفرد مايحيطه في اتجاه محدد ومعين فهو يعكس رغباته ومحاولاته لاحداث تعديلات فيها ، وكل ذلك يسمى بالعمليات الأرادية القصدية volitional processes وعليه يستحيل ان يتم النشاط المعرفي بدون هذه العمليات الأرادية القصدية .

اعراض الامراض العقلية :

١ — **اضطرابات ادراكية** : — Perceptual disorders ويكمن الخلل هنا اما في ادراكات خادعة Illusions او هلوسات Hallucinations و « الأدراك الخادع » يمكن تقسيمه وفق نوع الحاسة التي يتم فيها الأدراك فهناك خداع بصري Optical illusion وخداع سمعي auditory Illusion وخداع شمي olfactory illusion وخداع لمسي tactile illusion وخداع تذوقي gustatory Illusion . والخداع في كل الأحوال هوتفسير خاطيء لاحساس حقيقي . فرؤية عصا على بعد قد يظن انها افعى ، ورؤية جلباب في غرفة النوم يمكن ان يدرك على انه لص ، وسقوط قطرات من ماء الصنبور اثناء النوم يمكن ان تدرك على انها كلمات .. ويمكن ان تحدث هذه الأنواع من (الخداع) في الأفراد العاديين (الأسوياء) ، خصوصاً اذا ماكان محيطهم غامضاً (وجود حالة ظلام ، اوغرفة بها ضجيج ، اوقد يكون الشخص مجهدا في العمل ، اوفي حالة مرض جسمي) .

كما يمكن ان يكون خداع الأدراك فيزيقيا : فالملعقة في كوب مملوء بالماء تبدو وكأنها مكسورة (وفق قانون الأنكسار في علم الضوء) ، والنظر أمام خطين متوازيين (قضبان السكك الحديدية مثلا) يبدو وكأن الخطين سيلتقيان بعد حين وكذا الحال في ظاهرة السراب في الصحراء ... الخ ولكن ما يعنينا هنا بخصوص الذهان هو الخلل في الأدراك اي الخلل في عملية التفسير او التأويل .

اما بالنسبة للهلوسات فهي ادراكات متخيلة Imaginary perceptions اي ادراكات دون وجود مثيرات خارجية ، وبذا فهي تختلف عن الأدراكات الخادعة التي يتواجد فيها المثير .

في الهلوسات يرى المريض اشياء اويسمع اصواتا غير موجودة في الواقع الموضوعي ، اي لايوجد مثيرات خارجية في محيطه ، وتعد أحلام الفرد السوي شبيهة بالهلوسات ، ولكنها غير موجودة في حالة اليقظة . وكما في الأدراك المخادع او (خداع الأدراك) يمكن تقسيم الهلوسات وفق العضو الحاس . وتكون معظم الهلوسات بصرية . visual h. ، وقد تكون هناك هلوسات سمعية. auditory h. وهلوسات شمية. olfactory h. ويتوقف شكل الهلوسة على طبيعة المرض . فالهلوسات البصرية كثيراً ماتصاحب وتلاحظ في الحالات الذهانية الناتجة عن التسمم الكحولي الحاد ، اذ قد يرى المريض اشخاصا كالوحوش . ويمكن ان تظل الصورة ثابتة ، اوتكون في حالة حركة ، كما يمكن ان تكون حية vivid اوخاوية vague وقد يحاول المريض في بعض الأحيان المشاركة في المسرح فيحاول الأمساك بهذه الصورة اوالأشكال اومطاردتها بعصا اويجري خوفاً منها . وعادة ما يكثر شيوع الهلوسات السمعية في حالات الشيزوفرانيا ، اذ يسمع المريض اصواتا بشرية اوغير بشرية وقد تكون بعض هذه الأصوات مألوفة بالنسبة له ، اوقد تكون غريبة عليه . وبعض المرضى يسمعون تلك الأصوات من جوانب مختلفة وعلى مسافات مختلفة ايضاً . ويختلف محتوى الهلوسات السمعية من حالة لاخرى ،فقد يسمع تعليمات مثل لاتأكل فالأكل مسموم ، اذهب واعمل كذا وقد يكون الأمر خطيراً ، وعادة مايظن المرضى بانهم يتلقون تقديراً من هؤلاء او انهم يتكلمون معهم باسمائهم .

كذلك تحدث هلوسات شمية كاستجابات في الشيزفرانيا ايضاً اذ تشم روائح ، وكقاعدة عامة تكون الروائح ذات طبيعة كريهة (روائح ، غازات سامة ، رائحة عفونة ، رائحة بول ... الخ) وعادة مايمسك المريض بانفه ، وقد يضع فيه قطعة من القطن حتى لايشم هذه الروائح .

ويتوقف سلوك المريض اثناء وقت الهلوسات على اتجاهه الذي قد يكون نقديا او غير نقدي . ويعد الأتجاه نقديا اذا ما اعتبر المريض هلوساته كظواهر مرضية ، واحيانا مايستمر المرضى في عملهم ، ويخفون مايحسون به عن المحيطين بهم. ويعد اتجاهه غير نقدي حين تكون هذه الهلوسات (الأصوات، الصور ...الخ) بمثابة حقائق موجودة لدى المريض . وفي مثل هذه الحالات يتحدد سلوك المريض بمحتوى هذه الهلوسات ، وقد قامت احدى المريضات بتنفيذ ما طلبته منها الأصوات بان تلقى على سيقانها ماءً مغليا ، وقد قامت المريضة بفعل ذلك واصابتها تسلخات وحروق متعددة . ومريض آخر أمرته الأصوات وهو راكب قطار ان يمزق تذكرته وقام المريض بفعل ذلك ثلاث مرات ، وفي كل مرة يشتري فيها تذكرة جديدة من المحطة القريبة منه ، وحين وصل الى محطة الوصول أمرته الأصوات بان يسلّم حقيبته لاحد المارة وقد فعل ذلك ، وتعد كل هذه الهلوسات السابقة هلوسات حقيقية (انظر كتاب المرجع الشامل في الطب النفسي ــ الطبعة الثالثة، مجلد ٢ كابلن واخرون .

وهناك نوع اخر من الهلوسات لاتخرج الى حيز التنفيذ وتظل حبيسة في الدماغ ، وتسمى بالهلوسات الكاذبة Pseudo hallucinations فقد يسمع المريض صوتاً يدق في رأسه يقول (شيطان) ويرى المريض هذه الكلمة مدونة في رأسه ، وفي هذه الحالات يذكر المريض بأنه يسمع باذن عقله mind's ear أوبعين عقله mind's eye كما يلاحظ ايضاً هلوسات جسدية ، وفي مثل هذه الحالات يخبر المرضى احساسات غير ساره متنوعة في اجسادهم كمرور (تيار كهربائي يخترق الجسد بسرعة) او « فقاقيع تتفجر في الأمعاء » « ضغوط في اماكن خاصة في الجسم » ...الخ ويشيع هذا النوع الأخير ايضاً في حالات الشيزوفرانيا .

وهناك عدة نظريات لهذه الوظائف المرضية اوالفسيولوجيا المرضية للهلوسات وسنكتفي بعرض مختصر لنظريتين :

آ- تنشأ الهلو سات كنتيجة لظهور بؤرة مرضية لاستثارة داخلية في نهاية القشرة المخية في احد المسارات العصبية.ففي الهلوسات البصرية فان لبؤرة الأستثارة في القصر الخلفي للمخ occipital lobe ويشير «بوبوف » الى ان الهلوسات لاترتكز على عملية الأستثارة ولكن على عملية الكف الجزئي في القشرة المخية . وبمعنى آخر وفي ضوء هذا التصور فان الهلوسات تنشأ في الوقت الذي يتم فيه عملية الأنتقال من الأستثارة الى الكف ، وفق شدة المثير ، والأرتباط مابين الهلوسات والكف الجزئي (غير الكامل) في القشرة المخية يتأثر ايضاً بوسائط كيميائية دوائية (عقاقير) Pharmacological agents فاذا تناول المريض مادة (الكافيين) Caffeine التي تكثف عمليات الأستثارة ،فان الهلوسات تتلاشى.ومن الناحية الأخرى اذ ما تناول المريض البروميدات bromides وهي من المهدئات sedatives التي تكثف بدورها عمليات الكف فان الهلوسات تتزايد .

ب- نظرية الكف Inhibitory theory : تنحو هذه النظرية نحو المفهوم الخاص بان الهلوسات تتزايد تحت أية ظروف اوشروط تؤدي الى زيادة الكف ، والعكس صحيح . ولذلك فان ساعات المساء وحالات الهدوء تزيد من فرص ظهور الهلوسات ، بينما تقل اوتختفي هذه الهلوسات حين يكون الشخص مستغرقاً في العمل خصوصاً وهو وسط جماعة .

٢- اضطرابات الذاكرة : Memory disorders

تعني الذاكرة القدرة على الأحتفاظ بما سبق وتم ادراكه . وكذلك القدرة

على استرجاعه ، وفي الممارسة يشيع مصطلح استرجاع ماسبق وان خبره الشخص (خبراته الماضية) . والمعروف ان كل ماسبق وتم ادراكه من قبل الشخص يترك اثاراً traces في المخ ، ومن ثم فمخ البالغ يحتوي على العديد واللامتناهي من هذه الأثار ، التي تركتها المدركات السابقة ، ولكن ليست كل هذه الأثار قليلة للاسترجاع . فبعض الأحداث يمكن استرجاعها بسهولة ، والبعض الأخر يمكن استرجاعه بصعوبة ، بينما البعض الثالث لايمكن استرجاعه بالمرة.. لماذا ؟ السبب يكمن في ان الذاكرة تبني على اساس من الأرتباطات والوصلات الشرطية ، وتتوقف قوة هذه الأرتباطات على قوة الأدراكات (الموضوعات المدركة) ، وتكرارها ، والفترات الزمنية التي تمت فيها ، والأتجاه الأنفعالي المصاحب لها ، وعدد المفاهيم الموجودة والقائمة بالفعل في المخ . او التي كانت موجودة في وقت الأدراك الجديد . هذا الأدراك الجديد الذي سيرتبط بدوره بما سبقه من أدراكات ، وكلما زادت الأرتباطات بين المدرك الجديد والخبرات السابقة ، فانه يكون من السهل عملية الأسترجاع اكثر مما اذا لم يرتبط هذا المدرك الجديد بما سبقه من مدركات. واضطرابات الذاكرة يمكن تقسيمها الى التذكر (الاستدعاء) remembring (retention)والأسترجاع recall . والشخص في اضطرابات التذكر يفقد القدرة على اضافة مادة جديدة للذاكرة . وفي مثل هذه الحالات فربما يقرأ الشخص صفحة واحدة عدة مرات ،ولايستطيع استخراج مايحتويه وهناك حالات يحدث فيها مع كل قراءة مكررة لنفس الصفحة ، فان المحتوى يتم أدراكه كشيء جديد في كل مرة . ومثل هذه الحالات تكون شائعة وملاحظة في ذهان « كورساكوف » ، Korsakov's Psychosis وتكثر هذه الحالات ايضاً حين تتعدد مرات التهابات الأعصاب . كما هو الحال في ذهان الخرف (كبار السن) . كذلك في حالات تصلب الشرايين

وحالات الأدمان الكحولي المزمن . كذلك يشيع اضطرابات الذاكرة ومنها مايسمى بالذاكرة الضعيفة Hypomnesia ، التي يحاول فيها الشخص بصعوبة استرجاع ماسبق وعرفه ، وقد لايستطيع بالمرة استرجاع احداث حدثت له .

مثال : سئل احد كبار السن عن عدد احفاده فذكر بان عددهم (٥) ولكنه لم يتمكن من معرفة اسمائهم ماعدا اثنين على الرغم من كونه قد عاش معهم فترة زمنية طويلة .

وقد تفقد الذاكرة كلية ، وتشيع هذه الحالة في بعض حالات الهستيريا المتقدمة، كما تشيع في كل امراض الذهان . وقد تعود الذاكرة amneslas في فترات زمنية محددة ، او في احداث محددة ايضاً . وقد يتسم الفقدان بشمول كل شيء حتى هوية الشخص نفسه ، وقد تعود الذاكرة مرة اخرة ولكن ينسى الشخص فترات فقدان ذاكرته .

٣ – اضطرابات التفكير : Thinking disorders

تتعدد مظاهر اضطرابات التفكير. فقد تكشف هذه الأضطرابات عن نفسها فيما يسمى بالتفكير المتسارع accelerated thinking اذ يكون التفكير لدى المرضى سريعاً بدرجة لاتمكنهم من التعبير عن افكارهم . ويصعب فهم مثل هؤلاء المرضى لانهم كثيراً مايحذفون كلمات او عبارات كاملة اثناء الحديث. وتشيع هذه الحالة في حالة الهوس mania كما تشيع في استجابات حالات الهوس – الأكتئاب manic - depressive ، كما ان التفكير المتباطيء decelerated thinking كثيراً مايلاحظ ايضاً في نفس المرضى ، ولكن في حالة الأكتئاب depression .

ففي هذه الحالة تظل فكرة واحدة ممتدة في عقـل المريض ، ومثل هؤلاء المرضى يجيبون اجابة احادية جزئية بكلمة او بجزء منها ، وببطء وبفترات سكوت طويلة بين الكلمة والأخرى. ويرتبط كـل مـن التفكير المتسارع والمتباطيء مع الأفكار المطروحة ، والأفكار المطروحة بدورها تكون مرتبطة بالنشاط المترابط للمخ. وهناك نـوع آخـر من التفكير بين الذهانيين وهـو التفكير المتماسك والمفصل adhesive thinking وهـذا النوع يتطلب اتقاناً مرضياً ، فحين يسأل المريض كي يصف شيئاً ما ، فإنه يستغرق وقتاً طويلا في عرض تفاصيل ذات اهمية ثانويـة ، ولايصل الى النقطة المطلوبة الا بعد عناء . وتشيـع هـذه الدقـة والأستغراق في التفاصيل الهامشية فـي حالة الصرع epilepsy ، وربمـا يعود ذلك الـى عـدم مرونـة immobility العمليات العصبية الخاصة بالأستثارة والكف ، واحيانـاً مايخلع على هـذا النوع من المرض « بالتفلسف » Philosophizing ، وعادة مايتجه المريض نحو الأستدلال غير الضروري (مجرد سفسطه) . وفي حالات الخلل الكبير في مجرى الأفكار تكون عبارات المريض جملا مصاغة جيداً من الناحيـة النحوية، ولكنها غير مرتبطة بعضها بالبعض الاخر. ويصعب جداً ان لـم يستحل فهم مثل هؤلاء المرضى : سؤال مثل كيف تشعر ؟ قد يجيب المريض كالاتي: (هذه نقطة جيدة ان حقل القطن على بعد، ماذا فعل محمود فـي هذا السياق، لايجوز لعمي ان يتزوج مـرة ثالثة) هـذا نمط للاجابة علـى السؤال المطروح ويشيع ايضاً في حالات الشيزفرانيا .

عادة مايقسم الذهان الـ ذهان عضوي organic psychosis

اذ تكون العوامل الفيزيقية بالغة الأهمية في حدوثه وذهان وظيفي functional psychosis حيث لاتغير عضوي يحدث في الفرد .

وهناك تقسيمات اخرى للذهان منها الذهان الوجداني ، وتكون انماط الأستجابة فيه وجدانية في انفعالات الشخص كما هو الحال في الهوس – أكتئاب . والأفراد الذين يعانون من هذا النمط يختلفون في حالاتهم المزاجية من وقت لاخر ففي مرحلة ما، يكونون في حالة رائعة سارة مزاجية، وفي وقت لاحق يكونون في حالة أكتئاب واسى شديدين، ولايعود اي من الحالين لظروف متغيرة في حياة الفرد او نتيجة لظروف خارجية تؤدي الى المرح او الحزن. وهذا ماجعل «كرابلن Krapelin يسمى هذه الحالة الهوس – الأكتئاب المرضي manic-depressive insanity

والأكتئاب يمكن ان يكون داخلي endogenous غير مرتبط بعوامل خارجية في البيئة، كما قد يكون خارجياً exogenous اواستجابياً reactive حين يواجه الشخص بعامل او بعوامل حاسمة في البيئة كانهيار اقتصادي للفرد (افلاس) اوموت شخص عزيز على الفرد .

الاضطرابات الذهانية Psychotic disorders

هناك اتجاهان معاصران احدهما يعد الذهان (الأمراض العقلية) بمثابة امتداد للعصاب (الأمراض النفسية) .

الذهاني ← العصابي ← السوي

psychotic neurotic Normal

متصل واحد single continuum

والأتجاه الثاني بعدهما مختلفين كيفيا .

neurotic العصابي ← السوي Normal

Psychotic الذهاني ← السوي Normal

متصلين منفردين

Two seperate continuum

وبغض النظر عن اي من وجهتي النظر أكثر صحة ، فإن الأضطـرابات الذهانية تكون أكثر خطورة من الأضطرابات العصابية، اذ يتطلب الأمرفي حالات الذهان اللجوء الى المستشفى، وتناول بعض العقاقير العلاجية، بينما قد تستمر حالات عصابية كثيرة في اداء مهام حياتها في المنزل والعمل دون الضرورة الملحـة لعزل مثل تلك الحالات (كالقلق والهستيريا والعصابالقهري والوسواس .....الخ) . وكقاعدة عامة يمكن عد الذهاني The psychotic انه خارج الأتصال مع دائرة الواقع الذي يعيش فيه . وقد يمارس المريض . الواناً مـن المعتقدات الخاطئـة false beliefs فقـد يظن المريض أنه زعيم ديني كبير او انه قائد كبير كبسمارك او ان هناك قوة ستسحب منه قدرته العقلية او الجنسية أو انه هناك اشعة كونية تسلط عليه ، أو ان هناك عصابات تتأمر ضده .وتتأرجح هذه الهذاءات بين نوعين هذاءات العظمة grandeur delusions وهذاءات الأضطهاد Persecuted delusions وفي بعض حالات الذهان ينسحب الذهاني من اي اتصال اجتماعي . وسوف نعرض لثلاث انواع اساسية من الأضطرابات الذهانية :ـ

١ ـ الشيزوفرانيا Schizophrenia

احياناً مايخطيء. البعض اذ يسمون الشيزوفرانيا« بالشخصية المنقسمـة » Split personality او ازدواج الشخصية ، وهنا يقع الخلط بين هذين المفهومين ومفهوم الشخصية المتعددةmultiple personality وهي الحالات المتقدمة الهستيريا مثل حالة(دكتور جيكل ومستر هايـد) وهي حالة مـن حالات الهستيريا .

أما الشيزوفرانيا فمعناها الحرفي والدقيق «العقل المنقسم » Split-mind والخاصية الملاحظة العامة ان الأفراد المصابون بالشيزوفرانيا يفضلون الأبتعاد عن الأتصال بالناس. هذا بالإضافة الى اعراض اخرى كثيرة .

ويشير احد التقارير الأمريكية الى ان حوالي ١٪ من سكان الولايات المتحدة الأمريكية يعانون بشكل او باخر من حالات الشيزوفرانيا (غير متوافر بيانات كمية عن الوطن العربي) . وخطورة المرض تكمن في انه يصيب الراشدين الصغار ، ويسبب عدم القدرة على العمل الإنتاجي في اخصب فترة من حياة الإنسان (من سن ٢٥-٤٥ تقريباً) ولايعني هذا انه لايصيب من هم أكبر سناً . وقد قدرت الخسارة من الوجهة الأقتصادية في الولايات المتحدة الأمريكية مابين عشرة بليون وعشرين بليون دولار . سنوياً بسبب هذا المرض.ويرجع ثلثي هذا المبلغ الى عدم انتاجية هؤلاء المرضى ناهيك عن المعاناة الأنسانية التي لاتقدر بمال التي يعيشها هؤلاء الأفراد واسرهم (جاندرسون وموشر ١٩٧٥ Gunderson and Mosher) .

وعادة ماتقسم الشيزوفرانيا الى اربعة اقسام :

(عن المؤسسة الطب نفسية الأمريكية للاضطرابات العقلية)

"Mental disorders American Psychiatric Association"

آ- شيزوفرانيا بسيطة Simple schizophrenia

ب- شيزوفرانيا الهيبفرنية Hebephrenic schizophrenia

جـ- شيزوفرانيا التصلبية (التخشبية) Catatonic schizophrenia

د- شيزوفرانيا البارنوية Paranoid schizophrenia

يصعب عادة وجود حالات نقية من المرض كما تعرضها الكتب المختصة ولكن الشائع هو وجود خليط يحمل أكثر من عرض وقد يغلب على الحالة

اعراض (زملة اعراض) syndrome من احد التقسيمات الأربعة ،ومن ثم فالكثير من حالات الشيزوفرانيا تشخص بعدها «نمط مختلط mixed type

فالشيزوفرانيا البسيطة تعطي عادة استجابات باهتة Colorless reactionsيمارس افرادها حياة بسيطة انسحابية وتكون اهتماماتهم غير واضحة ، يفضلون الوحدة (العزلة) ، ويبدو كأنهم منطوون ومشغلون وبغض النظر عن بعض الحالات التي يظهر فيها بعض التوترات فإن الأنفعالات لدى هؤلاء الأفراد تكون نادرة وقليلة، يشغلون في الأغلب اعمالا روتينية والكثير منهم لايستطيعون تحمل المسؤولية ، وعادة لايعاني مرضى هذا القسم من هلوسات اوهذاءات،والقليل منهم يعيشون في المستشفيات اذ ان الكثرة منهم تعتمد تماماً على اسرهم ومن ثم لاتبدو الحاجة ملحة لعزلهم في المستشفيات .

اما الشيزوفرانيا «الهيبفرنية» فيتسم افراد هذا النوع بنوبات صاخبة من الضحك والصياح العالي، وغالباً مايكون ذلك بدون مناسبة، وقد يجري الشخص عارياً في الطريق، ولايحس بغرابة تصرفه. وقد يضحك على من ينظر اليه بأستغراب. ويبدو على المرضى هنا عدم النضج ، وغالباً مايهملون في ملابسهم ،واحياناً في حاجاتهم نحو النظافة والتخلص من الفضلات . ويتسم التفكير لديهم بالامنطق، وعادة مايستخدم المرضى الفاظاً عديمة المعنى وكذا تعبيرات غريبة، وقد يكون الكلام مصبوغاً بصبغة دينية احياناً ولكن لايكون للكلام اي معنى لدى الأخرين، ويسمى هذا النوع من الكلام بالـ neologisms . أحد المرضى من هذا النوع كان يستجيب لكل الأسئلة التي توجه اليه بعبارة (١٣٥ باوغوس، مكالمة تلفونية) وبعد حصوله على بعض المهدئات كان يرد على نفس الأسئلة بالآتي : القرية فيها ستة منازل والمنزل به كشكك تلفون ورقمه ١٣٥ .

اما شيزوفرانيا التصلب فيتأرجح فيها المرضى بين فترات قصيرة من الأستثارة والحركة غير المنضبطة ، وفترات طويلة من السكوت (عدم الحركة والتخشب) . وقد تستغرق حالات التخشب او التصلب Stupor عدة اسابيع او شهور ويظل الفرد مبحلقاً في الفراغ. ويقاوم بشدة اية محاولة لتغيير وضعه. وحين يستيقظ من هذا الوضع المتخشب يكون في منتهى العنف وقد يقتل وقد ينتحر، بينما في حالات التخشب يكون في اقصى حالات الأنطواء، ويكون منسحباً داخل ذاته، ومنغلقاً على نفسه، وقد يرفض تناول الطعام اوالمشي ، ويمكن ان يطعم بالأنبوبة tube-fed وان يحمل من مكان لاخر، وفي الحالات التي لايكون فيها في حالة التخشب فإنه يردد بطريقة مستمرة تعابير خاصة أو ايماءات معينة او افعال نمطية ، وفي هذه الحالات يمكن ان يسمح للغير بأن يغير من وضعه وتسمى هذه الظاهرة « المرونة الشمعية » waxy flexibility بغض النظر عن الوضع الجديد مريحاً كان او غير مريح . ويستمر في الوضع الجديد فترات طويلة ايضاً ، واذ ان اغلب المرضى عديموا الحركة فقد يظن انهم فاقدون للحساسية لما يجري من حولهم، والواقع غير ذلك ، اذ ان بعض الذين شفوا من المرض سجلوا بدقة متناهية كل الأحداث التي كانت تدور من حولهم اثناء فترات تخشبهم .

اما الشيزوفرانيا « البارانوية » فهي من أكثر الأنواع شيوعاً . ويكون المرضى في هذا النوع أكثر حيوية ، ويتكلمون عادة بأسلوب ممتاز وكلماتهم منتقاة،وشديدة الأقناع عن عالم غير حقيقي. وعادة مايعاني افراد هذا النوع من كثرة الهلوسات والهذاءات، وكما هو الحال في« الهيبفرينية» فثمة خلل واضطراب واضحين في التفكير ،ولكن يختلف الحال هنا عن الهيبفرينيي

الذي ينتقل بسرعة من فكرة غير مرتبطة لاخرى ليس بها اية علاقة ولكن تفكير« البارنويدي» يكون أكثر تنظيماً واتساقاً ، حيث تتصل الأفكار عادة وتدور حول فكرة ما، ولكن هذه الفكرة غالباً ماتتعلق بالهذاءات الخاصة بالعظمة وبالأضطهاد .

آ- الهوس / اكتئاب Manic-Depressive

تعزى الأستجابات المرضية الخاصة بالشيزوفرانيا الى اضطرابات في التفكير اساساً بعده ارقى عملية عقلية معرفية بينما تعزى الأستجابات المرضية في (الهوس- الأكتئاب) الى اضطرابات خاصة بالحالة المزاجية Mood والواقع ان كلا من هاتين الأستجابتين المضطربتين (التفكير والحالة المزاجية توجدان في «الشيزوفرانيا» وكذلك في« الهوس- أكتئاب» ولكن بدرجات متباينة .ففي «الشيزوفرانيا» تكون اضطرابات التفكير أكثر وضوحاً، وفي «الهوس-أكتئاب» تكون اضطرابات الحالة المزاجية هي الأكثر وجوداً .

تتسم حالات الهوس - أكتئاب» بالتذبذب الكبير في المشاعر feelings

ففي حالة« الهوس» Mania يكون المريض عادة شديد المرح والسعادة وقد يغني بأعلى صوته،ويرقص حول نفسه ، ويعمل وكأنه تحت احساس بأنه سيهز العالم من اساسه .... كما قد يكون في حالة هياج شديد غير قابل للانضباط ، ويتوجب حين ذاك السيطرة عليه بطريقة اوبأخرى لانه قد يرتكب اي عمل خطر ، ومنه القتل دون ان يحس بأية مشاعر غريبة لتصرفاته كذلك تتواجد لدى المريض الواناً من الهلوسات والهذاءات ويشيع في معظم المرضى رجالا ونساء استخدام الألفاظ البذيئة، والسباب والتلميحات الجنسية كذا يشيع بين المرضى اثناء احاديثهم عدم الترابط في اللغة وفي الكلام اذ ينتقل من فكرة الى اخرى بسرعة بدون اي صلة تربط مابين الفكرتين .

وفي حالة «الأكتئاب» depression يلاحظ ان بعض المرضى يبكون بأستمرار ، ويتهمون انفسهم بكل انحطاط ، ويرفضون الأكل والشرب ظناً منهم ان الأكل والشرب من المفروض ان لايتناول اي منهما الا الشخص الذي يستحق ذلك حفاظاً على حياته، واذا انهم من الخطاة فينبغي على هذا الجسم الشيطاني، جسم المريض نفسه، ان لايستمر في الحياة ويكثر بين المرضى في هذه الحالة محاولات الأنتحار خصوصاً في الصباح الباكر .

من الملاحظ ان حالات «الأكتئاب» تشيع ايضاً بين العصابيين ولكن هناك فرق بين «الأكتئاب العصابي» neurotic depression والأكتئاب الذهاني psychotic depression فيشيع الأول عادة بين العصابيين في المساء ولايؤدي الى الإنتحار، ولكن يظل العصابي متردداً في الأقبال على النوم، ويعاني حالات الكآبة ويخاف النوم. أما في الحالة الثانية فيحدث الأكتئاب عادة في الصباح وبدون سبب واضح ويجد المريض الذهاني نفسه في حالة لايستطيع تحملها فقد يقدم على الأنتحار .

ويمكن في هؤلاء المرضى ان يتم الأنتقال من حالة «الهوس» الى حالة «الأكتئاب» بطرق مختلفة، قد تتسم بالسرعة في التذبذب ، بيد ان هناك العديد من الحالات تبقى في حالة واحدة (الهوس اوالأكتئاب) ، وتكون بينهما فترات من الراحة (فترات راحة بين كل نوبة واخرى) . كما قد يحدث احياناً ان يمر الذهاني بفترة «اكتئاب» لمدة ثم يعود للحالة العادية ويظل فيها فترة ثم ينتقل منها الى حالة «الهوس» وهكذا .

اسباب المرض والعلاج :

يذكر معظم الأطباء النفسيون Psychiatrists : بأن ثمة خللا في القشرة

المخية (بؤرة مرضية)في الفص الأمامي من النصفين الكرويين للمخ ومن ثم ينصحون بالعلاج الكيمياوي والبايولوجي ، وقد تتم بعض العمليات الجراحية بأستئصال جزء من الفص وتعرف العملية بأسم « ليكوتومي Leucotomy كما تفيد المهدئات Sedatives بأنواعها المختلفة في تهدئة الحالة نوعاً ما .

٢ ــ الانكفاء على الذات Involational

يسود احساس زائد بعدم الكفاية وعدم الرضا والاكتئاب لبعض الأفراد حين يصلوا الى منتصف الحياة (في النساء عادة يتم هذا مابين سن الأربعين والخامسة والخمسين، وفي الرجال مابين سن الخمسين والخامسة والستين) . اذ ان زيادة السن تتطلب عملية اعادة للتوافق بالنسبة للكثير من المطالب الفردية والأجتماعية بالنسبة للفرد. وتنمو لدى هذا القطاع العديد من المشكلات النفسية والأجتماعية. ففي الرجال حين يحالون الى التقاعد يحسون وكأن دورهم في الحياة قد انتهى. كما يحسون بضعف واضح في قدراتهم الجسدية والعقلية. وتواجه المرأة احساساً آخر فقد اصبحت غير قادرة على الحمل (الأنجاب) وتتعرض الى مايسمى بسن اليأس menopause وتحس بأنها قد فقدت الكثير من جاذبيتها الجسمية والجنسية. وعادة مايكون الأولاد لدى هذا القطاع قد بلغوا سن الأستقلال الذي يفتح امامهم طرقاً لبناء مستقبلهم، واصبحوا غير معتمدين الى حد كبير على والديهم. فالبعض على وشك ان يتخرج من التعليم، والبعض الاخر يفكر في الزواج، والبعض الثالث يكون قد انخرط في عمل ما، مما يجعل الكثير من الاسر وقد تقلصت واصبحت مجرد الأم والأب، وقد يعاني اي منهما او كلاهما بعض الأمراض الجسدية ومن ثم تتعدد فترات الملل والضيق والإحساس بالضياع. وكل

ذلك يؤدي الى الإحباط ويشيع بين بعض النساء الإحساس بأنهن اصبحن عديمات الجدوى ،ويؤدي هذا الى التأزم النفسي. وبالنسبة للرجل فقد تجد أنه كثير الهروب من المنزل ليبحث عن الصحبة، وليبتعد عن الملل والضجر ويؤدي كل هذا الى مايسمى بهذيان «الأنكفاء على الذات» Involutional psychosis واحياناً مايسمى هذا بذهان الخرف ويصاحبه الإحساس بمشاعر المرارة والأكتئاب والشك وقد تستجيب المرأة في هذه الحالة بأجراءات مرضية، فتزيد من كمية المساحيق وتغزو دور التجميل وكأنها تريد العودة الى مرحلة الشباب. وقد تقع في حب شاب صغير السن للمزيد من الأحساس بأنها لازالت جذابة .كما قد يحدث للرجل عدة استجابات منها صبغ الشعر والبحث عن فتاة صغيرة تحبه وكأنه يود ان يعلن انه لازال الفتى المرغوب فيه من الجنس الاخر .

اسباب المرض والعلاج :

تشيع هذه الحالات بين الرجال والنساء الذين لم يستعدوا لهذه المرحلة عن طريق التخطيط لها مسبقاً، بأكتساب بعض الهوايات او المهارات التي تشغل اوقات فراغهم بطريقة منتجة . كما تعد عملية التربية النظامية في المدارس، والتربية غير النظامية كما تتمثل في الأعلام وغيره من المؤسسات الأجتماعية التي ينبغي عليها ان تدرب الناس الشباب والكبار على البحث عن ادوار يظل يلعبها الفرد طوال حياته . بحيث يتجاوز حدود السن مادام قادراً على العمل والإداء، كذلك تسهم المؤسسات الأجتماعية الخاصة بالكبار في عمليات شغل فراغ هؤلاء الكبار وانتزاعهم من انفسهم ومن هذا الأنكفاء على ذواتهم .

الفصل السابع
تقويم الشخصية

* مقدمـــة
* الاسس النظرية لتقويم الشخصية
* مناهج تقويم الشخصية

اولا : القياس السيكومتري (القياس النفسي)

ثانياً : القياس الاديومتري (القياس التربوي)

* ادوات قياس الشخصية

اولا : تطور ادوات القياس

ثانياً : ادوات سيكومترية

ثالثاً : ادوات تربومترية (اديومترية)

رابعاً : ادوات كلينيكية

الفصل السابع

تقويم الشخصية

مقدمـــة

يشيع خلط مابين مفهومي التقويم والقياس/ فكثيراً مانرى في ادبيات علم النفس بعامة ، وادبيات علم الشخصية بخاصة ترادف هذين المصطلحيـن . ويعني هذا ان التقويم يعد بمثابة قياس للشخصية ، والأغلوطة تكمن في عدم ادراك ان مفهوم التقويم كما هو شائع بين معظم السيكولوجين والتربويين المعاصرين هو ان هذه العملية تتضمن اصدار احكام قيمية value judgment بينما يقتصر مفهوم القياس على مجرد الوصف الكمي لدراسة الظاهرة الطبيعية اوالسيكولوجية أو التربوية او الأجتماعية ... الخ .

والقياس الكمي هو تقنين لعملية الوصف دون اصدار اي احكام قيميـة . فإذا قلنا على سبيل المثال ان هذا التلميذ طويل وذاك قصير، فإن هذا الوصف يعد وصفاً غير دقيق ، ويتسم بعدم التحديد، ولكن حيـن نقنن الطول او القصر فنقول ان التلميذ الأول يصل طوله الي ١٨٢ سم ويعد طويلا بالنسبة لمتوسط الطول الشائع في سنه، وفي نفس الثقافة، ونفس المجتمع ، وحين نقول ان التلميذ الاخر يصل طوله الى ١٥٩ سم فإنه يعد قصيراً بـالنسبـــة لمتوسط الطول في سنه، في نفس ثقافته ، وفي نفس مجتمعه . اذاً القياس ماهو الا تحديد كمي اوتقنين للظاهرة التي نقوم بدراستها. وينسحب نفس الكلام حين نقول ان نسبة ذكاء تلميذ ما ١٢٠ (I.Q.) ، ويعد هـــذا

التلميذ ذكياً اذ ان المتوسط في نسبة الذكاء تتراوح مابين ٩٠ و١١٠ (I.Q.) ويعد تلميذاً اخر غبيا اذا ماكانت نسبة ذكائه٧٠(I.Q.) في كل الأحوال هناك معيار للمتوسط ونقارن الأفراد بعضهم بالبعض الاخر .

الاعلى اوالأدنى بالنسبة لهذا المتوسط. وايضاً وفي كل الأحوال لانعطي حكماً قيمياً وانما نحن نصف فقط كميا .

اما التقويم فيقصد به اعطاء قيمة او وزن لاي بعد من ابعاد الإنسان ، أولاي جانب من جوانبه، وكذا لاية اعمال اومشروعات اوقضايا، واعطاء الوزن اوالقيمة قد يكون كيفياً اوكمياً ففي الحالة الأولى نحن نقول هذا طيب وذاك شرير، هذا سوي وذاك عصابي هذا جميل وذاك قبيح، هذا

$$\frac{١٠}{١٠}$$

رجل اعمال أمين وذاك مرتشي، وفي الحالة الثانية نقول ان سلوك فلان

صفر

(قيمة استحسان عليا) بينما سلوك فلان في نفس الموقف ـــــ (قيمة دنيا) .

١٠

والتقويم في الشخصية يسعى نحو اصدار هذا الحكم القيمي الذي يتمثل مثلا في الحكم على الشخصية بالمرض اوسوء التوافق او بالأنحراف ويتطلب الأمر علاجاً بينما قد يكون الحكم القيمي ايجابياً من ناحية السواء اوالتوافق اوالصلاحية للانتقاء (للاختيار) لعمل ما او وظيفة ما أو اية مهمة تتطلب مجموعة من القيم كالأمانة أو الدقة في الإداء او الأنضباط او تحمل المسؤولية .... الخ من قيم تصدر بشأنها احكاماً .

ويعد القياس الكمي احد ادوات عملية التقويم ولكنه ليس عملية التقويم ذاتها .

ويعد تقويم الشخصية مطلباً مهماً في كافة مؤسسات اي مجتمع في قطاع الإنتاج اوفي قطاع الخدمات . اذ ان المجتمعات المعاصرة تتطلب كفاءة متميزة في اداء الأعمال، وتناغما في شخصية القائم بأي عمل، تناغماً مع نفسه كما يتمثل في توافقه النفسي، وتناغماً مع الاخر كما يتمثل في توافقه مع الاخر ومع المجتمع ومع العمل. وتثبت الدراسات يوماً بعد آخر اهمية السواء النفسي في اداء العمل. فلا يتصور مثلا ان العامل غير المتوافق يستطيع ان يؤدي عمله بكفاءة امام الآلة، كما لانستطيع تصور شخصاً ما في عمل اجتماعي(التعامل مع الأفراد) ان يحقق انجازاً في عمله وفي علاقاته، اذما كان بعيداً عن السواء .ولعل كتابات «ارك فروم » الخاصة بالمجتمع الصحي The sane society ، وكتابات « كارين هورني » عن العصاب تشير كلها الي ضعف الأنجاز والخلل في الممارسات نتيجة سوء التوافق بين الشخص ونفسه، وبينه وبين الاخر، وبينه وبين العمل، ويؤدي كل ذلك بالضرورة الى عدم الرضا وضعف الإنجاز وقلة الكفاءة الأنتاجية. ومن هنا حرصت معظم المجتمعات المتقدمة على صحة الأفراد النفسية ، وعلى السواء الشخصي والأجتماعي ، وزادت من مؤسسات التوجيه والأرشاد ، وكذا العيادات السيكولوجية . ولن يتأتى كل ذلك الا بتقويم الشخصية الذي يتم عن طريق أدوات القياس المختلفة اذ يكشف عن مواضع الخلل . وتقويم هذه المواضع ، ثم وضع البرامج الأرشادية والعلاجية من خلال العديد من المؤسسات الرسمية وغير الرسمية . وتعد التربية السليمة احد الركائز المهمة في بناء النفس وفي بناء الشخصية .

الأسس النظرية لتقويم الشخصية :

اولا — بعض المسلمات في تقويم الشخصية :

١ — يولد الأنسان محايدا بافتراض سلامته من الناحيتين العضوية (التكوينية اوالجبلية) ، والفسيولوجية (وظائف الأعضاء) .

٢ — يتشكل الأنسان في ضوء الثقافة التي ينخرط فيها ،ومايتبعها من ثقافات فرعية ، في ضوء تاريخ حضاري خاص به ،وفي ضوء مجتمع معين وبيئة معينة (البعد الزماني يكون بالضرورة تاريخيا والبعد المكاني يكون بالضرورة جغرافياً) .

٣ — تتعدد وتتكثر الفروق الفردية بين الأفراد ، ومن ثم فالشخصيات متباينة بالضرورة (اذ ان تشكل الأنسان يعد سمة فريدة له) .

٤ — يمكن تقويم الشخصية وفق الرؤى النظرية للمنظرين

٥ — يستخدم في تقويم الشخصية انواع متعددة من القياس منها السيكومتري والأيديومتري ، والأسقاطي (الكلينيكي) .

٦ — القياس بانواعه يتضمن العديد والمتنوع من الأدوات ، مثل الأختبارات المتنوعة ،والمقاييس المختلفة ، والمقابلات ودراسة الحالات ، والملاحظة المنظمة ، ودراسة تاريخ الحياة ... الخ من أدوات .

ثانيا: المنطلقات النظرية في تقويم الشخصية : —

عرفنا في الفصلين الثالث والرابع مجموعة من النظريات المهمة في الشخصية وقد قسمت الى ثلاث تيارات كبرى هي : —

الحتمية التكوينية ، والحتمية البيئية ، والحتمية التفاعلية . وداخل هذه التيارات الثلاث توجد مجموعة من النظريات لها اطرها النظرية ، ومن ثم

فأن التقويم للشخصية في كل نظرية يكون بالضرورة محكـوماً بهذه النظريـة وباطارها .

١ ــ الأطار النظري لمجموعة النظريات داخل تيار (الحتمية التكوينية) :

آ ــ **بالنسبة لفرويد :**

ينظر فرويد للشخصية بعدها منظومة مغلقة محكومة بالحتمية البايولوجيـة ويتولد الصراع في الفرد بين الأجهزة النفسية الثلاثة (الهو. الانا . الانا العليا) ويضطر الفرد عن طريق ميكانزمات الدفاع ان يزيل توتراته . ومن ثـم يكون تقويم الشخصية عند ، « فرويد » محكوماً بفهم الديناميات التي تلعب مجموعة أدوار داخل الجهاز النفسي ، والأداة المناسبة للتقويم هنا تكون دراسة الحالة Case Study وكذلك تاريخ الحياة life history وفي ضوء هذه الأدوات التي تشخص الفرد يبدأ العلاج الذي يتمثل اساسا في منهج التحليل النفسي .

ب ــ **بالنسبة لابوقراط ــ كرتشمر ــ شلدون .**

ترتبط الأنماط اوالطراز التي يتصورها كل من اصحاب النظريات التكوينية بحالات الذهان اساسا . فعند ابوقراط يركز على الأنماط (الصفراوي ، السوداوي ، البلغمي ، الدموي) ، ويرتبط المزاج بهذه الأنماط ، ومن ثـم يمكن التنبؤ من وجهة نظره بنوع الخلل في الناحية المزاجية اذا ماحدد النمط الخاص بسوائل الجسم .

وبالنسبة « لكرتشمر » « فان » « الفصام»يرتبط في تصوره بنمط الجسـم النحيل، بينما يرتبط «الهوس ــ الاكتئاب» بنمط الجسم البدين،ويكون التقويم هنا محكوم ايضاً بهذه الأنماط اوالطراز .

وبالنسبة «لشيلدون » يركز على التكوينات الثلاثة (الحشويه ، البدنية،المخية) وتعد هذه التكوينات في ضوء سياقات contexts وليست في ضوء فئات categories . وترتبط هذه الأنماط في تصوره ايضاً بالطبقات الثلاثة في « الجاسترولا » وهي (الأندومورفي ، والأكتومورفي ، والميزومورفي) وعليه يكون تقويم الشخصية ايضاً في ضوء هذه الطرز وتداخلاتها .

جـ — بالنسبة «لكيرت جولد شتاين» صاحب النظرية العضوية :

يشترك ايضاً مع سابقيه في ابراز الأهتمام بحتمية التكوين ، الا انه يختلف في ان الكائن في حالة تفاعل دينامي مع الموقف.وينظر «جولد شتاين» للفرد من منطلق منظومي ، ويركز في تقويمه للشخصية على واقع تحقيق الذات الذي يعد الدافع الوحيد .

د — بالنسبة «لجوردن اولبورت» صاحب نظرية السمات:

يتبع في تقويمه للشخصية المنهج الأيديوغرافي : Idiographic (المنحى الفردي) ، اذ يعد الشخصية متفردة ، كما يعدها (هنا والأن) ، ومن ثم تعد نظريته لاتاريخية ويكون التقويم من وجهة نظره مبنيا على مجموعة السمات التي تميز الفرد ، كما تتمثل في السمة القلبية الأساسية والتي قد لاتوجد الا في بعض الناس (كالسادية والماسوشية) . ثم السمات المركزية وتكون في حدود ٥ — ١٠ «سمة» مثل سمة العدوان والعاطفية ... الخ ثم السمات الثانوية والتي يمكن الوصول اليها عن طريق الملاحظة لفترة زمنية طويلة. ومن ثم يعد التقويم للشخصية في ضوء هذه المجموعة من السمات التي يتميز بها الفرد بطريقة متفردة .

٢ — الأطار النظري لمجموعة النظريات التي تستند الى (الحتمية البيئية):

رغما عن تعدد النظريات السلوكية الا انه يمكن تجميعها داخل اطار

نظري واحد قوامه « التشريط » . واذ ان الأتجاه السلوكي يرفض كل ماهو غيبي ، اوميتافيزيقي ، ويركز على التجريب ، ويعد « العادة » habit هي وحدة السلوك ، والتي تتكون في الشخصية بعدها « منظومة مفتوحة » open system . ومن ابرز المنظرين للشخصية في هذا التيار السلوكي « دولارد وميللر » . ويتم تقويم الشخصية في ضوء فهم الأعراض التي تعد في حد ذاتها عادات مشروطة ، ولايوجد ورائها اسباب ، ومن هنا فهي تبتعد عن المفاهيم الدينامية،ويتم علاج الشخصية بازالة هذه الاعراض بطريق تعديل السلوك بتكنيكات مختلفة كالتعزيز والتشريط المضاد والتنفير ....الخ .

٣ــ نظريات تسند إلى الحتمية التفاعلية :

آــ الفرويدية الجديدة (ادلر ، فروم ، هورني ، سوليفان)

يركز هذا التيار على البعد الثقافي والأجتماعي المؤثر في الشخصية .فبالنسبة «لادلر » يعد الكفاح من اجل التفوق هو الركيزة الأساسية في الشخصية في ضوء نظرته بالاهتمام الأجتماعي ، ويضيف « فروم » الطابع الأجتماعي للشخصية مع الطابع الفردي لها ، ويتمثل في الطابع الأجتماعي الأهتمام بما هو مشترك مع الأخرين ، وبالنسبة للطابع الفردي يتركز تقويم الشخصية على العمل والنجاح ، اذ ان عدم تحقيقهما يؤدي الى القلق ويتولد الشك ،وتعد الحاجات الأربعة «لفروم »بمثابة ركائز عملية في تقويم الشخصية وهي(الحاجةللانتماء الأجتماعي ،الحاجة الى الشموخ ،الحاجة الى الهوية ،والحاجة الى الأنضباط الأجتماعي).

وبالنسبة «لكارين هورني » فيتم تقويمها للشخصية من خلال عملية التنشئة الأجتماعية داخل الأسرة ، في ضوء الثقافة السائدة، وتؤدي التنشئة الأجتماعية السيئة الى توليد العصاب ، وتقسمه الى ثلاث حاجات عصابية: العصاب الأول (التوجه نحو الناس) ، العصاب الثاني (التوجه بعيداً عن الناس) ،العصاب الثالث (التوجه ضد الناس) .

وبالنسبة «لسوليفان» يركز في تقويمه للشخصية على تفاعل الفرد مع الأخرين . فالسمات كالعدوان والحقد ....الخ ليست موجودة داخل الناس ولكنها خصائص مكتسبة للسلوك ، ويعد « الذات» منظومة تتناغم اذ ماتمت علاقاتها الأنسانية بنجاح ، ويعد القلق الذي تعاني منه الشخصية ناتجا بفعل ظروف اجتماعية محبطة .

ب — المجال «لكيرت ليفين» :

في ضوء ماطرح « ليفين » من مفاهيم يبرز الدور الفاعل لما اسماه « حيز الحياة » اوالبيئة السيكولوجية للفرد . ويتم تقويم الشخصية في تصوره داخل المجال الأجتماعي الذي يوجد فيه الفرد، بما يتضمن من انواع الصراعات والعقبات ، التي تعترض اشباعات الفرد. كذلك يتضمن التقويم بحث قدره الفرد على استجابته للمنبهات الخارجية ، والمواقف المثيرة ، ومدى قدرته على تحقيق حاجاته الأنية ، وكذلك في ضوء مفهوم المناطق المتمايزة التي تختلف من فرد لاخر . كذلك من المهم ايضاً في التقويم من وجهة نظر «ليفين » كشف مستويات الحقيقة والوهم التي تسيّر الفرد. ويعد التقويم في هذه النظرية تقويما موقفياً ، ومن ثم ليس للماضي اية اعتبارات .

ج — الحاجات عند «موراي» :

اذ يعد « موراى» المخ اساس الشخصية ، يكون من الطبيعي ان انشطة المخ (وظائفه) هي التي تؤثر في سلوك الفرد . والشخص — من وجهة نظر موراي — لايمكن تقويمه الابالنظرة الشمولية عن طريق دراسة سيرة حياته ، ويستخدم في ذلك المقابلات ، والأستبيانات ، وتاريخ العائلة ،وتاريخ الحالة . ويرجع ذلك الى المفاهيم النظرية التي طرحها باعتبار ان«الانا العليا » التي تستدخل القيم والمعايير طوال الحياة : لاحظ الفرق بين مفهوم الأنا

العليا هنا والأنا العليا عند « فرويد » : كذلك لايهتم « موراي » في تقويمه للشخصية بمفهوم الصراع اذ يعد نادر الحدوث الا في حالة الانا الضعيفة . بينما الانا العادية تكون عقلانية واعية قادرة على الأختيار : لاحظ الخلاف ايضاً بين الأنا هنا والأنا عند «فرويد » التي تكون مكبّلة : وفي ضوء هذا طرح « موراي » مجموعة من الحاجات الظاهرة overt needs والكامنة covert ويتحقق السواء للفرد حين تشبع هذه الحاجات وهي كلها قابلة للقياس .

د ـ الحيوية الاجتماعية عند «جاردنر ميرفي» :

اذ يعد « ميرفي » الدافعية بمثابة شيء عضوي في الإساس داخل الأنسان واذ يعد « السمة العضوية » الوحدة الأساسية في بناء الشخصية، وهي تتكون بخبرات تراكمية منذ الطفولة الباكرة ، ويصاحب ذلك نسق من العادات المكتسبة والتي تتكون معرفياً وادراكيا لازالة توترات الفرد ، ومواجهة مشكلات الحياة عن طريق مايسميه « بالدور » وهو الأسلوب المتميز للفرد الذي يواجه به خفض توتراته ، من ثم يكون تقويم الشخصية عنده تقويماً ديناميا ، ووظيفيا ، خصوصاً وان هناك مسالك اوقنوات تقوم بعمل البدائل اذا ماتعثر الأشباع .

مناهج تقويم الشخصية :

اولا : القياس السيكومتري (القياس النفسي) Psychometry

يعد القياس السيكومتري (المعيار السيكومتري) من اكثر المقاييس انتشاراً في العلوم النفسية والتربوية . ويسمى هذا المعيار احيانا (معياري المرجع)، Norm-referencedويعني هذا النوع من القياس مقارنة الشخص بالمتوسط الشائع في الأخرين ، ازاء مايراد قياسه من ظواهر كالطول،الوزن ، الذكاء

الأمانة ، العدوان ... الخ ويعني هذا ان تفسير درجة الفرد تكون محكومة بموقعه بالنسبة للجماعة التي ينخرط فيها . ويمكن عرض بعض ميزات هذا النوع من المقاييس السيكومترية والتي تتمثل اساسا في موضوعية القياس ، وفي امكانية التأكد من ثبات هذا المقياس بطرق مختلفة، وكذلك التأكد من صدقه بطرق متعددة، كما يتسم هذا النوع بقدرته على التمييز بين الأفراد في الجماعة الواحدة ، ازاء الظواهر المتباينة المراد قياسها .

الا ان لهذا النوع من القياس بعض العيوب وقد ابرزها « جليسر » ١٩٦٣ Glaser وتتلخص في ماياتي :

١ – الأساس النظري للقياس السيكومتري يرتكز في الأصل على مفهوم الفروق الفردية بين الناس، وبذلك فهو يهمل أهمية القياس في تحقيق اهداف اخرى كثيرة اودينامات مختلفة للشخص الفرد .

٢ – يعتبر هذا القياس الجماعة بعدها المحك الوحيد لتفسير الدرجات التي يحصل عليها الفرد ، ويهمل ايضاً موقع الفرد بالنسبة لتحقيق الأهداف المتوخاة .

٣ – يرتكز ايضاً هذا النوع من القياس على المفهوم الخاص بالتوزيع ، الأعتدالي او «الهرمي » او « الجرسي » Normal distribution ويعد هذا المنحنى صالحاً فقط في حالات العينات الكبيرة العشوائية ، واستخدامه في قضايا التعليم يواجهه بعض المآخذ لاننا نهمل بالضرورة اهداف التعلم ، والمستويات المطلوب الوصول اليها . كذا الحال في استخدامه في تقويم الشخصية .

ثانياً : القياس الاديومتري (القياس التربوي) : Edumetry

يعد هذا النوع من القياس(محكى المرجع) Criterion-referenced

برز هذا النوع من القياس عقب الهجوم على القياس السيكومتري منذ عام ١٩٦٣ ، ويعد المحك الخارجيّ هو المحدد له . اي انه يهمل الجماعة كمحك ويضع بدلا منها مجموعة من الأهداف يرى المربي ضرورة تحقيقها ، والذي يستطيع ان يصل اليها عن طريق المقياس ، ويتسم باتقان هدف المقياس نفسه ، اي يصل الفرد الى التعلم المتقن Mastery learning وقد شاعت مجموعة كبيرة من الأختبارات محكية المرجع ، والبؤرة تكمن في هذه الأنواع في مدى مايستطيع الفرد تحقيقه ، اوما يستطيع تأديته بغض النظر عن موقعه بالنسبة للاخرين . وقد اشارت (انستازي) في كتابها المشهور ، «الأختبارات النفسية » (الطبعة الرابعة) ١٩٧٦ لاول مرة لاهمية القياس الأديومتري .

وهناك بعض المآخذ على هذا النوع من القياس ، ولكنها لاتقارن بالمآخذ الموجودة في القياس السيكومتري . ويمكن تلخيص هذه المآخذ في : قصور بعض الأساليب الأحصائية في معالجة نتائج القياس الأديومتري ، كذلك شيوع مفاهيم سابقة ومتخلفة خصوصاً في دول العالم الثالث ، اذ تعد هذه المفاهيم ان القياس يعني المقارنة بالاخر ، اكثر مما يعني مايستطيع ان يحققه الفرد من انجاز ، وفي هذا اهمال تام لاهداف التعليم ومستوياته . ويؤكد هذا التصور المتدني الملاحظ في التعليم بعامة في الأقطار التي تقتصر في قياسها لنجاح افرادها في سلم التعليم وكذا في الجامعة على المعيار السيكومتري .

ادوات قياس الشخصية :

اولا : تطور ادوات الشخصية :

يعد قياس الشخصية من التطورات الحديثة في ميدان القياس بعامة ولايعني هـــذا عـــدم وجـــود محـــاولات لقياسها في الأزمنة البعيدة اذ ان محـــاولات كالتـــنجيم Astrology والفراســـة وقـــراءة الخـــط ، كانـــت كلـــها محـــاولات غيـــر علـــمية لقياس الشخصية.

ومن المحاولات القديمة ايضاً ماحاوله « كرابلن »١٨٩٢ Krapelin التي حاول فيها استخدام طريقة تداعي المعاني مع مرضاه ، كذلك محاولات سومر Sommer في اواخر القرن التاسع عشر ، اذ حاول ان يستخـــدم تداعي المعاني من جانب المرضى ، للتفرقة بين الأضطرابات العقلية المختلفة ، كذلك من المحاولات القديمة ايضاً مساهمات « جالتون » Galton في اواخر القرن التاسع عشر ايضاً وذلك بوضع البذور الأولى لمقاييس التقدير . وقد سبق القياس في المجال العقلي ، كما يتمثل في قياس الذكاء والقدرات المختلفة منذ « بينيه » Binet ١٩٠٥ « وسبيرمان » Spearman و«سيرل بيرت » Cyrl Burt وغيرهم من علماء القياس العقلي ، القياس في مجال الشخصية .

بدأ القياس الفعلي لجوانب الشخصية منذ الحرب العالمية الأولى ، اذ قام وودورث ١٩١٧ Woodworth بتقديم قائمة تحتوي على ١١٦ فقرة لقياس الشخصية ، صيغت في شكل اسئلة يجاب عنها بنعم او لا طبقت هذه القائمة على المجندين خلال الحرب ، لقياس مجموعـــة الأضطرابات النفسية والعقلية بينهم كما تتمثل في : المخاوف ، الوساوس ، الأفكار التسلطيـــة الأعراض السيكوباثية ... الخ ويصنف المجندون وفق هذه القائمة لبحث مقدرتهم على الأستمرار في الحرب . وفيعام ١٩٢٤ وضع « فرايد وهيدبريدر

Freyd & Heidbreder اختباراً للشخصية صنف فيه الأفراد الى فئتين (المنبسطين والمنطويين) وذلك في ضوء تقسيم يونج Young ، كذلك قدم اولبورت Allport ١٩٢٨ مقياسا (للسيطرة – الخنوع Ascendance Submission ·

كما ظهرت تصنيفات متعددة لانواع الأختبارات في الشخصية . وساد مفهوم الأختبارات احادية البعد Undimensional Tests وهي التي تعني بقياس « سمة واحدة » او « خاصية واحدة للشخصية ، كذلك ظهرت مجموعة اخرى من الأختبارات ذات الأبعاد المتعددة Multi dimensional Tests وهي التي تقيس اكثرمن سمة اوخاصية للشخصية. وهدفت معظم هذه الأختبارات الى عملية الأنتقاء وفق مطالب الأعمال المختلفة والوظائف المتباينة ، وكذلك استخدمت في عمليات التوجيه والأرشاد في المجالين التربوي والمهني .

وبالنسبة للعيادات السيكولوجية شاعت اختبارات التشخيص Diagnostic Tests التي افادت في مجال الأرشاد والعلاج النفسي ، وفي عام ١٩٦٠ قسم كرونباك « Cronbach المقاييس النفسية الى قسمين هما:

١– مقاييس الأداء الأقصى Maximum Performance Tests

وهي انواع من المقاييس تستخدم لمعرفة اعلى اداء يمكن ان يصله الفرد . ويعبر عن اقصى ماوصلت اليه قدراته، وتتركز هذه الأختبارات في الجانب العقلي اختبارات الذكاء والقدرات العقلية والمهارات الحركية ..... الخ

اما فيما يتعلق بالقياس بالنسبة للشخصية فقد قدمه « كرونباك » على اساس قياس الأداء المميز .

٢ ـ مقاييس الأداء المميز : Typical Performance Tests

وهي انواع من المقاييس تستخدم لمعرفة السلوك المميز للشخص في موقف ما ، او في مواقف متعددة ، وتقسم هذه الأنواع من المقاييس الى :

١ ـ التقرير الذاتي . Self report

ب ـ احكام الأخرين والملاحظة المنظمة

Judgments and systematic observation

جـ ـ اختبارات الأداء Performance Tests

تلي ذلك العديد والعديد من مقاييس الشخصية ، التي يصعب حصرها واصبح هناك الأن اكثر من بطارية لمقاييس الشخصية ، تصنف وفق اسس السيكومتري ، والأخرى التي يمكن ان تستخدم ضمن القياس التربومتري ، والثالثة التي يمكن استخدامها ضمن الأدوات الكلينيكية والأسقاطية .

ويعني هذا ان ثمة عشرات من الأختبارات والمقاييس يمكن ان تتبادل مواقعها. اذ ان المحدد فيما اذا كان الأختبار اوالمقياس سيكومتريا ، أو يومتريا أو كلينيكيا ليس فحسب وفق الفحوى اوالمحتوى ، الجزئية اوالكليه ، الظاهر من الشخصية اواعماقها ، حاضر الشخصية (هنا والأن) أم تراكم خبراتها (ماضيها) وتأثيره في حاضرها ...

ولكن الأكثر اهمية وحسما هوتحديد الهدف من التقويم ، اذ ان الهدف هو الذي يحدد بالدقة معايير التقويم في الشخصية ،فاذا كان الهدف من تقويم الشخصية هومقارنة شخص بالجماعة المرجعية التي ينخرط فيها ، لمعرفة أين يقع بالنسبة للاخرين في نفس الجماعة ، ازاء « سمة » معينة من السمات المتعددة التي تصف الشخصية ، والتي في ضوءها يتم انتقاء شخص اواستبعاده

وفق مطالب محددة ، فان تفسير درجات الأختبار المعدة لذلك يدخل تحت باب الأدوات السيكومترية .

واذا كان الهدف من تقويم الشخص هو معرفة موقع الفرد بالنسبة «لمحك خارجي » ، اذ تكشف الأداة المستخدمة عن مدى قرب الشخص من هذا المحك اوبعده عنه ، (اتقان مهارة ما ، وجود اتجاه ايجابي قوي نحو ، وجود مستوى متقدم من قيمة معينة ...) ، فيكون تفسير درجات هذا ، الأختبار المعد لذلك يدخل تحت باب الأدوات « الأديومترية » .

واذا كان الهدف من تقويم الشخصية معرفة موضع الفرد بالنسبة لنفسه بين وقت واخر (مدى تقدمه في العلاج مثلا ، زيادة درجة توافقه الشخصي اوالأجتماعي بمرور الوقت ، اختفاء اواختزال لبعض الأعراض المرضية في العصاب مثلا ...) ، فان تفسير درجات الشخص لمعرفة معدل النمو او الكسب اومدى التغير الحادث له في الأتجاه المرغوب ، يدخل ايضاً تحت باب الأدوات « الأديومترية» .

واذا كان الهدف من تقويم الشخصية هو تشخيص الحالة diagnosis وتتبع سير المرض prognosis ،فان الأداة المناسبة تدخل في باب الأ دوات الكلينيكية .

والمعروف ان استخدام اكثر من اداة يثرى عملية التقويم ذاتها وقد دعى هذا « مخيمر » الى نحت مصطلح (الكلينكية) المسلحة) ويعني بهذا المصطلح استخدام ادوات كلينيكية وادوات سيكومترية معا ... الأداة الكلينيكية لسبر الأغوار ، وتستقريء الديناميات ، وتبحث عن المكنون في اللاشعور .. والأداة السيكومترية تقيس الظاهر والجزئي من السلوك كي يتمكن «المختبر » tester من وضع «المختبر testee في سلم بين أقرانه يسبقه

عدد كذا ، ويتلوه عدد كذا ، وفق منحنى « التوزيع الأعتدالي » (الناموسي) .

وعليه يمكن ان تستخدم الأدوات السيكولوجية وهي تتبادل مواضعها ، وفق رؤى المختبر ووفق اهداف التقويم .

ثانيا : أدوات سكومترية :

آ- اختبار منيسونا المتعدد الأوجه : (M.M.P.I) :

يمكن ان يعد هذا المقياس أداة سيكومترية كمايمكن ان يعد أداة كلينيكية وضعه كل من العالم النفسي « ستارك هاثاواي » Stark Hathaway عام ١٩٤٠ بالاشتراك مع الطبيب النفسي « ماكينلي» G.C. Mckinley (ويطبق فرديا وجمعياً) .

ويتكون هذا الأختبار من عشرة مقاييس جزئية تمتد على (٥٥٠) «عنصراً Items وتكاد تنسحب لتغطي جميع المجالات ، وتستقريء مختلف الأتجاهات واذا طبق الأختبار في صورة جمعية فيضاف اليه (١٦) عنصراً آخراً ، فيصبح عددعناصره (٥٦٦) عنصراً . وتقيس العناصر الأخيرة مسائل فنية كالكذب والتناقض وخلافه . وفيما يلي تصنيف للعشرة أقسام :

١ - توهم المرضى (الهيبوكوندريا)

ويشير هذا القسم الى توهم المرضى مثل : تنفسي يضايقني ، عيناي ، تؤلماني من القراءة ، أشعر بصداع مستمر ....

٢ - الأكتئاب : ويتمثل في زيادة الأحساس بالقلق وعدم الثقة بالنفس ، وتتضمن عباراته عناصر مثل : الحياة ليست لها قيمة بالنسبة لي ، لا يعنيني مايدور حولي.

٣ ــ «الأنطواء» ويتمثل في : اتحاشى الناس قدر استطاعتي ، ابذل جهداً كي اخفي خجلي .

٤ ــ «السيكوباثية» : وتتمثل في عدم الأهتمام بالمعايير الأجتماعية ،البلادة في الأستجابة الأنفعالية ، وتحتوي عناصره على : لايهمني مايظنه الناس عني ، لاتعنيني المعايير الأجتماعية .

٥ ــ «الذكورة والأنوثة » : ويكشف الأختبار عن مدى توفر سمة الأنوثة في الرجال والعكس صحيح .

٦ ــ «السيكاستينيا » : وتتمثل في مخاوف هائمة ووساوس : اخاف احيانا من ان انشطر ، اعاني من نوبات ضحك اوبكاء لايمكنني ضبطها .

٧ ــ «الهستيريا» وتتمثل في احاسيس مختلفة في الجسم ، ونوبات غضب حادة كأستجابة لمثيرات تافهة وتحويلات جسدية .

٨ ــ «الهوس» : ويتمثل في هياج يصعب السيطرة عليه ، ونوبات فرح غامر ورقص تو ارد لاخطار كثيرة لايعبر عنها .

٩ ــ «البارنويا » : وتتمثل في الشك والحساسية المسرفة للنقد : هناك من يتتبعني ، تحاك ضدي المؤامرات .

١٠ ــ «الفصام » (الشيزوفرانيا) وتتمثل في تفكك في الأدراك وفي الذاكرة وفي التفكير ، كذلك هناك هلوسات .

(انظر الترجمة لهذا المقياس من اعداد عطية هنا، عماد اسماعيل، لويس كامل ملكية) .

ب- اختبار برنرويتر للشخصية Bernreuter Personality Inventory

أنشأ « برنرويتر » هذا المقياس عام ١٩٣٢ وهو يكشف عن «العصابية» الأعتماد على الذات ، والأنطواء ، والأنبساط ، والسيطرة والخنوع ، ويتكون من (١٢٥) سؤالا يجاب عن كل منها بنعم او لا او لا أدري من امثلة الأسئلة

- هل تتجنب استشارة غيرك عادة ؟
- هل يكثر ورود افكار الى رأسك بدرجة تمنعك من النوم ؟
- هل تميل الى الرياضة أكثر مما تميل الى الأمور الفكرية ؟

(انظر صلاح مخيمر : سيكولوجية الشخصية) ١٩٧٢ .

جـ- قائمة الصفات الشخصية The Adjective checklist (ACL)

اعداد: هـ. جوخ . H. Grough

ترجمة عبدالرحيم بخيت عبدالرحيم ١٩٨٧

تتضمن هذه القائمة (٣٠٠) صفة تغطي خمس مجموعات وهي :

١- مقاييس طريقة الأجراء (عدد الصفات المختارة ، عدد الصفات المفضلة ، عدد الصفات غير المفضلة ، درجة الشيوع) .

٢- مقاييس الحاجات (الحاجة الى الأنجاز ، السيطرة ،الصمود ،الألتزام التفكير ، خدمة الأخرين ، الأنتماء ، الجنسية الغيرية ، الأستعراض الأستقلالية ، العدوان ، التغيير، الأعانة ، الأستكانة ، والحاجة الى الأنقياد - « الأذعان ») .

٣- المقاييس الموضوعية (الأستعداد الى الأرشاد ، التحكم الذاتي ،الثقة التوافق الشخصي ، الذات المثالية ، الشخصية المبتكرة ،القيادة العسكرية الذكورة ،والأنوثة) .

٤ـ مقاييس تحليل العلاقات المتبادلة (الوالد الناقد ،الوالد المحافظ ، الراشد الطفل الحر ، الطفل المتكيف .

٥ ـ مقاييس الأصالة ـ الذكاء (مرتفع الأصالة ، منخفض الذكاء ،مرتفع الأصالة ، مرتفع الذكاء ،منخفض الأصالة منخفض الذكاء ،منخفض الأصالة مرتفع الذكاء) .

د ـ اختبار تفضيل الشكل « قياس الشخصية » Figure Preference Test

اعداد جورج ولش G. Welsh

ترجمة عبدالرحيم بخيت عبدالرحيم ١٩٨٨ .

يتضمن مجموعة من المقاييس الفرعية هي :

١ ـ مقاييس الذكورة والأنوثة (٧٦ شكلا) .

٢ ـ مقياس الأصالة (٩٣ شكلاً)

٣ ـ مقياس الذكاء (٦٩ شكلا) .

٤ ـ مقياس الأصالة للفنون (٦٢ شكلا) .

٥ ـ مقياس العصاب النفسي (٤٠ شكلا) .

٦ ـ مقياس القلق وله صورتان الصورة الأصلية تتضمن (٤٠ شكلا) والصورة المعدلة تتضمن (٥١ شكلا) .

٧ ـ مقياس الكبت :الصورة الأصلية له تتضمن (٢٠ شكلا) والصورة المعدلة تتضمن (٥٣ شكلا) .

٨ ـ مقياس الطفولة ؛ ويتكون من (٥٩ شكلا) .

هـ — مقياس دراسة القيم Study of Values اعد هذا المقياس كل من « جوردن اولبورت » Gorden Allport و « فيليب فرنون » Philip vernon وجاردنر لندزي » Gardner lindzey يقوم هذا المقياس بأعتبار ان الناس يمتلكون بدرجات متباينة ست انواع من القيم هي :

١ — قيم دينية(ويبحث هذا النسق القيمي في الامور الروحية والوجدانية)

٢ — قيم سياسية (ويبحث هذا النسق فى السيطرة السياسية والتطلع نحو القوة) .

٣ — قيم اجتماعية (ويتمثل هذا النسق القيمي في تقديم الخدمات للمؤسسات الأجتماعية والإهتمام بالناس، والتعاطف معهم) .

٤ — قيم جمالية (ويتمثل في نسق من القيم يؤكد على التناسق والتناغم في الشكل العام وفي اللون وفي النغم) .

٥ — قيم اقتصادية (ويهتم هذا النسق القيمي بكل ماهو عملي ووظيفي وله عائد مفيد) .

٦ — قيم نظرية (ويتضمن هذا النسق القيمي كل مايبحث عن الحقائق والحق والقيم النظرية المختلفة) .

ويتضمن هذا المقياس مجموعة اسئلة يتم اختيارها من متعدد اذ يختار المجيب النشاط الاكثر ملائمة بالنسبة له .

امثلة لبعض الأسئلة :

س١ : افترض ان لديك قدرة كافية هل تفضل ان تكون :

آ — موظف في بنك ب — رجل سياسة

س٢: في مناقشة ليلية مع اصدقاء لك من نفس الجنس ،هل تكون أكثر اهتماماً بالحديث في :

آ- معنى الحياة ب-تطورات العلم جـ-الأدب

د- الأشتراكية والرفاهية الأجتماعية .

تعكس هذه الأسئلة قيماً خاصة تتضح في استجابة الفرد بالفقرة (آ) من السؤال الأول مثلا تعبر عن قيمة اقتصاديه بينما الفقرة (ب) تشير الى قيمة سياسية.

وبالنسبة للسؤال الثاني تشير الفقرة (آ) الى قيمة دينية، والفقرة (ب) الى قيمة نظرية،والفقرة(ج) الى قيمة جمالية، والفقرة (د) الى قيمة اجتماعية .

ويلاحظ ان الأختيار من سؤال واحد لايكفي للحكم ، بل ينبغي ان يستغرق الفرد جميع الأسئلة بحيث تتم مقارنة الدرجات الكلية التي يحصل عليها الأفراد، بالنسبة لكل قيمة من القيم، وهناك ثمة مجموعة من المعايير التي تضع الشخص في مرتبة اقل أو أكثر من المتوسط ، في ضوء المجموعة المرجعية التي ينخرط فيها الشخص .

انظر : Allport, G.W. Vernon, P.E., Lindzey, G. "Study of Values' 3rded., 1960.

و- اختبار عوامل الشخصية للراشدين : (16 P.F.)

وضعه «رايموند كاتل» Raymond Cattel

وترجمه عطية هنا، سيد غنيم، عبد السلام عبد الغفار عام ١٩٧٣.يقيس هذا الأختبار ١٦ عاملا من العوامل التي تميز الشخصية والفكرة من وراءه أنه يصعب الحكم على الشخصية بأستغراق سمة او سمتين فقط في مقياس ولكن قام كاتل بإيجاد مجموعة عوامل (بمنهج التحليل العاملي) تجمع

العديد من السمات في الشخصية.ويمكن تطبيق هذا الأختيار بطريقة جمعية. وكذلك بطريقة فردية، كذلك يمكن ان يوظف هذا الأختبار بحيث يعد اداة سيكومترية، وفي الوقت نفسه يمكن عده اداة كلينيكية.

وفيما يلي العوامل الستة عشر التي يقيسها هذا الأختبار وهي :

عوامل ذات قطبين« "bipolar" » ويعبر عن الدرجات المرتفعة بالعلامة (+) كما يعبر عن الدرجات المنخفضة بالعلامة (—) :

العامل آ	: الدرجة المرتفعة	(+)	السيكوثيميا	(اجتماعي، سهل المعاشرة)
	الدرجة المنخفضة	(—)	الشيزوثيميا	(منعزل — جامد)
العامل ب	: الدرجة المرتفعة	(+)	الذكاء العام	(مثابر — ذو ضمير)
	الدرجة المنخفضة	(—)	الغباء	(غير مثابر — ضعيف الخلق)
العامل ج	: الدرجة المرتفعة	(+)	الثبوت الانفعالي وقوة الانا	(ناضج — هادىء)
	الدرجة المنخفضة	(—)	عدم الاتزان الانفعالي وضعف الانا	(غير ناضج — منفعل)
العامل د	: الدرجة المرتفعة	(+)	السيطرة	(عدواني يحب المنافسة)
	الدرجة المنخفضة	(—)	الخضوع	(وديع)
العامل هـ	: الدرجة المرتفعة	(+)	غير الجاد	(مبتهج)
	الدرجة المنخفضة	(—)	جاد	(وقور)
العامل و	: الدرجة المرتفعة	(+)	قوة الخلق (الانا العليا)	(مثابر — قوي العزيمة)
	الدرجة المنخفضة	(—)	ضعف المعايير الداخلية	(غير مثابر — لا يعتمد عليه)
العامل ز	: الدرجة المرتفعة	(+)	الأقدام	(مخاطر — صلب)
	الدرجة المنخفضة	(—)	الأحجام	(خجول — جبان)

العامل ح:	الدرجة المرتفعة (+)	حساس	(خيالي – رقيق)
	الدرجة المنخفضة (–)	صلب واقعي	(متحجر المشاعر – فظ)
العامل ط:	الدرجة المرتفعة (+)	الشك	(الإحساس بالعظمة)
			الإحساس – بالآضطهاد)
	الدرجة المنخفضة (–)	الأطمئنان	(الواقعية والأسترخاء)
العامل ي:	الدرجة المرتفعة (+)	خيالي	(بوهيمي منطوي)
	الدرجة المنخفضة (–)	واقعي	(عملي يهتم بالحقائق)
العامل ك:	الدرجة المرتفعة (+)	التبصر	(المرونة واليقظة)
	الدرجة المنخفضة (–)	السذاجة	(التصلب والجمود)
العامل ل:	الدرجة المرتفعة (+)	الميل للشعور بالاثم	(التقلب المزاجي – الآرق)
	الدرجة المنخفضة (–)	الثقة بالنفس	(الإحساس – بالمسؤولية والهدوء)
العامل م[1]:	الدرجة المرتفعة (+)	التحرر	(يهتم بالعلم أكثر من الدين – تفكير تحليلي)
	الدرجة المنخفضة (–)	المحافظة	(يحافظ على ماهو قائم – تقليدي)
العامل م٢:	الدرجة المرتفعة (+)	الأكتفاء الذاتي	(يعتمد على نفسه في تقدير الأمور)
	الدرجة المنخفضة (–)	الاعتماد على الجماعة	(يساير الجماعة ويعتمد عليها)
العامل م/٣:	الدرجة المرتفعة (+)	قوة التكوين العاطفي الذات	(ضبط النفس – الطموح)

	الدرجة المنخفضة (–)	ضعف التكوين العاطفي نحو الذات	(عدم القدرة على ضبط النفس)
العامل م٤ :	الدرجة المرتفعة (+)	شدة التوتر الدافعي	(قلق سريع الاستثارة)
	الدرجة المنخفضة (–)	ضعف التوتر الدافعي	(بليد ضعيف الأستثارة)

ثالثاً : ادوات اديومترية (تريومترية) :

آ– مقياس الشخصية الشاملOmnibus Personality Inventory

اعده« بول هست»و«جورج يونيج » Paul Heist & George Younge عام ١٩٦٨ ترجمة جابر عبد الحميد وسليمان الخضري الشيخ عام ١٩٧٨ يرتكز المقياس على اساسين مهمين هما الطبيعة النمائية للإنسان ، والسياق الأجتماعي الذي يتم فيه السلوك ، ويعني هذا ان سلوك الفرد يتم في ضوء الأمكانات المتاحة، وفي ضوء الأهداف المطلوبة تحقيقها .

والمقياس يتضمن اربعة عشر مقياساً فرعياً تكون بروفيلا نفسياً للشخص، ويمكن لنتائجه في ضوء مجموعة الأهداف التي يراد ان يصل اليها الفرد، او في ضوء المحكات التي يرى الأقتراب منها. يمكن لهذا المقياس وضع صورة فهمية لمكونات الشخص وامكاناته امام صاحب القرار . والمقاييس الفرعية هي :–

١ – الانطواء التأملي : Thinking Introversion

الدرجات المرتفعة في هذا المقياس تشير الى التفكير التأملي والنشاط الأكاديمي في مجالات الأداب والفنون والفلسفة . وعلى العكس فإن ذوي الدرجات المنخفضة (الإنبساط التأملي) فهم يظهرون تفضيلا للعمل الظاهر ذو التطبيقات العملية المباشرة . وعدد عناصر هذا المقياس (٤٣) عنصراً

٢ ـ التوجه النظري : Theoretical orientation

الحاصلون على درجات مرتفعة يظهرون تفضيلا لمعالجة الأمور النظرية واستخدام المنهج العلمي، ويتسمون بالمنطق ، والقدرة على التحليل الناقد ، وعدد عناصر هذا المقياس (٣٣) عنصراً .

٣ ـ التوجه الجمالي : Esthetic orientation

تشير الدرجات المرتفعة في هذا المقياس على توجه اصحابها نحو الموضوعات والأنشطة الفنية، ويتسمون بدرجة عالية من الحساسية ازاء ، الأستثارة الجمالية. وعدد عناصر هذا المقياس (٢٤) عنصراً .

٤ ـ التوجه نحو التعقيد : Complexity orientation

يتسم اصحاب الدرجات المرتفعة بالقدرة على تحمل الغموض، وعدم التأكد والتحديد،وهم مغرمون بالأفكار الجديدة ، ويفضلون التعامل مع الأشياء، المعقدة ،ويبحثون عن التنوع وعدد عناصر هذاالمقياس (٣٢)عنصراً

٥ ـ الاستقلالية : Autonomy

يظهر اصحاب الدرجات المرتفعة ميلا نحو الأستقلال عن السلطة المفروضة يعارضون القيود، متسامحون مع وجهات النظر التي تعارضهم ، متحررون فكرياً وسياسياً ، وعدد عناصر هذا المقياس (٤٣) عنصراً .

٦ ـ التوجه الديني Religious orientation

يشك ذوو الدرجات المرتفعة على هذا المقياس في المعتقدات والممارسات الدينية التقليدية، ولايظهرون التزاماً بها، ويتسمون بالتزمت وعدد عناصر هذا المقياس (٢٦) عنصراً .

٧ ـ التعبير الاجتماعي : Social expression

يظهر ذوو الدرجات المرتفعة ميلا لان يكونوا مع الناس يبحثون عن الأنشطة الأجتماعية، ويحققون اشباعهم منها، ويتضمن هذا المقياس (٤٠) عنصراً .

٨ ـ الاندفاع في التعبير : Impulse expression

يقيس هذا المقياس استعداداً عاماً للتعبير عن النزعات الغريزية، والبحث عن الأشباع في التفكير الواعي اوالفعل الظاهر ، ويتميز ذوو الدرجات المرتفعة بالخيال النشط ، ويعملون من قيمة الأستجابات الحسية ، وعناصره (٥٩) عنصراً .

٩ ـ التكامل الشخصي : Personal integration

يتسم ذوو الدرجات المرتفعة بسمات الأغتراب alienation اوالمضطربون انفعالياً ،ويتكون المقياس من (٥٥) عنصراً .

١٠ ـ مستوى القلق : Anxiety level

يفكر ذوو الدرجات المرتفعة ان لديهم اعراض قلق ، ولايعترفون بأنهم عصبيون اومتوترون، اي ان الدرجات المرتفعة تدل على مستوى منخفض من القلق ، ويتكون من (٢٠) عنصراً .

١١ ـ الغيرية : Altruism

الحاصلون على درجات مرتفعة، يتسمون بالثقة في الاخرين ، ويتسمون بالود في علاقاتهم، ولديهم اهتمام واضح بمشاعر ومصالح الاخرين ، ويتكون المقياس من (٣٦) عنصراً .

١٢ ـ النظرة العملية : Practical outlook

ذوو الدرجات المرتفعة على هذا المقياس يتسمون بالأنشطة العملية والتطبيقية

ويهتمون بقيمة الأنجازات العملية والممتلكات المادية ، والمحك المباشرلهم هو المنفعة المباشرة« "cash value" » اي القيمة الفورية، وعدد عناصر المقياس (٣٠) عنصراً .

١٣ ـ الذكورة ـ الانوثة : Masculinity-Femininity

الحاصلون من الذكور على درجات مرتفعة ينكرون الميل نحو المسائل الجمالية ، ويميلون الى المسائل العلمية ، في حين ان الدرجات المنخفضة الخاصة بالإناث تشير الى قدر أكبر من الحساسية والأنفعالية، الى جانب توافر الميول الجمالية والأجتماعية، وعدد عناصر هذا المقياس (٥٦) عنصراً.

١٤ ـ التحيز في الاستجابة : Response bias

الحاصلون على درجات مرتفعة هنا يستجيبون مظهرين افضل خصائصهم وعلى العكس من ذلك،فالذين يحصلون على درجات منخفضة يشير اصحابها الى ترك انطباع سيء عنهم ، ويتسمون باكتئاب، وعدد عناصر هذا المقياس (٢٨) عنصراً .

يصلح هذا المقياس حين يحدد المختبر«المحك» او المستوى الذي يريد ان يقارن به المختبر، اذ تحدد الدرجات المرتفعة او المنخفضة مستوى الحالة «المفحوص» ومن ثم يمكن تأويل الدرجات المتحصل عليها بما هو مطلوب في المحك الموضوع ، واذاً ان تقويم الشخصية للتوجيه او للارشاد او للعلاج كذلك تقويم الشخصية للانتقاء لاعمال اومهام معينة، يتطلب معرفة مدى قرب أو بعد الشخص عن المستوى (المحك) المطلوب،فأن مثل هذا الأختبار يضع امام صاحب القرار «بروفيلا» للشخص، وفي الوقت نفسه يضع امامه المطالب اوالخصائص اوالسمات المطلوب توافرها، والمستوى المرغوب في كل حالة ....ومن ثم يتم التطابق وليس مهماً هنا مقارنة شخص بآخر او

بالمجموعة التي ينتمي اليها ولكن المهم هنا هو مقارنته بالمستوى المطلوب او المحك او بالهدف الذي يراد تحقيقه من الإختبار .

ب – اختبار الشخصية التصنيفي (اسلوب ك– التصنيفي لقياس الشخصية)

The Q. sort method in personality assessment

من اعداد **Jack Block**

ترجمة عبد الرحيم بخيت عبد الرحيم ١٩٨٨.

يمكن هذا الأختبار القائم بتطبيقه على تحديد العبارات الأكثر وصفاً والأقل وصفاً للشخصية المتوافقة (١٣ عبارة موجبة و١٣ عبارة سالبة).ويتم التقدير الوزني لعناصر الأختبار، والتي تعد بمثابة محك مقارن لتحديد السواء النفسي للفرد، من خلال معامل الأرتباط بين التقدير الوزني لعبارات الأختبار والتقدير الذي يحصل عليه الفرد المفحوص المراد تحديد مدى ارتباطه بالتوافق النفسي . والعبارات الأكثر وصفاً والأقل وصفاً للشخصية المتوافقة هي: (من الملاحظ ان وضع المحك يراد به انتقاء شخصية تتسم بالتوافق ،واستبعاد الشخصيات غير المتوافقة) .

العناصر الاكثر وصفاً للشخصية المتوافقة

١ – ذو مقدرة لتكوين علاقات حميمة ، رحيم، حنون .

٢ – يعتمد عليه بصدق ويتحمل المسؤولية .

٣ – ذو بصيرة لدوافعه وسلوكه .

٤ – منتج ومنجز .

٥ – يقظ لطريقة تفكيره وشعوره بالاخرين .

٦ – يتصرف بأسلوب اخلاقي ثابت مع مفاهيمه الشخصية .

٧ – له قيم مستقلة وذاتية .

٨ ــ واضح في التعامل مع الاخرين .

٩ ــ يدرك لب المشكلة وجذورها .

١٠ ــ ذكاؤه مرتفع ،ومعلوماته حقيقية .

١١ ــ مسترخ في تصرفاته ، هادىء .

١٢ ــ يتصرف بروية وتؤده .

١٣ ــ له اهتمامات متنوعة .

وتشير العبارات الاقل وصفاً للشخصية المتوافقة إلى : ــ

١ ــ سيء التكيف عند مايقع في مشكلة ، غير منظم .

٢ ــ يشعر بأن الحياة مزورة وجعلته ضحية لها .

٣ ــ يعالج قلقه وصراعاته . عن طريق رفضه الاعتراف بهما ، ولديه ميول قمعية .

٤ ــ لديه شعور بان الحياة لا يعني بها .

٥ ــ انهزامي ، افعاله اقل تعقلا محبط .

٦ ــ حساس اكثر من اللازم للنقد ، خائف بصفة عامة .

٧ ــ يتجنب العلاقات الشخصية الحميمة ، ينفر منه الناس بعامة .

٨ ــ مشغول البال ، قلق .

٩ ــ ماكر ، مخادع ، انتهازي .

١٠ ــ يميل إلى التشويه والتخريب ، هدام بارع .

١١ ــ حاقد على الاخرين وعدواني .

١٢ ــ يسقط شعوره ودوافعه على الاخرين .

١٣ ــ انفعالاته يصعب التحكم فيها ، متقلب العاطفة .

وفيما يلي مثال لحالة «هستيريا» يتم تشخيصها بهدف علاجها باتباع اسلوب «ك» التصنيفي ؟. وسنقتصر في عرضها على العبارات الثلاث عشرة التي تؤكد وجود «الهستيريا» وهي : —

١ — يعالج قلقه وصراعاته عن طريق رفضه الاعتراف بهما .

٢ — متكلف ، زائف في التعبير عن ذاته .

٣ — تصرفاته تتسم بالانانية وبحل المشكلات اللحظية .

٤ — حاكم لنفسه وللاخرين تحت عبارات الشعبية ، الصالح العام ، الضغوط الاجتماعية ... الخ .

٥ — يميل إلى الدفاع عن الذات ويرفض النقد .

٦ — لا يسترح مع الاشياء المشكوك فيها والمعقدة .

٧ — يؤكد وجود الاخرين ويخشاهم .

٨ — مشغول البال ، قلق .

٩ — مهتم بوفاءه لمطالبه الشخصية على المستوى الشعوري واللاشعوري.

١٠ — يظهر قلقه وتوتره في اعراض جسمية .

١١ — يسعى بأن يجعل الاخرين مصدراً للتأكد مما يجري من حوله .

١٢ — يهتم بجسده ووظائفه العضوية .

١٣ — متزمت ، جامد .

والواقع ان هناك العديد من المقاييس الاخرى ، والتي يمكن الرجوع اليها من الكتب المختصة بالاختبارات والمقاييس ، ولكن المهم في كل الاحوال هو قدرة المطبق على توظيف ، وتفسير نتائج القياس ، بغض النظر عن طبيعة المقياس ذاته . وكلما تعددت معايير التفسير كلما ازاد ذلك من عمليتي الفهم والتفسير بالنسبة للشخصية .

رابعاً ـ ادوات كلينيكية : Clinical tools

١ ـ المقابلة الشخصية : Personal interview

تعد المقابلة الشخصية تكنيكاً واسع الانتشار في تقويم الشخصية . ويمكن من خلال المقابلة الكشف عن الكثير من جوانب السلوك الظاهر والمضمر . واحياناً ما يطلق عليها «الملاحظة بالمشاركة» Participant obser vation اذ تقوم عادة من خلال (ديالوج) dialogue بين الملاحظ (القائم بالمقابلة) interviewer والعميل client الذي تتم معه المقابلة interviewee . وينبغي ان يكون الملاحظ ، أمبائياً empathetic (اي يستطيع ان يستشف مشاعر العميل ويحس بها ويشاركه فيها) وأهم ما يجب ان تتسم به المقابلة الامانة والصدق والثقة . ويمكن للقائم بالمقابلة المتمرس ان يكشف اغوار الشخصية امامه . ويمكن تسجيل ما يدور في المقابلة ويفضل ان لا يعرف العميل ذلك حتى ينفض نفسه ، ولا ينحرج اذا ما عرف بوجود جهاز التسجيل . وعلى القائم بالمقابلة ان يلحظ حركات العميل الارادي منها واللارادي . وكذلك تعبيرات الوجه وفلتات اللسان ، حتى يكوّن صورة شبه كاملة عن شخصية العميل . ويرى «دافيدوف» ١٩٨٠ Davidov في كتابه «مدخل إلى علم النفس» الطبعة الثالثة ، انه يمكن تحليل وتفسير مادة المقابلة بصورة اكثر دقة ، وذلك بملاحظة سلوك العميل واداءاته عن طريق مرآة ذات اتجاه واحد ، ويضيف انه يمكن ايضاً ان يقوم «الحاسوب» Compute بدور القائم بالمقابلة ، اذا ما تمت برمجته في صورة اسئلة محددة يجيب عليها العميل .

والواقع ان هناك العديد من انواع المقابلات . فقد يكون الهدف من المقابلة تشخيص «حالة» حتى يضع المعالج برنامجاً للعلاج . وتسمى هذه المقابلة

الكلينيكيـــة Clinical Interview (انظـر الفصـل الخامس مـن الكتـاب)
وقد يكون الهدف من المقابلة هدفاً استشارياً او هدفاً ارشادياً ، كما يطرح ذلك «اريكسون » ١٩٥٩ Erickson في كتابة «المقابلة الارشادية» The counseling interview وفي هـذا الكتـاب يقسم «اريكسون» المقابلة إلى اربعة انواع : —

آ— مقابلة خاصة بالانتقاء لوظائف معينة، بمعنى ان الهدف هنا فحص مدى صلاحية الشخص لمهنة معينة، تتناسب مع امكاناته وقدراته، وتتناسب في الوقت نفسه مع مطالب الوظيفة ، او العمل اوحتى نوع التعليم . ويهدف القائم بالمقابلة هنا الى انتقاء انسب العناصر لمصلحة الشركة، او المؤسسة التي تقوم بتعيين افراد يراد انتقاء افضلهم .

ب— مقابلة خاصة بتجميع كم من المعلومات من العميل ، وتفيد هذه المعلومات في توجيه الشخص، او مساعدته لاختبار مايناسبه، ويمكن ان يطلق عليها المقابلة التوجيهية اوالأرشادية .

جـ— مقابلة خاصة بأستيعاب التعليمات والأوامر الإدارية ، وفيها يهدف القائم بالمقابلة الى اعطاء التعليمات، والألتزام باللوائح ، ومحـاولـة تعديل سلوك العملاء، اذا كان ثمة تعارض ، أو تناقض بين سلوكهم واداءاتهم، وتلك التعليمات التي تعبر عن نظم سير العمل في هـــذه المؤسسة اوالشركة اوالمصنع وتعد المقابلة هنا بمثابة مقابلة تعليمية .

د— مقابلة خاصة بالتوجيه والإرشاد الكلينيكيين، ويكون الإساس في هذه المقابلة هو« العميل» الذي يلجأ الى القائم بالمقابلة (الموجه او المرشد النفسي) لاستشارته فيما يعن له من قضايا اومشكلات ساعيا وراء المساعدة وغالباً مايتم هذا النوع في العيادات السيكولوجية .

وهناك تقسيمات عديدة لانواع المقابلات منها المقابلة الفردية، والمقابلة الجماعية والمقابلة المقيدة بأسئلة محددة ، واقابلة الحرة الطليقة ، وهناك المقابلة العارضة ، والمقابلة المقصودة، كذلك المقابلة السطحية ، والمقابلة العميقة ..... الخ من تقسيمات لسنا بصدد اضافة تفصيلات لها لعدم اهميتها بالنسبة لاهداف هذا الكتاب .

٢ ـ الملاحظة : Observation

تقسم عادة الملاحظة الى نوعين: الملاحظة الحرة Free observation (غير المنظمة) والملاحظة المقننة (المنظمة) Systematic observation

ويستخدم النوع الأول بطريقة مباشرة عادة في الصفوف الدراسية وساحات اللعب والعيادات النفسية ، كما يستخدم في مجال نمو وتطور الأطفال والمراهقين. وفي كل الأحوال يفيد هذا النوع في معرفة انواع السلوك التلقائي في مواقف طبيعية، وقد اتبع هذا الأسلوب العالم السويسري« جان بياجيه» وذلك ليلاحظ تطور النمو المعرفي لدى الأطفال. كذلك يستخدم هـذا الأسلوب المباشر في الدراسات عبر الثقافية وقد قامت « روث بندكت» «مارجريت ميد» و«مالينوويسكي» (انظر الفصل الثاني ـ البعد الثقافي) بأستخدام هذا الأسلوب في دراساتهم للمجتمعات القبلية البدائية. ويصاحب اتباع هذا الأسلوب التعرف ايضاً على مدلولات التعبيرات المختلفة التي تصدر عن الشخص كتعبيرات الوجه وحركات الأيدي وفلتات اللسان، اذ يتم كل ذلك في مواقف غير مشروطة، اومقيدة. فلايتصنع سلوكاً ما او يمنع سلوكاً او حركة ما، اذا ماكان الظرف او الموقف مخططاً له من قبل اذ غالباً ماتتم عملية تصنع اوخداع من جانب الفرد ازاء ملاحظته .كذلك يفيد هذا الأسلوب في العيادات السيكولوجية من خلال اللعب الجماعي بين

الأطفال، فغالباً ماتعبر العابهم عن الوان من الصراعات يعيشونها، ويتم تفريغ البعض منها من خلال اللعب ، ويعد اللعب هنا بمثابة نفض (تفريغ) لهذه الصراعات .

ويستخدم النوع الثاني (الملاحظة المقننة) ، اذا ما رأى الباحث ضرورة تسجيل انواع السلوك في المواقف المختلفة ، ولابد من ان يخطط الملاحظ لمايريد بالتحديد معرفته، وعادة مايتم هذا النوع عقب النوع الأول. اذ تعد الملاحظة الحرة بمثابة استكشاف مبدئي للشخصية المراد ملاحظتها ، ثم يلي ذلك التعمق المدروس لملاحظة جوانب السلوك المراد دراسته ، ومن اشهر التكنيكات المستخدمة للتسجيل مايعرف بأسم «كراسات الملاحظة» . وفي مايلي نموذجاً لكراسة ملاحظة اعدها كل من عطية هنا وعماد اسماعيل عام ١٩٦٣ لتقدير سمات الشخصية ومميزات السلوك الأجتماعي . قسمت هذه الكراسة الى ستة اقسام : —

القسم الأول: يشتمل على بيانات عامة ومعلومات عن الأسرة .

القسم الثاني: يتضمن بيانات عن الحالة الجسمية والصحية والفسيولوجية.

القسم الثالث: يحتوي على بيانات عن القدرات العقلية والذكاء والتحصيل المدرسي.... الخ .

القسم الرابع: يتضمن مجموعة السمات الشخصية ومميزات السلوك الأجتماعي.

ويعد الأساس في هذه الكراسة ويقوم في هذا القسم بملاحظة السلوك بموجب خمس تقديرات رتبية لكل سمة من سمات الشخصية وكذا لكل سلوك اجتماعي كما يلي ثبت بهذه السمات وانواع السلوك .

١ — العناية بالمظهر الخارجي .

٢ — المباداة .

٣ ــ الثبات الأنفعالي (الأنفعالية) .

٤ ــ الضبط .

٥ ــ المرح .

٦ ــ المشاركة الوجدانية والإيجابية في حالة السرور .

٧ ــ المشاركة الوجدانية الإيجابية في حالة الالم النفسي .

٨ ــ المشاركة الوجدانية الإيجابية في حالة الالم الجسمي.

٩ ــ المشاركة الوجدانية السلبية في حالة السرور

١٠ ــ المشاركة الوجدانية السلبية في حالة الالم النفسي .

١١ ــ المشاركة الوجدانية السلبية في حالة الالم الجسمي .

١٢ ــ الأعتماد على الغير من الناحية العاطفيـة .

١٣ ــ الأجتماع مع الاخرين .

١٤ ــ القدرة على تكوين علاقة بالاخرين .

١٥ ــ رعاية الغير .

١٦ ــ حب الأستطلاع .

١٧ ــ الميل الى التملك .

١٨ ــ التركيز .

١٩ ــ الرغبة في المرح وحب الظهور .

٢٠ ــ القيادة .

٢١ ــ السيطرة .

٢٢ ــ الطاعة .

٢٣ ــ العدوان المادي .

٢٤ – العدوان اللفظي .

٢٥ – الإيثار .

٢٦ – المنافسة .

٢٧ – الغيرة .

٢٨ – الحماس .

٢٩ – الشجاعة .

٣٠ – المثابرة .

٣١ – الإحساس بالنقد .

٣٢ – تقدير الذات .

القسم الخامس: ويشتمل على مجموعة من الملاحظات العامة(متنوعات)

القسم السادس: ويشتمل على النواحي الملاحظة كالاضطرابات النفسية التي لوحظت على الفرد موضوع الملاحظة .

من مميزات هذه الكراسة صياغة السمات فيها بطريقة اجرائية مما يسهل على الملاحظ عملية التقويم، كذلك امام كل سمة خمس بدائل اورتب بحيث يتمكن الملاحظ من تحديد درجة هذه الصفة اوشدتها . وحين تطبق هذه الكراسة لابد وان تستمر فترة الملاحظة لمدد طويلة نسبياً حيث تتاح للملاحظ الفرص الكافية لملاحظة الفرد وتقويم السلوك لديه في أكثر من موقف .

ثمة كراسات اخرى وبطاقات للتقويم نذكر على سبيل المثال منها: بطاقة تقويم الشخصية. اقتباس محمد عمادالدين اسماعيل وسيد عبد الحميدمرسي.

بطاقة تقويم المدرس من اعداد احمد زكي صالح ...

بطاقة تقويم المعلم في المدرسة الثانوية اعداد عزيز حنا داود ..

ثمة مجموعة من الشروط المهمة التي ينبغي مراعاتها عند اتباع اسلوب الملاحظة :ـ

آـ شروط موضوعية Objective conditions

وتتمثل في استخدام الملاحظة وفق نظام خاص تحدد فيه الجوانب التي يراد ملاحظتها ، كذلك ينبغي ان تسجل المعلومات آنياً حتى لاينسى الملاحظ مايذكر اذا ماتركت الأمور على اعنتها، كما ينبغي ان لايتأثر بالأنطباعات المسبقة او يتأثر بالهالة halo effect

ب ـ شروط سيكولوجية Psychological conditions

يطرح «فان دالين» Van Dalen اربعة عوامل سيكولوجية ، ويحث الملاحظ على اتباعها حين يؤدي هذه المهمة وتتمثل في :«الأنتباه» ويعده «دالين» شرطاً مهماً للملاحظة الناجحة، حتى لاتفوت الملاحظ اية بادرة او شيء عارض اوحتى ملامح تتضح في تصرفات الشخص الملاحظ. كذلك يشير «دالين» الى اهمية سلامة حواس الملاحظ بحيث يستطيع ان يسمع ويرى بدقة كل مايجري امامه من احداث ، والعامل الثالث هونضج عملية الإدراك لدى الملاحظ، حيث يتمثل ذلك في قدرته على تأويل (تفسير) كل مايجري امامه من احداث. ويختتم دالين عوامله الأربعة بقدرة الملاحظ على التصور بحيث يستطيع ان يرسم صورة دقيقة لحالة الشخص الذي يلاحظه ؛حيث تتكامل جوانب الرؤية الدقيقة لكل مايجري امامه من احداث ويشير «جيلفورد» ١٩٥٩ Guilford الى ثلاثة طرق عادة ماتتبع اثناء استخدام تكنيك الملاحظة وهي : «عن سيد غنيم ١٩٧٥. سيكولوجية الشخصية، محدداتها قياسها ، نظرياتها» .

آـ طريقة العينة الزمنية :

يتم بموجب هذه الطريقة ملاحظة الشخص على مدى فترة زمنية معينة

قد تكون فترة قصيرة (عدة ثوان) او قد تكون فترة طويلة (عدة ساعات) وذلك وفقاً لنوع السلوك الملاحظ ، والهدف من الملاحظة، وعدد الملاحظات المطلوبة وقد تتركز الملاحظات في يوم واحد، اوقد تتوزع على عدة اشهر اوسنوات .

ب ـ طريقة عينة الحدوث :

فبدلا من ملاحظة السلوك في مواقف مختلفة ،يتم في هذا النوع اختيار حالات معينة من السلوك (عينة) ويلاحظ مدى تواتر حدوث هذا النوع خلال فترة زمنية قد تطول وقد تقصر

ج ـ طريقة التقارير المسجلة :

في هذه الطريقة يقوم الفرد نفسه ـ خصوصاً الراشد ـ بكتابة تقارير عن نفسه، وعن سلوكه في مواقف مختارة ، كأستجابات الغضب لديه ، وفترات القلق .... الخ وهذا الأسلوب لايتسم بالعلمية ، فقد تصبح مثل تلك التقارير مجرد مذكرات يومية بتسلسل الأحداث ، وقد يغفل تسجيل اشياء تعد مهمة من وجهة نظر السيكولوجي .

٣ ـ تاريخ الحالة : Case history

يساعد هذا التكنيك في تجميع اكبر كم ممكن من المعلومات عن الحالة المراد دراستها ، وعادة ما يستخدم لفظ «العميل» Client وهو المريض المراد دراسته . واحياناً ما يسمى هذا التكنيك بتاريخ الحياة Life history وقد يكون بعض المعلومات عن تاريخ الحالة موثقة في سجلات كالبطاقات المدرسية التراكمية ، وقد تكون هناك معلومات يتحصل عليها من شهود ، كافراد الاسرة ، الاقارب ، الاصدقاء ، الاقران في المدرسة او العمل ... والمهم في كل ذلك أنه كلما كثرت مصادر تجميع هذه المعلومات كلما

افاد ذلك في عملية التشخيص . ويزاوج بعض السيكولوجيين بين «تاريخ الحالة» و «دراسة الحالة» Case study منهم على سبيل المثال «موراي» Murray وثورن Thorne و«شافر» Schafer ، بينما يرى البعض الاخر ان هناك فرقاً بينهما مثل «سترانج» Strang و «تراكسلر» Traxler وزيور ، ومخيمر والزيادي ، والفرق يكمن في ان تاريخ الحالة تقتصر على جمع المعلومات المحايدة مهما تعددت الطرق والوسائل ، بينما دراسة الحالة فتشمل كل المعلومات التي نجمعها عن العميل، ويتضمن ذلك المعلومات المستقاة عن تاريخ الحالة ، ويضاف اليها معلومات اخرى مقصودة ، قد تتم من خلال المقابلات الشخصية الكلينيكية مع العميل ، وكذا المعلومات المتحصل عليها نتيجة تطبيق مجموعة من الاختبارات والمقاييس عليه، بالاضافة إلى الملاحظة المنظمة لسلوك المريض وغير ذلك من تكنيكات .

وتساعد دراسة «تاريخ الحالة» في فهم سلوك المريض ، وتطور هذا السلوك فالاضطراب في السلوك الحالي لن يتأتى فهمه الا بالرجوع إلى خبرات المريض السابقة ، وقد اشار «فرويد» في اكثر من موضع إلى أن «العصاب» ينشأ — كفرع من سوء التوافق — اثناء مرحلة الطفولة اي اثناء صراع الطفل بين ما يحبه ويشبع حاجاته ، وبين مالا يحبه ويسبب له الاحباط . وقد اشارت «هورني» إلى حاجات العصابي باقسامها الثلاث . اذ يعود كل قسم إلى مراحل باكرة في نمو الطفل وإلى خبرات الاشباع — احباط ، في مراحل مهمة اثناء تنشئته اجتماعياً . وعلية ولكي نصل الى فهم علمي لسلوك العصابي الراشد لابد من الرجوع إلى ماضيه لدراسة البناء الشخصي له وديناميات هذا البناء مما يلقي الضوء بدوره على المسالك الحالية . واذا استطاع المعالج تبصير المريض بالاسباب الاولى التي سببت له عصابه ، امكن وضع اولى لبنات

العلاج وكل ذلك لن يتأتى الا بدراسة تاريخ الحالة ومع ميل معظم الكلينيكيين إلى عد دراسة تاريخ الحالة من «الفنيات» المهمة في التشخيص ، الا ان هناك فريقاً منهم ، يضع بدائل لهذه «الفنيه» اذ يعد الحصول على معلومات وافية عن تاريخ الحالة من الصعوبة بمكان ، وستكون هناك فراغات يصعب ملئها ، في الوقت الذي يمكن فيه تخطي هذا العيب من خلال «المقابلات العلاجية» من بين هؤلاء يبرز «كارل روجرز» Carl Rogers مؤسس مدرسة العلاج غير الموجه ، أو العلاج «المتمركز حول العميل»

Clinet centered Therapy ويقول «روجرز» ان المريض يمكنه اثناء المقابلات العلاجية ان يذكر كل خبراته السابقة،وسيكون بالضرورة اكثر صدقاً وامانة مما لو ادلى بها مسبقاً في المقابلة الاولى حين يتم تجميع بيانات عن تاريخه والمعروف عن طريقة «روجرز» ان يلقي بمسؤوليته العلاج والشفاء على المريض نفسه ، ويقوم المعالج بتوضيح ما استغلق فهمه على المريض ، وحين يستبصر المريض بمشكلاته وجذور هذه المشكلات بمساعدة المعالج ، يحاول مجاهداً تغير شخصيته وحل مشكلاته .

وفي كل الاحوال فدراسة تاريخ الحالة — ومع كل ميزاتها — تواجه بعض المآخذ منها : ضيق الوقت بحيث يصعب استيفاء كل ما نود الحصول عليه من معلومات في فترة زمنية محددة ، كذلك قد تواجه بعدم صدق المعلومات اذ ان استرجاع المعلومات او الخبرات السابقة يكون محكوماً عادة بنوعين من الكف :

الكف التصعيدي Proactive Inhibition

والكف الترجيعي Retroactive Inhibition

(انظر الفصل الخامس من الكتاب)

وعادة مايحدث كلا الكفين عند محاولة استرجاع اوتذكر خبرة اومعلومة في ماضي الشخص. فقبل تأريخ هذه الخبرة أو المعلومة هناك ماض مليء ، بالخبرات والمعلومات، وبعد تأريخ هذه الخبرة او المعلومة هناك احداث لاحقة مليئة بالخبرات والمعلومات ويصبح مايريد استرجاعه الشخصي «محشوراً» بين مجموعتين من الأحداث والمدركات والمعلومات (الأسبق زمنيا والأحدث زمنياً بالنسبة لتأريخ مانريد استرجاعه) .

وقد وضع « ريتشاردز » ١٩٤٦ Richards في كتابه « علم النفس الكلينيكي الحديث» Modern clinical Psychology عدة مجالات ينبغي ان تغطيها «دراسة الحالة » وهي :—

١ — بيانات اولية مثل : السن،الجنس، الدين ، تأريخ الميلاد، الجهة المحولة اليها الحالة .

٢ — تأريخ تطور الأسرة اوبعض المعلومات عن الأبوين ، والحوادث والأمراض التي اصيبوا بها، واعمارهم عندما توفوا— اذا كانوا قد توفوا— وماهو شائع في الإسرة من عوامل وراثية .

٣ — تأريخ تطور الفرد ويتضمن :

آ— العوامل البيئية: مجالات حياة الشخص والأفراد المهتمين به وعلاقته بهم .

ب — نمو الفرد اثناء الطفولة، صعوبات النمو، التحكم في التبول العادات التي مارسها وهي مص الأصابع، قضم الأظافر ،نوبات الغضب .

جـ— الأمراض الجسمية: ظروف الولادة ، الأعراض التي اصابت الفرد .

د ـ التطور التعليمي: التوافق في المدرسة، نجاحه في التحصيل، تفوقه او تخلفه في بعض المواضيع اوالمقررات .

هـ ـ التطور المهني .

و ـ التطور النفسي، الجنس، السلوك الجنسي، الزواج، الطلاق التعامل مع الجنس الاخر .

ز ـ العلاقات الأجتماعية، العلاقات بالاخرين، سلوكه الأجتماعي

حـ ـ مشكلات الفرد النفسية والأجتماعية ..... مواقف الصراعات التي واجهها هل حاول الأنتحار مثلا ؟

(لمزيد من التفاصيل انظر الفصل الخامس) .

٤ ـ الاختبارات الاسقاطية : Projective tests

آ ـ اختبار الرورشاخ Rorschach Test

يتكون هذا الأختبار من عشر لوحات كل لوحة تمثل بقعة من الحبر متناسقة بعضها (ملون) وبعضها(ابيض واسود) وقد انتهى « رورشاخ» من بناء هذا الأختبار بعد تجريب استمر عشرة اعوام .والأختبار في اساسه يعد اختباراً ديناميأ،اذ انه يكشف عن العمليات النفسية العميقة في ذات الفرد .

وتأويل بقع الحبر ink-plotsفي هذا الأختبار تعبر عن اعماق الشخصية وتعد اللوحات الملونة بماتطرحه من استجابات المريض دليلا على مايسميه «رورشاخ»«بصدمة» اللون،وقد حدد «رورشاخ» مجموعة من الرموز يمكن عن طريقها تأويل استجابات المريض ، فهناك فرق بين الأستجابة الكلية للوحة والأستجابة لجزء منها. وتعد الأستجابة الكلية دليلا على الشخصية الذكية المتفتحة، بينما تعد الإستجابة لجزء من اللوحة مع اهمال الباقي دليلا على ضيق الأفق. كذلك تأويل الأستجابات الحركية والساكنة، والأشكال

الأنسانية والحيوانية، واعضاء الجسم المختلفة . كذلك التأثر بجزئيات اللوحة الطرفية. وقد قدم «رورشاخ» جدولا دقيقاً لمجمل هذه الأستجابات بحيث يستطيع المدرب عند استخدام هذا الأختيار الكشف عن ملامح شخصية المريض .

وعادة مايتم تسجيل الأستجابات بأستخدام الرموز التي تتمثل في الإدراك الكلي او الجزئي، والجزئي اما ان يكون كبيراً اوصغيراً ، كذلك تتحدد الأستجابات من زاوية الشكل ،واللون، والحركة ، والتظليل، كذلك يمكن ان يكون الإدراك لأشكال حسنة اورديئة، وفق مفهوم الجشطالت، كذلك ممكن ان تكون الأستجابة شائعة اوفريدة (اصيلة) original .

ومن الأهمية بالنسبة لمطبق الأختبار أن يلاحظ السلوك الأجمالي للشخص ومايصدر عنه من انطباعات ،كالتعجب اوالصدمة اوالدهشة، او مايقدمه من تعليقات اذ ان كل ذلك له دلالة. وكلما زادت الأستجابات وكانت معقولة، كلما دل ذلك على الذكاء وعلى خصوبة الخيال، وكلما زادت الأستجابات وكانت تافهة ، فيدل ذلك في احوال كثيرة على حالات الشيزوفرانيا. كذلك من المهم متابعة« زمن الرجع» وهو يكون عادة عند الشخص العادي حوالي نصف دقيقة مابين الرؤية والأستجابة .

وتشير عادة الأستجابات التي ترجع الى عامل الحركة الى ثراء الحياة الباطنية للفرد والهدوء والثبوت الأنفعالي ويرجع عدد الأستجابات اللونية الى شدة الأنفعال والأندفاعية. وعادة مانستطيع كشف النموذج« المنبسط » Extravert حين تكون استجابات اللون أكثر من استجابات الحركة . بينما تتضح في النموذج «المنطوي » Introvert الأستجابات الحركية أكثر من الأستجابات اللونية .

واختبار«الرورشاخ» وان لم يكن اختباراً للذكاء الاانه يستطيع تقديم صورة كلينيكية نوعية عن ذكاء الشخص. فالأستجابات الأجمالية، تكشف عن الذكاء النظري ،بينما تشير الأستجابات الجزئية الى الذكاء العملي. وتكشف الأستجابات التي تكون اشكالا حسنة (جشطالت جيد) عن ذكاء عال. وفي الحالات التي يقلب فيها الشخص اللوحة بصورة منتظمة ويبدأ تفسيراته في المناطق السفلى للصورة فعادة مايكشف ذلك عن ميول نحو الجنسية المثلية .

وحين تكثر التأويلات ذات الطابع العلمي اوالمدرسي فقد يمكن ان يعبر ذلك عن محاولة لتجاوز مشاعر الدونية (النقص) . والأستجابات التشريحية تشير عادة الى اهتمام الشخص بصحته .

وبصفة عامة لايستطيع الا السيكولوجي المدرب على تطبيق هذا الأختيار وتأويل نتائجه.ويتطلب الوضع دراسة لاتقل عن عام ان لم يكن عامين لكي يصبح الشخص خبيراً في تطبيق هذه الأداة .

ب ــ اختبار تداعي الصور Thematic Apperception Test (T·A·T.)

يتألف هذا الأختبار من ثلاثين لوحة. في كل لوحة صورة لشخص أو جملة اشخاص في مواقف غير محددة التفاصيل .وتعد بمثابة مثيرات حين تعرض على الأفراد فيتم ادراك كل لوحة بطريقة تختلف من فرد لاخر. بعض اللوحات خاصة بالذكور وتحمل رمز (BM) اي(صبي ورجل) والبعض الاخر خاص بالذكور الكبار وتحمل الرمز (M)(رجل) بينما البعض الاخر يحمل رمز (B) (صبي) . وهناك لوحات خاصة بالاناث تحمل (GF)(بنت وامرأة) وتوجد لوحات خاصة بالإناث الكبار في السن تحمل رمز (F) (انثى) ولوحات خاصة بالفتيات تحمل (G) (بنت) واحدى اللوحات بيضاء لايوجد بها اي شيء .

وضع هذا الأختبار موراي ومورجان Murray & Morgan عام ١٩٣٥.حين يطبق الأختبار يطلب من الشخص ان ينظر الى اللوحة ويتخيل قصة كما يوحي بها المنظر الذي امامه. كما يطلب منه ان تكون للقصة نهاية تشرح ماسوف ينتهي اليه هذا المنظر. يستغرق وقت التطبيق ساعتان على جلستين. وتكون اللوحات المقدمة عشرون لوحة عشرة في كل جلسة.

يطلب من الشخص ايضاً ان لايكتفي بوصف اللوحة ،ويمكن تشجيعه بأسئلة مثل كيف، وما السبب؟« وماذا تظن ان يحدث بعد ذلك؟» وفيما يتصل باللوحة البيضاء يطلب من الشخص ان يتخيل بنفسه منظراً، ثم يختلق قصة تعبر عنه . وينبغي ان تكون الإستجابة مكتوبة . ويلاحظ ان عمليات الشطب والخطأ ،والتصحيح ،كلها تكون ذات دلالة. كما ينبغي تسجيل ملاحظات عن السلوك الأجمالي للشخص، خصوصاً فترات تردده أو صمته وتعليقاته ..... الخ من ملاحظات تكون لها دلالاتها .

ويتم تأويل هذا الأختبار في ضوء تحليل المضمون ولايتأتى هذا الا لمن درس الأختبار جيداً واصبح خبيراً به. اذ يستطيع الخبير ان يأول ماطرحه العميل من استجابات داخل القصة وبالنسبة لكل لوحة، ويكشف امامه عن معاناة الشخص، صراعاته ، بعده اوقربه من السواء ، وكذا يكشف هذا الأختبار عن حالات «العصاب» بفروعه وكذا« الذهان» بفروعه ايضاً .

هـ ـ اختبار تداعي الصور للاطفال :

(C.A.T) Children Apperception Test

يتضمن عشر لوحات ترمز فيها الحيوانات لمواقف مهمة انفعالياً . يصلح تطبيقه على الأطفال في سن ٤ـ٩ اعوام عادة ، ضمن الصور« كتاكيت حول مائدة طعام ودجاجة من الخلف.

«دبان» «يشدان حبلا» «ودب» صغير بجانب احد الدبين . أسد بيده (غليون) وفأر يطل من جحر .

وهكذا يطلب ايضاً من الطفل حكاية قصة، اذ عادة مايتطابق الطفل مع شخصية البطل ، كذلك يطابق مابين افراد اسرته وصور الحيوانات ، وغالباً ماتعبر قصصه عن مدى اشباعاته ،او احباطاته، التي يمكن تفسير مضامينها. والان اصبح يوجد C.A.T بصور آدمية (صورا بشرية بدلا من صور الحيوانات) .

الفصل الثامن

علاج الشخصية

مقدمة :

العلاج النفسي الفرويدي التقليدي

العلاج النفسي عند الفرويديين الجدد

العلاج الفينومونولوجي

العلاج السلوكي التقليدي

العلاج السلوكي الحديث (تعديل السلوك) .

الفصل الثامن

علاج الشخصية

مقدمـــة :

يعد العلاج النفسي المدخل الأساسي لعلاج الشخصية. ويكمن السبب في ذلك ان الشخصية بجوانبها المتعددة وبنائها في ظل تأريخ معين للفرد فـي ثقافة خاصة بمجتمعه، تعد منظومة كبرى واذا حدث خلل مافيها يتطلب العلاج النفسي، فأن هذا الخلل يكمن عادة في البناء الأنفعالي لها. ولايمنع هذا من ان هذا البناء الإنفعالي يؤثر بالضرورة في جوانب الشخصية الأخرى سواء كانت بايولوجية (تكوينية) اوكانت مرتبطة بوظائف وانشطة لاحد الأجهزة خصوصاً الجهاز العصبي المركزي. والتي تعد بمثابة العمليات المعرفية كالأدراك والتذكر والتفكير .... الخ، كذلك قد يؤدي الخلل في البناء الأنفعالي الى تأثير في مهارات الفرد النفسحركية ..... الخ .

وعليه فعلاج الشخصية يكمن في الأساس في علاج هذا البناء الإنفعالي . ومن المهم ان نذكر ايضاً انه بنفس القدر الذي يؤثر فيه هذا البناء في اجهزة الشخصية الأخرى، فأنه بنفس هذا القدر يتأثر هذا البناء الأنفعالي بهذه الأجزاء وبمعنى اخر ثمة تغذية راجعة Feed back.

وقد عرف العلاج النفسي منذ اقدم العصور الاان الملاحظ انه تطور وزادت اهميته مع سرعة التطور في المجتمعات،ومع كثرة انواع الصراع التي تواجه الفرد في المجتمع المعاصر . ويعد القرن العشرين وبحق هو القرن

الذي ظهر فيه علم النفس، والذي ظهر فيه ايضاً طرقاً للعلاج النفسي منظمة بداية بالتحليل النفسي الذي بدأه فرويد، والذي تطور على ايدي تلامذته ومنذ ذلك الوقت ظهرت تيارات لاتكاد تحصى من مدارس مختلفة تقوم بعلاج الشخصية في ضوء التصورات النظرية ، كما حدث في تقوم الشخصية وبمعنى آخر فإن تقويم الشخصية وقياسها من خلال ادوات متباينة محكومة بالإطر النظرية الكامنة وراء كل اتجاه في التقويم وفي القياس ، فان علاج الشخصية يخضع لمجموعة من المدارس اوالتيارات التي يحكم كل منها اطار نظري وفق الرؤى المختلفة للمنظرين .

وسوف نعالج في هذا الفصل مجموعة من التيارات العلاجية التقليدي منها والحديث وفق الرؤى الخاصة بمنظري هذه التيارات.

اولا : العلاج النفسي الفرويدي التقليدي :

Classical Freudian Therapy

رائد هذا التيار هوعالم النفس المشهور« سيجموند فرويد» (انظر نظرية فرويد داخل النظريات التي تسند الى الحتمية البايولوجية في الفصل الثالث من الكتاب) .

يعتمد العلاج النفسي عند فرويد فيما يسمى بالتحليل النفسي Psycho analysis وملخص هذه الطريقة قيام المعالج بالإصغاء للمريض وهو مستلق على اريكة مريحة ، ويجلس خلف رأسه المعالج . ويطلب منه الأسترخاء التام، ثم يترك له حرية تداعي الأفكار، التي ترد على ذاكرته دون ان يتدخل المعالج . عادة مايذكر المريض خبرات وقصص وممارسات قد تبدو غير مترابطة، ولكن يمكن للمعالج الماهر ان يلتقط بعض الكلمات او المفاهيم التي تعد بمثابة المفاتيح للمزيد من التداعي من جانب المريض وينصح

«فرويد» المعالج بأن يكون كالمرأة يعكس بالدقة مايعرض عليه. واذ انتلقائية المريض هي حجر الزاوية في عملية التداعي ، فلا ينصح المعالج عادة بالتدخل كي يوجه المريض لمايريده هو (المعالج) الا في حالات قليلة ينبغي تدخل المعالج فيها لتشجيعه على الأسترسال اذا ما حاول ان يتوقف. وكي يفهم المعالج مايطرحه المريض امامه من قضايا وافكار غالباً ماتكون تعبيراً صريحاً او محرفاً عن مايعاني منه المريض ،وماهو موجود من صراعات بين الأجهزة النفسية التي يتصورها« فرويد» (الهو، الانا ، الانا العليا). واحياناً مايلحظ المعالج توقف المريض اوتظهر على ملامحه علامات غضب اوضيق حين يتذكر مواقف مهمة في ماضيه، وتلعب ميكانزيمات الدفاع دوراً في المقاومة.

يحدث عادة اثناء جلسات التحليل مايسمى «بالطرح» التحويل transference

والمقصود بهذا المصطلح كل الحفزات التي يعيشها المريض اثناء تفاعله مع المعالج (المحلل) . وهذه الحفزات تكون اصلا موجهة لوالدي المريض ابان طفولته، ويعد الموقف التحليلي بمثابة« ابتعاث» لها وتحويلها الى المعالج وعليه قد يكون الطرح موجباً (حب) وقد يكون سالباً(كراهية)

يصاحب عملية التحليل النفسي محاولة فهم فلتات اللسان التي تخرج غير مقصودة من جانب المريض. كذلك من المهم تفسير أحلام المريض اذ انها مادة خصبة (ولو أنها رمزية) الا انها تعبر اما عن رغبات المريض اللاشعورية او تعبر عن معاناته في مواقف صراعات مرت به ولازالت تعمل من خلال ميكانيزمات الدماغ .

والنظرية التي تحكم تفسير هذه الوقائع من وجهة «فرويد» هي ان ثمة طبيعة دينامية للاشعور في الحياة النفسية في الفرد. وهذه تؤدي بالضرورة (اذا ماكان ثمة صراعات واحباطات) الى اضطرابات انفعالية ويشير فرويد

بأن أساس هذه المكبوتات والصراعات التي يتضمنها اللاشعور هو الأشباعات والأحباطات الجنسية، وقد صور« فرويد» «مفهوم» «الليبدو» الذي يعبر عن الطاقة الجنسية والتي تتحول اثناء مراحل نمو الطفل من المرحلة الفمية الى الشرجية الى القضيبية. كما ان عدم قدرة الطفل على النمو السوي من مرحلة لاخرى تؤدي به الى مايسميه فرويد (التثبيت) Fixation فهناك تثبيت على المرحلة الفمية بشقيها، وهناك تثبيت على المرحلة الشرجية بقسميها ، كما ان اخطر التثبيتات تكون في المرحلة القضيبية التي تكون عقدتي أوديب والكترا (الأولى للطفل الذكر والثانية للطفلة الأنثى) .

ويحاول التحليل النفسي الغوص الى هذه المراحل الباكرة من حياة المريض ليستكشف المرحلة التي تم فيها التثبيت. ويعد فرويد ان العصاب هو نتيجة لخلل مافي المنطقة القضيبية ، اى نواة العصاب تكمن في عقدة اوديب اوعقدة الكترا. واذا ماتوصل المعالج الى اساس الصراعات والأحباطات التي واجهت الطفل في هذه المرحلة أمكن ابراز هذه المشاعر وما يصاحبها من انفعالات الى منطقة الشعور.اي ان المريض يستطيع حينذاك ان يستبصر الأساس المسبب لعصابه في مرحلة الطفولة الباكرة ، وذلك بتذويب كل انواع المقاومة ، وتشجيع المريض على طرح كل مايعن له من ذكريات ومن احلام .....الخ .

ثمة مجموعة من الصعوبات تواجه المحلل النفسي ، فليس سهلا ان تستجيب«الأنا» ،للتحليل، ومن ثم يصعب استدعاء ماهو موجود في اللاشعور واذا حاول المحلل تفسير التداعيات التي يطرحها المريض، وكذا الأحلام والرموز فإنما يشير ذلك الى قدرة المحلل على تحليل «الهو» ويعد التحليل في هذه الحالة احادي، بمعنى انه يستطيع تحليل ماهو موجود في «الهو»

ولكنه يعجز عن تحليل ماهو موجود في«الأنا»التي تقاوم ظهور المكبوتات.

ثمة صعوبة اخرى تواجه المحلل وهي مدى القدرة على مواجهة عملية الطرح او التحويل . ومن المفروض على المعالج منذ ان يبدأ العلاج وحتى يستمر الى نهايته ان يكون له موقفاً حيادياً ازاء عملية الطرح. فعملية الطرح تكشف عن الصراعات المولدة للعصاب. واذا استجاب المعالج للطرح بطريقة غير موضوعية، فأن ذلك يكون [illegible] عثرة في سبيل استمرار العلاج واذ ان الطرح هو تكرار لمواقف انفعالية لاشعورية سبق ان عاشها المريض في في طفولته ازاء والديه، وقوام هذه المواقف يكون الحب اوالكراهيـــة او الأثنين معاً (تناقض عاطفي ambivalence) وبـذا يعيش المريض مع المعالج من جديد هذه المواقف.

عادة ماتستمر جلسات العلاج في التحليل النفسي بطريقة« فرويد » سنـة أو أكثر. وتكون عدد الجلسات حوالي ثلاثة في الأسبوع ، وكل جلســة حوالي ساعة.ويشكل هذا صعوبة في ناحية الأنتظام وكذلك من ناحية التكاليف.

ويعد تكنيك(فنية) التداعي الحرFree association هي القاعدة الاساسية في طريقة العلاج بالتحليل النفسي الفرويـدي.

بعض اوجه النقد التي توجه لطريقة التحليل النفسي الفرويدي :

١ ــ تعد الأحلام من المصادر الأساسية للعلاج ويعتقد فرويد ان الرمـــوز المستخدمة في الأحلام ذات دلالة تتجاوز الثقافات السائدة ومن الرموز التي يطرحها على سبيل المثال: الثعبان ، العصى،السكين ، المفتاح ، القلم اذ تعد كلها رموزاً للقضيب. ويعترض على هذا في ان الثعبان في بعض الثقافات يعد رمزاً للمعرفةــوللحكمة . وفي ثقافات اخـــرى رمزاً للعدو . كذلك يعد«فرويد» ان الكهف ، الدبله (حلقة الخطوبة)

حدوة الفرس، الصندوق كلها ترمز الى «فتحة المهبل» في الوقت الذي تعد فيه« حلقة الخطوبة» مثلا رمزاً للزواج السعيد. كذلك من رموز «فرويد» ان صعود السلالم اوالنزول منها، الطيران ، الحرث، الطحن كلها تشير الى العملية الجنسية ، في الوقت الذي تعد فيه بعض الثقافات الصعود على السلم رمزاً للطموح اوالرفعة . والنزول رمزاً مضاد يشير للسقوط، وللتدني في المركز، والذي يريد المزيد من المفاهيم الشيقة يمكن له ان يرجع الى كتاب« فرويد» الشهير تفسير «الأحلام» .

٢ – التزام فرويد بأرجاع العصاب الى الموقف الأوديبي يشوبه الكثير من المحاذير وقد ابرز فرويد في هذا الموقف مفهومه عن عقدة الخصاء castration complex بالنسبة للولد . فقد أصبح هذا المفهوم في الثقافة المعاصرة مفهوماً ساذجاً ، اذ ان الحياة العصرية تجاوزت عمليات تخويف الطفل،واصبحت عقدة الخصاء غير واردة في المفهوم المعاصر. كما ان عقدة اوديب نفسها هي الأخرى موضع شك ومن ثم فالمحاولات المجهدة التي يركز فيها المعالج لاستكشاف انواع من الصراعات سبق ان ارتبطت بهذه المواقف قد يبدو غير سليم .

٣ – هناك شك ايضاً في مفاهيم« فرويد» النظرية عن عمليات التثبيت وارجاع الأعراض المرضية للراشد الى مواقف طفلية ، تعد بمثابة الأساس في ظهور هذه الأعراض، وقد دعى هذا بعض من العاملين مع فرويد الى الإنشقاق عنه،وابرازهم للدور الثقافي والأجتماعي،وعدهم النفس البشرية منظومة مفتوحة وليست مغلقة كما يتصور« فرويد » ويعني هذا أن الفرد يصاغ ،ويتشكل، ويعاد تشكيله في ضوء الكثير من المتغيرات الثقافية والأجتماعية، والتي بالضرورة لها اثار على حالة السواء او المرض بالنسبة له .

ثانياً : العلاج النفسي عند الفرويديين الجدد New-Freudian Therapy

هذا التيار في صميمه تيار اجتماعي ثقافي . وقد تبناه كل من « أدلـر» و«فروم» ، «هورني»«سوليفان» وغيرهم وسنعرض لتكنيك (لفنية)العلاج في الشخصية عند كل منهم بأختصار :

١ ـ علاج الشخصية عند ادلـر :

الإنسان عندا «ادلر» في صميمه كائن اجتماعي . لديه في تكوينه اهتمـام اجتماعي، وهذا التكوين يدفعه ليتخلص من الإحساس بالنقص ، هادفاً الى تحقيق التفوق ، كما ان لديه بالفطرة ايضاً دافعاً للنضال من اجل هذا التفوق. ويعد« ادلر» هذا الدافع هو الدافع الأساسي الذي تتفرع عنه كل الـدوافع الأخرى ، ومن ثم يكون للفرد اسلوب حياة Life style . ويعد النضال من اجل التفوق بديلا للجنس عند« فرويد» ، كما ان الأحساس بالنقص يعد بديلا عن القلق عند« فرويد» واسلوب الحياة اونمط الحياة بديلا عن ميكانزمات الدفاع . واذا ان الفرد عند« ادلر » غائي (مستقبلي الوجهة) فيكون المرض النفسي عند الفرد اذا قامت هذه الغائية على ادراكات مختلفة اوقناعات غير واقعية عندئذ يكون المرض. ويعد العصاب محاولة من جانب الفرد للتفوق، قد تفشل فينسحب الفرد من المجتمع ويعيش في عالم الخيالات(احلام اليقظة).

ولذلك يكون العلاج عند« أدلر» منصباً اساساً على العلاقات الأجتماعيـة لهذا الفرد. ويصبح المعالج نفسه في مواجهة مع المريض لتنمية علاقة اجتماعية سوية ويلعب المعالج دوراً امبائيا» empathetic متعاطفاً مـع المريض ، محاولا تفسير مشكلاته في علاقاته الأجتماعية،ويهدف من ذلك الى أكسابه الثقة بالنفس ويساعده كي يلعب دوره بنجاح في المجتمع. وذلك من خلال تحديد اهدافاً مستقبلية .

يشير ادلر ايضاً الى ان اسباب العصاب ترجع الى خبرات الطفولة خصوصاً الخبرات الخاصة داخل الأسرة(علاقة الطفل بأبويه واخوته) .

وعليه يتركز العلاج الأدلري في ثلاث نقاط اساسية .

آ- امبائية المعالج واهتمامه الخاص بمريضه ومشاركته مشاعره وادراكه لاسلوب حياته الساعي نحو النضال من اجل التفوق .

ب- محاولة تفسير المرض من جانب المعالج بأن الحالة امامه ماهي الا تعبير عصابي عن النضال من اجل التفوق مبرزاً له الأسلوب الفاشل الذي أتخذه المريض في هذا النضال .

ج- دعم الإهتمام الأجتماعي لدى المريض وتشجيعه على بناء علاقات صحية خارج نطاق العلاقة الحميمة بينه وبين المعالج ،اي محاولة دمجه في علاقات جديدة ناجحة داخل بيئته المجتمعية تحقق له النضال الصحيح من اجل التفوق .

٢ - علاج الشخصية عند فروم :

يتمثل العلاج عند « فروم » في محاولة اشباع الحاجات الأربع التي يعدها الأساس في السلامة النفسية ، الحاجات الأربع هي :

١ - الحاجة للانتماء الاجتماعي .

٢ - الحاجة إلى الارتقاء .

٣ - الحاجة إلى الهوية .

٤ - الحاجة إلى الانضباط الاجتماعي .

ويعد المرض بمثابة نقص في اشباع هذه الحاجات . والحاجة الاولى التي يوليها اهتمامه هي الحاجة للانتماء الاجتماعي social belongingness

اي ان الفرد السوي لابد له من اشباع هذه الحاجة وطريقته في الاشباع هي دمج الفرد في المجتمع ، والبحث عن ما هو مشترك بين المريض وبين السمات الشائعة السائدة في مجتمعه ، حتى يصبح الشخص مسايراً وممتصاً للطابع الاجتماعي الذي يميز هذا المجتمع الذي يعيش فيه . ويعد «فروم» أن هذا الطابع الاجتماعي المكتسب يتضمن ويحدد التفكير لدى الفرد ، والمشاعر والافعال ، وكل المفاهيم سواء اكانت معرفية أو وجدانية أو اجتماعية ، اذ تدخل جميعها فيما يسمى بالنسيج الاجتماعي للشخصية ، وهذا النسيج يكون مطبوعاً بطابع انفعالي ويسمى «فروم» هذه العملية العلاجية بعملية استدخال Internalization مطالب المجتمع ، وذلك من خلال الدور الذي سيلعبه الفرد .

يساهم ايضاً العلاج في اشباع الحاجة الثانية ، والتي يسميها الحاجة إلى الارتقاء (التعالي) ، وتتمثل في أن يجد الفرد عملا ناجحاً يؤديه ، اذ أن العمل الناجح في المجتمع المعاصر من المفاهيم الاساسية التي يعدها «فروم» سبيلا إلى السواء . وبالنسبة للحاجة إلى الهوية يرى «فروم» أنه لابد للفرد اثناء العلاج ان يتوحد مع الاخر بحيث يؤدي هذا التوحد إلى الاحساس بالانتماء ، وبالتعاطف ، وبالحب ، وهي مقومات اساسية للسلامة النفسية ، ويختتم «فروم» بالحاجة الرابعة التي تتمثل في امتصاص المعايير الاجتماعية التي يطرحها النظام القائم ويسميها الحاجة إلى الانضباط الاجتماعي .

والعلاج هنا يعني في الدرجة الاولى اعادة التربيـــة re-education بحيث يصبح المريض شخصاً مسايراً لمطالب المجتمع ، ومتمثلا لمفاهيمـه ومطامحه ، وبهذا يبتعد عن الاغتراب الذي يعد كظاهرة مرضية شائعة في المجتمع المعاصر . وينصح «فروم» بوجود مجتمع انساني الطابع اشتراكي

الوجهة يحتوي الجميع ، ويسودهم التفاهم ، والتناغم ، والحب ، وهو ما يسميه في أحد كتبه «المجتمع الصحي » The sane society ويحـــذر «فروم» المجتمعات بعامة بأنها المسؤولة عن اغتراب افرادها . وقد يكون الشخص سليماً معافاً ، الا ان المجتمع نفسه اذا لم يكن صحياً بالقدر الكافي ، فانه يصبح مجتمعاً مريضاً ، والطبيعي عندئذ ان يصبح افراده مرضى . ولذلك ينصح بعلاج المجتمع اكثر من اهتمامه بعلاج الافراد اذ المجتمع الصحي كما يقول يفرز افراداً اصحاء .

٣ ـ علاج الشخصية عند «هورني» :

تعد «هورني» العصاب بمثابة اضطراب في العلاقات الانسانية . وعليه يصبح الهدف من العلاج تكوين علاقات اجتماعية سليمة . وتقول «هورني» في كتابها (العصاب في عالمنا المعاصر) ان هدف التحليل يكمن في مساعدة المريض على ايجاد نفسه ، وتحقيق ذاته ، وتعد العلاقات الانسانية الطيبة والسليمة ، جزءاً اساسياً في تحقيق الذات ، وتحقيق الذات بدوره يجعل الفرد قادراً على العمل الايجابي المنتج . اذ يتلخص علاج هورني في احداث تغيرات في نفس المريض وذلك عن طريق احساسه بالمسؤولية وانه قادر على ان يكون ايجابياً فعالا ، وقادراً في الوقت نفسه على اتخاذ القرار .

واذ أن العصابي عند «هورني» يكوّن عادة صورة مثالية لذاته تختلف عن الذات الواقعية له ، ويؤدي به هذا إلى استحداث سمات دفاعية لحماية هذه الذات المثالية غير الواقعية ، لانه يستحيل تحقيقها في الواقع وتستهلك من المريض اكبر قدر من الطاقة ، وعليه يصبح صراع العصابي على جبهتين الجبهة الاولى اضطراب في العلاقة مع الذات (الذات المثالية والذات الواقعية) والجبهة الثانية هي اضطراب في العلاقة مع الاخرين :

ويصبح العلاج ناجحاً في نظر«هورني» اذا استطاع العصابي اقامة علاقات طيبة سوية مع الاخرين. وفي الوقت نفسه يحقق للمريض تقبلا لذاته الواقعية وتخلياً عن الصورة المثالية التي تشكل الذات الأخرى له. وتستخدم «هورني» في فنياتها العلاجية الأسئلة والإيحاء وتفسير مايطرحه المريض، ومن ثم تعد عملية العلاج توجيهية في المقام الأول .

واذ تقسم «هورني» العصاب الى ثلاثة اشكال اوحاجات عصابية (الأتجاه نحو الناس، الأتجاه بعيداً عن الناس، الأتجاه ضد الناس) الا انها تعـــد نشأة العصاب واحدة وتتطلب نفس التكنيكات في الأساس .

وتختلف «هورني» عن «فرويد» فيان «فرويد» تقوم طريقته على السلبية وعلى انعكاس معاناة المريض، وعلى حيادية المعالج بينما ترى «هورني» ان على المعالج دوراً أكثر ايجابية لأن هدفه اساساً هو اعادة تعليم المريض ،أو اعادة تربيته ،وهذه الإعادة تتضمن اهدافاً اجتماعية وقيماً خلقية، ومن حق المعالج ان يجعل مريضه يستبصر بهذه النواحي وان يبرز له زيف مقاصده وتصوراته. فالعصابي عند« هورني» يحاول دائماً ان يظهر بمظهر الكمال وان يخفي المشاكل الأجتماعية والأخلاقية . ولابد من ان يواجه كل ذلك اثناء العلاج، حتى يمكنه التخلص من مشاكله وصراعاته . وحتى يتم ذلك لابد من ان تكون العلاقة بين المعالج والمريض علاقة مبنية على التفاهم ، والثقة والطمأنينة.واذ ان المريض يعتمد اعتماداً كبيراً على محلله بأعتباره المنقذ،فأن مشاعر المحلل المتعاطفة تسهم الى حد كبير في تهدئة الجوانب التي يحف بها الشك من جانب المريض ، والتي تضطره الى أن يخفي انفعالاته الحقيقية احياناً تحت ستار من اللباقة أو الكذب .

وتشير هورني الى انه يمكن للتحليل النفسي ان يفك العصاب ولكنه لايمكن

ان يقدم بناء جديد تماماً. وكل مايفعله هو مزيد من الأستبصار يتبناه المريض بحيث يستطيع مواجهة عصابه بطريقة لاتزيد من تعقيد الحالة ولكنها تعين في عملية التوافق مع الذات ومع الاخر .

٤ – علاج الشخصية عند سوليفان :

يعد سوليفان الشخصية بمثابة تكوين فرضي **hypothetical construct** وتعد وحدة الدراسة للشخصية هي الموقف الشخصي المتبادل بين الأفراد . قد تكون هذه العلاقة بين الشخص والاخر مع بطل او أناس ماتوا اواناس في المستقبل لم يولدوا بعد، ومن ثم فان هذه العلاقة« البين شخصية» تحكم الإدراك والتذكر والتخيل والتفكير ..... الخ . ويصبح الفرد دائماً في حالة اشتباك مع الاخرين، اما في الواقع اوفي احلام اليقظة أو في الأحلام . ولب العلاج عند« سوليفان» هو البحث عن هذه العلاقات بين الشخصية ، والتي تشكل للمريض الواناً من المعاناة. فالقلق والحب والإشباع والإحباط كلها مكتسبة، وترجع الى هذه العلاقات«البين شخصية » وتتشكل ذات الفرد نتيجة تراكم الخبرة من هذه العلاقات واذ ان الخبرات قد تكون سارة مريحة مشبعة. كما قد تكون كدرة منفرة سيئة، مما يسبب تهديداً للذات ويظهر ذلك في صورة القلق.واذ ان الذات تشكل منظومة اساليب سلوكية مكتسبة قد تجعل الشخص آمناً اذا ماكانت هذه الأساليب السلوكية متوافقة مع الأبوين في بداية حياة الفرد، ثم مع الأصدقاء بعد ذلك بالنسبة للراشدين. وهذا التوافق يلقى التعزيز الموجب،فتتكون الذات الطيبة وقد لاتتوافق الأساليب السلوكية مع الأبوين في الطفولة،ثم مع الراشدين بعد ذلك ، وتلقى التعزيز السالب فتتكون الذات الشريرة، وهذه الذات الأخيرة تولد القلق ،اذ يكون العلاج منصباً على تحويل الذات الشريرة الى الذات الطيبة. والمعالج لابد وان يتسم

بالخبرة في مجال العلاقات الأنسانية human relations اذ ان المريض يتوقع من المعالج معرفة شيء عن نفسه وعن علاقاته « البين شخصية » ، ومن المفروض ان يتم العلاج ببناء علاقات شخصية متوافقة. ويتلخص العلاج في الخطوات التالية :

١ – لابد من ان يعرف المعالج التاريخ الاجتماعي والشخصي للمريض لاستشفاف ما اذا كان في ماضي المريض ما جعله كما هو الان ، اي تجميع معلومات وبيانات عنه .

٢ – افتراض مجموعة من الفروض ومحاولة تحقيق كل منها ، وذلك من خلال «الديالوج» الذي يتم بين المعالج والمريض ، ومن منطلق «امبائي» وبذا يتمكن المعالج من اكساب المريض بعض من المهارات في العلاقات بين الشخصية .

٣ – يعطي المعالج مجموعة من التعليمات للمريض ، وعليه ان ينفذها لتنمية المزيد من العلاقات المتوافقة «بين الشخصية»وتتمثل في توجيه المريض لبناء علاقات صداقة وحب مع اشخاص يرتاح معهم، وتملىء حياته وتقلل من المقلقات .

وكثيراً ما ينشأ التوتر وتزداد حدة القلق حين تتعارض الحاجات البايولوجية مع المؤثرات الاجتماعية ، ويؤدي هذا إلى اضطراب في العلاقات البين شخصية. ومن هنا يعد «سوليفان» المؤثرات الاجتماعية هي المسؤولة وليست الحاجات البايولوجية .

ومما يساعد على بناء علاقات بين شخصية جديدة تعديل الوسط الشخصي والاجتماعي الذي يعيش فيه المريض ، حتى يتحقق له الامن النفسي . ومن

هنا ينصح «سوليفان» الاباء ببذل الجهد الواعي اثناء عملية التطبيع الاجتماعي لاطفالهم ، اذ تؤدي هذه العملية اذا ما كانت ناجحة ، إلى بناء علاقات بين شخصيه متوافقة ومن ثم تؤدي إلى بناء ذات طيبة .

ثالثاً : العلاج الفينومونولوجي : Phenomonological Therapy

يتزعم هذا التيار العلاجي مدارس كثيرة اهمها : —

١ — العلاج المتمركز على العميل Client-Centered Therapy

مؤسس هذه الطريقة هو «كارل روجرز» Carl Rogers صاحب نظرية «الذات» Self theory ١٩٤٢ .

تعد الذات بمثابة جوهر الشخصية . وهي تنمو مع الفرد في ضوء تفاعلها مع البيئة المادية والاجتماعية . ويمكن ان تتضمن الذات المدركة ، الذات الاجتماعية ، الذات المثالية وقد تمتص وتتطابق مع قيم الاخرين ، وتسعى إلى التوازن والتوافق ، وتنمو بالتعلم وتنتظيم حولها الخبرات .

ولابد من التفرقة بين « الذات » Self ومفهوم الذات Self concept الاخير مفهوم شعوري قد يختلف عن الذات الحقيقية ؛ ويعد بمثابة تكوين فرضي معرفي متعلم . ويتضمن افكار الفرد الذاتية ، ومدركاته وتصوراته ... ويشكل كل ذلك مفهوم الفرد عن ذاته ، ويشكل في نفس الوقت مفهوم الذات كما يدركها الاخرون . قد يتم التطابق بين مفهوم الذات لدى الفرد ، ومفهوم ذاته كما يدركها الاخرون ، هنا يكون السواء . ولكن يشيع اللاتطابق بين مفهوم الذات لدى الفرد ، ومفهوم ذاته لدى الاخرين . كذلك قد لا يتم التطابق بين مفهوم الذات كما يدركها صاحبها ، وبين خبرات ذاته الفعلية والواقعية وفي هاتين الحالتين يقترب الفرد من اللاسواء .

يهدف العلاج عند «روجرز» إلى مساعدة العميل على النمو النفسي السوي ومحاولة احداث التطابق بين الذات الواقعية له ، وبين مفهوم الفرد عن ذاته المدركة ، ومفهوم الذات لدى الاخرين عنه . اي ان العلاج يتركز في محاولة تغيير الذات كي تتطابق مع الواقع ، او تحويل الذات المثالية لدى الفرد ، إلى ذاته الواقعية . وبذا يتم التوافق . قوام طريقة العلاج عند «روجرز» بعدين اساسيين :

آ ـ التلقائية Spontanlety

ب ـ الامبائية Empathy

بالنسبة للتلقائية يركز «روجرز» على فعالية العميل ، ويعمل المعالج كمستمع جيد ، ويحاول في أقل الحدود جعل العميل يستبصر الامور والمشكلات التي يعاني منها . ومن خلال هذه التلقائية من جانب العميل يلمح الوان الصراع التي تواجهه ، نتيجة مفهومه عن ذاته ، ومفهوم الاخرين عنه ، وكذلك يلمس العميل من خلال عملية الاستبصار ، مدى الخلاف بين مفهومه عن ذاته ، وبين ممارساته الفعلية وخبراته . وفي كل الاحوال لابد وان يلقى العميل التشجيع ، والتقبل من جانب المعالج ، اذ يقبله كما هو بكل عيوبه وسيئاته.

وبخصوص الامبائية : والمقصود بها استشفاف مشاعر المريض لحظة بلحظة، ومشاركته فيها ، واحساسه بكل ارهاصات العميل .

واذا ان العميل يحاول فك عصابه عن طريق عدم قدرته على تقبل الخبرات التي لا تساير تحقيق ذاته ايجابياً ، (أي تقدير موجب لهذه الذات) . وقد ينجح في ذلك او قد ينكر هذه الخبرات التي لا تساير هذا التقدير لذاته ، وقد يدركها ادراكاً محرفاً ،او قد ينتقي منها بحيث تبدو له وكأنها مسايرة لشروط التقدير الموجب للذات . اي أن العصاب ببساطة هو صراع بين تحقيق الذات

كما يتمثل في الجانب الفطري أو الاجتماعي ، والتحقيق الايجابي للذات (أي تحقيق تقدير الذات والمحكوم بالجانب الاخلاقي والاجتماعي) .

ويمكن وضع صيغة للعلاج الذي يتبناه «روجرز» على النحو الآتي :

المعالج والعميل في علاقة «امبائية» قوامها الود والتفاهم . العميل عادة ما يكون في حالة من عدم المسايرة ، في الوقت الذي يكون فيه المعالج مسايراً .

يعي المعالج من منطلق الامبائية مشاعر وافكار العميل التي تتدفق وتتحكم في تصرفاته ، بحيث يحس العميل بهذا الاهتمام من جانب المعالج ، وكل ما يفعله يحاول المعالج ايجاد التبرير المناسب الهادىء مع محاولة تبصيره بانه قادر على تعديل ذاته ، بحيث تصبح مسايرة لواقعه وممارساته . وبعد عدة جلسات يقوم المعالج بعملية تأويل لمشاعر العميل المتدفقة ، وخصوصاً تلك الهائمة والمكبوتة. وقد يحاول العميل أن يخفي بعضاً من هذه المشاعر او الخبرات ، وعلى المعالج ان لا يهتم بذلك ، ويتركه لجلسات تالية وكثيراً ما يحدث ان يدلي العميل مع المزيد من الاطمئنان والامن الذي يحسه من جانب معالجه .

هناك بعض اوجه النقد لطريقة «روجرز» منها على سبيل المثال . كيف يمكن لشخصية مريضة ان تكون لها القدرة على تعديل نفسها باعتبار انها قادرة على ذلك خصوصاً اذا علمنا ان حالات كثيرة من العصاب تكون محكومة بالقشرة المخية الضعيفة والتي لا يمكنها أن تتخلص من ضعفها بمجرد ان يطلب منها ذلك .

كذلك يوجه للنظرية نقداً اخر قوامه اعتماد «روجرز» على ثمة دافع فطري اساسي لتحقيق الذات داخل الفرد وقد لا يكون هذا الدافع الا من وجهة نظر بعض المنظرين ذوي النزعة الانسانية خصوصاً في مجال التحليل النفسي .

الا ان النظرية مع هذا ، وطريقة العلاج التي تبناها «روجرز» نجحت في

بعض حالات هينة من العصاب . وقد يمكن ان تتطور الطريقة اذ ان نظرتها تفاؤلية ، كذلك لديها ثقة كبيرة بقدرة الفرد على تطوير خبراته من خلال ما يسميه هو بالنزعة الفطرية إلى تحقيق الذات ، اي ان الانسان يتمكن — اذا اراد — من التحكم في مصيره .

٢ — العلاج الجشطالتي : Gestalt Terapy

صاحب هذا التيار العلاجي «بيرلز» Perlys ١٩٧٠ قوام هذه الطريقة تنشيط عملية النمو وتطوير امكانات الانسان . يقول «بيرلز» من الخطأ الكبير ان يقوم المعالج «بتحليل نفس الفرد» اذ ينبغي على المحلل او المعالج أن يقوم «بتركيب نفس الفرد» . ويعني هذا ان العملية العلاجية الجشطالتية تقوم في الاساس على محاولة فهم الفرد ، وينبغي ان لا يحاول تأويل او تفسير السلوك اذ ان ذلك سيدخله في متاهات هو في غنى عنها . وينبغي على المعالج الجشطالتي ان لا يتناول الاعراض او الشخصية بل ينبغي ان يتخطى ذلك إلى الوجود الكلي للشخص . ولا يمكن فهم هذا الوجود الا بالدراسة الكلية له اثناء رحلة حياته . ويعارض «بيرلز» علماء الاشتراط (السلوكيين) اذ ينتقد فيهم السعي وراء الكشف عن القوانين التي تحكم السلوك . فالحياة من وجهة نظره مجموعة من الشروط ولدت فيها . فنحن — كما يقول — لا نتعلم التنفس او الاكل ولكننا ننمو . وعملية البناء للشخصية عملية متصلة لما يتم ادراكه من جشطالت. والمرض هو تعطيل في بناء هذه الجشطالتات . فالعصابي لا يستطيع ادراك الجشطالت المكتمل (الكل) ، ولكنه ينظر إلى اجزاء بعدها مفصولة عن هذا الكل ، ولذا لا يرى الصورة مكتملة . وعليه يكون العصابي في حالة من عدم القدرة على الاتصال الملئيء (من كل الجوانب) بذاته ، وبالبيئة من حوله ، لذلك لا يدرك العالم ولا نفسه بشكل دقيق ، ولا يستطيع التعبير عن حاجاته

والعمل على اشباعها لانه مكبل بنفسه ، وسبب التكبيل يكمن في كبته للخبرات الدالة والتي تمنعه من ادراك الكل .

وبالنسبة للاحلام لا يعدها «بيرلز» قصة حدثت في الماضي ، ولكنه يؤمن بأن القدرة على استرجاع الحلم ليعيشه الشخص في الحاضر ، هي الفرصة التي تكشف عن الفراغات او الفجوات الموجودة في الشخصية ، والتي ينبغي ملئها لتتكامل وتصبح كلا موحداً .

وفيما يتعلق بالقلق الذي يعكس سوء التوافق ، يعده «بيرلز» انه حماس للحياة التي نحملها معنا ، والتي يصيبها الركود اذا لم نتحمس او نقلق ، او اذا ما اعترانا الشك. فالقلق يعد بمثابة «الهوة» التي توجد بين «الان» و «حينئذ» فاذا كنت في «الان» فلايمكن ان تكون قلقاً ، لان الاستثارة تكون مملوءة بالنشاط التلقائي الحادث ، والذي يعبر عن نفسه في خلق شيىء جديد مبتكر. وتكون الحواس في حالة استعداد للفعل، بعد الاستقبال، وهنا يكون القلق غير مرضي . اما اذا تحول القلق إلى «قلق هائم Pervasive anxiety ولم يستطع الفرد تحويله إلى نشاط او عمل فانه يقع في براثن المرض. والمعالج الجشطالتي كمعالج «روجرز» كلاهما امبائيان (لهما نظرة انسانية) ويعدان العميل فرداً معافاً قادراً على ان يتجاوز اضطراباته . ويترك للعميل النضال كي يكتشف نفسه ، ومن ثم يستبصر هذه النفس ، ويتم التعديل البنائي له . ويضيف «بيرلز» إلى أن اكتمال الوعي لدى المريض يشبه تراكم الخبرة التي يتكلم عنها «روجرز» .

إلا أن المعالج الجشطالتي يختلف عن «روجرز» في أنه اكثر ايجابية ، فقد يعترض على ما يقوله العميل وقد يعدل من اراءه ، هذا بالاضافة إلى ان المعالج

الجشطالتي مقتنع بان عملية التعلم وعملية النمو تسهمان إلى حد كبير في علاج الفرد بالطريقة الجشطاليتية . ويدخل هذا النوع من العلاج ضمن علم النفس الانساني . . Humanistic Psychology وهذا الفرع في علم النفس يعد الشخصية نامية متغيرة باستمـــرار ، ولا تـوجد فكرة الشخصية الثابتة . فالثبات يعني الجمود ومن ثم يصبح السلوك متكلساً ، يمكن التنبؤ به ، ولذلك يرى «بيرلز» ان أفضل الناس انتاجاً في الخبرة هو ذو «الشخصية المتجددة دوماً» .

وعلى العموم فان هذا التيار العلاجي لم يأخذ مكانة تمكن المدارس الاخرى من تقويمه. وفي عبارة واحدة يمكن ان نقول ان العلاج الجشطالتي له هدف واحد محدد هو تحقيق التكامل النفسي للشخصية ، دون اللجوء إلى التحليل او البحث عن الاسباب الكامنة وراء الاضطراب في الشخصية .

رابعاً : العلاج السلوكي التقليدي : Classical Behaviour Therapy

يعد كل من «ميللر ودولارد» Miller & Dollard من البارزين في هذا المجال خصوصاً بعد ان قدما عام ١٩٥٠ كتابهما المشهور «الشخصية والعلاج النفسي » Personality and Psychotherapy اذ حاولا في هذا الكتاب إعادة صياغة مفاهيم التحليل النفسي بلغة التعلم، ثم تطبيق ذلك في المجال العلاجي.

اضطراب الشخصية والذي يتمثل اساساً في العصاب ، ينشأ نتيجة سوء توافق سلوكي ، اي استجابة لموقف مثير او مواقف مثيرة ، تعترض حياة الفرد . ويمكن تلخيص هذا التوافق السلوكي من سوء التوافق إلى الرابطة المشهورة عند السلوكيين بعامة وهي : رابطة (م — س) (S-R) bond ثمة اربعة مواقف يعدهما كل من «دولارد وميللر» مسؤولة كلها او بعضها عن نشأة العصاب هذه المواقف هي : —

١ ــموقف التغذية والفطام :

يواجه الطفل بهذا الموقف منذ ميلاده ، فقد يجد عملية التغذية مشبعة منتظمة ، خصوصاً اذا ما كانت التغذية طبيعية breast feeding في العام الاول من حياة الطفل . وعادة ما يصدم الطفل اثناء عملية «الفطام» weaning اذا ما تم دون تحضير مسبق او تدرج ويبدأ الطفل حينذاك في مواجهة الاحباطات ، بدلا من الاشباعات . أي أن الطفل يتعلم من هذا الموقف التوافق أو سوء التوافق . فهو عملية مكتسبة بالضرورة ، ويقابل هذا الموقف المرحلة الفمية عند « فرويد» . oral phase

٢ ــموقف ضبط عمليتي التبرز والتبول :

تعد عملية تدريب الطفل على ضبط عمليتي «التبرز والتبول» Toilet training موقفاً قد يسبب له الاحباط . ويكشف عن سوء التوافق بين الطفل وأمه ، اذا ما افتقر إلى الحنان والحب . ويقابل هذا الموقف المرحلة الشرجية عند « فرويد» . anal phase

٣ ــ موقف التدريب على الجنس :

في العام الثالث يبدأ كل من الطفل الذكر والانثى الاهتمام بالاعضاء التناسلية ، واستثارة هذه المناطق . ويتوقف الامر على سلوك الوالدين ازاء الطفل فاذا تم نهره بعنف ، تنشأ استجابة سوء توافق نتيجة لهذه النواهي ، وما يصاحبها من قسوة في المعاملة . ويقابل هذا الموقف المرحلة القضيبية عند «فرويد» او ما يسمى «بالموقف الاوديبي» . phallic phase

٤ ــ موقف التحكم من انفعال الغضب :

اثناء وعقب السنة الثالثة يكثر عادة غضب الطفل من كثرة النواهي ، خصوصاً وقد اصبح قادراً على الاستقلال في الحركة والتعامل مع الاشياء .

كذلك تكون قدرته على التعبير قد تحسنت . واذا لم تكن الاستجابة دافئة ومتفهمة من جانب الابويين ، يعاني الطفل الواناً من العقوبات والاحباطات وتزداد ثورات غضبه .

ويعد «دولارد وميللر» أن نشأة العصاب تبدأ من هذه المواقف الاربعة ، اذا ما اكتسب الطفل (تعلم) سلوكاً غير متوافق اثناء عملية التنشئة الاجتماعية له . وفي كل الاحوال تكون استجابات الطفل محكومة اما بالتدعيم الموجب السالب (الثواب والعقاب) من جانب المحيطين به . فالتدعيم الموجب يقوي الاستجابة ، بينما التدعيم السالب يطفئها ، وقد يحدث ان يتم تدعيم موجب لسلوك غير مرغوب به ، خصوصاً اذا ما كان الابويين غير واعين بالاثار التي يمكن ان تنجم عن مثل هذا التدعيم .

ويصيغ «دولارد وميللر» نظريتهما العلاجية في اربعة مفاهيم هـي : «الحافز او الدافع» ، «المثير أو الدليل أو العلاقة» ، «الاستجابة» التدعيم» (انظر الفصل الرابع من الكتاب الحتمية البيئية) .

لنعرض مثالا يوضح كيف تعمل هذه المفاهيم الاربعة من وجهة نظر «دولارد وميللر» الجوع كحافزللطفل يستثيره ويستدعي منه سلسلة استجابات فقد يتقلب على الفراش (استجابة لحافز الجوع) لن تنجح هذه الاستجابة في اشباع هذ الحافز ، يجرب استجابة اخرى ولتكن الصراخ ، لنفرض ان الام جاءت في هذه اللحظة واطعمته ، هنا تم خفض الحافز ويعد ذلك بمثابة تعزيزاً للسلوك ، وتصبح «الصرخة» هي الاستجابة المناسبة ، اثناء هذه العملية تحضر الأم وقد تبتسم ، وتحمل الطفل كل ذلك يعد بمثابة علامات او أدلة على قرب خفض الحافز ومن ثم تدعيم الاستجابة .

«الحوافز» (الدوافع) نوعان : عدد قليل منها فطري كالجوع والعطش ...الخ والباقي ثانوي مكتسب مثل الامن ، الخوف ، الانجاز ... الخ .

عتمد «دولارد وميللر» على التشريط الكلاسيكي المأخوذ عن «بافلوف» والذي فيه يسبق المثير الشرطي مباشرة المثير غير الشرطي ، عدة مرات ، بحيث يمكن للمثير الشرطي بعد ذلك ان يستدعي الاستجابة الشرطية . ثمة عدة قوانين مثل الانطفاء ، الاسترجاع التلقائي ، التعميم ، التمييز ، ....الخ (انظر اي كتاب في التعلم الشرطي) .

كذلك يعتمد على التشريط الاجرائي (الوسيلي) المأخوذ عن «سكنر» اذ ان الاستجابة التي تسبق مباشرة خفض الحافز تعزز .

ويذهب «دولارد وميللر» الى ان التشريطين يستندان الى خفض الحافز، ويعد العصاب من وجهة نظرهما محاولات فاشلة لخفض الحافز. ومن ثم يحدث التحريف احياناً والكبت احياناً اخرى.وينعكس كل ذلك وفق بعدين اساسيين : البعد الأول يتمثل في كم المعاناة والشقاء التي يعانيها العصابي والبعد الثاني يتمثل فيما يسميانه بالغباء العصابي. والمقصود بهذا المصطلح عدم القدرة على التمييز بين المواقف الحالية والمواقف السابقة ويتضح في زملة الأعراض syndrome التي تعد وكأنها محاولات لتجنيب القلق ، وتعمل كميكانزيمات دفاع ، وخصوصاً الكبت . واذا فشل الفرد في بلوغ اونجاح هذه المسالك فأنه ينغمر بالقلق (الملاحظ هنا أن المفاهيم مأخوذة عن التحليل النفسي ومحاولة اخضاعها لمباديء التعلم).اذا الصراع سمه اساسية للسلوك العصابي ،ويعد بمثابة استثارة قوية مؤذية تعبر عن الأحباط وتنتج استجابات خاطئة ثمة ثلاثة انواع من الصراع الأقتراب، الأقترب– التجنب التجنب–الأقتراب–التجنب)(انظرنظرية«ليفين»ضمن الفصل الرابع من الكتاب)

والكبت بعده ميكانيزما لنسيان لاارادي للمثيرات التي تم تعلمها ، فإن العلاج يبدأ اساساً بتكنيك التحليل النفسي بفنياته المختلفة، ولكن بلغة التعلم مع ملاحظة ان المحاولات الناجحة للعصابي، مع المعالج ومع الأخرين تؤثر ايجابياً في العلاج .وعليه لابد ان يكون المعالج خبيراً يوجه مريضه بهدف تبصيره في الوقت المناسب حينما يفك العصاب ويزال الكبت .

ومهمة المعالج عند« دولارد وميلر» تنحصر في تصحيح العادات السيئة المعرفية والأنفعالية التي أكتسبها المريض. وحيث ان تعلم عادات جديدة ، تتطلب شروطاً جديدة، فلابد من تهيئة موقف جديد بصيغة المعالج، ولابد وان يكون المعالج امباثيا . (هناك اتفاق بين كل من« دولار وميلر» وتكنيك التحليل النفسي وطريقة« روجز» حيث يعد المعالج الناجح هو المعالج الأمباثي الذي يعطي لمريضه جواً به أمن انفعالي وتسامح ومودة ، كذلك تشجيع المريض على تفريغ معاناته وذكرياته التي يحاول كبتها او نسيانها .

التكنيكات (الفنيات) المتبعة :

١ ــ التداعي الطليق: ويتم من جانب المريض وعلى المعالج ان يحث مريضه على ذلك، ولايتدخل الا قليلا بهدف المزيد من تفهم الأمر وتفحص بعض مااستغلق على الفهم .

٢ ــ يختلف« الطرح» هنا عن «الطرح» بمفهوم« فرويد » فالطرح عند «دولارد وميلر» يتسع ليشمل مواقف كثيرة خارج نطاق العملية العلاجية بينما هو عند« فرويد » طرح مشاعر المريض تجاه محلله (معالجه) . والطرح يعد مصدراً مهماً للمعلومات ،ويكشف عن صراعات المريض مما يسهم في نجاح العملية العلاجية .

٣ – تعليم المريض التمييز بين المواقف، اذ ان العصابي عادة مايخلط مابين الأمور والمواقف ، فموقفين متشابهين في فترتين زمنيتين مختلفتين يطابق بينهما العصابي بينما تتباين الظروف والعلاقات داخل هذين الموقفين وهنا يحاول المعالج تبصير مريضه بأوجه التباين المذكورة ، ليرفع عنه غباؤه العصابي .

٤ – لايكتفي كل من « دولارد وميللر» بمرحلة العلاج التي تعتمد على الكلام، بل يحاولان تشجيع المريض على تعميم ماتعلمه اثناء الجلسات العلاجية على مواقف حياتية خارج العلاج. اي ان الأستجابات الجديدة التي أكتسبت ينبغي تطبيقها على مواقف في البيئة متدرجة اي على خطوات بحيث يكون كم القلق متدرجاً هو الاخر فلا يعوق سلوك المريض .

يعد العلاج عند «دولارد وميللر» علاجاً توجيهياً يتم في ضوء تفهم المعالج لمريضه ،وقد يعارضه في بعض التصورات، خصوصاً حين يقدم المريض دفاعات وتأويلات محرفة. هنا يتدخل المعالج للتصحيح ليعين المريض على تفهم صراعاته، حتى يستطيع مواجهتها، كما يمكن للمعالج ان يتدخل او يوجه اوينبه المريض الى عناصر لايكون المريض واعياً بها . وقد تفيد هذه العناصر في تنمية وعي المريض ببعض مااستغلق عليه ادراكه وفهمه .

خامساً : العلاج السلوكي الحديث (تعديل السلوك)

Neo-Behaviour Therapy (Behaviour Modification)

لعل من ابرز العاملين في هذا التيار الجديد: «جوزيف فوليه» Jeseph wolpe ١٩٥٨ « وليونارد اولمان » . Leonard Ullman وليونارد كرازنر Leonard krasnar

يبرز «جوزيف فوليه» كزعيم لهذا الأتجاه ويعد كتابه العلاج النفسي

بالكف بالنقيض عام ١٩٥٨ Reciprocal Inhibition Psychotherapy
كما تعد مقالته: (العلاج السلوكي والساخطون عليه) عام ١٩٧٦ Behavior Therapy and its Malcontents (انظر كتاب العلاج السلوكي الحديث ، حسام الدين عزب ـ رسالة دكتوراه منشورة ١٩٨١) .

يرى « فوليه » ان السلوك العصابي هو اي عادة جامدة من السلوك غير المتوافق، تكتسب في كيان عضوي أو تكويني سوي من الناحيتين العضوية والفسيولوجية. والقلق هو المكون الأساسي في هذا السلوك العصابي.من هذا التعريف للسلوك العصابي يتضح ان صياغة« فوليه» يقوم على التعلم مع اختلافه في بعض وجهات النظر الأخرى في التعلم، ويعد السلوك اما توافقي اوغير توافقي، والتوافق يعني اشباع حاجة اوتجنب مايحتمل ان يكون ضارا أو حرماناً. وسوء التوافق اما ان يكون تبديداً لطاقة اوحدوث ضرراً وحرماناً وهناك انواع من السلوك ينتج عنها التوافق وغير التوافق معاً. كذلك ابرز «فوليه» مفهوم العادة التي تتكون نتيجة التكرار ، وفرق مابين العادات العصابية التي تكون غير توافقية ، والعادات السوية التي تتسم بالتوافق ، فالعادات غير التوافقية تتمثل في المخاوف المرضية،(الفوبيا) والأستجابات الوسواسية والحركات الهستيرية، بعض هذه الأستجابات تقلل من القلق ، والبعض الاخر يزيد منه. واحياناً مايحصل المريض على فائدة ملموسة من عصابه مثل الحصول على عطف المحيطين به او الأعفاءمن مهام ومسؤوليات...الخ من مكاسب عصابية . يركز « فوليه» ايضاً على مايسميه « بالقلق الهائم » ويقدم له تفسيراً يتلخص في تعميم المثير في عملية التشريط اي انه ينقل القلق الذي تسبب عن مثير ما الى مثيرات اخرى ليس من طبيعتها استثارة القلق ولكن تم عليها التعميم .

يتلخص العلاج عند معدلي السلوك في ثلاثة اتجاهات كبيرة :

١ ــ تكنيكات قائمة على اساس الترغيب.

٢ ــ تكنيكات قائمة على اساس الترهيب .

٣ ــ تكنيكات قائمة على اساس مجموعة من الفنيات السلوكية .

(انظر الفصل الخامس من هذا الكتاب) .

قدم «فوليه» في كتابه المذكور سابقاً (الكف بالنقيض) مبدأ مهماً يمكن تصويره على النحو الاتي :

اذا استطعنا ان نجعل استجابة مناقضة للقلق تحدث في حضور مثيرات باعثة للقلق ، بحيث تكون الأستجابة مصحوبة بقمع كلي اوجزئي لاستجابات القلق فأن الوصلة بين هذه المثيرات والأستجابات سينتابها الضعف.

يدلل« فوليه» على صحة هذا المبدأ من الناحية الفسيولوجية حيث يرى أن اثارة الجهاز العصبي السمباثاوي للقلق، يتم كفها بإثارة الجهاز العصبي الباراسمباثاوي، عن طريق الأسترخاء أو الأستجابات التوكيدية حيث يقرر «في انتقائي لاستجابات تكون مناقضة لاستجابات القلق اهتديت للافتراض الذي مؤداه ان الأستجابات التي تنطوي الى حد كبير على الجانب الباراسمباثاوي من الجهاز العصبي الأوتونومي ، سوف يكون من الأرجح ان تكون مناقضة لاستجابات القلق التي هي سمباثاوية بشكل غلاب .

وفي الواقع فإن فنيات الكف بالنقيض بهذه الصورة التي صاغها «فوليه» قد سبقتها أجراءات كلينيكية من قبيل ازالة التشريط اواعادته او طريقة التشريط الكلاسيكي، او الكف التشريطي .....الخ ولنذكر مقالا لعملية ازالة التشريط المباشر فالطفل الذي يعاني من« الفوبيا» اثناء فترة الجوع ويقدم

له شيء من الطعام في نفس الوقت الذي يتم تقريب الموضوع المرهوب من الطفل شيئاً فشيئاً فإن الطفل تقل مخاوفه المرضية .

وفي ضوء هذا المبدأ ايضاً استحدث« فوليه» ثلاث فنيات هي :

استجابات توكيدية ،واستجابات جنسية، واستجابات استرخائية . يتم استخدام الأستجابات التوكيدية ضد انواع من القلق المتولد من علاقات المريض المباشرة مع افراد أخرين.وتستخدم مع المرضى الذين هم بشكل عصابي هيابين وخجولين فأستجابات الخوف عند المريض اذا ماتم معارضتها بأستجابات توكيدية فإن هذه الأخيرة سوف تعمل على كف استجابات القلق اوالخوف ولذلك فالمعالج يدرب مرضاه على غرار مايتم في الدروس الخصوصية للتلاميذ على التصرف بشكل توكيدي في المواقف الأجتماعية التي يعجزون فيها بالتعبير عن مشاعرهم ، وانفعالاتهم بشكل ملائم ، اي. يحفز المعالج المريض لاداء السلوك المطلوب في الظروف الملائمة ،واذ يتم تركيز انتباه المريض على فداحة الظلم الذي يقع عليه وانه سيكون معدوم الكرامة ومن المهين بالنسبة اليه ان يتصرف بهذه الطريقة الرخوة الأنسحابية الجبانة .

ويستخدم احياناً فوليه(السايكودراما) في التسجيلات مع بعض المرضى الذين يجدون صعوبة غير عادية في ان يبدأون السلوك التوكيدي في علاقاتهم اليومية .

نخلص من ذلك الى ان السلوك المرتعش والخائف ينبغي ان يواجه من جانب المعالج بإعطاء استجابات توكيدية تؤكد على شجاعة وصلابة المريض (نقيض ماهو فيه) وينسحب هذا الكلام على كافة الأعراض المرضية الأخرى.

وبالنسبة للاستجابات الجنسية Sexual responses يفرق «فوليه» بين نوعين منها : الكف الكامل والكف الجزئي ، فالكف الكلي او

الكامل يعالج بفنية خاصة تسمى «التحصين المنهجي» اي يخبر المريض بأنه لاينبغي بأي حال ان يقوم بإداء فعل جنسي مالم تكن به رغبة موجبة وفي محبة دافئة آمنة ، ويدع نفسه على سجيتها . أما الكف الجزئي يعالج بالأستجابات الجنسية من الطرف الاخر بحيث لايتم الفعل الا في حالة تواد وأمن نفسيين .

وبالنسبة للاستجابات الأسترخائية relaxed responses تتطلب تدريباً على الأسترخاء وقد يتم ذلك في سبع جلسات . والتدريب على الأسترخاء ينحصر في الخطوات الاتية خصوصاً في حالات القلق ، يجلس المريض على كرسي ويقبض بيده اليسرى على سند الكرسي الذي يجلس عليه. يقبض المعالج على رسغ المريض ويطلب منه الدفع والشد ضده، بحيث يصبح على وعي بأحاسيس التوتر العضلي في العضلة ثنائية الرأس في الكتف biceps وفي العضلة الثلاثية الرأس في مؤخرة الذراع Triceps ثم يطلب اليه بعد ذلك أن يبقى على التوتر في « الباي سبس» لمدة ٣٠ ثانية مركزاً ومتهيئاً لاحاسيسه، ثم يقوم بعد ذلك بخفض تدريجي للتوتر بينما يقوم المعالج بتقليل حركته المضادة بشكل تدريجي ثم يعطيه التعليمات بأن يواصل النشاط الذي يزيل التوتر وذلك لمدة عشرة دقائق . وغالباً مايقرر المرضى في هذه الحالة بأنهم يشعرون بأحاسيس التخديل numbness او التنميل tingling . وهي تعد بمثابة علامات دالة على الأسترخاء ثم يطلب المعالج من المريض ان يمارس ماتعلمه لفترة نصف ساعة يومياً . وفي الجلسات التالية يتم تعليم ارخاء المجموعات العضلية الأخرى وفق الترتيب الاتي :

عضلات الوجه، الفك،اللسان، البلعوم، العضلات الخارجية للعين، الرقبة

الكتف، الظهر، البطن ، الرجلين والفخذين ، عضلات التنفس ، وتستغرق حوالي سبع جلسات .

وتعلم هذه الأستجابات الأسترخائية يفيد في ازالة التوتر والقلق والعصبية الزائدة ،والحساسية الزائدة ،ومن ثم تعد ايضاً عمليات ضمن اطار الكف بالنقيض .

(انظر : عزيز حنا داود وآخرون .
الشخصية بين السواء والمرض ، ١٩٨٩)

المراجع العربية والاجنبية

المراجع References

١ــ احمد زكي صالح.الخدمة النفسية في التجارة وادارة الأعمال ط٢،دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٦٣.

٢ــ أوتو فينخل (مترجم)صلاح مخيمر،«نظرية التحليل النفسي في العصاب» ثلاثة اجزاء ــ الأنجلو المصرية ،القاهرة ١٩٦٩.

٣ ــ تحسين علي حسين« دور وسائل الإعلام في تفسير الأتجاهات النفسية والأجتماعية نحو المرأة العراقية ــ دراسة تجريبية لدى شرائح مختلفة من الشباب العراقي» جامعة عين شمس. كلية البنات للعلوم والأداب والتربية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ١٩٨٧.

٤ ــ حسام الدين عزب« العلاج السلوكي الحديث ــ تعديل السلوك ــ اسسه النظرية وتطبيقاته العلاجية والتربوية» مكتبة الأنجلو المصرية .القاهرة ١٩٨١.

٥ ــ سيد محمد غنيم« سيكولوجية الشخصية ــمحدداتها. قياسها .نظرياتها » دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٥ .

٦ ــ صلاح مخيمر« تناول جديد في تصنيف الأعصبة والعلاجات النفسية» الأنجلو المصرية .القاهرة ١٩٧٧ .

٧ ــ صلاح مخيمر« المدخل ، الى الصحة النفسية ، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٧٩ .

٨ ــ كلود برنارد (مترجم) الطب التجريبي(ترجمة ابراهيم حلمي عبد الرحمن) الأنجلو المصرية .القاهرة ١٩٦٦

٩ ــ عزيز حنا داؤد وأخرون الشخصية والصحة النفسية ، الأنجلو المصرية ــ القاهرة ١٩٦٢ .
١٠ ــ عزيز حنا داؤد ، « الصفات الشخصية اللازمة لنجاح طلبة كليات المعلمين في مهنة التدريس رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية جامعة عين شمس ١٩٦٥ .
١١ ــ عزيز حنا داؤد، زكريا اثناسيوس « دراسات في علم النفس » النهضة العربية ،القاهرة ١٩٧٢ .
١٢ ــ عزيز حنا داؤد« دراسات وقراءات نفسية وتربوية» (جـ١) الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٨٤ .
١٣ ــ عزيز حنا داؤد «دراسات وقراءات نفسية وتربوية (جـ٢) الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٨٥ .
١٤ ــ عزيز حنا داود، محمد عبد الظاهر الطيب، ناظم هاشم العبيدي، «الشخصية بين السواء والمرض» الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٨٩.
١٥ ــ محمد عبدالظاهر الطيب ، تيارات جديدة في العلاج النفسي» دار المعارف ، القاهرة ١٩٨١ .
١٦ ــ محمد عماد الدين اسماعيل، لويس كامل، عطية محمود هنا «الشخصية وقياسها» ط١ مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٩.
١٧ ــ محمود الزيادي« علم النفس الأكلينكي ــ التشخيص» مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٦٩.
١٨ ــ مصطفى فهمي «دراسات في سيكولوجية التكيف» الأنجلو المصرية. القاهرة ١٩٧٦.
١٩ ــ لاجاش، مترجم، صلاح مخيمر : « وحدة علم النفس» الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٢

٢٠ ـ لندال «دافيدوف» مدخل علم النفس «ترجمة سيد الطواب واخرون دار ماكجرو هيل للنشر والولايات المتحدة الأمريكية (مطابع المكتب المصري الحديث) ـ القاهرة ١٩٨٣.

٢١ ـ ناظم هاشم ذياب العبيدي « دراسة مقارنة لبعض المتغيرات التربوية والنفسية والأجتماعية بين الناجحين والراسبين من طلبة الصفوف الأولى في كليات الطب العراقية «جامعة بغداد ـ كلية التربية رسالة دكتوراه غير منشورة ١٩٨٧ .

٢٢ ـ نجيب اسكندر واخرون «الدراسة العلمية للسلوك الأجتماعي» مؤسسة المطبوعات الحديثة ، القاهرة ١٩٦٠ .

23- Adler, A., "Individual Psychology" in Murchison C., Ed., 1930 "Psychologies.. elark Univ., U.S.A.

24- Adler, A., "The practice and theory of Individual Psychology" McGrawHill, 1927, N.Y.

25- Allport, G, W, Vernon, P.E., & Lindzey, G. ((Study of values" (3ded). Copyright, by Houghton Mifflin Compnay N.Y. 1960.

26- Allport, G., "Personality, A Psychological interpretation, 1937, N.Y.

27- Allport, G.W., and Vernon, P., "Studies in expressive movement", The Macmillan Company, N.Y., 1933.

28- Anastasi A., "Psychological testing", The Macmillan Company Iv ed., New York 1976.

29- Arnheim R., "Art and Visual experience" Rinhart Com., 1954 L. & N.Y.

30- Asch, S.E., "Social Psychology",Prentice Hall, N.Y, 1952.

31- AZIZ H.D., Readings & Studies (educational & Psychological) Part "3" Auglo-Egyptian, Cairo, 1978.

32- Bandura, A., "Psychotherapy as a learning process.Psychol. Bull., "2" 1961'

33- Carrol, H.A., Mental Hygiene: The Dynamics of Adjustment, V ed., Prentice-Englewood Cliffs. New Jersy.

34- Dollard, & Miller, N., Personality & Psychotherapy, Mc GrawHill, New York.

35- Eysenck, H.J., The Dynamics of Anxiety and Hysteria, Routledge & Kegan paul, London, 1957.

36- Eysenck, H.J., "The Structure of Human Personality" Methuen, London. 1953.

37- Eysenck, H.J., "Behaviour Therapy and the Neurosis". Pergamon Press, N.Y. 1960.

38- Fitzgerald, H.E., & McKinney, J.P., "Developmental Psychology, Studies in human development, The Dorsey Press, Homewood, Illinois, 1970.

39- Flavell, J.H., "The developmental Psychology of Jean Piaget, Princeton, Van Nostland, N.Y, 1963.

40- Freud, S., The Origins of Psychoanalysis, Basic Books, N.Y., 1954.

41- Freud, S., "The Origins of Psychoanalysis "Basic Books, N.Y., 1954.

42- Freud., S., "Psychopathology of Everyday life) 5th Impression Ernest Benn, London, 1960.

43- Freud, S., The Ego and the Id., Hogarth Press, London, 1927.

44- Fromm, E., "Man for Himself, 1941, London.

45- Fromm, E., "Escape from freedom Farrar, 1947, London

46- Fromm, E., "The sane society" 1955, London.

47- Fromm E., The sane society, Rinehart, N.Y. 1955.

48– Goldstein, K., "Human nature in the light psychopathology", Cambridge Harvard University Press, U.S.A., 1940.

49– Goldstein, M.J., "The relationship between coping and avoiding behaviour and response to fear–arousing propaganda Journal of Abnormal and Social Psychology, U.S.A., 1959.

50– Gronbach L. "Essentials of Psychological Testing" Harper, & Brothers, New York 1960.

51– Growcroft, A., "The Psychotic" understanding madness Penguin Books, 1977.

52– Hadley, J., "Clinical and counceling Psychology",Alfred knop, New York 1958.

53– Harold, I.Kaplan, Al –Freed M.Freedman Benjaminj . Sadock. In "Comprehensive Textbook of Psychiatry"III edg., vol.2.

54– Hall, C.S., & Lindzey, G. Theories of Personality John Wiley, N.Y., 1957.

55– Herman Melville, In Nomine Diaboli, Explorations in Personality, N.Y. 1952.

56– Horney, K., "Our inner conflicts" Appleton–Century-Crofts, N.Y., 1945.

57– Horney, K., "Neurosis & human growth, Norten, N.Y., 1950.

58– Horney, K., "Neurotic Personality of our times", Norton N.Y.

59– Horney,K., New ways in Psycho analysis, Norten, N.Y... 1939.

60– Kahn and Gannel, "The dynamics of interviewing", John Wiley & Sons, N.Y., 1960.

61– Kelly, G.A., "The psychology of Personal constructs, Norton, N.Y., 1955.

62– Krasner, L., "Behaviour modification", Token economies in clinical Psychology, Meredith Corporation, U.S.A., 1970.

63– Lazarus, R.S.,: Personality" 2nd ed., Englewood Cliffs, New Jersey, Prentice–Hall, Inc., 1971.

64– Malinowski, B., "A Scientific theory of Culture and other essays, The University Chapel, North Carolina Press, 1944.

65– Mead, M., "Sex and Temperament" in three primitive Societies" Routledge & Kegan limited, London, 1948.

66– Merton, R.K., "The Role–Set Problems in Sociological Theory British journal of Sociology, Vol. 8 June 1957.

67– Merton, R.K., "The Role–Set": Problems in Sociological Theory British Journal of Sociology, vol. 8 Jume, 1957.

68– Murphy, G., Personality: A Biosocial approach to origins and structure, N.Y. 1947 Ma

69– Marphy G., Challenge of Psychical Research, N.Y. 1961.

70– Murphy, G., "Studies of" Stressful Interpersonal Disputations"
.. In: American Psychologist, 1963.

71– Murphy M., & Newcomb, "Experimental Social Psycohlogy" Happer, London & N.Y., 1937.

72– Murphy G., Human Potentialities, N.Y. U.S.A., 1958.

73– Murphy, G., Historical introduction to modern psychology N.Y. 1929.

74– Murphy G., Approaches of Personality, N.Y. 1932.

75– Murphy,G., Newcomb, Experimental Social Psychology, N.Y. 1937.

76- Patty,W.L., & Johnson L.S., "Personality and Adjustment" Mc Graw-Hill Book Compnay, 1953 London, N.Y.

77- Rogers C, R., "Client centered therapy" Haughton Mifflin Company, New York 1951.

78- Sarbin, T.R., "Role theory", Hand book of Social Psychology, Vol, I, G. Lindzey ed., Cambridge Mass: OLondon 1954.

79- Sarason, I. G. "Personality: an objective approach" (2nded) New York: Wiley, 1972.

80- Schachter, S., "Ordinal Position and fighter pilot effectiveness." Mc. Graw Hill, 1959 N.Y. & L.

81- Shaffer & Shoben, "The psychology of adjustement" Mc-Garw Hill, 1962, London. N.Y.

82- Sherif, M., and Cantril, H., "The Psychology of Ego-Involvement, Wiley, N.Y., 1947.

83- Stagner, R., "Psychology of Personality", L., N.Y. 1948.

84- Stanford, L., "Systems Analysis", Selected readings, U.S.A., Penguin Books, 1973.

85- Stour, A., "The Integrity of the Personality" a pelican book, Penguin Books. 1960.

86- Siuivan, H.S., "The interpersonal Theory of Psychiatry" Norton, N.Y., 1953.

87- Ullman, A.D., "Sociocultural Foundations of Personality" Houghton Mifflin Com., Boston, U.S.A. 1965.

88- Vernon, P.E., "Persoonality Assessment": A critical Survey. Methuen. London, 1964.

89-Wolpe, J. "Psychotherapy by Reciprocal Inhibition", Stanford Calfi: Stanford Univ. Press, U.S.A., 1958.

90-Wolpe, J., "Behaviour therapy in Complex neurotic States," British of Psychiatrist, L[illegible]n, 1962.

فهرست الكتاب

الفصل الثالث

الفصل الرابع